

الإحاطة في

احياء السمرقند طبرستان

تاکفیر

أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السكاكيني

الشيخ العلامة ابن القيم

التَّوْفِيقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيْثَانُ الرَّكْبَةُ يُؤَيِّفُ هَاجِي طَلُوبِ

استاذ العرب الانكليزي والندبات العليا
بالجامعة اللبنانية

تشیب

وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الحمد لله



مفتی محمد امجد علی صاحب

الكتاب الثاني في الفقه

سورة الكافر المكية

المجلد الثاني

الإحاطة في أخبار عمرنا طه

تأليف
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السطافي
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ

بترعة وضبطه مقدم له
الأستاذ الدكتور يوسف عياي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي والدراسات العليا
بالمهنة اللبنانية

تمهيد:
وضعنا القواعد العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الثالث

منشورات
محمد عيسى بيضون
لشركة النشر والتوزيع
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مستودع الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أي وسيلة أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطرقيف - شارع البحتري - شاية ملكات
الإدارة العامة، حرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١١/١٢/١٣ / ٨٠٤٨١٠ (+٩٦١ ٥)
مستودع بيروت: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ram Al-Zarif, Bohory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ram Al-Zarif, Rue Bohory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5



9 782745 133199

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

beydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي^(١)

من أهل سبته، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب.

حاله: من أهل الظرف والبراعة، والطبع المعين، والذكاء، رئيس سبته، وابن رؤسائها، وانتقل إلى غرناطة عند خلعه وانصرافه عن بلده. أقام بها تحت رغي حسن الرواء، مألّفًا للظرفاء، واشتهر بها أدبه، ونظر في الطب ودون فيه، وبرع في التوثيح. ثم انتقل إلى العُدوة، انتقل غبطة وأثرة، فاستعمل بها في خطط نبيهة، وكتب عن ملوكها، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه^(٢): فرع تأود من الرئاسة في دوحة، وتردّد بين عُدوة في المجد وروحة، نشأ والرئاسة العزفية تعلّه وتنهله، والدهر يسير أمله الأقصى ويسهله، حتى اتسقت أسباب سعده، وانتهت إليه رئاسة سلفه من بعده، فالقّت إليه رحالها وحطّت، ومثّعته بقربها بعدما شطّت. ثمّ كلّح له الدهر بعد ما تبسّم، وعاد رُغزَعًا^(٣) نسيمة الذي كان يتنّسم، وعاق هلاله عن يَمّه، ما كان من تغلب ابن عمّه، واستقرّ بهذه البلاد نائي^(٤) الدار بحكم الأقدار، وإن كان نبيه المكانة والمقدار، وجرت عليه جِراية واسعة، ورعاية مُتتابعة، وله أدب كالرّوض باكرته

(١) ترجمة العزفي في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥٢) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٧٨) وجاء في أزهار الأرض أنه ولد بسبته عام ٦٩٩ هـ، وببيع بها بعد أبيه عام ٧١٩ هـ، وخلع في سنة ٧٢٠ هـ، فكانت دولته ستة أشهر، وتوفي بفاس سنة ٧٦٨ هـ. وقد ذكرنا ذلك؛ لأن ابن الخطيب لم يذكره هنا كمعادته مع سائر التراجم.

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨).

(٣) الززعع: الريح الشديدة. لسان العرب (ززعع).

(٤) في نفع الطيب: «نازح».

الغمائم، والزُّهر تَفْشَحَتْ عنه الكمائم، رَفَعَ مِنْهُ رَايَةً خَافِقَةً، وَأَقَامَ لَهُ سَوْقًا نَافِقَةً. وعلى تَدْفُقِ أَنهَارِهِ، وكثرة نظمه واشتِهَارِهِ، فلم أَظْفِرْ مِنْهُ إِلَّا بِالْيَسِيرِ التَّافِهِ بَعْدَ انصِرَافِهِ.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أَفْدِيكَ يَا رِيحَ الصُّبَا عَوْجِي عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
وَاخْذُ النُّعَامِي سِخْرًا تُرْسِلْ غَمَامًا صَبَا
عَلَى رُبَى غَرْنَاطَةٍ لَكِي تُقْضِي مَا رِبَا
ثُمَّ أَبْلَغِي^(١) يَا رِيح عَنْ صَبٍّ سَلَامًا طَيِّبَا

ومن منظومه أيضًا في بعض القضاة الفاسيين، وهو من البديع، وورى فيه بيايين من أبواب المدينة: [المتقارب]

وَلَيْتَ بِفَاسٍ أُمُورَ الْقَضَاءِ فَأَخَذْتُ فِيهَا أُمُورًا شَنِيعَةً
فَتَحَتْ لِنَفْسِكَ بَابَ الْفُتُوحِ وَغَلَقَتْ لِلنَّاسِ بَابَ الشَّرِيعَةِ
فَبَادَرَ مَوْلَى الْوَرَى فَارِسَ بَعَزْلِكَ عَنْهَا قُبَيْلَ الذَّرِيعَةِ
وقال: [الكامل]

دَغَ عَنْكَ قَوْلَ عَوَازِلٍ وَوَشَاةٍ وَأَذِرْ كُؤُوسَكَ يَا أَخَا اللَّذَاتِ
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ لَاهِيًا فِي شُرْبِهَا واقطعْ زَمَانَكَ بَيْنَ هَاكِ وَهَاتِ
خَذْهَا إِلَيْكَ بِكَفِّ سَاقٍ أَغْيَدٍ لِيَنِ الْمَعَاطِفِ فَاتِرِ الْحَرَكَاتِ
قَدْ قَامَ مِنَ الْحَاطِظِ إِنْسَانُهَا مُشَبَّتًا فِي فِتْرَةِ اللَّحْظَاتِ
يُسْقِيكُمَا حَمْرَاءَ يَسْطَعُ نَوْرُهَا فِي الْكَأْسِ كَالْمَصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاتِ
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فِي الرُّجَاجَةِ مَنَظَرَا لَمَّا عَدَّتْ تُجْلِي عَلَى الرِّاحَاتِ
لَا تَمَزِجْنَهَا فِي الْأَبَارِقِ إِنِّهَا تَبْدُو مُحَاسِنُهَا لَدَى الْكَاسَاتِ
عَجَبًا لَهَا كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي فَمٍ لَكِنْ مَطَالِعُهَا مِنَ الْوَجَنَاتِ
يَلْنَا بِهَا مَا نَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُنَى فِي جَنَّةٍ تُزْهِى عَلَى الْجَنَّاتِ
رَقَّتْ عَلَيْهَا كُلُّ طَلٍّ سَجَسَجَ مِنْ كُلِّ غَضٍّ يَانِعِ الثَّمَرَاتِ
مَا بَيْنَ خُضْرِ حَدَائِقِ وَخُمَائِلِ وَجَدَاوِلِ تُقْضِي إِلَى دَوَّاحَاتِ
سَرَى النِّسِيمُ بِهَا يَصَافِحُ زَهْرَهُ فِيهِبُ وَهُوَ مُورِجُ النِّفْحَاتِ

(١) في الأصل: «أبلغني» وكذا ينكسر الوزن.

وشدا لنا فيها مَعْنٌ شادين
طَرِبَتْ له الْقُضْبُ اللَّدَانُ وبادرت
مَرَّت عليه رُكْعًا لكنها
قصرث صلاة الخوف منه فَقَرَّبَتْ
والعودُ مَثْنَاهُ يُطَابِقُ زَيْهَا
إِنْ جُسَ مَثْلُهُ بَانَ بِعُثَّةٍ^(١)
فكان ما عَثَتْ عليه الْوُزُقُ من
عَكَفَتْ على أَلحانها تَشْدُو لنا
فكانها عُنْجَمٌ توارث بالحجاب
نطقت بأفصح نَغْمَةٍ في شذوها

ومما أنشده ليلة ميلاد رسول الله ﷺ: [المقارب]

إِذَا لَمْ أَطِقْ نَحْرُ نَجْدٍ وَصَوْلًا
وكم خَلَّ قَلْبِي رَهِيْنَا بها
محل بها في الحلال التي
وكم بَتْ فيها غداة الثوى
على شمس حُسن سما ناظري
وَقَفْتُ بوادي الغضا ساعة
وفي البان من أَيْكِهِ ساجع
بحقِّ الهوى يا حمامَ الْجَمَى
فَقَدْ هَجَتْ تالله أشواقه
أَلَمْ تَذَرْ أَنْ اذْكَارِي الهوى
رعى الله تلك المطايا التي
ويا عجبًا كيف خَفَّتْ بهم
وَوَدَّعَنِي الصبر إذ ودَّعُوا
وآثَرْتُ، يا ويح نفسي، المقام

بَعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا
غداة نَوَى الرُّكْبُ فِيهَا النُّزُولَا
ضَحَى أَصْبَحَ الْقَوْمِ فِيهَا حُلُولَا
أَسْحُ من أَلْعَيْنِ دَمْعًا هُمُولَا
إِلَيْهَا وَعَنِّي تَوَارَتْ أَقْوَلَا
لَعَلِّي أَنْذَبُ فِيهَا الطُّلُولَا
يرجع بالقُضْبِ منها الهدى
تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمُعْنَى قَلِيلَا
بذكرك إِلْقَا ثَنِي^(٢) أَوْ خَلِيلَا
يُذِيبُ وَيُعْنَى الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا؟
إلى الحجِّ وَخَدَا سَرَتْ أَوْ ذَمِيلَا
وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ جَمَلًا ثَقِيلَا
فما أَنْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلَا
وآثَرُ أَهْلُ السُّودَادِ الرُّجِيلَا

(١) في الأصل: «في» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) القُتَّة: صوت يخرج من الخيشوم. محيط المحيط (غنن).

(٣) في الأصل: «ثانيًا»، وكذا ينكسر الوزن.

وجادوا رجاء^(١) الرضى بالنفوس
 نديت على السير إذ فاتني
 وفاز المخفون إذ يئموا
 وحجوا وزاروا نبي الهدى
 وفازوا بإذراك ما أملا
 ولو كنت في عزمهم مثلهم
 ولكنني أثقلتني الذنوب
 ركبث مطية جهل الصبا
 ومالت بي النفس نحو الهوى
 فطوبى لمن حل في طيبة
 ونال المني في متى عندما
 وأضفى الضمائر نحو الصفا
 وجاء إلى البيت مستبشرا
 وطاف ولبي بذاك الجمى
 بلاد بها حل خير الورى
 نبي كريم سما رفعة
 وكان لأمته رحمة
 وكان رؤوفا رحيمًا لهم
 له يفرغون إذا ما رأوا
 وإن جاء في ذنبهم شافعا
 له معجزات إذا عُدَّتْ
 ولن يبلغ القول معشارها
 وقُسَّ البيان وسخبائه^(٢)
 تحييره الله في خلقه

وكثت بنفسي ضئيلا بخيلا
 ولازمت حزنِي ذفرا طويلا
 منازل آثارها لن تزولا
 محمدا الهاشمي الرسولا
 ونالوا لذيهِ الرضى والقُبولا
 إذا لانسرفت إليه عَجُولا
 وما كنت للشغل منها حَمُولا
 وكانت أوان الثَّصابي ذُلولا
 وقد جَدَثَنِي غُرًا جَهُولًا
 وعَرَسَ بالسفح منها الحُمُولا
 نوى بالمنازل منها نُزولا
 يؤمل للوُضَل فيه الرُضولا
 ليطهر بالأمن فيه دخولا
 ونال من الحَجَر قُضدا وسولا
 فطوبى لمن نال فيها الخُلولا
 وقَدَّرًا جليلا ومجدًا أصيلا
 بفضل الشفاعة فيهم كفيلا
 عطوفا شفيعا عليهم وُصولا
 لدى الحشر خسفا وأمرًا مهولا
 بدا الرُحْب من رَبِّهِ والقُبولا
 تفوت الثَّهى وتُكِلُّ العقولا
 وإن كان الوُصف فيها مُطِيلا
 يرى ذَهْنُهُ في مَداها كليلا
 فكان الحَظِير لديه المَثيلا

(١) في الأصل: رجاء، وكذا يتكرر الوزن.

(٢) قُسَّ: هو قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أسقف نجران، وخطيب العرب وشاعرها، يضرب به المثل في البلاغة. وسخبان: رجل من بني باهلة يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة، فيقال: أخطب من سخبان وائل.

ولم يُر في النَّاسِ نِدًا له
وأبقى له الحُكْم في أرضه
وكلَّ ظلامٍ وظُلُمٍ بها
وكانت كنار لظى فتنة
وقد زان حسنُ الدُّجى جيله
وأيَّامه غُرَزَ قد بَدَثَ
رَسُول كريم إذا جِئْتَه
بمولده في زمان الربيع
فأهلا به الآن من زائرٍ
وقام الإمام به المُرْتَضَى
هو المُسْتَعِين أبو سَالِمٍ
وحاز مِنَ الصِّيت ذُكْرًا أَثِيرًا
سَلِيلُ عَلِيٍّ غَمَامُ الثُّدى
فَتَى أَوْسَع النَّاسِ من جوده
حلاه الوقارُ ولاقيه
وقد شاع عنه جميل الثَّنَاء^(١)
وما مَنُ بالوعد إلا وَفَى
ولا في عُلاه مُغَالٍ لِمَن
تفرَّد بالفضل في عصره
أطاعت له حين وافى البلاد
وجاء^(٢) لطاعته أهلها
فَتَبَّةٌ قَدَّرَ المُوالي بها
ومَهَّدَ بالأمن أفكارها
وكفَّ أَكْفَ التَّعَدِّي بها
وعصر الكروب الذي قد مضى

ولا في الخلّاقِ منه بديلا
فكان الأَمِينُ عليها الوَكِيلَا
على القَوَرِ لَمَّا أتى قَد أَزِيلَا
فعمادت من الأمن ظِلًّا ظَلِيلَا
إذا ذكر الدهر جِبِلًّا فجِيلَا
بوجهِ الدُّنَا والليالي حجولا
ويُمنّت مَغْنَاه تَلْقَى القَبُولَا
ربيعُ أَتَانَا يَجْرُ الدُّيُولَا
أَتَانَا بفضل يفوق الفضولا
فنال ثوابا وأجرا جزيلَا
ملك ترفع قدرا جليلَا
ومن كرم الخيم مَجْدًا أَثِيلَا
ألا أَيُّد الله ذاك السُّلِيلَا
عطاء^(٣) جزيلًا وبرًا حفيلا
إذا ارتاح للجود يلقى عجولا
وعَمَّ البسيطة عرضًا وطولا
فلَم يَلِكْ بالوعد يومًا مَطُولَا
يُكْثِرُ في الملك قالًا وقِيلَا
وكان بعُزف الأيادي كَفِيلَا
رَضَى عندما حلَّ فيها حلولا
سُراعا يرومون فيها الدُّخُولَا
وأكسَفَ فيها المُعادي خمولا
وأَمِنَ بالعدل فيها السبيلَا
فلا يُظلم الناس فيها قَتِيلَا
زمانُ المَسَرَّاتِ منه أَدِيلَا

(٢) في الأصل: «الثناء».

(١) في الأصل: «عطاء».

(٣) في الأصل: «رجاء».

أتانا إلى الغرب في شوكة
وفوق رؤوس الطغاة انتضى
وجرد من عزمه مرهقا
وكسل كفسور مُعَادٍ لَهُ
أعز الخلائق لَمَّا وَلِي
وراعى لمن جاءه داخلا
فكان بأفعاله قصده
وصح انتعاش المعالي به
وشيد مبني العُلا بالتدى
يُنِيل ويُعطي جزيل العطاء^(١)
ودام مدى الذهر في رفعة
ولا بريح السعد في بابه

بها عاد جَمْعُ الأعادي قليلا
حساما لِيُسْمِعَ فيها صليلا
لحسم أمور المناوي صقيلا
سيأخذه الله أَخْذًا وَيِيلا
ونوره من كان منهم ذليلا
حماء من القاصدين الدُخَيْلا
إلى مَنَهْجِ الفضل قصدا جميلا
وقد كان شخصُ المعالي عليلا
ووثقه خَشْيَةً أَنْ يَمِيلَا
فما زال أخرى الليالي مُنِيلا
تثير من الحاسدين الغليلا
يؤمُّ به مَزْبَعًا أَوْ مَقِيلَا

محمد المَكودي^(٢)

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «الإكليل»^(٣): شاعر لا يتعاطى^(٤) ميدانه، ومزعى بيانٍ ورَفَ
عضاهه^(٥) وأينع سَعْدَانَهُ^(٦)، يدعو الكلام فَيُهْطِعُ^(٧) لداعيه، ويسعى في اجتلاب
المعاني فتنتجج مساعيه، غير أنه أفرط في الانهماك، وهوى إلى السُّمَكَة من أوج
السُّمَّاك^(٨). وقدم^(٩) على هذه البلاد مُفْلِتًا من رَهَقِ تلمسان حين الحصار، صفر
اليمين واليسار من اليسار، ملء هوى أنحى على طريقه ويَلادَه، وأخرجه من بلاده.

(١) في الأصل: «العطاء».

(٢) هو محمد بن محمد المَكودي، ترجمته في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥، ٣٧٨) وأزهار الرياض

(ج ٥ ص ٤٩) وجاء فيه أنه: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المَكودي.

(٣) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٤) في النسخ: «لا يتقاضى». (٥) في الأصل: «عضله» والتصويب من النسخ.

(٦) السَّغْدَان: نبت له شوكة. لسان العرب (سعد).

(٧) يُهْطِعُ: يسرع. لسان العرب. (هطع).

(٨) السُّمَكَة: برج في السماء. والسُّمَّاك: واحد السُّمَّاكِين وهما كوكبان نيران، يقال لأحدهما
السُّمَّاك الرامح وللآخر السُّمَّاك الأعزل، ومراده أنه هوى من الأوج إلى الحضيض. لسان العرب
(سمك).

(٩) في النسخ: «قدم».

ولمّا جَدُّ به البين، وَحَلَّ هذه البلاد^(١) بحال تقبُّحها العين، والسيف بهزته، لا بحسن بزته، دعوته^(٢) إلى مجلس أعاره البَذْرُ هالته، وخلع عليه الأصيلُ غلالته، وروض تفتح كمامه، وهَمَى عليه غمامه، وكاس أنس تدور، فتتلقى نجومها البُذور. فلمّا دَهَبَت المؤانسة بخجله، وتذكّر هواه ويوم نواه حتّى خِفْنَا خلول أجله، جَذَبْنَا للمؤانسة زمامه، واستَقَيْنَا^(٣) منها غمامه، فأَمْتَعَ وأخسب، ونظر ونسب، وتكلّم في المسائل، وحضر^(٤) بِطَرْفِ الأبيات وعيون الرسائل، حتّى نشر الصباح رايته، وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه^(٥): [الوافر]

غرامي فيك جَلُّ عن القياس وقد أسقيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني عليك أقاربي طُرا وناسي
ولا أدري لنفسي من كمال سوى أنني لعهدك غير ناس

وقال في غرض معروف^(٦): [الطويل]

بَعَثْتُ بِخَمْرِ فيه ماء وإثما بَعَثْتُ بِخَمْرِ فيه ماء وإثما
فَقَلُّ عليه الشكرُ إذ قُلْ سكرنا فنحن بلا سُكر وأنت بلا سُكر

ومما خاطبني به^(٨): [البسيط]

رَحِمَاكَ بي فلقد خَلَدْتُ في خَلْدِي هَوَى أَكَابِدُ منه حرّة^(٩) الكَبِدِ
خَلَلْتُ عَقْدَ سُلُوكِي في^(١٠) فؤادي إذ خَلَلْتُ منه مَحَلَّ الروح في^(١١) جسدي
مَرَاكَ بدري وذِكْرَاكَ التِّدَاذُ فمي ودينُ حُبِّكَ إضمّاري ومُغْتَقِدِي
ومن جمالك نورٌ لاح في بَصْري ومن ودادك روحٌ حلَّ في خَلْدِي
لا تحسبن فؤادي عنك مُضْطَبِرًا^(١٢) فقبَلْ حُبِّكَ كان الصبرُ طَوْعَ يدي
وهاك جسمي قد أودى الشُّحُولُ به فلو طَلَبْتَ وجودًا منه لم تجد

(١) في النفع: «البلدة».

(٢) في النفع: «دعوته».

(٣) في النفع: «واستقينا».

(٤) في النفع: «وحضر».

(٥) في النفع: «فمّا نسبته إلى نفسه وأنشدناه قوله».

(٦) اكتفى في النفع بالقول: «وقال».

(٧) في الأصل: «بما» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٩) في النفع: «خرقة».

(١٠) في النفع: «عن».

(١١) في النفع: «من».

(١٢) في الأصل: «مضطبر» والتصويب من النفع.

بما بطرفك مِنْ غُثِّجٍ وَمِنْ حَوْرٍ
كُنْ بَيْنَ طَرْفِي وَقَلْبِي مَنْصَفًا فَلَقَدْ
فَقَالَ لِي قَدْ جَعَلْتَ الْقَلْبَ لِي وَطْئًا
وَكَيْفَ تَطْلُبُ عَدْلًا وَالْهَوَى حَكَمٌ
مَنْ لِي بِأَغْيَدَ لَا يَزْنِي إِلَى شَجَنِ
مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ إِذْعَانِي لِصَوْلَتِهِ^(١)
إِنْ جَادَ بِالْوَعْدِ لَمْ تُضِدَّقْ مَوَاعِدُهُ
شَكَوْتُهُ عَلَيَّ مِنْهُ فَقَالَ: أَلَا^(٢)
فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ بُرْنِي أَوْ شِئَا أَلْمِي
وَإِنْ بَخِلْتَ فَلِي مَوْلَى يَجُودُ عَلَى
وَخَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ قَاطِلًا.

المقرئون والعلماء - الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى
ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جَزَيِّ الكلبي^(٥)

يكنى^(٦) أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، شيخنا رحمة
الله عليه.

أوليته: أصل^(٧) سلفه من ولبة^(٨) من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

(١) حاييت بعضهما: نصرته وملت إليه، يقال: حابى القاضي في الحكم إذا مال منحرفاً عن الحق.
لسان العرب (حبا).

(٢) في النفع: «الطوته».

(٣) في الأصل: «فقال الأمر للطبيب فما... وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «جسد» والتصويب من النفع.

(٥) ترجمة ابن جزى في الكتيبة الكامنة (ص ٤٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤) والديباج
المذهب (ص ٢٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨).

(٦) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٧) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٨) في الأصل: «ولمة» والتصويب من النفع وأزهار الرياض.

الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حُسام بن ضرار الكلبي، وعند خلع دعوة^(١) المرابطين، وكانت لجدهم بجيان رئاسة وانفراد بالتدبير.

حاله: كان^(٢)، رحمه الله، على طريقة مثلى من العُكوف على العلم، والاقتصاد^(٣) على الاقتيات من حُرِّ النَّسَب^(٤)، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية^(٥)، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حَفَظَ^(٦) للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، مُلوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغُور، صحيح الباطن. تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حدّاته سنّه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

مشيخته: قرأ^(٧) على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير^(٨)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن. وروى عن أبي الحسن بن مُسْتَقُور. وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المُكثّر أبي عبد الله بن الكَمَاد، ولأزم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، وعلى الراوية المُسنن أبي الوليد الحضرمي. يزوي عن سهل بن مالك وطَبَقَتِهِ. وروى عن الشيخ الراوية أبي زكريا البُزْشاني، وعن الراوية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبي عبد الله بن بُزْطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع^(٩)، والخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي، والأستاذ النظّار المُتَفَنُّن أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط. وألف الكثير في فنون شتى.

توآلفه: منها^(١٠) كتاب «وسيلة المُسلم في تهذيب صحيح مُسلم» وكتاب «الأنوار السنية في الكلمات السنية» وكتاب «الدعوات والأذكار، المُخرجة من صحيح

(١) في النفع: «دولة».

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٣) في النفع: «والاقتصاد»، وفي أزهار الرياض: «على العلم والاقتيات من حُرِّ...».

(٤) النَّسَب: المال، وحُرِّ النَّسَب: خالص المال. لسان العرب (نشب).

(٥) في النفع: «من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات...».

(٦) في أزهار الرياض: «حافظاً».

(٧) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٨) في النفع: «أبي جعفر بن جعفر بن الزبير».

(٩) ورد اسمه في النفع والأزهار: أبو عامر بن ربيع الأشعري.

(١٠) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

الأخبار» وكتاب «القوانين الفقهية»، في تلخيص مذهب المالكية» و«التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية» وكتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول» وكتاب «الثور المبين»، في قواعد عقائد الدين» وكتاب «المختصر البارع، في قراءة نافع» وكتاب «أصول الثراء الستة غير نافع»، وكتاب «الفوائد العامة، في لحن العامة»، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك. وله فهرسة كبيرة اشتملت^(١) على جملة من أهل المشرق والمغرب.

شعره: قال^(٢) في الأبيات الغنيئة ذاهباً مذهب الجماعة كأبي العلاء المعري، والرئيس أبي المظفر^(٣)، وأبي الطاهر السلفي، وأبي الحجاج ابن الشيخ، وأبي الربيع بن سالم، وأبي علي بن أبي الأحوص، وغيرهم، كلهم نظم في ذلك^(٤): [الطويل]

لكل بني الدنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ وإن مُرادِي صِحَّةٌ وفَرَاغٌ
لأبْلَغَ في عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا يَكُونُ به لي لِلجَنَانِ بَلَاغٌ^(٥)
وفي^(٦) مثل هذا فلينافسْ أولو^(٧) التُّهَى وحَسْبِي من الدُّنْيَا الغُرُورُ بَلَاغٌ^(٨)
فما الفوزُ إلَّا في نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ به العيشُ رَغْدٌ والشَّرَابُ يُسَاغُ
وقال في الجَنَابِ النَّبَوِيِّ^(٩): [الطويل]

أرومُ امتداحِ المصطفى ويردُنِي^(١٠) قُصُورِي عن إدراكِ تلكِ المناقِبِ
ومَنْ لي بحَصْرِ البَحْرِ والبحرِ زَاخِرٌ؟ ومن لي بإِحصاءِ^(١١) الحَصَى والكواكِبِ
ولو أنَّ أَعْضائي غَدَتْ أَلْسُنًا إِذَا لما بَلَغَتْ في المَدْحِ بعضَ مآرِبِي^(١٢)

(١) في النفع: «اشتهرت».

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥ - ١٨٦).

(٣) في النفع: «وابن المظفر». وفي الأزهار: «والرئيس ابن المظفر».

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).

(٥) الجنان، بالفتح: القلب. والبلاغ: الكفاية. لسان العرب (جنن) و(بلغ).

(٦) في المصدرين: «ففي». (٧) في الأزهار: «ذو».

(٨) في المصدرين: «وحسبي من دار الغرور...». والبلاغ: الإيصال والتبليغ. لسان العرب (بلغ).

(٩) الأبيات في الديباج المذهب (ص ٢٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩ - ٦٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٤٨) وجاء فيه: «الجانب النبوي».

(١٠) في النفع: «فيردني». وفي الكتيبة: «قيصدني».

(١١) في الأصل: «إحصاء»، والتصويب من المصادر.

(١٢) في أزهار الرياض: «غَدَتْ وهي أَلْسُن لما بلغت في القول...».

ولو أنَّ كلَّ العالمين تَأَلَّفُوا^(١) على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجب
فَأَسْكَنْتْ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَذُّبًا وَخَوْفًا وإِعْظَامًا لَأَرْفَعِ جَانِبَ^(٢)
وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَثْبٌ لِعَمَائِبِ

وقال، رحمه الله، مُشْفِقًا مِنْ ذَنْبِهِ^(٣): [البسيط]

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ^(٤) فما أَطِيقُ لَهَا حَضْرًا وَلَا عَدَا
وليس لي بعذابِ النَّارِ مِنْ قَبَلٍ وَلَا أَطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلْدًا
فَانظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَلَا تُذِيقْنِي^(٥) حَرَّ الْجَحِيمِ عَدَا

وقال في مذهب الفخر^(٦): [الوافر]

وكم من صفحةٍ كالشمسِ تبدو فَيُسَلِّي^(٧) حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ
غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا محافِظَةً على عِزِّي وِدِينِي^(٨)

وفاته: فَقَدْ^(٩) وهو يُشْحِذُ النَّاسَ وَيُحَرِّضُهُمْ، وَيُثَبِّتُ بِصَائِرِهِمْ، يوم الكائنة
بَطْرِيف^(١٠)، ضحوة يوم الاثنين السابع^(١١) لجمادى الأولى عام أحد وأربعين
وسبعمئة، تقبل الله شهادته. وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة.

محمد بن أحمد بن فتوح بن سُقْرَال اللخمي

شرقي الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطرسوني.

- (١) في النسخ: «تسابقوا إلى مدحه».
- (٢) في الكتيبة: «فأسكت عنه... هيبة...». وفي الأزهار: «فأنصرت عنه... لأعظم جانب».
- وفي النسخ: «وعجزًا» بدل «وخوفًا».
- (٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧ - ٤٨) والديباج المذهب (ص ٢٩٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦٠).
- (٤) في الكتيبة: «قد عظمت».
- (٥) في الأصل: «ولا عذيقني»، وكذا ينكر الوزن، والتصويب من المصادر.
- (٦) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).
- (٧) في الكتيبة: «يُسَلِّي».
- (٨) في الكتيبة: «عن نظري إليها... على علمي وديني».
- (٩) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦١).
- (١٠) يشير هنا إلى الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مريـن في سنة ٧٤١هـ، والمسماة بموقعة طريف، وكان مع بني مريـن قوات السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، صاحب غرناطة. وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥).
- (١١) في النسخ: «تاسع جمادى الأولى».

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: أمتع الله به، كنى نفسه أبا عبد الرحمن، ودعى بها وقتاً، وكُتِبَ بها. وكان له ابن سمّاه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّاه عبد الرحمن، ليعضد لك الكنية التي اخترت، فأبى. كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة، مجيداً في ذلك، مُحْكَمًا لما يأخذ فيه منه، وكانت لديه مشاركة في الأصلين والمنطق، طَمَحَ إليها بفضل نباهته وذكائه، وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً، وظرفاً وفكاهةً، وسَخَا نفس، وجميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. وكان صَنَاعَ اليدين يرسم بالذهب، ويُسَفِّرُ، ويُحْكَمُ عمل التراكيب الطَّبِيَّةِ. وعلى الجملة، فالرجل من أجل نبلاء عصره، الذين قل أمثالهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ أبي الحسن ابن أبي العيش، وبه تفقه ببلده المريّة. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي جعفر بن الزيات، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور، والولي أبي عبد الله الطنجالي، وصنّفه الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سَيَدْبُونَه، والخطيب أبي الحسن القيجاطي، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشَيْد، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قَدَفْتُ بي حيثما شاءت النوى	ففي كل شِعْبٍ لي إليك طريق
وإن أنا لم أَبْصِرْ مُحَيَّاكَ بِاسْمَا	فإنساناً عَيْنِي في الدموع غريق
فإن لم تَصِلْ كَفِّي بِكَفِّكَ وإيّا	فأُسْمَالُ أَحِبَابِي لَدَي فُتُوق

محتته: أخطاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق^(١)، واختصّه، ورَتَّبَ له بالحمراء جرايةً، وفلّد نظره خزانة الكتب السلطانية. ثم قَسَدَ ما بينهما، فاتَّهَمَهُ ببراءات كانت تُطْرَحُ بمذامئه بمسجد البَيَازِين^(٢)، وتُرْصَدُ ما فيها، فزعم أنه هو الذي طَرَحَها بمحراب المسجد، فقبض عليه واعتقل، ثم جُلَاه إلى إفريقية.

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق؛ تولّى الوزارة لسلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، عام ٧٢٥ هـ، ثم قتل بأمر السلطان المذكور عام ٧٢٩ هـ. اللوحة البدرية (ص ٩٤).

(٢) هو أحد مسجدي حيّ البيازين، أشهر أحياء مدينة غرناطة، حوِّله الإسبان إلى كنيسة بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ، وما يزال حتى اليوم بعض أسوار هذا المسجد قائمة مع جزء من صحنه.

وفاته: ولما بلغته بإفريقية وفاة مُخيفه، كَرَّ راجعًا إلى الأندلس، فتوفي في طريقه ببونة^(١)، من بلاد العُتَاب أو بأحوازها في أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر وسبعمئة.

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي الثون الثعلبي

ويعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، ويعرف خلفه الآن، ببني مَرْزُتة، ولهم أصالة وقَدَم وجَدّة.

حاله: فقيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكَر لما قرأه.

مشيخته: روى عن الإمام أبي بكر بن العربي. قال أبو القاسم الملاحى: وحدثني سنة أربع وستمئة، قال: حدثني الإمام أبو بكر بن العربي، رضي الله عنه، قال: حدثني محمد بن عبد الملك السبتي، قال: خرجت مع أبي الفضل الجزيري مشيعين لقافلة الحاج من بغداد، ومودعين لها من القَد، وحين أصبحنا أثيرت الجمال، وفرض الناس الرُحال، ونحن بموضع يعرف بجُب عميرة، إذا بفتى صاحب اللون، حسن الوجه، يُشيع الرّواحل، راحلة بعد أخرى، حتى فنيت، ومشى الحاج، وهو يقول في أثناء ترُدده ونظره إليها: [الطويل]

أَحْجَاجَ بَيْتِ اللَّهِ، فِي أَيِّ هَوْدَجٍ	وَفِي أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِكُمْ حَبِي؟
أَبْقَى رَهِيْنَ الْقَلْبِ فِي أَرْضِ غُزِيَّةٍ	وَحَادِيكُمْ يَحْدُو فَوَادِي مَعَ الرُّكْبِ؟
فَوَأْسَفَا لَمْ أَقْضِ مِنْكُمْ لُبَانَتِي	وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالسَّلَامِ وَبِالْقُرْبِ
وَفَرَّقَ بَيْنِي بِالرَّحِيلِ وَبَيْنَكُمْ	فَهَا أَنَذَا أَقْضِي عَلَى إِثْرِكُمْ نَحْبِي
يَقُولُونَ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ	فَقُلْتُ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي ^(٢)

قال: فلما كَمَلَ الحاج المشي، وانقطع رجاؤه، وجعل يخطو هائمًا، وهو ينشد، ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال: [المديد]

خَلَّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ	بَانَ مِنْ تَهْوَاهُ وَازْتَحَلَّ
أَيُّ دَمْعٍ صَانَهُ كَلِفٌ	فَهُوَ يَوْمَ الْبَيْنِ يَنْهَمِلُ

(١) بونة: مدينة قديمة من بلاد إفريقية، على ساحل البحر، مرساها من المراسي المشهورة، وتسمى بلد العتَاب لكثرة العتَاب فيها. الروض المعطار (ص ١١٥).

(٢) في الأصل: «قلب» بدون ياء.

قال: ثم مال على الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً، فحفرنا له لَحْداً، وغسلناه وكفناه في رداء وصلينا عليه، ودفناه.

وفاته: وفاة المترجم به سنة خمسين وستمائة.

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بيش^(٢).

حاله: كان^(٣) خيِّراً، مُنْقَبِضاً، عَفْواً، مُتَصَابِناً، مُشْتَغِلاً بما يَغْنِيهِ، مُضْطَلِعاً^(٤) بالعربية، عاكفاً غَمَرَهُ على تحقيق اللُغة، مشارِكاً في الطُّب، مُتَعَيِّشاً من التَّجَارَةِ في الكُتُب، أَثَرَى منها، وَحَسُنَتْ حاله. وانتقل إلى سُكْنَى سَبْتَةَ، إلى أن حَطَطَتْ بها رسولاً في عام اثنتين وخمسين وسبعمائة، فاستدعيته ونقلته إلى بلده، فقعد للإقراء به إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه^(٥): «مُعَلِّمٌ مُدَرِّبٌ، مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ، له في صَنْعَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَاعٌ مَدِيدٌ، وفي هَذَفِهَا سَهْمٌ سَدِيدٌ، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تَسْدِيدٌ، خاصيُّ المَنَازِعِ مختَصِرُهَا، مُرْتَبِّ الأَحْوَالِ مُقَرَّرُهَا، تَمَيِّزُ لَوَّلِ وَقْتِهَا بِالتَّجَارَةِ في الكُتُبِ فَسُلْطَتُ عَلَيْهَا^(٦) مِنْهُ أَرْضَةُ أَكْلَةٍ، وَسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمِيَّتِهَا شَاكِلَةٌ^(٧)، أَثَرَبٌ بِسَبَبِهَا وَأَثَرَى، وَأَغْنَى جِهَةً وَأَفْقَرُ أُخْرَى، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سُكْنَى غَرْنَاطَةِ^(٨) مَسْقُطَ رَأْسِهِ، وَمُنْبِتَ غَرْزِهِ، وَجَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَايَةُ مِنْ أَحْبَاسِهَا^(٩)، ووقع عليه قَبُولٌ مِنْ نَاسِهَا، وبها تَلَا حَقَّ بَهِ الْجِمَامِ، فكان من تُرَابِهَا الْبَدَايَةُ وَإِلَيْهِ التَّمَامُ. وله شعر لم يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَى، وأدب تَوْشَّحَ بِالْإِجَادَةِ وَارْتَدَى.

مشيخته: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرَادِي، والأستاذ عبد الله بن الكُمَادِ، وسمع على الوزير المُسَنَّى أبي محمد عبد المنعم بن سِمَاك. وقرأ بِسَبْتَةِ على الأستاذ أبي إسحق الغافقي.

(١) ترجمة العبدري في الكتيبة الكامنة (ص ٩٠) وبغية الوعاة (ص ١٠٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٥٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٧٩).

(٢) في بغية الوعاة: «بلش». وفي الكتيبة: «بش».

(٣) النص في بغية الوعاة (ص ١٠٠) يتصرف. (٤) في البغية: «متضلعا».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٦) في النفح: «منه عليها».

(٧) في النفح: «الشاكلة».

(٨) كلمة «غرناطة» غير واردة في النفح. (٩) الأحباس: الأوقاف. لسان العرب (حبس).

شعره: أنشدني بدار الصنّاعة السلطانية من سبّئة تاسع جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور، عند توجّهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجب عن الأبيات المشهورة، التي أكثر فيها الناس وهي^(١): [مخلع البسيط]

يا ساكنًا قلبي المَعْنَى وليس فيه سواكَ ثانٍ
لاي مَعْنَى كَسَرَتْ قلبي وما التَقَى فيه ساكنان؟
فقال^(٢): [مخلع البسيط]

نَحَلْتَنِي طائِعًا فؤادًا فصار إذ حُرْزُهُ مكاني^(٣)
لا عَرَوْا إذ كان لي مُضَافًا آتني على الكَسْرِ فيه باني

وقال يخاطب أبا العباس عميد سبّئة، أعزّه الله، وهي ممّا أنشدني فيه التاريخ المذكور، وقد أهدى إليه أقلامًا^(٤): [الطويل]

أنا مِلْكُ العُرُ التي سَيَبُ جُودِها يَفِيضُ كَفَيْضُ المُرْنِ بالصَّيْبِ القِطَرِ
أَتَشْنِي مِنْها نُخْفَةً مِثْلُ حَذْها^(٥) إذا انْتَضَيْتْ كانت كَمُرْهَقَةِ السُّمْرِ
هي الصُّفْرُ لكنْ تَعْلَمُ البَيْضُ أنها مُحْكَمَةٌ فيها على النُّفْعِ والضَّرِّ
مُهَذَّبَةٌ الأوصالِ مَمْشُوقَةٌ كما تُصاعُ^(٦) سهامُ الرُّمِي من^(٧) خالِصِ التَّنْبَرِ
فَقَبِّلْتُها عَشْرًا وَمَثَلْتُ أنْسي ظَفِرَتْ بِأَنفٍ في أنا مِلْكُ العِشْرِ

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله^(٨): [الطويل]

أَسَاجِعَةٌ بالوَادِيَيْنِ تَبْؤُوي ثَمَارًا جَشَتْها حَالِياتٌ خَوَاضِبُ
دَعِي ذُكْرَ رَوْضِ زارِه^(٩) سَقْنِي شِرْبِه صَبَاحَ ضَحَى طَيْرَ ظَمَاءٍ^(١٠) عَصَائِبِ
غَرَامُ فُؤَادِي قاذِفٌ كُلُّ لَيْلَةٍ مَتى ما نَأَى وَهْنا هَواه يُراقِبُ

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠). وورد فقط صدر البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ٩١).

(٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٣) في الأصل: «مكاني»، والتصويب من المصدرين.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠).

(٥) في الأصل: «عذها»، والتصويب من المصدرين.

(٦) في النسخ: «تصوغ». (٧) في الكتيبة: «أو».

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٩) في المصدرين: «زاره».

(١٠) في الأصل: «ظماء» والتصويب من المصدرين.

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله^(١): [الواقر]

ديارَ خَطَّهَا مَجْدٌ قَدِيمٌ وشاد بناءَها شَرْفٌ صَمِيمٌ
وَحَلَّ جَنَابُهَا الْأَعْلَى عِلَاءً^(٢) يُقَصِّرُ عَنْهُ رَضْوَى أَوْ شَمِيمٌ
سَقَى نَجْدًا بِهَا وَهَضَابَ تَجْدٍ عَهَادَ ثُرَّةٍ^(٣) وَحَيَا عَمِيمٍ^(٤)
وَلَا عَدِمَتْ رِيَاءَ رِيَابِ مُزْنٍ يُغَادِي رَوْضَهُنَّ وَيَسْتَدِيمُ
فِيصْبِغُ زَهْرُهَا يَحْكِي شَذَاهُ قَتِيَّتَ الْمِسْكِ يُذَكِّيهِ التَّسِيمُ
وَتَنْشُرُهُ^(٥) الصُّبَا فَتَرِيكَ دُرَا نَشِيرًا خَانَهُ عِقْدُ نَظِيمٍ
وَوَلَّتْ فِي ظِلَالِ الْأَيْكَ تَشْدُو مُطَوِّقَةً لَهَا صَوْتَ رَخِيمٍ
تُرْجَعُ فِي الْغُصُونِ فَنُونَ سَجْعٍ بِالْحَانِ لَهَا يَضْبُو الْحَلِيمِ
أَهِيمٌ بِمَلْتَقَى الْوَادِي بِنَجْدٍ وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي وَادِ أَهِيمِ
وَكُنْتَ صَرَفْتُ عَنْهُ النَّفْسَ كَرْهَا وَمَا بَرِحْتُ عَلَى تَجْدٍ تَحُومِ
وَمَا يَنْفَكُ لِي وَلَهَا نَزَاعٌ إِلَى مَغْنَى بِهِ مَلِكٌ كَرِيمِ
لَهُ بَيْتٌ سَمَا فَوْقَ الثُّرَيَّا وَعِزٌّ لَا يَخِيمُ وَلَا يَرِيمِ
تَبَوَّأَ مِنْ بَنِي تَضَرٍّ عُلَاهَا وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ^(٦) لَهُ أَرُومِ
أَفَاضَ عَلَى الْوَرَى ثِيلاً وَعَدَلَا^(٧) سِوَاءَ فِيهِ مُثَرٍّ أَوْ عَدِيمِ
مَلَادٌ لِلْمُلُوكِ إِذَا أَلَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ خَطَبَ جَسِيمِ
تُؤَمِّلُهُ فَتَأْمَنُ فِي ذَرَاهُ وَتَدْنُو مِنْ عُلَاهُ فَيَسْتَقِيمُ^(٨)
وَيَبْدُو فِي نَدَى^(٩) الْمُلْكِ بَذَرَا تَحْفُ بِهَ الْمُلُوكُ وَهُمْ نَجُومِ
بُوجَهُ يُوسِفِي الْحُسْنِ طَلِقِ يُضِيءُ بِنُورِهِ اللَّيْلُ الْبَهِيمِ
وَتَلْقَاهُ الْعَفَاءُ^(١٠) لَهُ ابْتِسَامٌ وَمِنْهُ لِلْعَدَى أَخَذَ الْيَمِ^(١١)

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢ - ٩٣).

(٢) في الأصل: «عَلَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «عَمَادُ ثُرَّةٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٤) في الأصل: «تَمِيمٌ» والتصويب من الكتيبة. (٥) في الكتيبة: «وتنشُرُهُ».

(٦) في الأصل: «الْغُصُونِ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «عَدَلَا وَنِيَلَا». (٨) في المصدر نفسه: «فَتَسْتَقِيمُ».

(٩) في الأصل: «نَدَى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «لِلْعَفَاءِ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «الْيَمِ» والتصويب من الكتيبة.

فيا شَرَفَ الملوكِ لك انقطاعي
وَأَمالي أَمَلْتُ إِلَيْكَ^(١) حَتَّى
فلا ظمًا^(٢) ووزدك خَيْرُ وِزْدٍ
ولا أَضْحى وفي مَثْناك ظِلٌّ
رَكِبْتُ البحرَ نحوكَ والمطايا
وإنَّ عَلاك إنَّ عطفْتُ بلحظٍ
فوَأَسْفى على غُمُرٍ تَقْضَى
سوى ثَمَرٍ للَفْؤادِ ذَهَبْتُ عنه
ودُونَ لقائِها عَرَضُ الفِياضِ
لعلَّ اللهَ يُنْعِمَ باجتماعِ
بقيتِ بغِبطَةٍ وقرارِ عَيْنِ
كما دامتْ حُلَى الأنصارِ تُشْلَى
عليك تحيةً عطرَ شذاها

وَأَنِّي في محلِّكم خَدِيمٌ
وَرَزَنٌ على نَدَاكِ وَهَنْ هِيمٌ
نَمِيرٌ ماؤه عَذْبٌ جَمِيمٌ
ظَلِيلٌ حينَ تَحْتَدِمُ السُّمُومُ
تَسِيرُ لها دَمِيلٌ أو رَسِيمٌ
عليّ فذلك العزُّ المَقِيمُ^(٣)
بِدارٍ ليس لي فيها حَمِيمٌ
وَيَمِينُ جِوانِحِي مِنْهُ كُلوْمُ
وَنَجْدٌ^(٤) مَوْجُهُ طَوْدٌ عَظِيمٌ
وَيَنْظُمُ شَمْلُنَا البِرُّ الرَحِيمُ
بِمُلْكٍ سَفْدُهُ أَبَدًا يَدُومُ
يَشِيدُ بِذِكْرِها الذُّكْرُ الحَكِيمُ
كَعَرَفٍ^(٥) الرُّوضِ جادَتْهُ الغُيُومُ

مولده: بغرناطة في رجب^(٦) ثمانين وستمائة. وتوفي عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، ودفن بباب البيرة، وتبعه من الناس ثناء حسن، رحمه الله.

محمد بن محمد الثُمري الضَّرير

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرفه بِتَسْبِيهِ.

حاله: من عائد الصلاة: كان حافظًا للقرآن، طيب الثَّغَمَة به، طَرَفًا في ذلك، من أهل المشاركة في العلم، واعظًا بليغًا، أستاذًا يَقُومُ على العربية قيام تحقيق، ويستحضر الشواهد من كتاب الله وَخُطَبَ العرب وأشعارها، بعيدَ القرين في ذلك، آخذًا في الأدب، حَفَظَةً للأناشيد والمَطْوَلات، بَقِيَّةُ حَسَنَة ممتعة.

(١) في الأصل: «المليك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٢) في الأصل: «فللظما وروذك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٣) في الكتيبة: «القديم».
(٤) في الكتيبة: «وبَحْرٌ».
(٥) في الأصل: «تَعَرَفٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٦) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨١): «مولده في حدود ثمانين وستمائة».

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأزكشي^(١)، وبه تأدب، ولازمه كثيرًا، فانتفع به.

شعره: مما صدر به رسالة لزوجته وهو نازح عنها ببعض البلاد. فقال: [الطويل]

سلام كرشفِ الطلّ في مَنبَسِمِ الوِزْدِ وسيلُ نسيمِ الريحِ بالقُضْبِ المُلْدِ
سلام كما ارتاح المَشُوقُ مَبْشَرًا برؤية^(٢) مَنْ يهواه من دون ما وَعِدِ
سلام كما يُرضي المحبُّ حبيبَه من الجدِّ في الإخلاصِ والصّدقِ في الوعدِ
سلام وتكريمٍ وبرٍّ ورحمة بقدر مزيدِ الشوقِ أو منتهى الوُدِّ
على ظَنبِيَّةٍ في الأُنسِ مَرْتَعُها الحشا فتأوي إليه لا لِشِيحٍ ولا زُنْدِ
ومن أطلّع البدر الثُّمامَ جَبِيئُها يُرى تحت ليلٍ من دُجى الشَّغْرِ مُسَوْدِ
وتَغَرُّ أَقْباحِ زانه سِمَطٌ لؤلؤ يُجَبُّ به المرجانُ في أَحْكَمِ النُّضْدِ
يجول به سِلْسَالُ راحٍ معشوق حَمَتُهُ ظُبا الأَلْحاظِ صَوْنًا عن الوِزْدِ
فلله عينا مَنْ رَأَى بَدْرَ أَشْعَدِ وروضةً أَزْهَارٍ عَلَتْ غُصْنُ القَبْدِ
ويُشرى لَصَبٍّ فاز منها بِلَمَحَةٍ من القُرْبِ بِشَراه بِمَسْتَكْمَلِ السُّعْدِ
وأضحى هواها كامنًا بين أضلعي كَمُزْنٍ خَفِيّ النارِ في باطنِ الزُّنْدِ
وراحت فرّاح الروحِ إثرَ رَحِيلِها^(٣) ووَدَّغَتْ صَبْرِي حينَ ودَّعَها كَبِدِي^(٤)
وصارت لي الأَيامُ تبدو لياليًا وقد كان ليلُ الوَضلِ صُبْحًا بها يُّنْدِي^(٥)
فساعاتُها كالدهرِ طولًا وطالما حكى الدهرُ ساعاتَها بِها قِصْرًا عِنْدِي
ومنها:

تَرَى قَلْبُها هلَ هامَ مِنِّي بِمِثْلِ ما بِقَلْبِي مِنَ الحُبِّ المِلازمِ والوَجْدِ؟
وهلَ هي^(٦) تَرعى ذِمَّتِي ومودَّتِي كما أَنَا أَزْعاها على القُرْبِ والبُغْدِ؟

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن بالأندلس على وادي لكّة. الروض المعطار (ص ٢٧).

(٢) في الأصل: «بروياً»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «رحلها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «كبد» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «يد» بدون ياء.

(٦) كلمة «هي» ساقطة في الأصل.

إِنَّكَ خِطَابِي وَالْحَدِيثُ لَغَائِبٌ كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغِيكِ بِالْعَمْدِ
عَلَيْكَ سَلَامِي إِنَّنِي مَتَشَوِّقٌ لِّلْقِيَاكِ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكَ بِالرُّدِّ

وفاته: توفي بغرناطة تحت جراية من أمرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن عبد الولي الرعيني

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالعواد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المُكْتَب، الأستاذ الصالح، سابق الميدان، وعَلِمَ أعلام القرآن، في إتقان تجويده، والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يُشَقُّ غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتِي الأيام بمثله، تُستَقصر بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سَقَطَات الأئمة، مَهْدِيًا إِلَى مكان الحجج على المسائل، مصروف عِنان الأشغال إليه، مستندًا إِلَى نِعْمَةٍ وَخِيَمَةٍ، وإتقان غير مُتَكَلِّف، وَحِفْظٌ غَزِير. وَطُلِبَ إِلَى التَّصَدُّرِ لِلإِقْرَاءِ، فَأَبَى لَشِدَّةِ انْقِبَاضِهِ، فَنَبِهْتُ^(١) بِالْبَابِ السُّلْطَانِي عَلَى وَجوب نُصْبِهِ لِلنَّاسِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ وَفَاتِهِ، فَانْتَفَعَ بِهِ، وَكَانَ أَذَابَ النَّاسِ عَلَى سُنَّتِهِ، وَأَلْزَمَهُمْ لَمِيقَاتِ وَزْدٍ، يَجْعَلُ جِيرَانَهُ حَرَكَتهِ إِلَى ذَلِكَ لَيْلًا، مِيقَاتًا لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَكْذِبُ، فِي تَرْحِيلِ اللَّيْلِ، شَدِيدِ الطَّرَبِ، مَلِيحِ التَّرْتِيبِ، لَا تَمَرُّ بِهِ سَاعَةٌ ضَيَاعًا إِلَّا وَقَدْ عَمَرَهَا بِشَأْنٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَاوِيٍّ ضَرُورِيٍّ مِمَّا يَسُوغُهُ الْوَرَعُ. يَلْزِمُ الْمَكْتَبَ نَاصِحَ التَّعْلِيمِ، مَسُونًا بَيْنَ أَبْنَاءِ النُّعْمِ، وَخُلَفَاءِ الْحَاجَةِ، شَامِخَ الْأَنْفِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، تُغْصُ السُّكُكُ عِنْدَ تَرْثُمِهِ بِالْقُرْآنِ، مَسَاوِقًا لِتِلَاوَةِ التَّجْوِيدِ، وَمُبَاشَرًا أَيَّامَ الْأَخْيَاسَةِ وَالْأَثَانِينَ الْعَمَلِ فِي مَوْثَلٍ كَانَ لَهُ، عَلَى طَرِيقَةِ الْقَدَمَاءِ مِنَ الْإِخْشِيَّانِ عِنْدَ الْيَمِينِ وَثَقُلَ آلَةُ الْخِدْمَةِ، غَيْرَ مَفَارِقٍ لِلظُّرْفِ وَالْخُصُوصِيَّةِ. وَيَقْرَأُ أَيَّامَ الْجُمُعَاتِ كِتَابَ الْوَعْظِ وَالرِّقَاقِ عَلَى أَهْلِهِ، فَيُصْغِي إِلَيْهِ الْجِيرَانُ عَادَةً لَا تَخْتَلِفُ. وَكَانَ لَهُ لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوْبٌ، وَلِكُلِّ مِهْنَةٍ زِيٌّ، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ تَرْتِيبًا مِنْهُ. وَهُوَ أَسْتَاذِي وَجَارِي الْأَلْصَقِ، لَمْ أَتَعْلَمِ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ إِلَّا فِي مَكْتَبِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

مشيخته: قرأ على بَقِيَّةِ الْمُقَرَّرِينَ الْأَسْتَاذَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَلَازَمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَعَلَى الْأَسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ الْجَزِيرِيِّ الضَّرِيرِ، وَأَخَذَ عَنِ الْخَطِيبِ الْمَحْدَثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ.

(١) تاه الضمير هنا تعود إلى ابن الخطيب، مؤلف هذا الكتاب.

مولده: في حدود عام ثمانين وستمئة.

وفاته: توفي رحمة الله عليه في...^(١) الموفى ثلاثين لذي قعدة من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن علي بن أحمد الخولاني^(٢)

يكنى أبا عبد الله، أصله من مجلقر، ويعرف بابن الفخار وبالبيري، شيخنا رحمه الله.

حاله: من «عائد الصلة»: أستاذ الجماعة، وعلم الصناعة، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه الله، فاضلاً، تقياً، مُتَقَبِّضاً، عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، إمام الأئمة من غير مدافع، مبرزاً أمام أعلام البصريين من النحاة، منتشر الذكر، بعيد الصيت، عظيم الشهرة، مُسْتَبَحِر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، ويسترسل استرسال القطر، قد خالط دمه ولحمه، لا يُشكّل عليه منها مُشكّل، ولا يعوزه توجيه، ولا تُشذُّ عنه حجة. جدّد بالأندلس ما كان قد دَرَس من لسان العرب، من لدن وفاة أبي علي الشلوبين، مُقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه، وعروض، وتفسير. وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية^(٣)، وقلّ في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى العُدوة، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حلّ الشهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرج، ودرب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً وخصوصاً فيما دون البداية، إلّا الجراية المعروفة، مقتصدًا في أحواله، وقورًا، مُفرط الطول، نحيفًا، سريع الخطو، قليل الالتفات والتعريج، متوسط الزّي، متبذلاً في معالجة ما يملكه بخارج البلد، قليل الذّهاء والتّصنع، غريب الثّزعة، جامعًا بين الجرص والقناعة.

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة محمد بن علي الخولاني، المعروف بابن الفخار، في الكتيبة الكامنة (ص ٧٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠).

(٣) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفًا إلى اليوم بفرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

مشيخته: قرأ^(١) بسبته على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي، ولازمه كثيرًا، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن خريث، والمقرئ الشريف الفاضل أبي العباس الحسيني، والشيخ الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد، والقاضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم. وهو أستاذي، قرأت عليه القرآن، وكتابي الجمل والإيضاح، وحضرت عليه دولاً من الكتاب، ولازمته مدة، وعاشرته، وتوجهت صحتي في الرسالة إلى المغرب.

وفاته: توفي بقرنطة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة، وكانت جنازته حافلة. وخدمت قرائح الآخذين عنه، ممن يذلي دلو أدب، فيأتي بماءٍ أو حَمَاءٍ، على كثرتهم، تقصيرًا عن الحق، وقدحًا في نسب الوفاء، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه، وهو محمد بن عبد الله اللوشي، فإنه قال: وعين هذه الأبيات قرارها^(٢): [الطويل]

ويوم نعى الناعي شهاب المحامد	تغيّرت الدنيا لمضرع ^(٣) واحد
فلا عذر للعَيْنَيْنِ إن لم تُسامحا ^(٤)	بدمع يحاكي الوئل يشفي لواجد
مضى من بني الفخار أفضل ماجد	جميل المساعي للعلا جد شاهد ^(٥)
طواه الردى ما كل حي يهابه	وما وزده عارًا يشين لوارد
لقد غيّبت منه المكارم في الثرى	غداة ثوى ^(٦) وانسد باب الفوائد
فيا حاملي أعوادِهِ، ما علمتم	بسؤدده الجمّ الكريم المَحَايد؟
ويا حُفْرَةَ حُطَّتْ له اليوم مضجعا،	سَقَّتْكَ الغواصي الصادقات ^(٧) الرواعد
ألا يا حمام الأيك ساعدن ^(٨) بالبكا ^(٩)	على عَلم ^(١٠) الدنيا وزين المشاهد

(١) راجع نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠ - ٣٣١).

(٢) ترجمة محمد بن عبد الله اللوشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١١). والقصيدة الدالية في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٢ - ٢١٣).

(٣) في الكتيبة الكامنة: «لمهلك».

(٤) في الأصل: «تسايعا» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «شاند».

(٦) في الكتيبة «الغاديات».

(٨) في الأصل: «ساعدن»، وكذا ينكسر الوزن والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «في البكا».

(١٠) في الكتيبة: «عالم».

(٦) في الأصل: «نوى» والتصويب من الكتيبة.

على أن لو أَسْطَغَتْ الفِداءَ فَدَيْتَهُ^(١) على أن لو أَسْطَغَتْ الفِداءَ فَدَيْتَهُ^(١)
 محمد، ما التَّغْمَى^(٣) لموتكَ غَضَّةً^(٤) محمد، ما التَّغْمَى^(٣) لموتكَ غَضَّةً^(٤)
 وكيف وباب العلم بعدك مُغْلَقٌ وكيف وباب العلم بعدك مُغْلَقٌ
 أَسْتَادُنَا كُنْتَ الرُّجَاءُ^(٧) لَأَمَلٍ أَسْتَادُنَا كُنْتَ الرُّجَاءُ^(٧) لَأَمَلٍ
 فلا تُبْعِدَنَّ شَيْخَ المعارف والجبا^(٩) فلا تُبْعِدَنَّ شَيْخَ المعارف والجبا^(٩)
 لَتَبِكَ العلومُ^(١١) بعدك اليوم^(١٢) شَجَوْهَا لَتَبِكَ العلومُ^(١١) بعدك اليوم^(١٢) شَجَوْهَا
 لِيَبْكَ عليك الجودُ والدينُ^(١٤) والتقى لِيَبْكَ عليك الجودُ والدينُ^(١٤) والتقى
 أمولاي، مَنْ للمشكلات يُبَيِّئُهَا أمولاي، مَنْ للمشكلات يُبَيِّئُهَا
 ومن ذا يحلُّ المَقْفَلَاتِ صَعَابِهَا؟ ومن ذا يحلُّ المَقْفَلَاتِ صَعَابِهَا؟
 فيا راحلاً عُنَّا فَرِغْنَا لَفَقْدِهِ فيا راحلاً عُنَّا فَرِغْنَا لَفَقْدِهِ
 وبأ كوكباً غال النهارُ^(١٦) ضياءه وبأ كوكباً غال النهارُ^(١٦) ضياءه
 سَأَبْكَ ما لاحث بِرُوقٍ لَشَائِمٍ سَأَبْكَ ما لاحث بِرُوقٍ لَشَائِمٍ
 عليك سلام الله ما دامت^(١٨) الصُّبَا عليك سلام الله ما دامت^(١٨) الصُّبَا

قلت^(٢٠): العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: وَخَمَدَتْ قَرَارِحَ الْآخِذِينَ
 عنه، وهو من أَجَلٍ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ، حسبما قرره آنفاً، بل أَخَصُّ من ذلك المعاشرة

(١) في الأصل: «على أني لو استطعت الفدا فديته» وكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة: «... الفدا لفديته».

(٢) في الأصل: «آل» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «للتغمة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الكتيبة: «غبطة».

(٥) في الأصل: «توقف» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٦) في الكتيبة: «وموردك».

(٧) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الأصل: «القنا»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «والحمى».

(١٠) في الأصل: «ليس» والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الكتيبة: «العيون».

(١٢) كلمة «اليوم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(١٣) في الكتيبة: «ويغف... والمحامد». (١٤) في الكتيبة: «والحلم».

(١٥) في الكتيبة: «فتنجلو». (١٦) في الكتيبة: «الزمان».

(١٧) في الأصل: «بعباد»، والتصويب من الكتيبة. (١٨) في الكتيبة: «هبت».

(١٩) كلمة «تهب» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٢٠) الكلام من هنا حتى آخر الترجمة ليس لابن الخطيب، بل هو للناسخ.

والسفارة للعدوة. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، وأسخاهم قريحة في هذا الميدان، وإن أتى غيره بماءٍ أو حمأٍ، أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القذح في نسب وفاء الغير، فعين ما نسه من التقصير عن الحق في ذلك، متوجه عليه، ولا حق له، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع في الأزمان، ولا سيما بين أهل هذا الشأن، فيكون ذلك سبباً في إعراض الغير شيئاً في غرضه، ومساعدة له. والله أعلم بحقيقة ذلك كله.

محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: طالب هش، حسن اللقاء، عفيف النشأة، مكبٌ على العلم، حريص على استفادته، مع زمانةٍ أصابت يُمنى يديه، نفعه الله. قيّد بأختها وانتسخ، قائمٌ على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظٌ متقن، على نزعة عربية من التجاذع في المشي وقلة الالتفات إلا بجملته، وجهورية الصوت، متحلٌ بسداجة، حسن الإلقاء والتقرير، مثٌ للمتغلب على الدولة بضن أفاده جاهاً واستعمالاً في خطة السوق، ثم اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخرًا التكبّة، وقاد المحنة، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخريات رجالاً بعثهم في رنّدة، فأسروه في طريقه، وقدموا به سلياً قدوم الشهرة والمثلة، موقتاً بالقتل. ثم عطف عليه حيناً إلى حسن تلاوته في محبسه ليلاً، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة ونكبة مبيّرة. ولما عاد لمملكه، أعاده للإقراء.

مشيخته: جل انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار، لازمه وانتفع به، وأعاد دُولَ تدريسه، وقرأ على غيره. وألف كتاباً في تفسير القرآن، متعّد الأسفار، واستدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً، رَفَعَه على يدي للسلطان. وهو من فضلاء جنسه، أعانهُ الله وسدّده.

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن

ابن عبد الرحمن بن بقي^(١)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه.

(١) ترجمة ابن بقي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩) طبعة فاس.

أوليته: كان القاضي العَدْلُ أبو عبد الله بن هشام، قاضي الجماعة بالأندلس، يجلُّ سلفه، وينسبه إلى بقي بن مخلد، قاضي الخلافة بقرطبة، وابن هشام ممن يُحتَجُّ به.

حاله: هذا الرجل فاضل، حسن الخُلُق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مَبْدُول المشاركة، معروف الذكاء والعفة، مبسوط الكتف مع الانقباض، فكهُ مع الجشمة، تَسَعُّ الطوائف أكتاف خُلُقهِ، ويُعِمُّ المتضادين رَحْبُ دَرْعِهِ، طالبٌ محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون؛ من فقه، وقراءات، ونحو، وغير ذلك. تكلم للناس بجامع الرِّبْض ثم بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللتين أقمتهما بأخبار من داخل الحضرة، وحلّق به لتعليم العِلْم، فاثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تفهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجزف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المَكْتَبُ أبي عبد الله بن طرفة، والخطيب أبي عبد الله بن عامور. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّار، وجوّد عليه القرآن بالقراءات السبع، وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لب.

شعره: أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة^(١): [الرمل]

كم أرى مُذِمِّنَ لَهْوٍ وَدَعَا	لست أخلي ساعة من تبعه
كان لي عذرٌ لدى عهد الضُّبَا	وأنا آملُ في العُمُرِ سَعَة
أو ما يُوقِظُنَا مَنْ كُنَّا	أَنفًا ^(٢) لقبره قد شَيَّعَة
سَيِّمًا إذ قد ^(٣) بدا في مَفْرِقِي	ما إخال الموت قد جاء مَعَة
فدعوني ساعة أبكي على	عُمُرٍ أَمْسَيْتُ مِمَّنْ ضَيَّعَة

ومن شعره في النوم، وهو كثيرًا ما يَطْرُقُه: [الوافر]

أباد البينُ أجناد التُّلاقي	وحالت بيننا خيلُ الفراقِ
فجودوا وارحموا وارثوا ورقوا	على مَنْ جَفَّقَهُ سَكَبُ المَاقِي

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩)، طبعة فاس.

(٢) في الأصل: «أَنفًا» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «وقد بدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

ومن ذلك ما أنشد في التزم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط]
يا صاحبي، قفا المطايا وأشفقاً فالعبيد عبدة
إذا انتهى وانقضى زمان هل يرسل الله من يرده؟
مولده: في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطراز.

حاله: من صلة ابن الزبير: كان، رحمه الله، مُقرئاً جليلاً، ومحدثاً حافلاً، به خُتِمَ بالمغرب هذا الباب البتة. وكان ضابطاً مُتقناً، ومُقيّداً حافلاً، بارع الخط، حسن الوراق، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم، مُقرئاً، عارفاً بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التجويد، مشاركاً في علم العربية والفقه الأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلاً، مجموعاً فاضلاً متخلفاً، ثقة فيما رَوَى، عدلاً ممن يُرجع إليه فيما قيد وضبط، لإتقانه وجذبه. كتب بخطه كثيراً، وترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، وعولوا عليها. وتجرّد آخر عُمره، إلى كتاب «مشارق الأنوار» تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في مُبَيضة، في أنهى درجات النسخ والإدماج والإشكال وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولاً حافلة وأمهات جامعة من الأغربة وكتب اللغة، فتخلّص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكَمُلَ من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْحون، والقاضي ابن الطباع، وعن أبي جعفر بن شراحيل، وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا، وأبي القاسم الملاحى، وأبي محمد الكواب وغيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببِلده، وبقرطبة عن جماعة، وبمالقة كذلك، وبسبّنة. وبإشبيلية عن أبي الحسن بن رَزَقون، وابن عبد النور. وبفاس وبمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله، واختصرتها لطولها.

وفاته: توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له وُداً في قلوب المؤمنين.

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النَّفْزِي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان^(٢) نسيج وَخِدِه في ثقوب الذهن، وصحّة الإدراك والحفظ^(٣)، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام الثّحاة في زمانه غَيْرَ مُدَافِع، نشأ ببلده^(٤) غرناطة، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. ونالته نُبُوّة^(٥) لحق بسببها بالمشرق، واستقرّ بمصر، فنال ما شاء من عزّ وشهرة، وتأثّل وبر^(٦) وخُطُوّة، وأضحى لمن خلّ بساحته من المغاربة ملجأً وعُدّة. وكان شديد البسّط، مَهِيّاً، جَهْوَرِيّاً، مع الدُّعابة والغزل، وطرح السّمت^(٧)، شاعراً مُكْثَرًا، مليح الحديث، لا يُملُّ وإن أطال، وأسنَّ جدّاً، وانتفع^(٨) به. قال بعض أصحابنا: دخلت عليه، وهو يتوضّأ، وقد استقرّ على إحدى رجله لغسل الأخرى، كما تفعل البُوك والإورّ، فقال^(٩): لو كنت اليوم جارَ شُلَيْر^(١٠)، ما تركني لهذا العمل في هذا السّن^(١١).

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حازن الرياسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له بالمشرق ذكراً كبيراً. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نَعْيُهُ، وصلى عليه بالقاهرة، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر علي بن محمد الرُّعيني الطَّبَّاع، والخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المَحْدُث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،

(١) ترجمة أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٢٦٧) والكتيبة الكامنة (ص ٨١) وبغية الوعاة (ص ١٢١) والبدر السافر (ص ١٧٨) ونكت الهميان (ص ٢٨٠) والدرر الكامنة (ج ٥ ص ٧٠) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٨٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٤٥) والنجوم الزاهرة (ج ١٠ ص ١١١) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٨٠). والنفزي: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر. بغية الوعاة (ص ١٢١).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٣) كلمة «والحفظ» غير واردة في النفع. (٤) في النفع: «في بلده».

(٥) النُبُوّة: الجَفْوَة. لسان العرب (نبا). (٦) في النفع: «وتأثّل، وافر وحظوة».

(٧) في النفع: «التسمت».

(٨) في النفع: «فانتفع».

(٩) هو جبل شُلَيْر المطلّ على غرناطة والذي تغطيه الثلوج على مدار السنة. وهناك دراسة مفصلة

عنه في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيوي البربر (ص ٤٣ - ٤٦) فلتنظر.

(١١) لهذا ينتهي النص في نفع الطيب.

والمكتّـب أبي سهل اليُـسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليُـسر القُـشيري، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون الطائي بتونس، وعلى المُـسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفُرات الحسني بالإسكندرية، والمُـسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر، والمحدّث نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة، وغيرهم ممن يشقّ إحصارهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النُحاس الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمانٍ وثمانين وستمئة، وقال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

توالياً: وتوالياً كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». وهو بديع، وقد رُقِّقَ على بعضه بغرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمئة. وكتابه في تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمّى بـ«البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض. وألف كتاباً في نحو اللسان التركي، حدّثنا^(١) عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى، والمَقري الخطيب أبي جعفر الشُّقُوري، والشَّريف أبي عبد الله بن راجح، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مَرْزُوق. وقال^(٢): حدّثنا شيخنا أنير الدين^(٣) في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمئة بالمدرسة الصالحية بين القُـضرين بمنزلة منها^(٤). قال^(٥): حدّثنا الأستاذ العلامة المتفّن^(٦) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير، سماعاً من لفظه، وكُتِّباً^(٧) من خطّه بغرناطة، عن الكاتب أبي إسحاق بن عامر الهمداني الطُّوسي بفتح الطاء، حدّثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي، وهو آخر من حدّث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجيّاني، أنبأنا^(٨) حكم بن محمد، أنبأنا^(٩) أبو بكر بن المهندس، أنبأنا^(٨) عبد الله بن محمد، أنبأنا^(٨) طالوت بن عباد^(٩) بن بضال بن جعفر، سمعت أبا أمانة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اكفلوا لي بست أكفل^(١٠) لكم في

(١) راجع نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥).

(٢) في النفع: «شيخنا أبو حيان».

(٣) كلمة «قال» ساقطة في النفع.

(٤) قوله: «العلامة المتفّن» ساقط في النفع.

(٥) في الأصل: «نا» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «وكبه».

(٧) في النفع: «عباد بن نصال».

(٨) في الأصل: «لي بيت أهل لكم في الجنة» وهذا لا معنى له، وقد صوّبناه من النفع.

الجنة^(١)، إذا حدث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. غضبوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم^(٢).

وقال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطباع، قال: أنشدنا ابن خلفون، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن أبي تليد لنفسه: [المنسرح]

حالي مع الدهر في تقلبه كطائر ضمّ رجله الشرك
فهّمه في خلاص مُهَجّته يروم تخليصها فيشتبك

ومن مُلّحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري القُرَضي بالقاهرة في طلب الحديث، وكان رجلاً حسنًا طيب الأخلاق، لطيف المزاج، فكنا نُسايّره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخاري، فنظمت هذه الأبيات^(٣): [الطويل]

بدا كهلال العيد^(٤) وقتَ طُلُوعِهِ وماس^(٥) كغُضَنِ الْخَيْرَانِ الْمُتَعَمِّمِ
غزال رخيّم الدّلّ وافى مُواصِلا موافقةً منه على رغم لُومِ
مليح غريب الحُسن أصبح مُعلّمًا بخمرة^(٦) خدّ بالمحاسن مُعلمِ
وقالوا: على شَرط البخاريّ قد أتى فقلنا^(٧): على شرط البخاريّ ومُسْلِمِ
فقال البخاري: فمن هو مُسْلِم^(٨)؟ فقلت له: أنت البخاري ومُسْلِم^(٩)

محتته: حملته^(١٠) حدة الشيبة على التعريض^(١١) للأستاذ أبي جعفر الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه، وتكذيب روايته، ورفع أمره إلى^(١٢) السلطان، فامتعض له، ونفذ الأمر بتكذيبه، فاخفى، ثم أجاز البحر مُحَقِّقًا، ولحق بالمشرق يَلْتَفِتُ خلفه.

(١) في النسخ: «بالجنة».

(٢) في النسخ: «بالجنة».

(٣) الأبيات، عدا البيت الأخير، في الكتيبة الكاملة (ص ٨٢).

(٤) في الكتيبة: «الأتق».

(٥) في الكتيبة: «ومال».

(٦) في الأصل: «بخمرة» بالخاء، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «فقلنا».

(٨) رواية صدر البيت في الأصل هكذا: فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلم، وكذا ينكسر الوزن.

(٩) في الأصل: «وأنا مسلم» وكذا ينكسر الوزن.

(١٠) النص في نسخ الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥). (١١) في النسخ: «التعرض».

(١٢) في النسخ: «للسلطان».

شعره: وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها. فمن مطولاته، رحمه الله، قوله^(١): [البسيط]

لا تَغْذِلَاهُ فَمَا ذُو الْحُبِّ مَعْدُولُ
هَزَتْ لَهُ أَسْمَرًا مِنْ خُوطٍ قَامَتَهَا
جَمِيلَةٌ فَضَّلَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ لَهَا
فَالنَّحْرُ مَزْمَرَةٌ وَالنَّشْرُ عَثِيرَةٌ
وَالطَّرْفُ ذُو عَنَجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْجٍ
هَيْفَاءُ يَنْبَسُ^(٥) فِي الْخَضِرِ الْوَشَاحُ لَهَا
مِنْ اللَّوَاتِي عَذَاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا
نُزِرُ الْكَلَامِ غَمِيَاثُ الْجَوَابِ إِذَا
مِنْ حَلِيهَا وَسَنَاهَا مَوْنَسٌ وَمُدَى
حَلَّتْ بِمُتَعَقِدِ الزُّورَاءِ زَارَةٌ
فَضُدُّ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنَّ ذِكْرَاهَا^(٨)
أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَأَنْذِرْ بِهِ
وَأْمَلِ الْعَفْوِ وَاسْلُكْ مَهْمَهَا قَدَقًا
إِنْ الْجِهَادَ وَحِجَّ الْبَيْتِ مُخْتَتَمًا
فَشَقُّ حَيْزُومَ هَذَا اللَّيْلِ مُنْطَطِبًا
أَقْبَ أَعْوَجَ يُغْزَى لِلْوَجِيهِ لَهُ
جُفَرٌ حَوَافِرُهُ، مُغَرَّ قَوَائِمُهُ

العقلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَثْبُولُ
فَمَا أَتْنَى الصُّبِّ^(٢) إِلَّا وَهُوَ مَقْتُولُ
فَكَمْ لَهَا جَمَلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ
وَالنَّعْرُ جَوْهَرَةٌ وَالرَّيْقُ مَغْسُولُ^(٣)
وَالْخَضِرُ مُخْتَطَفٌ، وَالْعُنُقُ^(٤) مَجْدُولُ
دَرْمَاءُ^(٦) تُخْرَسُ فِي السَّاقِ الْخَلَاحِيلُ
يَشْقِيْنَ، أَبَاوَاهَا الصَّيْدُ الْبِهَالِيلُ^(٧)
يُسَلَّنُ بَعْدَ الصَّحَا خَضِرٌ مَكَاسِيلُ
فَلَيْسَ يَلْحَقُهَا دُغْرٌ وَتَضْلِيلُ
شَوْسًا غَيَارَى فَعَقْدُ الصَّبْرِ مُحْلُولُ
عَلَى التَّنَائِي لَتَغْذِيْبٍ وَتَعْلِيلُ
وَيَادِرِ الثُّوبِ إِنَّ الثُّوبَ مَقْبُولُ
إِلَى رَضَى اللَّهِ إِنَّ الْعَفْوَ مَأْمُولُ
بِزُورَةِ الْمَصْطَفَى لِلْعَفْوِ تَأْمِيلُ
أَخَا خُرَامٍ بِهِ قَدْ يُبْلَغُ السُّوْلُ
وَجَّةٌ أَغْرُ وَفِي الرَّجْلَيْنِ تَحْجِيلُ
ضَمْرٌ أَيْاطُلُهُ، وَلِلذَّيْلِ عُثْكَوْلُ^(٩)

(١) الأبيات السبعة الأوائل في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «الصُّبِّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «... مرمرة... غيره... جوهره...» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «وَالْعُنُقُ». (٥) في النفع: «ينطق».

(٦) في الأصل: «دَرْمَاءُ» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى لها. والتصويب من النفع. والمرأة الدَرْمَاءُ:

هي التي لا تستبين كعوبها ومرافقها من الشحم واللحم. محيط المحيط (درم).

(٧) الصَّيْدُ، بكسر الصاد وسكون الياء: جمع أصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبرًا. البهاليل:

جمع يهلول وهو السيد الجامع لكل خير. محيط المحيط (صيد) و(بهلل).

(٨) في الأصل: «ذِكْرَهَا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٩) العثكول: العذق أو الشُّعْرَاخ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم. محيط المحيط

(عثكل).

إِذَا تَوَجَّهَ أَضْغَى وَهُوَ مُلْتَفِتٌ
وإن تُعَارِضَ بِهِ هَوْجَاءُ^(٢) هَاجَ لَهُ
يَحْمِي بِهِ^(٤) حَوْزَةُ الْإِسْلَامِ مُلْتَقِيًا
كَتَائِبًا قَدْ عَمُوا عَنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ
فِي مَاقِطٍ^(٥) ضَرْبِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ^(٦) بِهِ
هَيْجَاءُ^(٧) يُشْرِفُ فِيهَا الْمَشْرِفِيُّ^(٨) عَلَى
تَدِيرِ كَأْسِ شُعُوبٍ^(١٠) فِي شُعُوبِهِمْ
وَإِذْ^(١١) قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفِتْ عَمَلًا
وَاصِلٍ بِسَرٍّ مُتَعَدٍّ^(١٢) يَا ابْنَ أُنْدَلُسَ
يُلَاطِمُ الرِّيحَ مِنْهُ أَبْيَضُ نُفُقٍ
يَعْلُو حَضَارِينَ^(١٣) مِنْهُ شَامِخٌ جَلَلٌ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي طَخْيَاءٍ^(١٤) لُجْجَتِهِ
مَا زَالَتِ الْمَوْجُ تُغْلِيهِ وَتُخَفِّضُهُ
وَكَبَّرَ النَّاسُ أَعْلَاهُ الرَنْيِمَ^(١٦)
وَصَافَحُوا الْبَيْدَ بَعْدَ الْيَمِّ وَابْتَدَرُوا

مَسَاعِرُ^(١) أَعْتَقَا فِيهِنَّ تَأْلِيلَ
جَزْيٍ^(٣) يُرَى الْبَرْقُ عَنْهُ وَهُوَ مَخْذُولُ
كَتَائِبًا غُصُّ مِنْهَا الْعَرَضُ وَالطُّولُ
مِنَ الْكِتَابِ وَغَرَّتْهُمْ أَبَاطِيلُ
سُرَادِقًا فَعَلِيهِمْ مِنْهُ تَخْيِيلُ
هَامَ الْعَدُوَّ وَيَصْحَى^(٩) التُّقَعُ تَضْلِيلُ
فَكُلُّهُمْ مُنْهَلٌ بِالْمَوْتِ مَغْلُولُ
لِلْحَيِّ فَالْحَيُّ لِلْإِسْلَامِ تَكْمِيلُ
وَالطَّرْفُ أَذْهَمُ بِالْأَشْطَانِ مَغْلُولُ
لَهُ مِنَ السَّحْبِ الْمُزِيدِ إِكْلِيلُ
سَامَ طَفًا وَهُوَ بِالتَّكْبَاءِ مَحْمُولُ
أَيْمٌ^(١٥) يَغْرُو أَدِيمَ السَّيْلِ شِمْلِيلُ
حَتَّى بَدَا مِنْ مَنَارِ الشُّغْرِ قَنْدِيلُ
وَكُلُّهُمْ طَرْفُهُ بِالشَّهْدِ مَكْحُولُ
سُبُلًا بِهَا لَجْنَابُ اللَّهِ تَوْصِيلُ

- (١) مساعر البعير: أباطله. محيط المحيط (سعر).
- (٢) في الأصل: «هَوْجَاء» وكذا ينكسر الوزن. والهَوْجَاء: الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت، والجمع هُوج.
- (٣) في الأصل: جريء، بهمة، وهو ما لا يتفق مع الوزن والمعنى.
- (٤) كلمة «به» ساقطة في الأصل.
- (٥) في الأصل: «رماقط»، وكذا لا يستقيم للوزن ولا المعنى. والماقط: أضيقت المواضع في الحرب. محيط المحيط (مقط).
- (٦) الموت الزوام: الموت الكريه أو السريع. محيط المحيط (زأم).
- (٧) في الأصل: «هيجاء» وهكذا ينكسر الوزن.
- (٨) أي السيف المشرفي، نسبة إلى مشارف اليمن، لسان العرب (شرف).
- (٩) في الأصل: «ويصحب»، وكذا ينكسر الوزن.
- (١٠) شُعُوب: اسم للهيئة غير منصرف للعلمية والتأنيث. محيط المحيط (شعب).
- (١١) في الأصل: «وَإِذَا» وكذا ينكسر الوزن. (١٢) كلمة «مُتَعَدٍّ» ساقطة في الأصل.
- (١٣) في الأصل: «حضارة» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.
- (١٤) في الأصل: «طَخْيَاء» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
- (١٥) الأيْم: الحية وذكر الأقمى. محيط المحيط (أيم).
- (١٦) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

خَيْلٌ بِهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ وَمَعْقُولٌ
أَضْحَتْ وَمُوجِشُهَا بِالنَّاسِ مَأْمُولٌ
حَتَّى لَقَدْ دَعَرْتُ فِي بَيْدِهَا الْغُولُ
ذُو ارْتِيَاكِ عَلَى أَكْوَارِهَا مِيلُ
خَوْضٍ عَيُونُهُمْ، غَرْبٌ مَهَازِيلُ
نُورٌ إِذَا هُمْ عَلَى الْغُبَا أَرَا حِيلُ
بَاكِينَ حَتَّى أَدِيمُ الْأَرْضِ مَبْلُولُ
عَالٍ بِهَا لَهُمْ طَوْفٌ وَتَقْبِيلُ
وَفِي مَنَى لِمُنَاهِمُ كَانَ تَثْوِيلُ
لَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلُ
نُزْنَا وَكُلُّ بَنَارِ الشُّوقِ مَشْمُولُ
أَيْدَائُهُنَّ وَأَفْسَاؤُهُنَّ تَنْقِيلُ
أَجَلٌ مِنْ نَجْوَةٍ تَزْجِي الْمَرَايِلُ
وَأُورِثَتْ فِيهِ تَوْرَةٌ^(٢) وَإِنْجِيلُ
كَأَنَّمَا الْمِسْكُ فِي الْأَرْجَاءِ مُحْلُولُ
جِسْمٌ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَرْضِيِّ مُحْمُولُ
عَلَى الْمَلَائِكِ مِنْ سَيِّمَاهُ تَمْثِيلُ
إِلَى مَقَامِ رَخِيٍّ^(٣) فِيهِ جَبْرِيلُ
فَالْقَلْبُ وَاعٍ بِسَرِّ اللَّهِ مَشْغُولُ
مَطْهَرًا طَاهِرًا مِنْهُ وَتَأْوِيلُ
بَاقٍ مَعَ الدَّهْرِ لَا يَأْتِيهِ تَبْدِيلُ
يَنْطِقُ وَفِي هَذِيهِ صَاحِتُ أَضَالِيلُ

عَلَى نَجَائِبٍ تَتْلُوهُ أَجْنَابُهَا^(١)
فِي مَوَكِبٍ تَزْحَفُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ
يَطَارِدُ الْوُخْشَ مِنْهُ فَيَلْقَى لَجِبٌ
سَيُوقُهُمْ طُرْبٌ نَحْوَ الْحِجَازِ فَهَمُ
شَغَتْ رُؤُوسَهُمْ، يُبَسِّرُ شِفَاهَهُمْ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَيْتِ الْإِلَهِ لَهُمْ
يُعْفَرُونَ وَجُوهًا طَالَمَا سَمَتْ
خَفُّوا بِكَعْبَةٍ مَوْلَاهُمْ فَكَغَبَهُمْ
وَبِالضُّفَا وَقَتُّهُمْ صَافٍ بِسَعِيهِمْ
تَعْرِفُوا عَرَفَاتٍ وَاقْفِينِ بِهَا
لَمَّا قَضَيْنَا مِنَ الْغُرَاءِ مَنَسَكَنَا
شِذْنَا إِلَى الشَّدِّ قَمِيَاتِ الَّتِي سَكَنْتِ
إِلَى الرَّسُولِ تَزْجِي كُلَّ تَعْلَمَةِ
مَنْ أُنْزِلَتْ فِيهِ آيَاتُ مَطْهَرَةٍ
وَعُطِرَتْ مِنْ شَذَاهُ كُلُّ نَاحِيَةٍ
سَرٌّ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ ضَمْنُهُ
نُورٌ تَمَثَّلُ فِي أَبْصَارِنَا بِشَرًّا
لَقَدْ تَسَامَى وَجَبْرِيلُ مُصَامِيهِ
أَوْحَى إِلَيْهِ الَّذِي أَوْحَاهُ مِنْ كُتُبِ
يَتْلُو كِتَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ جَاءَ بِهِ
جَارٍ عَلَى مَنَهْجِ الْأَعْرَابِ أَغْجَزَهُمْ
بِلَاغَةً عِنْدَهَا كَعُ الْبَلِيغِ فَلَمْ

ومنها:

بِسُورَةٍ مِثْلَهُ فَاسْتَغْجَرَ الْقَيْلُ

وَطُوبُوا أَنْ يُجِيبُوا حِينَ رَأَيْتُهُمْ

(١) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تورته» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «راخي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والزخى: الواسع.

لاذوا بدؤبان حَطِيٍّ^(١) وبشر ظَبِيٍّ
 فمونت في جبال الوهد مُنَحَدِر
 ما زال بالعَضْب هتاكًا سوابِغَهُمْ
 وقد تحطَّم في نُحْر العدا قصْدُ
 من لا يُعَدِّله القرآنِ كان له
 وكم له مُعْجَزًا غير القرآنِ^(٢) أتى
 فللرسول انشِقاقُ البدر نَشْهَدُهُ
 وتَنبُع ماء فرائِ من أنامله
 رَوّوا الخميس وهم زُهاء سبع مِي
 ومِي عَيْنٌ بكفَّ جاء يحملها
 فكان^(٣) أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَلَا عَجَبُ
 والجِدْعُ حَنٌّ إِلَيْهِ حِينَ فارقَه
 وأُشْبِعَ الكَثْر من قِلِّ الطعام ولم
 وفي جراب ولا^(٤) هُنَّ عَجَائِبُ كَم
 وفي ازتواء إلى دَزِيٍّ^(٥) بزمزم ما
 والعنكبوت بباب الغار قد نُسِجَتْ
 وقَرَّخَتْ فِي جِماهِ الوُزُقُ ساجعة
 هذا وكم معجزات للرسول أَتَتْ
 غَدَتْ من الكَثْر أَعْداد النجوم فما
 قد انْقَضَتْ معجزات الرُّسل منذ قَضُوا
 ومعجزات رسول الله باقية

يوم الوغى واعتراهم منه تنكيل
 وموْتَقَّ في حبال الغدِ مَكْبُول
 حتى انثنى العَضْبُ منهم وهو مَقْلُول
 صَمُّ الوشِيعِ^(٦) وخائِثها العواميل
 من الصَّفاد وبيض البَثر تعديل
 فيه من الحقِّ مَثْقُولٌ ومعقول
 كما لمُوسى انْفِلاق البحر مَثْقُول
 كالعين ثَرَتْ فجا الهِثان ما^(٧) النيل
 مع الرُّكاب فَمَشْرُوبٌ وَمَحْمُول
 قَتادةٌ وله شكوى وتَغْوِيل
 مَسَتْ أناميل فيها اليُمْنُ مَنجَعُول
 حَنِينٌ وَلَهَى لها للزُّوم مشكول
 يَكُن لِغَوِزَةٍ بالكَثْر تَقْلِيل
 يَمْتار منه فَمَبْدُولٌ ومَأْكُول
 يكفي تَبَدُّن منه وهو مَهْزُول
 حتى كَأَنَّ رداءً منه مَسْدُول
 تَبْكِي وما دَمْعُها في الخَدَّ مَطْلُول
 لها من الله أمداد وتَأَصِيل
 يُخْصِي لها عددًا كَثَبٌ ولا قِيل
 نَحْبًا وَأَعْجَمَ منها ذلك الجِيل
 محفوظةٌ ما لها في الذَّهر تحوِيل

(١) الحَطِيُّ: الريح نسبة إلى الخط، والخط: مرفأ السفن بالبحرين. لسان العرب (خطط).

(٢) في الأصل: «أصمُّ الوشيع» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والوشيع: شجر الرماح. لسان العرب (وشيع).

(٣) في الأصل: «القرآن» وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٤) في الأصل: «ماء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «فكانت» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «لي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) في الأصل: «لي دَزِيٍّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تَكْفُلُ الله هذا الذِّكْرَ يحفظه وهل يَضِيعُ الذي بالله مَكْفُول؟
هذي المفاخرُ لا يَخْطِئُ الملوكُ بها لِلْمُلْكِ^(١) منقطعٌ والوحي مَوْصُولٌ
ومن مطولاته في غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العِلْمُ لا كالعلم شيء تُراوِذُهُ لقد فاز باغيه وأنجح قاصدُهُ
وما فضل الإنسان إلا بعِلْمِهِ وما امتاز إلا ثاقِبُ الذَّهْنِ وإِقْدُهُ
وقد قَصُرَتْ أعمارُنا وعلومنا يطول علينا حَضْرُها وتُكَايِدُهُ
وفي كُلِّها خيرٌ ولكِنْ أصلُها هو التَّحْوِ فَاخْذَرْ من جَهُولِ يُعَايِنُهُ
به يُعرف القرآن والسُّنَّةُ التي هما أَضْلُ دينِ الله ذُو أَنْتِ عابِدُهُ
وناهيك من علمٍ عليٍّ مُشِيدٍ مِبانِيهِ أَغْرِزْ بالذي هو شَانِدُهُ
لقد حاز في الدنيا فَخَارًا وسُودًا أَبُو الْأَسودِ الدِيلِي^(٢) فَللجُرْ سَانِدُهُ
هو استنبط العلم الذي جَلَّ قَدْرُهُ وطار به لِلْعُرْبِ ذِكْرٌ نَعَاوِدُهُ
وساد عطا نجله وابن هرمرز ويحيى ونصرٌ ثم ميمونٌ ماهِدُهُ
وعَنْبَسَةُ قد كان أبرعَ صَحْبِهِ فَقَدْتُ جِيْدَ المعالي قلائِدُهُ
وما زال هذا العلم تُنْمِيهِ سَادَةُ جِهَابِدُهُ تَبْلَى به وتعاوضُهُ
إلى أَنْ أتَى الذَّهْرُ العَقِيمُ بواحدٍ من الْأَزْدِ تُنْمِيهِ إِلَيْهِ فرائِدُهُ
إمامُ الوري ذاك الحَلِيلُ بن أحمدٍ أَقَرَّ لَهُ بالسبق في العلم حاسِدُهُ
وبالْبَصْرَةِ الغُرَاءُ^(٣) قد لاح فَجْرُهُ فنارت أَدَانِيهِ وضاءت أَبَاعِدُهُ
ذِكِّي^(٤) الوري ذَهْنًا وأصدق لهجة إذا ظَنَّ أَمْرًا قَلْتُ ما هو شَاهِدُهُ
وما أَنْ يَرَوِي بل جميع علومه بدائِهِ^(٥) أَغْيَتْ كُلَّ حَبِيرٍ تُجَالِدُهُ
هو الواضِعُ الثاني الذي فاق أُولَا ولا ثالثُ في الناس تصمى قواصِدُهُ
فقد كان رِبَائِي أَهْلَ زمانِهِ ضَوِيْمٌ قُوِيْمٌ^(٦) رَاكِعُ الليل ساجِدُهُ
يُقَيِّمُ منه دهرُهُ في مَثْوِيَةِ وثوقًا بأنَّ الله حقًا مُوَاعِدُهُ

(١) في الأصل: «الملك»، وكذا يتكسر الوزن.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، واضع علم النحو.

(٣) في الأصل: «الغراء»، وكذا يتكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «يا ذِكِّي»، وكذا يتكسر الوزن، لذا حذفنا حرف النداء «يا».

(٥) في الأصل: «بدائية»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «ضويمٌ قويمٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فَعَامَ إِلَى حَيٍّ وَعَامَ لَعَزْوَةٍ
وَلَمْ يُثْنِ يَوْمًا عَنِ الْعِلْمِ وَالثَّقَى
وَأَكْثَرَ سُكْنَاهُ بِقَفْرِ بَحِيثٍ لَا
وَمَا قُوَّتُهُ إِلَّا شَعِيرٌ يُسَيِّغُهُ
عَزُوبًا عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ زَهْرَاتِهَا
وَلَمَّا رَأَى مِنْ سَيَّبِيهِ نَجَابَةً
تَخَيَّرَهُ إِذْ كَانَ وَارِثَ عِلْمِهِ
وَعَلَّمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا عُلُومِهِ
فَإِذْ ذَاكَ وَافَاهُ مِنَ اللَّهِ وَعْدُهُ
أَتَى سَيَّبِيهِ نَاشِرًا لِعُلُومِهِ
وَأَبْدَى كِتَابًا كَانَ فَخْرًا وَجُودِهِ
وَجُمِعَ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى
بِعَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قُنْبَرِ الرُّضَا
عَلَيْكَ قِرَانُ^(٢) النَّحْوِ نَحْوِ ابْنِ قَنْبَرٍ
كِتَابُ أَبِي بَشَرَ^(٣) فَلَا تَكُ قَارِئًا
هَمْ خُلُجْ بِالْعِلْمِ مُدَّتْ فَعِنْدَمَا
وَلَا تَعُدْ عَمَّا حَازَهُ إِنَّهُ الْفَرَا
إِذَا كُنْتَ يَوْمًا مُحْكَمًا فِي كِتَابِهِ
وَلَسْتَ تَبَالِي إِنْ فَكَّكَتْ رَمُوزَهُ
هُوَ الْعَضْبُ إِنْ تَلَّقَى الْهِيَاجَ شَهْرَتُهُ
تَلْقَاهُ كُلُّ بِالْقَبُولِ وَبِالرُّضَى
وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِيهِ سِوَى ابْنِ طَرَاوِ
وَجَسْرَتُهُ طَعْنُ الْمُبَرَّدِ قَبْلَهُ

فَيَعْرِفُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَوَاثِدَةٌ
كَوَاعِبُ حُسْنٍ تَنْثَنِي وَنَوَاهِدَةٌ
تُنَاغِيهِ إِلَّا عَفْرُهُ وَأَوَابِدُهُ
بِمَاءٍ قَرَّاحٍ لَيْسَ تَغْشَى مَوَارِدُهُ
وَشَوْقًا إِلَى الْمَوْلَى وَمَا هُوَ وَاعِدُهُ
وَأَيَقُنُ أَنَّ الْحَيَّ أَدْنَاهُ بِاعِدُهُ
وَلَا طَقَّهُ حَتَّى كَانَ هُوَ وَالِدُهُ
إِلَى أَنْ بَدَتْ سِيَمَاءُ وَاشْتَدَّ سَاعِدُهُ
وَرَّاحَ وَحِيدَ الْعَصْرِ إِذْ جَاءَ وَاحِدُهُ
فَلَوْلَاهُ أَضْحَى النَّحْوُ^(١) غُطَّلَا شَوَاهِدُهُ
لَقَحْطَانُ إِذْ كَعَبَ بِنَ عَمْرٍو مُحَاتِدُهُ
فَطَارِقُهُ يُغْزَى إِلَيْهِ وَتَالِدُهُ
أَطَاعَتْ عَوَاصِيهِ وَتَابَتْ شَوَارِدُهُ
فَأَيَّاتُهُ مَشْهُودَةٌ وَشَوَاهِدُهُ
سِوَاهُ فَكُلُّ ذَاهِبٍ الْحُسْنِ فَاقِدُهُ
تَنَاءَتْ غَدَتْ تَزْهَى وَلَيْسَتْ تُشَاهِدُهُ
وَفِي جَوْفِهِ كُلُّ الَّذِي أَنْتَ صَائِدُهُ^(٤)
فَإِنَّكَ فِينَا نَابِهُ الْقَدْرِ مَا جِدُهُ
أَعَضُّكَ دَهْرٌ أَمْ عَرَّتْكَ ثَرَائِدُهُ
وَإِنْ لَا تُصِيبُ حَرْبًا فَإِنَّكَ غَامِدُهُ
فَذُرْ الْفَهْمَ مَنْ تَبْدُو إِلَيْهِ مَقَاصِدُهُ
وَكَانَ طَرِيًّا لَمْ تَقَادِمْ مَعَاهِدُهُ
وَإِنَّ الثَّمَالِيَّ بَارِدُ الدَّهْنِ خَامِدُهُ

(١) في الأصل: «لنحو غطَّلَا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قِرَان»، وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٣) أبو بشر: هو نفسه سيويه.

(٤) يشير هنا إلى المثل: «كل الصيد في جوف القراء يُضْرَبُ لِمَنْ يُقْضَلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والقراء: أصلها: القراء وهو الحمار الوحشي. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

هُمَا مَا هُما صارَا مدى الدهر ضِخْكة
تكون صحيحَ العقل حتى إذا ترى
يقول امرؤ قد خامر الكبير رأسه
ولم يشتغل إلا بِتَزْرِ مسائلٍ
وقد نال بين الناس جاهًا ورُتبة
وما ذاق للآداب طَعْمًا ولم يَبِثْ
فِينْكَحْ أبكار المعاني وَبَتَّغِي
رَأى سيبويه فيه بعض نكادة
فقلت: أما أتى^(٢) ما أنت أهل لفهمه
لَعَمْرُكَ ما ذو لحية وَتَسْمُتِ
فيمشي على الأرض الهوننا كأنما
وإيهامك الجهال أنك عالم
بأجلَب للنحو الذي أنت هاجر
أصاح، تَجَنَّب من غَوِي مُخَذَّل
لك الخَيْرُ فاذأب ساهرا في علومه
ولا تَرْجُ في الدنيا ثوابا فإنما
ذوو النحو في الدنيا قليلٌ حظوظهم
لهم أسوة فيها على لاغِد^(٣) مضى
مضى بعده عنها الخليلُ فلم يَتَلْ
ولاقي أبا بِشْر خليل^(٤) سفيهاها
أتى نحو هارون^(٥) يناظر شيخه
فأطرق شيئا ثم أبدى جوابه
وكاد علي غَمْرًا إذا صار حاكمًا
سقاء بكأس لم يُفِقْ من خمارها

يُزَيِّف ما قالا وتبدو مفسدُهُ
تُباري أبا بشرٍ، إذا أنت فاسدُهُ
وقد ظنَّ أَنَّ النحو سهلٌ مقاصده
من الفقه في^(١) أوراقه هو راصده
وألهاك عن نيل المعالي ولايَدُهُ
يُعْتَى بمنظُوم ونثرٍ يجاودُهُ
لها الكُفُو من لفظ بها هو عاقدُهُ
وعُجْمة لفظ لا تُحَلُّ معاقده
وما أنت إلا غائضُ الفكر راكده
وإطراق رأس والجهات تساعده
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وأنتك فردٌ في الوجود وزاهدُهُ
من الدرس بالليل الذي أنت هاجدُهُ
وخذُ في طريق النحو أنك راشدُهُ
فلم تُشِم إلا ساهرَ الطُرفِ ساهدُهُ
لدى الله حقًا أنت لا شك واجدُهُ
وذو الجهل فيها وافرُ الحظ زائدُهُ
ولم يَلَقْ في الدنيا صديقًا يساعده
كفأفًا ولم يَعْدِم حسودًا يناكده
غداةً تمالت في ضلال يُمادده
فَنَفُحْتُهُ^(٦) حتى تبدت مناكده
بحق ولكن أنكر الحق جاحدُهُ
وقدما علي كان عمرو يكايده
وأورده الأمر الذي هو وارده

(١) في الأصل: «وفي» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لغدي» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «خليل» ساقطة في الأصل. وأبو بشر: هو سيبويه. و خليل: هو الخليل بن أحمد

الفراهيدي.

(٤) هو اليهودي النحوي هارون بن موسى.

(٥) في الأصل: «نفحة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «نفحة»، وكذا ينكسر الوزن.

ولابن زياد شركة في مراده
 هما جرعا إلى علي وقنبر
 أبكي على عمرو ولا غمر مثله
 قضى نخبه شرخ الشبيبة لم يرغ
 لقد كان للناس اعتناء بعلمه
 والآن فلا شخص على الأرض قارئ
 سوى معشر بالغرب فيهم تلقت
 وما زال منا أهل أندلس له
 ولاني في مضر على ضعف ناصري
 أثار أثير الغرب للثحو كامنا
 وأخيا أبو حيان مئت علومه
 إذا مغربي خط بالثغر رخله
 منينا بقوم صدروا في مجالس
 لقد أحر التصدير عن مستحقه
 وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم
 علا عقله فيهم هواه فما درى
 أقمنا بمصر نحو^(٣) عشرين حجة
 فلما نزل منهم مدى الدهر طائلا
 لنا سلوة فيمن سرذنا حديثهم
 أخي إن تصل يوما ويبلغت سالما
 وقبل ترى أرض بها حل ملكنا
 مبيد العدا قتلا وقد عم^(٤) شرهم
 أفاض على الإسلام جوردا ونجدة

ولابن رشيد شرك^(١) القلب رائده
 أفويق سم لم تنجد أساوده
 إذا مشكل أغيا وأغوز ناقد
 بشيب ولم تغلق بذام معاقده
 بشرق وعزب تستنار فوائده
 كتاب أبي بشر ولا هو رائده
 إليه وشوق ليس يخبو مواعده
 جهابذ تبدي فضله وتناجذه
 لناصره ما دمت حيا وعاضده
 وعالجه حتى تبدت قواعده
 فأصبح علم النحو ينفق كاسده
 تيقن أن النحو أخفاه لاحده
 لإقراء علم ضل عنهم مراشده
 وقدم غمر خامد الذهن جامده
 جزاء^(٢) وعقبي أكنث عقائده
 بأن هوى الإنسان للنار قائده
 يشاهدنا ذو أمرهم ونشاهده
 ولما نجد فيهم صديقا نوادده
 وقد يتسلى بالذي قال سارده
 لغرناطة فانفذ لما أنا عاهده
 وسلطاننا الشهم الجميل عوائده
 ومحيي الندى فضلا وقد رم هامده
 فعز مواليه وذل معانده

(١) في الأصل: «بشرك للقلب»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) كلمة «جزاء» ساقطة في الأصل، فأضفناها مع حرف العطف في كلمة «عقبي»، ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٣) كلمة «نحو» ساقطة في الأصل.

(٤) في الأصل: «عمر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَعَمُّ بِهَا إِخْوَانُنَا بِتَحِيَّةٍ
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا شَيْخُنَا وَإِمَامَنَا
 لَقَدْ أَطْلَعَتْ جَيَّانُ أَوْحَدِ عَصْرِهِ
 مَوْرخَةً نَحْوِيَّةً وَإِمَامَةً
 جَاءَ عَظِيمٌ مِنْ ثَقِيفٍ وَإِنَّمَا
 وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَى سُهَادِي بِبَابِهِ
 فَيَجْلُو بِنُورِ الْعِلْمِ ظُلْمَةَ جَهْلُنَا
 وَإِنِّي وَإِنْ شَطَطَتْ بِنَا غُرْبَةُ الثَّوَى
 بِغُرْنَابَةِ رُوحِي وَفِي مِضْرَ جُثَّتِي
 أَبَا جَعْفَرٍ، خُذْهَا قَوَافِي مِنْ فِتْيِ
 يَسِيرُ بِلَا إِذْنٍ إِلَى الْأَذْنِ حُسْنَهَا
 غَرِيبَةً شَكَلٍ كَمْ حَوَتْ مِنْ غَرَائِبِ
 فَلَوْلَاكَ يَا مَوْلَايَ مَا فَاهَ مِقُولِي
 لَهَذَا بَنَنِي حَتَّى أَحُوكَ مَقْوُومًا
 وَأَذْكِنْتَ فِكْرِي بَعْدَ مَا كَانَ خَامِدًا
 جَعَلْتُ خَتَامًا فِيهِ ذَكَرَكَ إِنَّهُ

وَحَصَّ بِهَا الْأَسْتَاذَ لَا عَاشَ كَائِدُهُ
 وَأُسْتَاذُنَا^(١) الْحَبْرَ الَّذِي عَمَّ فَائِدُهُ
 فَلِلْغَرْبِ فَخْرٌ أَعْجَزَ الشَّرْقَ خَالِدُهُ
 مُحَدَّثَةٌ جَلَّتْ وَصَحَّتْ مَسَانِدُهُ
 بِهِ اسْتَوْثِقْتُ مِنْهُ الْغُرَى وَمُسَاعِدُهُ
 بِسَبْقِي وَغَيْرِي نَائِمَ اللَّيْلِ رَاقِدُهُ
 وَيَفْتَحُ عِلْمًا مُتَعَلِّقَاتِ رِصَائِدِهِ
 لَشَاكِرٌ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَامِدُهُ
 تُرَى هَلْ يُثْنِي الْقَرْدَ مِنْ هُوَ فَارِدُهُ؟
 تَتَّبِعُهُ عَلَى غُرِّ الْقَوَافِي قِصَائِدُهُ
 فَيَرْتَاحُ سَمَاعٌ لَهَا وَمُنَاشِدُهُ
 مَجِيدُهُ أَصْلَ أَنْتَجَتْهَا أُمَاجِدُهُ
 بِمِصْرَ وَلَا حَبْرُثَ مَا أَنَا قَاصِدُهُ
 مِنَ النِّظْمِ لَا يَبْلَى مَدَى الدَّهْرِ أَبَدُهُ
 وَقَيْدَ شِعْرِي بَعْدَ مَا نَدَّ شَارِدُهُ
 هُوَ الْمَسْكُ بَلْ أَعْلَى وَإِنْ عَزَّ نَاشِدُهُ

ومما دُونَ من^(٢) المطولات قوله رحمه الله^(٣): [الطويل]

تَفَرَّدْتُ لَمَّا أَنْ جُمِعْتُ بِذَاتِي^(٤)
 فَلَمْ أَرْ فِي الْأَكْوَانِ غَيْرًا^(٥) لِأَنِّي
 وَقَدُسْتُهَا عَنْ رَتْبَةٍ لَوْ تَعَيَّنَتْ
 فَهَا أَنَا قَدْ أَصْعَدْتُهَا عَنْ حَضِيضِهَا
 وَأُسْكِنْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ حَرَكَاتِي^(٦)
 أَرَحْتُ عَنْ الْأَغْيَارِ رُوحَ حَيَاتِي^(٧)
 لَهَا دَائِمًا دَامَتْ لَهَا حِسْرَاتِي^(٨)
 إِلَى رُتْبَةٍ تَقْضِي لَهَا بِثَبَاتٍ

(١) يشير هنا إلى أستاذه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٢) كلمة «من» ساقطة في الأصل. (٣) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٨٢ - ٨٣).

(٤) في الأصل: «بذات» والتصويب من الكتية.

(٥) في الأصل: «حركات» والتصويب من الكتية.

(٦) في الكتية: «غيري».

(٧) في الأصل: «حيات» والتصويب من الكتية.

(٨) في الأصل: «حسرات» والتصويب من الكتية.

تشاهدُ مَعْنَى رَوْضَةٍ أَذْهَبَ الْعَنَا
أَقَامَتْ زَمَانًا فِي حِجَابٍ فَعِنْدَمَا
لِنَقْضِي بِهَا مَا فَاتَ مِنْ طَيِّبِ أَنْسِنَا
وَمِنَ النَّسِيبِ قَوْلُهُ^(٢): [الكامل]

كَشَمَ اللِّسَانُ وَمَدْمَعِي قَدْ بَاحَا
إِنِّي لَصَبٌّ^(٤) طَيِّى مَا نَشَرَ الْهَوَى
وَمَهْجَتِي مِنْ لَا أَصْرَحُ بِاسْمِهِ
رَيْمٌ أَرُومٌ حُنُوءٌ وَجَنُوحُهُ
أَبْدَى لَنَا مِنْ شَغْرِهِ وَجَبِينِهِ
عَجَبًا لَهُ يَأْسُو الْجِسْمَ بِطَبِّهِ
فَبَلْفُظِهِ^(٧) بُزْءُ الْأَخِيذِ وَلِحِظِهِ
نَادِيَتُهُ^(٨) فِي لَيْلَةٍ لَا ثَالِثَ
يَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ لَوْ أَنَّهَا

وَقَالَ^(١١): [الكامل]

نَوْرٌ بِخَذِّكَ أَمْ تَوَقَّدُ نَارٍ؟
وَشِدًّا بِرَيْقِكَ أَمْ تَسْأَرُجُ مِسْكَةً؟
جُمِعَتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيكَ فَقَدْ عَدَّتْ^(١٤)
وَضَنَى بِجَفْنِكَ أَمْ فُتُورٌ^(١٢) عُقَارٍ؟
وَسَنَى بِشَغْرِكَ أَمْ شُعَاعٌ دَرَارِي^(١٣)؟
فَنَيْدَ الْقُلُوبِ وَفَتْنَةَ الْأَبْصَارِ

(١) في الكتيبة: «سلاني».

(٢) في الأصل: «وَأَسَى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «أحب» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الكتيبة: «فضاحا».

(٥) في الكتيبة: «خدين... وذا إصباحا».

(٦) في الأصل: «فيلقطه» بالقاف، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «نادمته».

(٨) في الأصل: «عارف لاحا»، والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «التوصال» والتصويب من الكتيبة.

(١٠) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٣ - ٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٦).

(١١) في الكتيبة الكامنة: «كؤوس».

(١٢) في الأصل: «درار»، وقد صوبناه؛ لأن أصل القول هو: «دراري» وهي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها.

(١٣) في الكتيبة: «... فيك فأصبحت».

مُتَصَاوِرٌ خَفِرٌ^(١) إِذَا نَاطَقْتَهُ
أَغْضَى حَيَاءً^(٢) فِي سَكُونٍ وَقَارٍ
فِي وَجْهِهِ زَهْرَاتُ لَفْظٍ^(٣) تُجْتَلَى
مِنْ نَرْجِسٍ مَعَ وَرْدَةٍ وَبَهَارٍ
خَافَ اقْتِطَافَ الْوَرْدِ مِنْ جَنَّبَاتِهَا^(٤)
فَأَدَارَ مِنْ أَسْرِ^(٥) سِيَاخِ عِذَارٍ
وَتَسَلَّلَتْ نَمْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ
لِإِسْرِدَنْ شَهْدَةَ رِيقِهِ الْمِغْطَارِ
وَبَخْدَهُ وَرْدٌ^(٦) حَمَثُهَا وَرْدُهَا
فَوَقَّفَنَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْإِضْدَارِ
كَمْ ذَا أَوَارِي^(٧) فِي هَوَاهِ مَحَبَّتِي
وَلَقَدْ وَشَى بِي فِيهِ قَرْطُ أَوَارِي^(٨)

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله^(٩): [البسيط]

أَزَحْتُ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ
لَمَّا غَنَيْتُ عَنِ الْاَكْيَاسِ بِالْيَاسِ^(١٠)
وَصَرْتُ فِي الْبَيْتِ وَحْدِي لَا أَرَى أَحَدًا
بَنَاتُ فِكْرِي وَكُتُبِي مِنْ جُلَاسِي

وقال^(١١): [الطويل]

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي الْمَالِ أَنَّهُ
إِذَا مَا انْتَهَى عِنْدَ الْفَتَى فَارَقَ الْعُمْرَا
فَلَا رُوْحَهُ يَوْمًا أَرَاخَ مِنَ الْعَنَا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْدًا وَلَمْ يَدْخُرْ أَجْرًا

وقال: [الطويل]

سَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ شَعْرِهِ نَحْوَ صَدْغِهِ
وَمَا انْفَصَلَتْ مِنْ خَدِّهِ إِنْ ذَا عَجَبُ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّ سَلْسَالَ رِيقِهِ
بِرُودٍ وَلَكِنْ شَبَّ فِي قَلْبِي اللَّهْبُ

وقال^(١٢): [السريع]

رَاضٍ^(١٣) حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا
يَا حُسْنَهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِضٍ
وَلَمْ يَظُنْ^(١٤) قَوْمٌ أَنَّ قَلْبِي سَلَا
وَالْأَضْلُ لَا يُغْنِدُ بِالْعَارِضِ

(١) في النسخ: «خفراً».

(٢) في الأصل: «حيًا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) في المصدرين: «روض».

(٤) في المصدرين: «وجناته».

(٥) في المصدرين: «أس».

(٦) في النسخ: «ويخده نازر حخته...».

(٧) في النسخ: «أداري».

(٨) في الأصل: «أوار» يدوء ياء، والتصويب من المصدرين.

(٩) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٠) في الكتيبة الكامنة: «أرحت نفسي... كما غنيت...».

(١١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٢) البيتان في فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٣) وفيغية الوعاة (ص ١٢٢).

(١٣) في البغية: «رائض حبي».

(١٤) في البغية: «فطن».

وقال^(١): [الخفيف]

سال في الخدُّ للحبيب عذار
وسألتَ الثَّمامَه فتجئى
وهو لا شكَّ سائلٌ مَرخومٌ
فأنا اليوم سائلٌ محرومٌ

وقال: [الطويل]

جُننتُ بها سوداءَ لونٍ وناظِرٍ
وجذتُ بها بَرزَ النعيمِ وإنَّ
ويا طالما كان الجنونُ بسوداءِ
فؤادي منها في جحيمٍ ولأواءِ

وقال في فتى يُسمى مظلوم^(١): [الطويل]

وما كنت أدري أن مالكَ مُهجتي
إلى أن دعاني للضبا^(٣) فأجبتُهُ
يسمى^(٢) بمظلوم وظلَمَ جفاؤهُ
ومن يَكُ مظلوماً أُجيب دعاؤهُ

وقال^(١): [الخفيف]

جُنُّ غيري بعارضٍ فترجى
وفؤادي بعارضين مُصابٍ
أفله أن يُفريقَ عما قريبٍ
فهو داءٌ أغيا دواء^(٤) الطبيب

وقال^(١): [الطويل]

شكا الخَصْرُ منه ما يلاقي برذفه
إذا كان منه البعضُ يظلمُ بعضه
وأضعَفَ^(٥) غُصْنَ البانِ جرُّ كَثيبٍ
فما حالُ مُشْتَطَّ^(٦) المزار^(٧) غريبٍ

وقال^(٨): [الطويل]

وذِي شَفَّةٍ لَمِيا زَيْنَتْ بِشامة^(٩)
ظمِنْتُ إليها رِيقَةً كوثريةً
من المسك في رشافها^(١٠) يذهب الثُّشْكُ
بمثلٍ لآلي^(١١) تُغرها يُنظَمُ السُّلْكُ

(١) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «يتسمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية الكامنة.

(٣) في الكتية: «اللهوى».

(٤) في الكتية: «فؤاد».

(٥) في الكتية: «ويضعف».

(٦) في الأصل: «شطط» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية.

(٧) في الكتية: «الديار».

(٨) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٨٥ - ٨٦).

(٩) في الأصل: «وذو شفة لميا زَيْنَتْ...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية الكامنة.

(١٠) في الكتية: «ترشافها».

(١١) في الأصل: «لقالى» ولا معنى لذلك، والتصويب من الكتية الكامنة.

تَعْلُ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ مُدَامَ مِنَ الْفَرْدُوسِ^(١) خَاتَمُهُ مِنْكَ
وقال: [الطويل]

أَجَلٌ شَفِيعٌ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ دِرَاهِمُ بَيْضٍ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ
تُضَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ أَسْهَلَ مَا تَرَى وَيَقْضِي لِبَانَاتِ الْفَتَى^(٢) وَهُوَ نَائِمُ
وقال^(٣): [مخلع البسيط]

نُعِيدُ وَدَّ قَرِيبٍ ضَلَّ^(٤) كَبِيرَ عَشْبٍ، قَلِيلَ عَشْبِي^(٥)
كَالشَّمْسِ ظَرْفًا، كَالْمَسْكَ عَرْفًا كَالْخَشْفِ ظَرْفًا، كَالصُّخْرِ قَلْبًا
وقال^(٦): [الطويل]

عُدَاتِي^(٧) لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يَحْشَوْنَ عَن زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا^(٨) وَهُمْ نَافَسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا
مولده: ولد بغرناطة عام اثنين وخمسين وستمائة^(٩).

وفاته: أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُورِي، رحمه الله، قال: توفي عام خمسة وأربعين وسبعمائة بمصر، ودفن بالقرافة. وكانت جنازته حافلة.

ومن الطارئین علیها فی هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكبي

من أهل بَلَش^(١٠)، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكماد.

(١) في الأصل: «الفرد وسر» وهذا لا معنى له، وينكسر الوزن، والتصويب من الكتية.

(٢) في الأصل: «لبانات للفتى» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٨٦).

(٤) في الكتية الكامنة:

بَعِيدُ وَدَّ، قَرِيبُ صَدَّ كَشِيرَ عَشْبٍ.....

وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) العُشْبِي: الرُّضَا.

(٦) البيتان في بغية الوعاة (ص ١٢٢) والكتية الكامنة (ص ٨٥) وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٤).

(٧) في البغية: «عداي». (٨) في الكتية الكامنة: «فسترتها».

(٩) في بغية الوعاة (ص ١٢١): «ولد بمطبخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة». وفي فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٢): «مولده بغرناطة في شهر سنة أربع وخمسين وستمائة».

(١٠) هي بَلَش مالقة، Velez Malaga، كما سيأتي بعد قليل. وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: =

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلة صدور الفقهاء الفضلاء، زهدًا وقناعةً وانقباضًا، إلى دماء الخلق، ولين الجانب، وحسن اللقاء، والسذاجة الممؤهة بالغفلة، والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة، إمامًا مشهورًا في القراءات، يُرحل إليه، ويعول عليه، إتقانًا ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط، محدثًا ثبثًا، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيها متصرفًا في المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العذوة، وتجوّل في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنّف وأفاد، وتصدّر للإقراء بغرناطة وبلش وغيرهما، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مشيخته: قرأ ببلده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرقوطي، والمُقريء أبي الحسن بن خلف الرشاطي، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عيشون اللخمي، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المُرسي. وممن أجازوه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البطرني، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببلش مالقة وبسطة، فروى عنه الكثير، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي، لقيه بالمرية. ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطباع، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جُزّي الكلبي، روى عنه وأجازوه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

تأليفه: اختصر كتاب «المُفنع» في القراءات اختصارًا بديعًا، وسماه كتاب «المتع في تهذيب المُفنع» وغير ذلك.

شعره: من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصّقر في فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحاب الحديث وأهلُه	شأوا وثيرا ^(١) ومجدًا مَحَلدا
وصَحّحت لهم بين الأنام مزيةً	أبانت لهم عزًا ومجدًا وسوددا
بدعوة خير الخلق أفضل مُرسل	محمد المبعوث بالثور والهدى
فهم دونوا علم الحديث وأتقنوا	ونصّوا بتبيين صحيحًا ومُسندا

= «بلش»: بالفتح وتشديد اللام والمسين معجمة: بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي... معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).
(١) في الأصل: «وتوتيرا»، وكذا لا يستقيم المعنى.

وجاءوا بأخبار الرسول وصحبه
 وهم نقلوا الآثار والسُنن التي
 وما قصروا فيها بفقه ولا وثروا
 وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم
 جزاهم إله العرش عنا بنصحتهم
 وتُسأله^(٢) سبحانه تهج هديهم
 على وجهها لفظًا ورسماً مقيدا
 مَنْ أَصْبَحَ^(١) ذَا أَخْذٍ بِهَا فَقَدْ اهْتَدَى
 بل التزموا حذًا وحزمًا مؤكِّدا
 وتبينهم سُبُلَ الهدى لِمَنْ اقْتَدَى
 بأخْسَنَ ما جازى نصيحًا ومرشدا
 وسَغيًا إلى الثَّقوى سبيلًا ومَقْصدا

ومن شعره، رحمه الله، قوله: [السريع]

عليك بالصُّبر وكُن راضيًا
 واسلُك طريقَ المَجْدِ والهَجْ به
 بما قضاه الله تَلْقَى النجاة
 فهو الذي يَرْضاه أهلُ الصِّلاحِ

وقد ألَّف شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءاً سماه «شعر من لا شعر له»، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير.

مولده: قبل الأربعين وستمائة. وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر وسبعمائة.

انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة»
 يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، واضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس الحُفَظ، حُفَظ المذهب، وانتفع به الناس، وكان معظمًا فيهم، متبرِّكًا به، على سُنن الصالحين من الزُّهد والانقباض وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال صاحبنا الفقيه

(١) في الأصل: «أصبح»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) في الأصل: «وتُسأله»، وكذا ينكسر الوزن.

أبو الحسن الثباهي في تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلاً ساذجاً، مُحَشَّوْشِنًا، سُتِي المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتخليق العام بالمسجد الجامع، وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو محمد بن أبي السداد، والقاضي أبو القاسم ابن السكوت. قال: وأنشد للزاهد أبي إسحق بن قشوم، قوله: [الطويل]

يروكَّ يوم العيد حُسْنُ ملابس
أَجَلٌ لحظاتِ الفكرِ منك فلا ترى
ونعمةُ أجسامٍ ولينُ قدودِ
سوى خِرَقِ ثُبلى وطُغمة دُودِ
وأنشد لأبي عمرو الزاهد: [السريع]

نُخْتَبِرُ الدُّنْيَا فِي مَنَاقِبِ
وَالدُّرْهَمِ الزَّايِفِ إِذْ يُبْهَمُ
وَالْمَرْءُ إِنْ رُمِيَ اخْتِبَارًا لَهُ
مَنَ عَفٌّ عَنْ هَذَا وَهَذَا مَعًا
مَنَاقِبِ الدُّنْيَا فِي مَنَاقِبِ
مَنَاقِبِ الدُّنْيَا فِي مَنَاقِبِ

تواليفه: له تقييد حسن في الفرائض، وجزء في تفضيل الثين على الثمر، وكلام على نوازل الفقه.

وفاته: وتوفي في الكائنة العظمى بطريف^(١).

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المَدْحِجِي

من أهل ملتاس^(٢)، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من شِراة بلده وأعيانهم، أستاذًا مُتَفَنَّنًا مُفَرِّغًا لكتاب الله، كاتبًا بليغًا، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها وأثمانها، حتى صار له من أغلاقها وذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، وقيد كثيرًا من كتب العلم. وكان مُفَرِّغًا مجودًا، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالعربية، ثقةً ضابطًا، مبرزًا في العدالة، حريصًا على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغرباء أكثر.

(١) موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصرى، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٢) نرجع أنها ملتاس Montemas، من قرى بَلَش، كما سيأتي بعد قليل.

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشيخان الرُّخْلَتَان؛ أبو عبد الله بن الكُمَاد، وأبو جعفر بن الزيات، عَظِيمَا بلدِهِ، والخطيب ولي الله أبو عبد الله الطَّنْجَالِي، والقاضي أبو عبد الله بن بكر. وروى عن الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع، وابنه الرَّاوِيَة أبي عامر، والخطيب الصالح أبي إسحاق بن أبي العاصي. وروى عن الشيخ الرَّاوِيَة الرُّخَال أبي عبد الله بن عامر الوادي آشي وغيرهم، ودخل غرناطة.

مولده: ولد ببُلش عام ثمانية وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي ببُلش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائد»: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين، والجزي على سُنن الفقهاء المتقدمين، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة في العدول المبرزين، وجلس للتَّحْلِيْق في المسجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبي القاسم، وخطب بمسجد مالقة الأعظم. ثم أُخِر عن الخطبة لمشاخته وقعت بينه وبين بعض الولاة، أثمرت في إحتيئه. ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة، والتقيد للعلم، والاشتغال به، والعناية بأهله، إلى أن توفي على خير عمل.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، وروى عن جلة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطَّنْجَالِي^(١)، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القَبْثُورِي^(٢) وغيرهم.

مولده: ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة غير ما مرّة مع الوفود من أهل بلده وفي أغراضه الخاصة.

(١) هو القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى قبور، وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض الممطر (ص ٤٥٤).

محمد بن أحمد الرقوتي^(١) المُرسي

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طرُفًا في المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق والهندسة والعَدَد والموسيقا والطب، فيلسوفًا، طبيبًا ماهرًا، آية الله في المعرفة بالألسن، يُقرىء الأمم بالسِنتهم فنونهم التي يرغبون في تعلمها، شديد البأو، مترفعًا، متعاطيًا. عَرَف طاعية الروم حقّه، لما تَغَلَّب على مرسية، فبنى له مدرسة يُقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظمًا عنده. ومما يحكى من مُلحه معه، أنه قال له يومًا، وقد أدنى مَنزِلته، وأشاد بفضله: لو تنصّرت وحصّلت الكمال، كان عندي لك كذا وكذا، وكُنت كذا، فأجابه بما أُنثمه. ولما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أعبدُ واحدًا، وقد عجزتُ عما يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني. وطلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر^(٢)، واستقدمه، وتَلَمَّذ له، وأسكنه في أعدل البُقع من حضرته. وكان الطلبة يَغشون منزله المعروف له، وهو بيدي الآن، فتعلّم عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يُجَارَى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطلعًا بالجدل، وكان السلطان يجمع بينه وبين مُتتابي حضرته، ممن يُقدم مُتّحلاً صناعة أو علمًا، فيظهر عليهم، لتمكّنه ودألته، حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأُبدي، وأبي القاسم بن خَلصون، إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم التّوَدّة، مُعار البَغلة، رائق البِزّة، رفيق المشي، إلى أن توفي بها، سمح الله له.

محمد بن إبراهيم بن المُفرّج الأوسي

المعروف بابن الدبّاغ الإشيلي.

حاله: كان فواحد عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عَقْد الوثائق، ومعرفة عِلَلها، عارفًا بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيّب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التّواضع، صبورًا على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقرائه. أقرأ بجامعة غرناطة لأكابر عُلَمائها الفقه وأصوله، وأقرأ به الفُروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامعة باب الفَخّارين، وبمسجد ابن عزرة وغيره.

(١) نسبة إلى رقطة Ricate، وهي من قرى مرسية.

(٢) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ. اللمحة البدوية (ص ٥٠).

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج الثجبي القرطبي، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض.

وفاته: توفي برؤدة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

من أهل مُرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الرُقَام، الشيخ الأستاذ المتقن.

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، علماً بالحساب والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطلاً، متبحراً لا يُشَقُّ غبارة، أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وسئل من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودون في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

توالياه: وتوالياه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشفا»، والزيج القويم الغريب المرصد، المبنية رسائله على جداول ابن إسحاق، وعدل مناخ الأهلة، وعليه كان العمل، وقيد أبكار الأفكار في الأصول، ولخص المباحث، وكتاب الحيوان والخواص. ومقالاته كثيرة جداً، ودواوينه عديدة.

وفاته: توفي عن سن عالية بغرناطة في الحادي والعشرين لصفر من عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصاري^(١)

ونسبه^(٢) أبو محمد القرطبي أمويًا من صريحيهم، بَلَنَسِي الأصل، يكنى أبا عبد الله.

(١) ترجمة ابن مأمون في بغية الملتص (ص ٦٥) والتكملة (ج ٢ ص ٦٢) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).

حاله: كان صَدْرًا في مُتَقِنِي القرآن العظيم، وأئمة تجويده، مبرِّزًا في النحو، إمامًا معتمدًا عليه، بارع الأدب، وافر الحظ من البلاغة، والتَّصَرُّف البديع في الكتابة، طيِّب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حَسَن السَّمْت، كثير البشر، وقورًا، دينًا، عارفًا، ورعًا، وافر الحظ من رواية الحديث.

مشيخته: روى^(١) عن أبي إسحاق بن صالح، وأبي بكر بن أبي ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفال، وأبي الحسن شريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هذيل، وتلا عليه بالسُّنْع، وأبو^(٢) عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي، وابن فرح^(٣) القيسي، وأبي القاسم خلف بن قُزْتُون، ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له أبو بكر عبد العزيز بن سُدير^(٤)، وابن العَرَفِي^(٥)، وابن قُندلة^(٦)، فأبو الحسن طارق بن موسى، وابن مُوهب، ويونس بن مُغيث، وأبو جعفر^(٧) بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان^(٨)، وأبو عبد الله الجيّاني، المعروف بالبغدادي. وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له رواية عن أبي الحسن^(٩) بن الطراوة.

مَنْ روى عنه: روى^(١٠) عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدي^(١١)، وابن قترال^(١٢)، وأبو جعفر الجيّار، والذهبي، وابن عميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون^(١٣)، وابن عبد الرزاق^(١٤)، وأبو الحسن^(١٥) عبيد الله بن عاصم الدَّارِي^(١٦)، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري^(١٧)، وأبو سليمان بن حَوْط الله، وأبو عبد الله الأندَرَشِي، وابن الحسين بن محبر^(١٨)، وابن إبراهيم الريسي^(١٩)، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العَرَفِي، وأبو عثمان سعد الحفَّار، وأبو علي عمر بن جميع^(٢٠)، وأبو عمران بن إسحاق^(٢١)، وأبو

-
- | | |
|---|--|
| (١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩). | (٢) في الذيل والتكملة: «وأبوي». |
| (٣) في الذيل والتكملة: «وابن فرح». | (٤) في الذيل والتكملة: «مدير». |
| (٥) في الذيل والتكملة: «وابن العربي». | (٦) في الذيل والتكملة: «قندلة». |
| (٧) في الذيل والتكملة: «أبو حفص بن أيوب». | (٨) في الذيل والتكملة: «غشيان». |
| (٩) في الذيل والتكملة: «الحسين». | (١٠) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٩). |
| (١١) في الذيل والتكملة: «اللازدي». | (١٢) في الذيل والتكملة: «وابن قترال». |
| (١٣) في المصدر نفسه: «عزمون». | (١٤) في المصدر نفسه: «وابن عبيد الله الذوق». |
| (١٥) في المصدر نفسه: «أبو الحسين». | (١٦) في المصدر نفسه: «الدائري». |
| (١٧) في المصدر نفسه: «الجعدي». | (١٨) في المصدر نفسه: «محبر التجيبي». |
| (١٩) في المصدر نفسه: «الوشقي». | (٢٠) في المصدر نفسه: «صمغ». |
| (٢١) في المصدر نفسه: «السخان». | |

القاسم الطيب بن هرقل^(١)، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملاحى^(٢)، وأبو محمد بن دلف^(٣) بن اليسر، وأبو الوليد بن الحجاج^(٤).

توابعه: له شرح على «إيضاح الفارسي»، وآخر على «جمل الزجاجة».

مولده: بيلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفي بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى^(٥) سنة ست وثمانين وخمسمائة.

محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي^(٦)

من أهل سَرْقُسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كَانَ^(٧) مُفَرِّغًا مَجُودًا، مُحَقِّقًا بعلم الكلام وأصول الفقه، مُحَصِّلًا لهما، مُتَقَدِّمًا في النحو، حَافِظًا لِللُّغَةِ، حَاضِرَ الذِّكْرِ لِأَقْوَالِ تِلْكَ الْعُلُومِ، جَيِّدَ النِّظَرِ، مُتَوَقِّدَ الذَّهْنِ، ذَكِيَّ الْقَلْبِ، فَصِيحَ اللِّسَانِ^(٨). وَلِي أَحْكَامَ فَاسَ، وَأَفْتَى فِيهَا، وَدَرَسَ بِهَا الْعَرَبِيَّةَ: كِتَابَ سَبْوَهِهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

مُشِيخَتُهُ: رَوَى^(٩) عَنْ أَبِي الْأَضْبَعِ بْنِ سَهْلٍ، وَأَبُو^(١٠) الْحَسَنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَابْنِ سَابِقٍ، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ جِرَّاحٍ، وَأَبِي طَالِبِ السَّرْقُسْطِيِّ، الْأَدِيبِينَ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرٍ، وَابْنِ يَحْيَى بْنِ هِشَامِ الْمُحَدِّثِ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الدَّلَائِيِّ، وَأَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيِّ، وَأَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ^(١١) الْقَيْنِرَوَانِيَّ، وَأَبِي مُحَمَّدَ بْنِ قُورَشٍ^(١٢)، وَأَبِي مَرْوَانَ بْنَ سَرَّاجٍ. وَأَجَازَ لَهُ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) في الذيل والتكملة: «هرقل».

(٢) في المصدر نفسه: «أبو محمد بن محمد بن خلف...».

(٣) في المصدر نفسه: «ابن الحاج».

(٤) في بقية الوعاة (ص ٢٨): «جمادى الآخرة في السنة السابعة بعد الثمانين والخمسمائة».

(٥) ترجمة ابن باق في التكملة (ج ١ ص ٣٦٠) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧) وبقية الوعاة (ص ٣٨).

(٦) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧).

(٨) في الذيل والتكملة: «وأبو بكر: ابن الحسين الحضرمي...».

(٩) في المصدر نفسه: «مروان التجيبي البلوطي الزاهد».

(١٠) في المصدر نفسه: «قورش».

مَنْ رَوَى عَنْهُ: رَوَى^(١) عَنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ قَرْقُولَ، وَأَبُو الْحَسَنِ صَالِحُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ السَّبْتِيِّ، وَأَبُو^(٢) الْحَسَنِ الْأُبْدِيِّ، وَتُوفِيَ قَبْلَهُ، وَابْنُ خَلْفٍ بْنُ الْأَيْسَرِ^(٣)، وَالثَّمِيرِيُّ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الصَّقَرِ، وَأَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ الْجَزَّارِ^(٤)، وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ هَارُونَ الْأَزْدِيُّ، وَأَبُو^(٥) مُحَمَّدٍ: عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ بُونَه، وَقَاسِمُ بْنُ دَحْمَانَ، وَأَبُو مَرْوَانَ بْنِ الصَّقِيلِ الْوُقَشِيِّ^(٦).

تَوَالِيْفُهُ: شَرْحُ^(٧) «إِيضَاحِ الْفَارْسِيِّ»، وَكَانَ قِيَمًا عَلَى كِتَابِهِ، وَصُنِّفَ فِي الْجَدَلِ مُصَنِّفَيْنِ، كَبِيرًا وَصَغِيرًا. وَلَهُ عَقِيدَةٌ جَيِّدَةٌ.

وَفَاتَهُ: تُوفِيَ بِفَاسَ، وَقِيلَ بِتَلَمْسَانَ^(٨)، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ.

مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ ابْنُ يُوسُفَ بْنِ خَلْفٍ الْأَنْصَارِيِّ^(٩)

مِنْ أَهْلِ مَالَقَةٍ، يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ الْحَاجِّ، وَبَابِنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ. حَالُهُ: كَانَ مُفَرِّغًا صَدْرًا فِي أَثْمَةِ التَّجْوِيدِ، مُحَدِّثًا مُثَقَّنًا ضَابِطًا، نَبِيلَ الْخَطِّ وَالتَّقْيِيدِ، دَيِّتًا، فَاضِلًا. وَصُنِّفَ فِي الْحَدِيثِ، وَخُطِبَ بِجَامِعِ بَلَدِهِ. وَأُمٌّ فِي الْفَرِيضَةِ زَمَانًا، وَاسْتَمَرَّتْ حَالُهُ كَذَلِكَ، مِنْ نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ إِلَى أَنْ كَرَّمَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ فِي وَقِيعَةِ الْعِقَابِ^(١٠).

دَخُولُهُ غِرْنَاطَةَ، رَاوِيًا عَنْ ابْنِ الْفَرَسِ، وَابْنِ عَرُوسَ، وَغَيْرِهِمَا.

مَشِيخَتُهُ: رَوَى بِالْأَنْدَلُسِ عَنْ الْحِجَّاجِ ابْنِ الشَّيْخِ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ كُوْثَرٍ، وَأَبِي خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ رَفَاعَةَ، وَأَكْثَرَ عَنْهُ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوسَ، وَابْنَ الْفَخَّارِ، وَأَبِي

(١) قَارَنَ بِالذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ (ج ٦ ص ١٧٨). (٢) فِي الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ: «وَابْنُ الْحَسَنِ».

(٣) فِي الْمَصْدَرِ نَفْسُهُ: «بْنُ الْإِلْبِيرِيِّ». (٤) فِي الْمَصْدَرِ نَفْسُهُ: «الْخَزَّاز».

(٥) فِي الْأَصْلِ: «وَأَبُو» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ.

(٦) فِي الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ: «الْوَشَقِيُّ». (٧) قَارَنَ بِالذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ (ج ٦ ص ١٧٨).

(٨) فِي الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ: «وَقِيلَ تَلَمْسِينَ»، وَهُوَ أَصَحُّ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ. وَكَذَا جَاءَ فِي بَغْيَةِ الرَّوَاةِ (ص ٢٩).

(٩) تَرْجَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الْأَنْصَارِيِّ فِي تَارِيخِ قَضَاةِ الْأَنْدَلُسِ (ص ١٤٨).

(١٠) كَانَتْ وَقْعَةُ الْعِقَابِ فِي مِثْقَلِ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ ٦١٩ هـ، بَيْنَ النَّاصِرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ الْمُوَحِّدِيِّ وَجِيُوشِ قَشْتَالَةَ بِقِيَادَةِ الْفُونَسُو الثَّامِنِ، وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ الْأَنْدَلُسِ. الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُوَحِّدِينَ (ص ٢٦٣) وَتَارِيخُ قَضَاةِ الْأَنْدَلُسِ (ص ١٤٩).

محمد بن حَوْط الله، وعبد الحق بن بونّه، وعبد الصُّمد بن يَعِيش، وعبد المنعم بن الفَرَس، وأجازوا له. وتلا القرآن على أبي عبد الله الإِسْتَجِي. وروى الحديث عن أبي جعفر الحَضَار. وحجّ في نحو سنة ثمانين وخمسمائة، وأخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطَّاهر الخشوعي وغيره.

وفاته: توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة وستمائة.

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قِوال، من أهل مالقة.

حاله: طالبٌ عفيف مجتهد خَيْر. قرأ بفَرناطة، وقام على فنّ العربية قياماً بالغاً، وشارك في غيره، واثَّسَخ الكثير من الدَّواوين بخطِّ بالغ أقصى مبالغ الإِجادة والحُسْن، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية، واقتدى بصِهره الصَّالح أبي عبد الله القُطَّان، فكان من أهل الصَّلاح والفضل. وتوفي في محرم عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد

ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد

ابن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسْطُبونة^(١)، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي.

حاله: كان، رحمه الله، إماماً في العربية والعروض والقوافي، موصوفاً بذلك، مَثْبُوباً إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، ولا يفارقه بِيَاض يومه، شديد التعصُّب له، مع خِفَّةٍ وطيشٍ يحمله على التَوَغُّل في ذلك. حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله، قال: وقف أبو بكر القللوسي يوماً على القاضي أبي عمرو بن الرُّندون، وكان شديد الوقار، مَهِيَّاً، وتكلم في مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضي أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسي قلقاً كاد يلبط به الأرض، ولم يقدر على جوابه بما يَشْفِي به صدره لِمكان رُتْبته. قال: فكان يدور بالمسجد، والدموع تنحدر على وجهه، وهو يقول: أخطأ من خطّاه، يكرّرها، والقاضي أبو عمرو يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان، مع ذلك، مشاركاً في فنون، من

(١) إسْطُبونة: بالإسبانية: Estepona، وهو بلد يقع على البحر المتوسط إلى الشمال من جبل طارق.

فقه وقراءات وفرائض، من أعلام الحُفَاط للغة، حُجَّة في العَرُوض والقوافي، يُخَطِّط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بدبعة. ووُلِّيَ الخطابة ببلده مدة، وقعد للتدريس به، وأثَّال عليه الناس وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيد، وكان بقطره عِلْمًا من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

توالياقه: نظم رَجَزًا شهيرًا في الفرائض عِلْمًا وَعَمَلًا، ونظم في العَرُوض والقوافي، وألَّف كتاب «الدُّرَّة المكنونة في محاسن إسطنبول»، وألَّف تاليفًا حسَنًا في تَرْجِيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات، ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دُرَيْد، وأرجوزة في شرح كتاب «الفصيح». ورفع للوزير ابن الحكيم كتابًا في الخواص وصنعة الأمدَّة والتطعيم الشاب، غريبًا في معناه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع، ولازمه، وأخذ عنه، وعن أبي القاسم بن الحضار الضرير السُّبُتِي، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر بغرناطة، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

عَلَاة رِيَاضٍ أَوْرَقَتْ بِمَحَامِدِ	تُتَوَّرُ بِالْجَذْوَى وَتُثْمَرُ بِالْأَمَلِ
تَسْبُحُ عَلَيْهَا مِنْ نَدَاهِ غَمَامَةٌ	تُرَوِّي ثَرَى الْمَعْرُوفِ بِالْعَلِّ وَالتَّيْلِ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ نَفْسًا وَرِفْعَةً	فَيَغْرُبُ بِالْجَذْوَى وَيَتَبَعْدُ بِالْأَمَلِ؟
تَعْمُ أَيْيَادِهِ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا	فَدَانِ وَقَاصِ جُودُ كَفِّهِ قَدْ شَمِلَ

وهي طويلة. ونقلت من خطِّ صاحبنا أبي الحسن الثُّبَاهِي، قال يمدح أبا

عبد الله الرُّنداحي: [الكامل]

أَطْلِعْ بِأَفْقِ الرِّاحِ كَأْسَ الرِّاحِ	وَصِلِ الزُّمَانَ مَسَاءَهُ بِصَبَاحِ
خُذْهَا عَلَى رَغَمِ الْعَذُولِ مُدَامَةً	تُثْفِي الهموم وَتَأْتِي بِالْأَفْرَاحِ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِستُ بُرُودَ أَزَاهِرِ	وَتَمَنُّطَقَتْ مِنْ نَهْرِهَا بِوِشَاحِ
وَالْجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدَمْعِ غَمَامَةٍ	ضَجَّكَ الرَّبِيعُ لَهُ بِشَفْرِ أَقْاحِ
وَالرَّوْضُ مَرْقُومٌ بِوِشْيِ أَزَاهِرِ	وَالطَّيْرُ يَفْضَحُ أَيُّمَا إِفْصَاحِ
وَالْعُصْنُ مِنْ طَرَبٍ يَمِيلُ كَأَنَّمَا	سَقِيَتْ بِكَفِّ الرِّيحِ كَأَنَّ الرِّاحِ
وَالْوَرْدُ مُنْتَظِمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ	يَبْدُو فَتَحَسُّبُهُ خُدُودَ مِلاَحِ
وَكَأَنَّ عَرَفَ الرِّيحِ مِنْ زَهْرِ الرُّبَى	عَرَفَ امْتِدَاحِ الْقَائِدِ الرُّندَاحِ

وفاته: ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعمئة.

محمد بن محمد بن محارب الصريحى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن أبي الجيش.

حاله وأوليته: أصل سلفه من حصن يُسر من عمل مُزسية، من بيت حَسَبٍ وأصالة، ولخؤولته بالجهة التاكرونية ثورة.

وقلت فيه في «عائد الصلة»: كان من صدور المُقرئين، وأعلام المُتصدِّرين تفتُّنا واضطلاعاً وإدراكاً ونظراً، إماماً في الفرائض والحساب، قائماً على العربية، مُشاركاً في الفقه والأصول وكثير من العلوم العقلية.

قعد للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الرِّبض.

مُشيخته: قرأ على الأستاذ القاضي المُتَمَنِّن أبي عبد الله بن بكر، ولازمه. ثم ساء ما بينهما في مسألة وقَّعت بمالقة، وهي تجويز الخُلف في وَعْد الله، شُئ فيها على شيخنا المذكور. ونسب إلى أن قال: وعد الله ليس بلازم الصَّدق، بل يجوز فيه الخُلف، إذ الأشياء في حقه متساوية. وكتب في ذلك أسئلة للعلماء بالمغرب، فقاطعه وهَجَره. ولَمَّا وَلَّى القاضي أبو عبد الله بن بكر القضاء، خافه، فوجَّه عنه إثر ولايته، فلم يشك في الشرِّ، فلما دخل عليه، رَحَّب به، وأظهر له القَبول عليه، والعفو عنه، واستأنف مودَّته، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي، رحمه الله.

ورحل المذكور إلى سَبْتَة، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ومَن عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرات، متعلِّماً، وطالب حاج. ودُعي إلى الإقراء بمدرستها النُصرية^(١)، عام تسعة وأربعين وسبعمائة، فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قُبِل فيه عُذره. وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، في غاية النبل والاستيفاء والخُضر والتَّوجيه، عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته: توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة، بعد أن تصدَّق بمال كثير، وعهد بربيع مُجدد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه.

(١) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفاً إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

محمد بن محمد بن لب الكِنَاني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن لب.

حاله: كان ذاكرًا للعلوم القديمة، مُعْتَنِيًا بها، عاكفًا عليها، مُتَقَدِّمًا في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد في معرفتها، من الرياضيات والطبيعات واللاهيات، ذاكرًا لمذاهب القدماء، ومآخذهم في ذلك، حافظًا جدًا، ذاكرًا لمذاهب المُتَكَلِّمين من الأشعرية وغيرهم، إلا أنه يؤثر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم، وكان نفوذه في فهمه دون نفوذه في حفظه، فكان مُعْتَمِدًا على حفظه في إيرادِه ومناظرته، وكان ذاكرًا مع ذلك لأصول الفقه وفروعه، عَجَبًا في ذلك؛ إذا وَرَدَتْ مسألة، أَوْرَدَ ما للناس فيها من المذاهب. وعزم عليه آخر عمره، فقعد بجامع مالقة، يتكلم على الموطأ، وما كان من قبل تهيأ لذلك، إلا أنه سَتَرَ عليه حفظه، وتعظيم أهل بلده له. قال ابن الزبير: وكانت فيه لُؤْفَةٌ، واخْشِيشَان، وكان له أرب في التَّطَوُّاف، وخصوصًا بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقفة في الدين، فيظهر عليهم، وكانت أموره غريبة، من امتزاج اليَقْظَةِ بالعَفْلَةِ، وَخَلْطِ السَّدَاجَةِ بالدُعَابَةِ. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السوق، فلما هم بجمعها، ذهب ليمهد للتين بالورق في الوعاء، فمنعه من ذلك، وقال له: إنما اشتريت التين، ولم تُدخل الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله، وجَلَبَ ورقًا من غيرها، حتى انقضى الأمر، وعزم على معاملته في السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلما فرغ من الغلة، دعاه فقال له: احمل ورقك، فإنه يؤذني، فأصابه من المشقة في جمعه من أطراف الغصون ما لم يكن يَحْسُبُ، ولم تأت السنة الثالثة، إلا والرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه وَرَفَّقَ به.

دخل غرناطة وغيرها، وأخبره عجيبة. قال أبو جعفر بن الزبير: عَرَضَ لي بمالقة مسائل، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية، والمآخذ الأدبية؛ وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، وفي آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، وكان فيه تَخَلُّقٌ، وحسن ملاقاته، مع خَفَّتْه الطبيعية وتَشَتَّتْ منازعه، فأجاب، وأخذت معه في ذلك، فَالْفَيْتُهُ صائِمًا عن ذلك جملة.

وَصَمَّتْهُ: قال: وكان القاضي الجليل أبو القاسم بن ربيع وأخوه أبو الحسن ينافران على الإطلاق، ويحذران منه، وهو كان الظاهر من حاله. قال: واستدعاني في مرض اشتدَّ به، قبل خروجي من مالقة على انفراد، فتنصَّلَ لي مما كان يُدْنُّ^(١) به، وأكثر البكاء، حتى رثيت له.

(١) يُدْنُّ به: يُتَّهَمُ به؛ يقال: دُنُّ في مشيته: مشى مشية ضعيفة، ودُنُّ الشيء: سال، وجاء هنا =

وفاته: توفي بمالقة، ووصى قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات وأشباهها، وحسّ داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.

محمد بن محمد البدوي^(١)

الخطيب بالرّبض من بَلَش^(٢)، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائده»^(٣): كان، رحمه الله، حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قَدَم في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعراً مُجيداً، بصيراً، بليغاً في خطبته، حسن الوعظ، سريع الدّمة. حجّ ولقي جِلَّة. وأقرأ ببَلَش زماناً، وانتفع به، ولقي شدايد أصلها الحسد.

مشيخته: قرأ العِلْم على الشّيخين المُقرئين، الحُجّتين، أبي جعفر بن الرّيات، وأبي عبد الله بن الكمّاد، وقرأ العربية والأصْلين على الأستاذ أبي عمرو بن منظور، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله في غرض النسيب^(٤): [السريع]

خالّ على خذّك ^(٥) أم غنبر؟	ولؤلؤ تغرّك أم جوهّر؟
أوزيت نار الوجد طي الحشا	فصارت النار به ^(٦) تسعر
لو جذت لي منك برشف اللمأ	لقلّت: خمر عسل ^(٧) سكر
دغني في الحب أدب حشرة	سفك دم العاشق لا ينكر

= بمعنى: يتهم به. لسان العرب (ذن).

(١) ترجمة محمد البدوي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥).

(٢) هي بَلَش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: «بَلَش؛ بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة، بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البَلشي...». معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(٣) هو كتاب «عائده الصلة» لابن الخطيب. وقد كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا لكتاب «صلة الصلة» لابن الزبير، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥ - ٥٦). (٥) في الكتيبة: «خذيك».

(٦) في الكتيبة: «بها».

(٧) حركها المحقق بالكسر «عسل» ظنا منه أنها مضاف إلى كلمة «خمر».

وقال^(١): [البسيط]

عَيْنَايَ تَفْهَمُ مِنْ عَيْنَيْكَ أَسْرَارَا
مَلَكْتَ قَلْبَ مُجِبِّ فَيْكَ مُكْتَسِبَا
رُضَابُ ثَغْرِكَ يُزَوِّي حَرَّ غُلَّتِهِ
أَلْجَمَ بَطْنِي خِيَالٍ مِنْكَ أَلْمَحَا
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ظَنِّي بِهِ كَلَفَ^(٢)
وَوَزْدُ خَدِّكَ يُذَكِّي فِي الْحَشَا نَارَا
قَدْ أَثَّرَ الدَّمْعُ فِي خَدَّيْهِ آثَارَا
يَا لَيْتَ نَفْسِي تَقْضِي مِنْهُ أَوْطَارَا^(٣)
مَاذَا عَلَيْكَ بَطْنِي^(٤) مِنْكَ لَوْ زَارَا
يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ مُضْطَرًّا وَمُخْتَارَا

وقال^(٥): [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الظُّبَيِّ تَرَفُّقْ
أَلِذْنِي تَتَجَبَّحْ
إِنَّ رُوحِي لَكَ مِلْكٌ^(٦)
إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالٌ
بَكْشِي قَدْ هَلَكَ
أَمْ لَشَيْءٍ^(٧) يُوصِلُكَ؟
وَكَيْذَا قَلْبِي لَكَ
قَلِّكَ الْقَلْبُ قَلِّكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: «يا سيدي، أبقاك الله بهجةً للأعيان الفضلاء، وخجةً لأعلام العلأ، ولا زلت تسير فوق الشسر، وتجري في الفضائل على كرم الشجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدر السج، أو يضارع العمش الدعج. بيد أن لنظم الدر صناع^(٨)، والحديث قد يذاع، ولا يضاع، وحين اعتذرت له فلم يعذرنني، وانتظرت فلم ينظرنني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يبلغني ربيقي، وقئت الغرض، وقضيت من إجابته الحق المفترض، ورددت عن تغذاله النصيح، وأثبت هنا ما معناه صحيح، ولفظه غير فصيح: [السريع]

بريت من حولي ومن قوتي
وثقت بالخالق فهو الذي
بحول من لا حول إلا له
يدبر العبد وأفعاله

(١) الأبيات في الكتبية (ص ٥٦).

(٢) في الكتبية: «الطيب».

(٣) الأبيات في الكتبية (ص ٥٦).

(٤) في الكتبية: «الشيء».

(٥) رواية صدر البيت في الكتبية هي: «إنما روعي ملك».

(٦) الأوجب أن يقول: «صناعاً» لأنها اسم أن منصوب.

وقلت بالحرم عند المُلتزم من المنظوم في مثل ذلك: [المتقارب]

أمولاي بالباب ذو فاقة وهذا يحط خطايا الأئم
فجذ لي بعفوك عن زلتي يجود الكريم بقدر الكرم

ومما أعدده للوفادة على خير من عُقدت عليه ألوية السيادة: [الكامل]

حَمَدْتُ إِيْلِكَ مع الصباح سُراها وأثثكَ تَطْلُبُ من نَدَاكَ قِراها
وَسَرْتُ إِيْلِكَ مع التَّسِيمِ يَمِينُهَا شوقًا يسابق في السُرى يُسراها

ولولا العَجْرُ لوصلتُ، والعدر لأطلتُ، لكن تَنِيْتُ عِنَانِي لثَنَائِكَ، لِحُسْنِ

اعتنائِكَ، وقلت معتذرًا من الصُّورة لمجدكم، وتالياً سورة حمدكم: [البسيط]

المَجْدُ يخبرُ عن صِدْقِ مآثره وناظمُ المَجْدِ في العَلْيَاءِ نائِرُهُ
وَالْجُودُ إِنْ جَدَّ جَدُّ الْمَرْءِ يُنْجِدُهُ وَقَلَمًا ثَمَّ فِي الْإِيَامِ ذَاكِرُهُ
مَنْ نَالَ مَا نِلْتَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ؟ فَلَيْسَ فِي النَّاسِ مِنْ^(١) شَخْصٍ يَنْظُرُهُ
يَا سَيِّدَا طَابَ فِي الْعَلْيَاءِ مَحْتِدُهُ دُمُ^(٢) مَاجِدًا رَسَخَتْ فِيهِ أَوَاصِرُهُ
سَرِنْتَ فِي الْفَضْلِ مُسْتَنًا عَلَى سَنَنِ الْإِلَهِ فَضْلِي^(٣) مَارِيَهُ حَقًّا وَسَامِرُهُ
وَرِثْتَهُ عَنْ كَبِيرِ أَوْحِدٍ عِلْمٍ كَذَاكَ يَحْمِلُهُ أَيْضًا أَكْبَارُهُ
مُبَارَكُ الْوَجْهِ وَضَاحُ الْجَبِينِ لَهُ نَوْرٌ يُنِيرُ أَغْرُ الثُّورِ بَاهِرُهُ
مُؤَوَّقٌ بِكَفِيلٍ مِنْ عَنَائِيهِ مُرْقِعُ الْعُدْرِ سَامِي الذِّكْرِ طَاهِرُهُ
رَغِيَتْ فِي الْفَضْلِ حَقُّ الْفَضْلِ مَجْتَهِدًا مَفْهُومُ مَجْدِكَ هَذَا الْحَكَمُ ظَاهِرُهُ
عَلَوْتُ كَالشَّمْسِ إِشْرَاقًا وَمَنْزَلَةً فَأَنْتَ كَالغَيْثِ يُخَيِّي الْأَرْضَ مَاطِرُهُ
يَنْتُمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مَشْتَهَرًا كَمَا يَنْتُمُ بِزَهْرِ الرُّوضِ عَاطِرُهُ
دُمُ وَابَقَ لِلْمَجْدِ كَهْفًا وَالْعَلَا وَزَّرَا^(٤) فَإِنَّمَا الْمَجْدُ شَخْصٌ أَنْتَ نَاطِرُهُ
مَوْمَلًا مِنْكَ خَيْرًا أَنْتَ صَانِعُهُ وَصَانِعُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ شَاكِرُهُ
وَمَا وَلَيْتَ وَمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ لِلنَّاسِ^(٥) وَالْعَالَمِ الْعُلُوِي ذَاكِرُهُ
بَقِيَتْ تُكْسِبُ مِنَ الْإِلَهِ مَكْرَمَةً وَنَاصِرًا أَبَدًا مِنْ قَلِّ نَاصِرُهُ

(١) كلمة «من» ساقطة في الأصل.

(٢) كلمة «دُم» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «في الفضل»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) الزَّرَّاءُ بالفتح: الجيل المنيع أو الملجأ والمعتمد. لسان العرب (وزر).

(٥) في الأصل: «للناس»، وكذا ينكسر الوزن.

عذراً لك الفضل عما جنت من خطي
ثم السلام على عليّك من رجل
دخوله غُرناظة: دخلها غير ما مرّة، ولقيته بها لتقضي بعض أغراض بباب
السلطان، مما يليق بمثله.

مولده: ... (٢).

وفاته: توفي ببلش في أخريات عام خمسين وسبعمئة.

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد
ابن عبد الله العبدري

قرطبي، استوطن مدينة مراكش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالماً بالقرآيات، ذاكراً للتفسير، حافظاً للفقهِ واللغات والأدب،
شاعراً مُحسناً، كاتباً بليغاً، مبرزاً في النحو، جميل العشرة، حسن الخلق، متواضعاً،
فكّه المحاضرة، مليح المُداعبة. وصنّف في غير ما فنّ من العِلْم، وكلامه كثير
مدوّن، نظماً ونثراً.

مشيخته: روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح،
وعبد الرحمن بن بقي، وابن الباذش، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله بن الحاج،
وأبي محمد بن عثاب، وأبي الوليد بن زُشد، ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع،
وأجازوا له، وسمع أبا بَخر الأسدي، وأبوي بكر عيَّاش بن عبد الملك، وابن أبي
ركب، وأبا جعفر بن شانجة^(٣)، وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف
الأيّسري، وابن المُناصف، وابن أخت غانم، ولم يَذكر أنهم أجازوا له، وروى أيضاً
عن أبوي عبد الله مكّي، وابن المعمر، وأبي الوليد بن طَريف.

مَن روى عنه: روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو الحسن بن مؤمن،
وأبو زكريا المرجيعي، وأبو يحيى أبو بكر الضرير واختصّ به.

(١) كلمة «أبداً» ساقطة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، كذلك لم يشر ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة إلى سنة ولادته.

(٣) في الأصل: «شانجة» بالسين غير المعجمة، ويبدو أن جعفر بن شانجة هذا من المولدين، وهم أولاد الإشبان النصاري الذين أسلموا.

توالياً: من مُصَنَّفاته «مَشَايِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَآخِذِ النَّظَارِ» وَشَرْحَاهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ عَلَى «جُمْلِ الزَّجَاجِي»، وَشَرْحُ أَبْيَاتِ الْإِيضَاحِ الْعُضْدِيِّ، وَ«مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ»، وَشَرْحُ مُعْشَرَاتِهِ الْقَزَلِيَّةِ، وَمُكْتَفَرَاتِهِ الزَّهْدِيَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُمَا مِمَّا أَبَانَ عَنْ وَفُورِ عِلْمِهِ، وَغَزَاةِ مَادَّتِهِ، وَاتِّسَاعِ مَعَارِفِهِ، وَحَسَنِ تَصَرُّفِهِ.

دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذش ومثله.

محدثه: كان يحضر مجلس عبد المؤمن^(١) مع أكابر مَنْ يحضره من العلماء، فيُشَفُّ عَلَى أَكْثَرِهِمْ بِمَا كَانَ لَدَيْهِ مِنَ التَّحْقِيقِ بِالْمَعَارِفِ، إِلَى أَنْ أَنْشَدَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَبْيَاتًا كَانَ نَظَّمَهَا فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَشْتٍ، وَهِيَ: [المقارب]

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَى جِنَّةٌ^(٢) وَهَا أَنَا مِنْ مَسْئَهَا لَمْ أَفُتْ
تَقَحُّمْتُ جَامِخَ نَارِ الضُّلُوعِ كَمَا خُضْتُ بِحَرِّ دُمُوعِ الْحَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ، أَكُنْتُ الْكَلِيمَ؟ أَمِئْتُ الْحَرِيقَ، أَمِئْتُ الْغَرَقَ

فَهَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، وَمَنَعَهُ مِنَ الْحَضُورِ بِمَجْلِسِهِ، وَصَرَفَ بَنِيهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ، وَسَرَى ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَافِ.

شعره: قال في أبي القاسم المذكور: وَكَانَ أَزْرَقُ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّاطِبِيِّ، وَأَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ قَوْسَرَةَ، فَقَالَ ابْنُ قَوْسَرَةَ: [الكامل]

عَابُوهُ بِالزَّرْقِ الَّذِي يَنْجُفُونَهُ وَالْمَاءُ أَزْرَقُ وَالْعَيُونُ^(٣) كَذَلْكَ
فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّاطِبِيُّ: [الكامل]
الْمَاءُ يُنْهَدِي لِلنَّفُوسِ حَيَاتَهَا وَالرُّمُحُ يُشْرِعُ لِلْمَمْنُونِ مَسَالِكَا

(١) هو عبد المؤمن بن علي الموحدي، حكم المغرب والأندلس سنة ٥٢٤ هـ، وفي سنة ٥٤١ هـ ضُمَّ الْأَنْدَلُسُ إِلَى الْمَغْرِبِ. وتوفي سنة ٥٥٨ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٧٩) والمعجب (ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٩٢) والحلل الموشية (ص ١٠٧).

(٢) الجِنة، بكسر الجيم: الجنون. لسان العرب (جنن).

(٣) في الأصل: «والعينان»، وكذا يتكسر الوزن.

فقال أبو بكر بن ميمون المُتَرْجِمُ به : [الكامل]

وكذاك^(١) في أجفانه سَبَبُ الرَّدَى لكن^(٢) أرى طيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله في زمن الصُّبا، عفا الله عنه : [الكامل]

لا تكثرُ بفراق أوطان الصبا فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا

والدُرُّ يُنظَّم عند فُقد بحاره بجميل أجيادِ الحِسان عقودا

ومن مشهور شعره : [الطويل]

توسَّلتُ يا ربي بأنِّي مؤمن وما قلتُ أني سامعٌ ومُطِيعٌ

أيضلى بِحَرِّ النارِ عاصٍ مُوحَّدٌ وأنتَ كريمٌ والرسولُ شَفِيعٌ؟

وقال في مرضه : [مخلع البسيط]

أيرتجي العيش من عليهِ دلائلُ للرَّدَى جسيمةٌ؟

أولها مُخبرٌ بثانٍ ذاك أمانٌ وذا مَنِيَّةٌ؟

وفاته : توفي بمراكش يوم الثلاثاء اثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة

سبع وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، وقد قارب السبعين سنة.

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري^(٣)

من أهل وادي آش، يكنى أبا عامر.

حاله : كان^(٤) أحد شيوخ بلده وطلَّبه^(٥)، مشاركًا في فنون، من فقه وأدب

وعربية، وهي أغلبُ الفنون عليه، مطَّرح^(٦) السَّمَت، مُحَشَّوْشِن الزِّي، قليل المبالاة بنفسه، مُختَصِرًا في كافة شؤونهِ، مليحُ الدُّعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته مَعْمُورٌ بالعلماءِ أولي الأصالة والتعُّين. تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع.

(١) في الأصل : «وكذلك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل : «ولكن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو.

(٣) ترجمة ابن عبد العظيم في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩) وبغية الوعاة (ص ٥٨).

(٤) قارن بغية الوعاة (ص ٥٨). (٥) كلمة «وطلبه» ساقطة في بغية الوعاة.

(٦) في بغية الوعاة : «مطرخًا مخشوشًا مليح الدُّعابة...».

مشيخته: قرأ^(١) على الأستاذ القاضي أبي^(٢) خالد بن أرقم، والأستاذ أبي العباس بن عبد الثور. وروى عن أبيه مديح رسول الله ﷺ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وولي الله الحسن بن فضيلة.

ورحل إلى العذوة، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة^(٣)، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث، وأبي عبد الله بن الخضار، وأبي القاسم بن الشاط، وغيرهم.

شعره: وهو من الجزء المسمى بـ «شعر من لا شعر له» والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبته، ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها^(٤):
[الكامل]

أما الوصال فلأنه كالعيدِ عذُرُ المُنِيِّمِ واضعٌ في الغيدِ

وفاته: توفي ببلده عام أربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة راوياً ومتعلماً، وغير ذلك.

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدِّ الفهري

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، وزعيم وقته في الحفظ. لَبَّي^(٥) الأصل، إشبيلي، استدعاه السيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده في جُمْلَةٍ من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «ثورة المردين»^(٦).

حاله: كان في حفظ الفقه بَخْرًا يَعْرِفُ من مُحِيط. يقال: إنه ما طالع شيئاً من الكتب قَسِيَةً، إلى الجلالة والأصالة، ويُعَدُّ الصَّيِّت، واشتهار المَحَلُّ. وكان مع هذا يتكلم عند الملوك، وَيَخْطُبُ بين يديها، ويأتي بعُجَاب، وفي كتاب «الإعلام» شيء من خبره، قال ابن الزبير.

(٢) في البيعة: «ابن خالد أرقم».

(١) قارن ببيعة الوعاة (ص ٥٨).

(٤) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).

(٣) في البيعة: «ابن عبيد».

(٥) نسبة إلى لُبْلَة، Niebla، وهي مدينة قديمة في غرب الأندلس، كان بها ثلاث عيون. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٦) صاحب هذا الكتاب الذي لم يصلنا حتى اليوم هو ابن صاحب الصلاة، صاحب كتاب «المن بالإمامة».

مُشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك، وعن أبي محمد بن عثاب، وسمع عليه بعض الموطّأ، وعن أبي بخر الأسدي، وأبي الوليد بن طريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي، وسمع عليه صحيح البخاري كله، وشرّح بن محمد، وأبي الوليد بن رُشد، وناول كتاب «البيان والتحصيل». وكتاب «المقدمات». لقي هؤلاء كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضًا عن مالك بن وهيب.

مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ: أبو الحسن بن رَزَقُون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، وابنا حوط الله، وغيرهم. وعليه من خُتِمت به المائة السادسة كأبي محمد بن جُمهور، وأبي العبّاس بن خليل، وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي محمد عبد الحق. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: حَدَّثَنِي عَنْهُ ابْنُ خَلِيلٍ وَأَبُو الْقَاسِمِ الْجَيَّانِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ السَّرَّاجِ.

مولده: بلبلة في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وفاته: وتوفي بإشبيلية في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة. ذكره ابن الملقوم، وأبو الربيع بن سالم، وابن فُزْزُون.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن الفخّار الجُدّامي

يكنى أبا بكر، أَرَكُشِي^(١) المولد والمنشأ، مَالَقِي^(٢) الاستيْطَان، شَرِيشِي^(٣) التدرب والقراءة.

حاله: من «عائد الصّلة»: كان، رحمه الله، خَيْرًا صَالِحًا، شديد الانقباض، مُغْرَقًا في باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء والتّصنع. خرج من بلده أَرَكُش عند استيلاء العدو على قصبتها، وكان يَصِفُهَا، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن الكرّماني: [المجتث]

أَكْرِمَ بِأَرَكُشَ دَارًا تَاهَتْ عَلَى الْبَذْرِ قُذْرًا

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن على وادي لكّة. الروض المعطار (ص ٢٨).

(٢) نسبة إلى مدينة مالقة، وقد سبق التعريف بها.

(٣) نسبة إلى شريش Jerez وهي من كور شدونة بالأندلس، كثيرة الكروم والزيتون والتين. الروض المعطار (ص ٣٤٠).

يخاطب المجدُّ عنها لقلب^(١) تُذني شُكراً

واستوطن مدينة شَرِيش، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، وأقرأ بها، ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء، فدرّس بها، ثم عبر البحر إلى سَبْتَة، فقرأ بها وروى. ثم كُرِّ إلى الأندلس، فقصّد غرناطة، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن مالقة، وتصدّر للإقراء بها؛ مفيد التعليم، متقنّه، من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث، عظيمُ الصبر، مستغرقُ الوقت. يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزوال. ثم يُسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرئ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيُفتيهنَّ على حال سؤالاتهنَّ إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعّد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يُقبل من أحد شيئاً. ومن أخذ منه بعد تحكيم الوزع، أثابه بمثله، ما رثي في وقته أروع منه. وكان يتخذ روميّة مملوكّة، لا يشتمل منزله على سواها، فإذا أنس منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب، أعتقها، وأضحّبها إلى أرضها. ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبتها اجتهداه في مناط الفتوى، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلساً أجلى عن ظهوره فيه، وبقاء رسمه، فكانت محنة، وخلّصه الله منها. وبلغ من تعظيم الناس إياه، وانحياسهم إليه، مَبْلَغاً لم يَنَلْه مثله، وانتفع بتعليمه، واستفيد منه الأدب على نُسكه وسداجته.

مشيخته: قرأ ببلده شَرِيش على المُكْتَب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي، وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الرباح، وعلى الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكُرْمانِي؛ أخذ عنه العربية والأدب، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى، المعروف بابن متيوان، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدي المَرَاكشي، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري، وعلى الفقيه أبي عبد الله الجُنَيْدي، المعروف بالغُرّاق، وعلى الفقيه العَدَدي أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المِكناسي. وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرُّكبي، وروى عنه، وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، وعلى الأصولي أبي أمية. وقرأ بسَبْتَة على الأستاذ الفَرُضي إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع، وعلى أبي يعقوب المحبساني، وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله

(١) في الأصل: «قلب»، وكذا ينكسر الوزن.

العَبْدَرِي، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المِثْوِي، والأصولي أبي الحسن البَصْرِي، والفقيه المَعْمَرُ الراوية أبي عبد الله محمد الأَزْدِي، والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكُمَاد، وعلى الأستاذ العَرُوضِي الكفيف أبي الحسن بن الخَضَار التلمساني. ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع، والأستاذ أبا جعفر الطَّبَّاع، وأبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأَزْدِي، والأستاذ أبا الحسن بن الصَّائغ. ولقي بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، والرَّاوية أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجُدَامِي السُّهَيْلِي. وسمع على الرَّاوية أبي عمرو بن حَوْط الله، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي.

تواليفه: كان، رحمه الله، مُغَرِّى بالتأليف، فألَّف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة، منها كتاب «تَحْيِير نظم الجُمان، في تفسير أم القرآن»، و«انتفاع الطلبة الثبهاء، في اجتماع السبعة القُرَّاء». و«الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون والسمعون»، وكتاب «مَنْظُوم الدُّرَر، في شرح كتاب المختصر»، و«كتاب نصح المقالة، في شرح الرسالة»، وكتاب «الجواب المختصر المروم، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم»، وكتاب «استواء النهج، في تحريم اللعب بالشطرنج»، وكتاب «الفَيْضُ المُنْتَضَى المَهْزُوز، في الرد على مَنْ أنكر صِيَام يوم التَّيْمُوز»، وكتاب «جواب البيان، على مُصارمة أهل الزمان»، وكتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المُخْتَار، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار»، وكتاب «إرشاد السَّالِك، في بيان إسناد زياد عن مالك»، وكتاب «الجوابات المُجْتَمعة، عن السُّؤالات المُتَوَعِّة»، وكتاب «إملاء فوائد الدول، في ابتداء مقاصد الجمل»، وكتاب «أجوبة الإقناع والإحساب، في مشكلات مسائل الكتاب»، وكتاب «مَنْهَج الضُّوَابِط المُقَسَّمة، في شرح قوانين المُقَدِّمة»، وكتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، في حذف التنوين من حديث أسماء»، وكتاب «التكملة والتبصرة، في إعراب البسملة والتَّضْلِيَّة»، وكتاب «سَحْ مُزْنَة الانتخاب، في شرح حُطْبَة الكتاب». ومنها اللَّائِح المعتمد عليه، في الرد على مَنْ رفع الخبر بلا إلى سيويه، وغير ذلك من مُجيد ومُقصر.

شعره: وشعره كثير، غريب التُّزْعَة، دالٌّ على السَّذَاجَة، وعدم الاستِرابَة والشعور، والعَفْلَة المُعْرِبة عن السَّلامَة، من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضَّرار، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تشبَّث بها أطراف الملاحين والمعارض، وَلَع كثير من أهل زمانه بالردِّ عليه، والتَّمْلُح بما يصدر عنه، منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.

ومن منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظر إلى ورد الرياض كأنه ديباج خد في بنان زبرجد
قد فتحت نضارة فبدا له في القلب رونق صفرة كالعسجد
حكيت الجوانب خد حب ناعم والقلب يحكي خد صب مكمد

حدث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقي، قال: قال لي يوماً الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخار: خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ بشرش، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم في الحانوت يزقم جلداً كان في يده، فقالوا لي: لا تجاوز هذا الباب، حتى تضع لنا شعراً في هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

ورب معذر لخب دac يروق بهاء منظره البهيج
وشى في وجنتيه الحسن وشيا كوشي يديه في أدم السروج

مولده: بحصن أزكش بلده، وكان لا يخبر به، في ما بين الثلاثين والأربعين وستمئة.

وفاته: توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته بمالقة مشهورة.

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني

من أهل الحمة^(١) من عمل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي، وينتمي في بني أسود من أعيانها.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل العلم والدين والفضل، طلق الوجه، حسن السير، كثير الحياء، كأنك إذا كلمته تُخاطب البكر العذراء، لا تلقاء إلا مُبتسماً، في حسن سميت، وفضل هوى، وجميل وقار، كثير الخشوع، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيماء الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان له تحقق بضبط القراءات، والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية، والعلوم الدينية. انتصب للإقراء والتدريس

(١) الحمة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوشة. استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٠).

بالحمّة المذكورة، فقرّب الثُّجعة على أهل الحصون والقرى الشرقية، فصار مُجتمَعاً لأرباب الطُّلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم. وكان رجلاً صالحاً، مُبارك النية، حسن التعليم، نفع الله به من هنالك، وتخرّج على يديه جمْعٌ وافر من الطُّلبة، عَمَرَت بهم سائر الحصُون. وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين، ومُنْتَدَى عذبٌ للواردين. تجول في آخرة بالأندلس والغُدوة^(١)، وأخذ عن لقي بها من العلماء، وأقام مدةً بسبّنة مُكبّاً على قراءة القرآن والعريية. وبعد عوده من تَجواله لزم التصدُّر للإفراء بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه أثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته: أخذ بالمرّيّة عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش، ويغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والعدل أبي الحسن بن مُستقور. ويبلّش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكمّاد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات. وبمألقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري. وبالجزيرة عن خطيبها أبي العبّاس بن خميس. وبسبّنة عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُرِيث، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والزاهد أبي عبد الله بن مُعلّى، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغيماري. وبمكناسة من القاضي وارياش. وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مفتاح اللّجّاي، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان، والأستاذ أبي عبد الله بن أجْزُوم الصُّنهاجي، والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي وغيرهم، وكل من ذكر أجاز له عامة، إلّا قاضي مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده: في أول عام اثنين وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي بالحمّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرم عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد العبّدي^(٢)

من أهل مألقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف باليتيم.

(١) المقصود المغرب.

(٢) ترجمة أبي عبد الله العبدي اليتيم في الكنية الكامنة (ص ٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦).

حاله : كان، رحمه الله، أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشبهة، لَوْدَعِيًّا في وقار، رشيْقَ النظم والنثر، غَزَلًا مع الصُّون، كثير الدُّعابة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصوت، رائق الخط، بديع الوراق، مَعْسُول الألفاظ، مُتَمَتِّع المُجالسة، طَيِّب العِشرة، أدب الصُّبيان مدة، وعقد الشروط أخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأعذب نعمة، وأمثلة طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يُخل منها وقتًا إلا ليلتين، إحداهما بسبب امتسакنا به في نُزْهة برياض بعض الطلبة، لم يُخلف مثله بعده. وخطب بقَصبة مألقة، ومال أخيرًا إلى نظر الطُّب، فكان الناس يميلون إليه، ويتنفعون به لسيِّغ مشاركته، وعموم انقياده، وبرّه، وعمله على التَّوَدُّد والتَّجْمُل.

وجرى ذكره في «التاج المُحَلَّى» بما نصّه^(١): مجموع أدوات حسان، من خطٍّ ونُعمة ولسان، أوراقه^(٢) روض تتصُّوع نسماته، وبشره صبح تتألق قسماته، ولا تخفى^(٣) سيماته. يُقَرِّطس أغراض الدُّعابة ويضميها، ويُفَوِّق سِيَّهام الفُكاهة إلى مراميهها، فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات مُنَحْطَّة عن الإِجادة نازلة، خُمس أبياتها وذيلها، وصَرَف معانيها وسهلها^(٤)، وتركها سَمَر الثَّدمان، وأضحوكة الزمان^(٥). وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من مألقة^(٦)، مُتَحَلٍّ بوقار وسكينة، حال من أهلها بمكانة مَكِينة، لسهولة جانبه، واتِّصاح مقاصده في الخير ومذاهبه. واشتغل لأوّل أمره بالتَّعليم^(٧) والتَّكْتِيب، وبلغ الغاية في الوقار^(٨) والترتيب، والشُّباب^(٩) لم يَنْصِلْ خضابه، ولا سُلَّتْ لِلْمَشِيب عِضاؤه، ونفسه بالمحاسن كَلِيفَة صَبَّة^(١٠)، وشأنه كله هوى ومحبّة، ولذلك ما خاطبه به بعض أودائه^(١١)، وكلاهما رمى أهله بدائه، حسبما يأتي خلال هذا القول^(١٢) وفي أثنائه، بحول الله.

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠) وبعضه في الكنية الكامنة (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) في المصدرين: «أخلاقه».

(٣) في الأصل: «يُخْفَى» والتصويب من المصدرين.

(٤) في النفع: «وسيلها».

(٥) في النفع: «الأزمان».

(٦) في المصدر نفسه: «بمألقة».

(٧) في النفع: «في التعليم والترتيب».

(٨) في الأصل: «وللشباب» والتصويب من النفع.

(٩) كلمة «صَبَّة» ساقطة في الأصل.

(١٠) الأوداء: جمع ودود وهو المحب. لسان العرب (ودد).

(١٢) في الأصل: «المقول» والتصويب من النفع.

شعره: كتبت إليه أسأل منه ما أثبت في كتاب «التاج» من شعره، فكتب إلي^(١): [البسيط]

أما الغرام فلم أخيل بمذهبه
يا مغرضاً عن فؤاد لم يزَلْ كلفاً
قطعت عنه الذي عودته فغدا
أيام وضلك مبذول، وبرك بي
وسمعتُ وذك عن إفك العواذل في
لا أنت^(٢) تمتعني نيل الرضا كرمًا
له عرقك ما أذكى تنسمه
أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلا
يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سنا
محمد الحسن في خلق وفي خلق
نأيت^(٣) أو غبت مالي عن هواك غنى
سيان حال الثداني والبعاد، وهل
يا من أحسن^(٤) ظني في رضاه وما
إن كان دثبي الهوى فالقلب مئي لا
فأجبت بهذه الرسالة، وهي ظريفة في معناها^(٥):

«يا سيدي الذي إذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين^(٦)»، وإذا قُسمت سيهام وداده

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) البرق الخلب: الذي يطمع في المطر وليس وراءه مطر، ويضرب مثلاً في الشيء الذي لا منفعة وراءه. لسان العرب (خلب).

(٣) في الأصل: «الأنث» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «كملت»، والتصويب من نفع الطيب.

(٥) في النسخ: «حضرت».

(٦) في الأصل: «أخبر»، وكذا ينكسر الوزن والتصويب من نفع الطيب.

(٧) الرسالة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٨) أخذ هذا من قول الشماخ بن ضرار في غرابة الأوسي: [الوافر]

إذا ما راية رفعت لسنجد تلقاها غرابة باليمين
الشعر والشعراء (ص ٢٣٥).

على ذوي اعتقاده كنت صاحب الفريضة^(١) والدين، دام بقاءك لطرفة^(٢) تبديها،
وغريبة تزدفها بأخرى تليها، وعقيلة بيان تجليها، ونفس أخذ الحزن بكظمها،
وكلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها وتُسليها، لم أزل أعزك الله، أشد على
بدائعها^(٣) يد الضنين^(٤)، وأفنتي دُرر كلامك، ونفثات أقلامك، اقْتِنَاء الدُر الثمين،
والأيام بلفياك تَعُدُّ، ولا تُسَعِدُ، وفي هذه الأيام انشالت علي سماءك بعد قحط،
وتوالت^(٥) علي آلاؤك على شحط^(٦)، وزارتنني من عقائل بيانك كل فاتنة الطُرف،
عاطرة العُرف، راقلة في حُلل البيان والطُرف، لو ضريت بيوتها بالحجاز، لأقرت
لنا العرب العاربة بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، ومطاوعة اللفظ لغرض
المعنى، وطيب الأسلوب، والتشبيث بالقلوب، غير أن سيدي أفرط في التَّنَزُّل،
وخلط المخاطبة بالتَّنَزُّل، وراجع الالتفات، ورام استدراك ما فات. يرحم^(٧) الله
شاعر المعرَّة، فلقد أجاد في قوله، وأنكر مناجاة الشوق^(٨) بعد انصرام حوله،
فقال^(٩): [البسيط]

أبغد حَوْلِ تُناجي الشوق^(١٠) ناجية هَلَّا ونحن على عَشر من العَشر^(١١)

وقد^(١٢) تَجَاوَزَتْ في الأمد^(١٣)، وأنسيَت أخبار صاجبك عبد الصمد،
فأقسم باللفات القدود، وهَمَزَات الجُفُون السود، وحاملي^(١٤) الأزواح مع الألواح،
بالْعُدُوِّ والرواح، لولا بَعْد مَزَارِك، ما أَمِنْتُ غائلة ما تَحْتَ إِزَارِك. ثم إني
حققت الغرض، وبحشت عن المُشْكَل الذي عَرَض، فقلت: للخواطر انتيغال،
ولكل مقام مقال، وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خَبَر
الثقات.

(١) الفريضة: الإرث أو الحصة منه. لسان العرب (فرض).

(٢) الطُرفة: الغريب المستحسن. لسان العرب (طرف).

(٣) في النفع: «بدائعك». (٤) الضنين: البخيل. لسان العرب (ضن).

(٥) في النفع: «وتواترت لدي». (٦) الشحط: البعد.

(٧) في النفع: «ويرحم الله تعالى».

(٨) في الأصل: «للشوق»، والتصويب من النفع.

(٩) كلمة «فقال» غير واردة في النفع. والبيت للمعري وهو في شروح سقط الزند (ص ١١٤).

(١٠) في الأصل: «للشوق»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١١) الناجية: الناقة السريعة. العُشْر: شجر؛ وأراد هنا المكان الذي ينبت فيه. لسان العرب (نجا) و(عشر).

(١٢) في النفع: «ولقد». (١٣) في الأصل: «الأمَل»: والتصويب من النفع.

(١٤) في نفع الطيب: «وحامل».

ومنها^(١): وتعرفت ما كان من مُراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعلّم، والخبين إلى العهد القديم، فسُررتُ باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ الملاحظ^(٢)، ما قال الجاحظ^(٣)، فاعتراض لا يُردُّ، وقياس لا يضطرد^(٤)، حبذا والله عيش أهل^(٥) الثاديب، فلا بالضنك ولا بالجديب^(٦)، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصور الحسان، يمينًا إن المعلمين، لسادة المسلمين، وإني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أمراء^(٧) فوق المراتب، من كل مُسيطر الدرة، مُتقطب الأسيرة، مُتَمَرِّد لِوَارِدِ تَشْمَرِ الهرة، يَغْدُو إلى مكتبه، كالأمير^(٨) في موكبه، حتى إذا استقل في فرشه، واستولى على عرشه، وترنم بتلاوة قالونه^(٩) ووزّيه، أظهر للخلق احتقارًا، وأزرى^(١٠) بالجبّال وقارًا، وزفعت إليه الخصوم، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم، فتقول: كسرى في إيوانه، والرّشيد في زمانه^(١١)، والحجاج بين أعوانه. وإذا^(١٢) استولى على البدر السّرار، وتبين للشهر الغرار^(١٣)، تحرك^(١٤) إلى الخرج^(١٥)، تحرك العود^(١٦) إلى الفرج، استغفر الله مما يشق على سيدي سماعه، وتشمئز من ذكره^(١٧) طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان. فأني عيش هذا^(١٨) العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجوه إليه مَضْرُوفَة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق القصّات^(١٩)، فكأنما طمس الأقواء^(٢٠)، ولأم بين الشفاه، وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وخف به كما خف بالبيت الحجيج. وكم بين ذلك من رشوة تُدس، وعزمة لا تُحس، ووعد يُستنجز، وحاجة تُستعجل وتُخفّر. هنأ الله سيدي ما خوله، وأنساه بطيب آخره أوله. وقد بعثت

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٢) في النفع: «اللاحظ».

(٣) يشير إلى ذم الجاحظ معلمي الصبيان، ويداعب أبا عبد الله اليتيم في رجوعه إلى هذه الجزفة.

(٤) في النفع: «لا يطرّد».

(٥) كلمة «أهل» ساقطة في النفع.

(٦) الضنك: الضيق. الجديب: المكان المُقفر الذي لا نبات فيه. لسان العرب (ضنك) و(جذب).

(٧) في الأصل: «أمراء» وكذا لا معنى له، والتصويب من النفع.

(٨) في الأصل: «والأمير»، والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «قانونه» والتصويب من النفع. وقالون وورش: مقرّنان، لكل منهما قراءته الخاصة.

(١٠) في الأصل: «وأندى» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «أوانه».

(١٢) في النفع: «فإذا».

(١٣) في الأصل: «وتحرك» والتصويب من النفع.

(١٤) في الأصل: «الخوج» ولا معنى له، والتصويب من النفع.

(١٥) في الأصل: «القرّد» والتصويب من النفع. (١٦) في الأصل: «ذكراه» والتصويب من النفع.

(١٧) في النفع: «كهذا».

(١٨) في النفع: «على الأقواء».

بدعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقها بيمينه، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه^(١)، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته عملاً^(٢) بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام.

ومن شعره ما كتب به إلي^(٣): [الكامل]

آيات حُسنِكَ حُجَّةٌ للقال ^(٤)	في الحبِّ قائمةٌ على العُدالِ
يا مَنْ سَبَى طَوْعاً عقولَ ذوي النُّهى	ببلاغةٍ قد أيدتْ بجمالِ
يَسْتَفِيدُ الأبصارَ والأسماعَ ما	يجلُّو ويثُلُّو من سِنِّي مقالِ
وعليك أهواءُ النفوسِ بأشرها	وقفتْ فغَيْرُكَ ^(٥) لا يَمُرُّ ببالِ
رَفَعْتَ لَدَيْكَ ^(٦) في البلاغةِ رايةً	لَمَّا احتلَّلتْ بها وحيدَ كمالِ
وغدتْ تُباهي منك بالبذر الذي	تغنو البدورُ لثوره المُتَلالي
ماذا ترى يا ابنَ الخطيبِ لخطب ^(٧)	وذا ينافس فيك كلُّ مُغال ^(٨) ؟
جَذَبَتْهُ نحو هواك غُرُّ محاسنِ	مشفوعةٍ أفرادها بمعالِ
وشمائلُ رَفَّتْ لرقَّة طبعها	فزلالها يُزري بكلِّ زُلالِ
وحليَّ آدابٍ بمثلِ نُفيسها	تزهو الحلى ويجلُّ قدر الحالي
تستخدم ^(٩) الياقوتَ عند نظامها	فمُقَصِّرٌ مَنْ قاسَها بلالِ
سَبَقَ الأخيرُ الأولين بفضلها	فغدا المُقَدَّمُ تابِعاً للثالي
شَغَفني بِبُكَرٍ ^(١٠) من عقائلها إذا	تبدو تُصانُ من الحجى بِحِجالِ
قابعتْ بها بَنَتْ ^(١١) المُنَى ممهورة	طيبِ الثناءِ لتُقدِّها والكالي
لا زِلْتُ شمساً في الفضائلِ يُهتدى	بَسَنَّاكَ في الأفعال والأقوال ^(١٢)
ثم السلامُ عليك يَثرى ما تَلَّتْ	بُكَرَ الزُّمانِ روادفُ الآصالِ

(١) الخدين: الخذن، الصديق. لسان العرب (خذن).

(٢) كلمة «عملاً» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الفتح.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٦٠). (٤) في الكتيبة: «للتالي».

(٥) في الأصل: «فطيرك» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «لرئيه»، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الكتيبة: «يخاطب». (٨) في الأصل: «مقال» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «يستخدم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «بذكر» والتصويب من الكتيبة. (١١) في الأصل: «بنت» والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «في الأقوال والأفعال».

ومن الدُّعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كَتَبَ به إليه صديقه
الملاطف أبو علي بن عبد السلام^(١): [الوافر]

أبا عبد الله نداء خلٍّ وفي جاء يمنحك النصيحة
إلى كم تألف الشبان غيا وخذلانا، أما تخشى الفضيحة؟
فأجابه رحمه الله: [الوافر]

فَدَيْتُكَ، صاحب السمة المليحة ومن قلبي وَضَعْتُ له محلاً
وَمَنْ قَلْبِي فدمع عيني في انسكاب نَأَيْتْ فدمع عيني في انسكاب
وَمَنْ قَلْبِي لا يُتَاح له رُقَاد وطرفي لا يُتَاح له رُقَاد
وَزَاد تَشَوُّقِي أبيات شعر وزاد تَشَوُّقِي أبيات شعر
وَلَمْ تَقْصِدْ بها جذاً، ولكن ولم تَقْصِدْ بها جذاً، ولكن
فَقُلْتُ: أَتَأَلَّفُ الشبان غيا فقلْتُ: أَتَأَلَّفُ الشبان غيا
وَفِيهِمْ^(٢) جِرْفَتِي وَقَوَامٌ عَيْشِي وفيهم^(٢) جِرْفَتِي وَقَوَامٌ عَيْشِي
وَأَمْرِي فِيهِمْ أَمْرٌ مُطَاعٌ وَأَمْرِي فِيهِمْ أَمْرٌ مُطَاعٌ
وَتَعْلَمُ أَنَّنِي رَجُلٌ حَصُورٌ^(٣) وَتَعْلَمُ أَنَّنِي رَجُلٌ حَصُورٌ^(٣)

قال في «التاج»: ولَمَّا^(٤) اشتهر المَثِيبُ بعارضه ولِمَتَه، وَخَفَرُ الدهر لعمود^(٥)
صباه وأدِمَّتَه، أَقْلَعُ واسترجع، وتَأَلَّمَ لما قَرَطَ وتَوَجَّعَ، وهو الآن من جَلَّةِ الخطباءِ
ظاهرُ العِرضِ والثَّوبِ، خالِصٌ من الشُّوبِ، بادٍ عليه قبولٌ قابلُ التوب.

وفاته رحمه الله: في آخر صفر من عام خمسين وسبعمائة في وقعة الطاعون
العام، ودخل غرناطة.

(١) البيتان وجوابهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٩).

(٢) في النفع: «واكبادي». (٣) في نفع الطيب: «وقية».

(٤) في المصدر نفسه: «ففيهم».

(٥) الحَصُور: من انقطع عن النساء وتفترغ للعبادة. وفي القرآن الكريم: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾. سورة
آل عمران ٣، الآية ٣٩، ولسان العرب (حصر).

(٦) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠). (٧) في النفع: «الصبا».

ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد

ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي^(١)

من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حاله: هذا^(٢) الرجل من طرف دهره ظرفاً وخصوصية ولطافة، مليح التوسل، حسن اللقاء، مبدول البشر، كثير التودد، نطيف البرة، لطيف الثاني^(٣)، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على ضحبة الملوك والأشراف، متفاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسخرهم بخلاصة لفظه، ويفتلهم^(٤) في الذروة والغارب بتزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينية بجذقه، ويضع^(٥) غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والجشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعلق^(٦)، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، مثقاد الدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيّد ويؤلف، فلا يغدو السداد في ذلك، فارس منبر، غير جزوع ولا هيبه^(٧). رحل إلى المشرق في كتف جشمة من جناب والده، رحمه الله، فحج وجاور، ولقي الجلة، ثم فارقه، وقد عرف بالمشرق حقه، وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالاً خلطه بنفسه، وجعله مفضى سيره، وإمام جمعته، وخطيب منبره، وأمين رسالته، فقديم في غرضها على الأندلس في^(٨) أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، فاجتذبه^(٩) سلطانها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأقعه للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة

(١) ترجمة ابن مرزوق في التعريف بابن خلدون (ص ٤٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٢) والديباج المذهب (ص ٣٠٥) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٥٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٥).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٦). (٣) في الأصل: «الثاني» والتصويب من النفع.

(٤) يفتلهم: يداورهم. لسان العرب (قتل). (٥) في النفع: «ويصطنع».

(٦) العلق: الذين يعلقون به ويتبعونه. لسان العرب (علق).

(٧) في النفع: «هيب».

(٨) كلمة «في» غير واردة في النفع.

(٩) في الأصل: «واجذب» والتصويب من النفع.

وخمسين^(١) بعده أظرف عنه جفن بره، في أسلوب طماح، ودالة، وسبيل هوى وقحة، فاغتنم العبرة^(٢)، وانتهاز الفرصة، وأنفذ في الرحيل العزيمة، وانصرف عزيز الرخلة، مغبوط المقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية^(٣)، فاستقر بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة، وبساط قزب، مشترك الجاه، مُجدي التوسط، ناجع الشفاعة، والله يتولاه ويزيده من فضله.

مشيخته: من كتابه المسمى «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سُمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز»: فمن^(٤) لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي، صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي^(٥) الكريم، وأفرد جزءاً في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي، تحمّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليمن وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، ونائب الإمامة والخطابة به، ومُنشد الأمداح النبوية هنالك وبمكة، شرفها الله، الشيخ المَعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي^(٦) المكي. والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي. والشيخ مُقرىء الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلي^(٧) البصري. والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة، انتهت إليه الرئاسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكِناني، قاضي القضاة بمصر^(٨). وبمصر الشيخ علاء الدين القَوْنوي. والثقي السعدي، وقاضي القضاة القَزويني، والشرف أفضى القضاة الإخميمي، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء بتونس، وبجاية، والزّاب، وتلمسان.

محنته: اقتضى^(٩) الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن، رحمه الله، وتوقع^(١٠) عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليمّ بالساحل بمدينة الجزائر، أن قبض

(١) في النفع: «وخمسين صرف عنه جفن...». (٢) في النفع: «الفترة».

(٣) قوله: «في أوائل... وسبعماية» غير وارد في النفع.

(٤) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٩). بتصرف المقرئ.

(٥) في النفع: «بالمسجد الكريم النبوي». (٦) في النفع: «الحجي».

(٧) في النفع: «الآبلي». (٨) في النفع: «القضاة بالديار المصرية».

(٩) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧١). (١٠) كلمة «وتوقع» غير واردة في نفع الطيب.

عليه يتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بني زيان، إرضاء لقبيلهم المتهمة بمداخلته، وقد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسين، فصرف مأخوذاً عليه طريقه، مُتَّهَباً رَحْلَهُ، مُتَّهَكَةً حُرْمَتَهُ، وَأُسْكِنَ قَرَارَةً مُطَبَّقَ عَمِيقِ الْقَفْرِ، مُقْفَلُ الْمَسْلَكِ، حَرِيزُ الْقِفْلِ، ثاني اثنين. ولأيام قتل ثانيه ذُبْحًا بمقربة من شفى تلك الرُكْبَةِ، وانقطع لشدة الثُقَاف^(١) أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه. ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجأ ولا تَسْلُ كَيْفَ، وخَلَصَهُ اللهُ خِلاصًا جَمِيلًا، وقَدِمَ على الأندلس، والله ينفعه بمحنته^(٢).

شعره، وما وقع من المكاتبة بيني وبينه: رَكِبَ^(٣) مع السلطان خارج^(٤) الحمراء، أيام ضَرَبَتِ اللَّوْزُ قَبَائِهَا الْبَيْضَ، وَزَيَّنَتِ الْفَخَصَ الْعَرِيضَ، وَالرُّوضَ الْأَرِيضَ^(٥)، فارتجل في ذلك: [الكامل]

انظُرْ إِلَى الثُّوَارِ فِي أَغْصَانِهِ	يحكي النجوم إذا تَبَدَّتْ فِي الْحَلْكَ
حَيًّا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: قَدْ	عَمِيَتْ بِصِيرَةٍ مِنْ بَغِيرِكَ مَثْلُكَ ^(٦)
يَا يَوْسُفًا حُزَّتِ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ	فَمَحَاسِنُ الْأَيَّامِ تُؤْمِي هَيْتَ لَكَ ^(٧)
أَنْتَ الَّذِي صَعِدْتَ بِهِ أَوْصَافُهُ	فَيُقَالُ فِيهِ: ذَا مَلِيكَ أَوْ مَلَكُ ^(٨)

ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي على مَرَحَلَةٍ مِنْهَا بِمَا نَصَهُ^(٩): [الكامل]

يَا قَادِمًا وَافِي بَكْلٍ نَجَاحٍ	أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحٍ
هَذَا ذُرَى مَلِكِ الْمُلُوكِ قُلْتُ بِهَا	تَلَلِ الْمُنَى وَتَقُزْ بِكُلِّ سَمَاحٍ
مَغْنَى الْإِمَامِ أَبِي عَنَانٍ يَمُنُّ	تَظْفِرُ بِبَحْرِ فِي الْعُلَى طَفَاحٍ

(١) قوله: «لشدة الثُقَاف» غير وارد في النفع. (٢) في النفع: «بنيته».

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢). (٤) في النفع: «بخارج».

(٥) الأريض: الكثير المشب. لسان العرب (أرض).

(٦) مثلك: زعم أن لك مثيلاً. لسان العرب (مثل).

(٧) هيت لك: اسم فعل أمر بمعنى هلم وتعال؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٢٣.

(٨) أخذه من قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرَتْهُ وَقَلَمْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٣١.

(٩) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩).

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عَنَانٍ ذِي^(١) الندى
 مَلَكٌ يُفِيضُ عَلَى الْعُفَاةِ نَوَالَهُ
 فَلَجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سَعْدَى^(٢) فِي الندى
 مَا أَنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ^(٣)
 بَسَطَ الْأَمَانَ عَلَى الْأَنَامِ فَأَصْبَحُوا
 وَهَمَى عَلَى الْعَافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ
 فَنَوَالُهُ وَجَلَالُهُ وَفِعَالُهُ
 وَبِهِ الدُّنَا أَضْحَتْ تَرَوْقُ وَأَصْبَحَتْ
 مِنْ كَانَ ذَا تَرَجٍ فَرَوِيَّةٌ وَجْهَهُ
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَفْزُزُ بِمَا
 لَا زَلَّتْ تَرْتَشِفُ الْأَمَانِي رَاحَةً

والحمد^(٥) لله يا سيدي وأخي على نعيمه التي لا تُحصى، حَمْدًا يَوْمُ بِهِ جَمِيعُنَا
 الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى، فَيَبْلُغُ الْأَمَدَ الْأَقْصَى، فَطَالَمَا كَانَ مُعْظَمُ سَيِّدِي لِلْأَسَى فِي خَبَالٍ،
 وَلِلْأَسَفِ بَيْنَ اشْتِغَالِ بَالٍ، وَاشْتِغَالِ بَلْبَالٍ^(٦). وَلَقَدْ وَدِدْتُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ^(٧) الْعَلِيِّ فِي
 ارْتِقَابٍ، وَلِمَوَاعِدِكُمْ^(٨) بِذَلِكَ فِي تَحَقُّقِ وَقْعِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ، فَهَا أَنْتَ
 تَجْتَلي، مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ، لَشَيْعَتِكَ^(٩) وَجْوهَ الْمَسَرَّاتِ صَبَاحًا، وَتَتَلَقَّى أَحَادِيثَ
 مَكَارِمِهِ وَمَوَاهِبِهِ مُسْتَنْدَةً صَبَاحًا، بِحَوْلِ اللَّهِ. وَلِسَيِّدِي الْفَضْلِ فِي قَبُولِ مَرْكُوبِهِ الْوَاصِلِ
 إِلَيْهِ بِسَرِّجِهِ وَلِجَامِهِ، فَهُوَ مِنْ بَعْضِ مَا لَدَى الْمُحِبِّ^(١٠) مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَايَ^(١١)
 وَإِنْعَامِهِ. وَلِعَمْرِي لَقَدْ كَانَ وَافِدًا عَلَى سَيِّدِي فِي مُسْتَقَرِّهِ مَعَ غَيْرِهِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 يَسِّرُ فِي إِيْصَالِهِ، عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ.

فَرَاغْتَهُ بِقَوْلِي^(١٢): [الكامل]

رَاحَتْ تَذْكُرُنِي كَوْوَسَ الرِّاحِ وَالْقَرْبُ يَخْفُضُ لِلْجَنُوحِ جَنَاحِي

(١) فِي النَّفْعِ: «فِي النَّدَى».

(٢) الضَّحَضُاحُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ. مُحِيطُ الْمُحِيطِ (ضَحَضُوح).

(٣) ابْنُ سَعْدَى: هُوَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ الطَّائِي. (٤) فِي النَّفْعِ: «مَا إِنْ سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ بِمِثْلِهِ».

(٥) مَا يَزَالُ النَّصْرُ الثَّرِي وَالشَّعْرِي فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ (ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٦) الْبَلْبَالُ: الْوَسْوَاسُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (بَلْبَل). (٧) فِي النَّفْعِ: «هَذَا الْمَحَلُّ الْمَوْلَوِي».

(٨) فِي النَّفْعِ: «وَلِمَوَاعِدِكُمْ». (٩) فِي النَّفْعِ: «بَشَيْعَتِكَ».

(١٠) فِي النَّفْعِ: «الْمُعْظَمُ». (١١) فِي النَّفْعِ: «مَوْلَاهُ».

(١٢) فِي النَّفْعِ: «بِمَا نَفَعَهُ».

وَسَرَتْ تَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ كَأَنَّمَا
حَسَنَاءُ قَدْ غَنِيَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا
أَمْسَتْ تَحْضُرُ عَلَى اللَّيَازِ بِعَنْ جَرَتْ
بِخَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُؤَيَّدِ فَارِسِ
مَا شِثَتْ مِنْ هِمَمٍ^(٢) وَمِنْ شِيمٍ غَدَتْ
فَضَّلَ الْمُلُوكَ فَلَيْسَ يُذَرِّكَ شَاوَهُ
أَسْتَى بَنِي عِبَّاسِهِمْ بِلَوَائِهِ الـ
وَعَدَتْ مَغَانِي الْمُلْكِ لَمَّا خَلَّهَا
وَحَيَاةٌ مِنْ أَهْدَاكَ تَحْفَةً قَادِمِ
مَا زِلْتُ أَجْعَلُ ذِكْرَهُ وَثَنَاءً
وَلَقَدْ تَمَازَجَ حُبُّهُ بِجَوَارِحِي
وَلَوْ أَنِّي أَبْصَرْتُ يَوْمًا فِي يَدِي
فَالآنَ سَاعِدَنِي الزَّمَانُ وَأَيَّقَنْتُ
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَإِنَّهُ
أَمَا إِذَا اسْتَنْجَذْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا
فَالْيَكْهَ مَهْزُولَةً وَأَنَا امْرُؤُ

دَلَّ النَّسِيمُ عَلَى انْبِلَاجِ صَبَاحِ
عَنْ دُمُلُجٍ وَقِلَادَةٍ وَوَشَاحِ
بِسُغُودِهِ الْأَقْلَامُ فِي الْأَفْرَاحِ^(١)
شَمْسِ الْمَعَالِي الْأَزْهَرِ الْوَضَاحِ
كَالزُّهْرِ أَوْ كَالزُّهْرِ فِي الْأَذْوَاحِ
أَتَى يُقَاسُ الْعَنْزُ بِالضُّخْضَاحِ؟
مَنْصُورٍ أَوْ بِحُسَامِهِ السُّفَاحِ
تُزْهِمِي بِبَدْرِ هُدًى وَبَخَرِ سَمَاحِ
فِي الْعَرْفِ مِنْهَا رَاحَةُ الْأَرْوَاحِ
رُوحِي وَرِيحَانِي الْأَرِيحَ وَرَاحِي
كُنْمَازِجِ الْأَجْسَامِ بِالْأَرْوَاحِ
أَمْرِي لَطِرْتُ إِلَيْهِ دُونَ جَنَاحِ
مِنْ قُرْبِهِ نَفْسِي بِفُوزٍ قِدَاحِي
لِنِدَاءٍ وَدُّ فِي غُلَاكِ صُرَاحِ
رَكَدْتُ لَمَّا خَبَّتِ الْخُطُوبُ رِيَاحِي
قَرَّرْتُ عَجْزِي وَاطَّرَحْتُ سِلَاحِي

سَيِّدِي^(٣)، أَبْقَاكَ اللَّهُ لِعَهْدِ تَحْفَظُهُ، وَوَلِيَّيْ بَعِينَ الْوَلَاءِ تَلَحُّظُهُ، وَصَلْتَنِي رَفَعْتِكَ
الَّتِي ابْتَدَعْتَ^(٤)، وَبِالْحَقِّ مِنْ مَدْحِ^(٥) الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ صَدَعْتَ، وَأَلْفَقْتَنِي وَقَدْ سَطَتْ بِي
الْأَوْحَالِ^(٦)، حَتَّى كَادَتْ تُتْلَفُ الرِّحَالُ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْغَذَاءِ قَدْ شَمَرَتْ كَشَحِ الْبَطِينِ،
وَتَانِيَةِ الْعَجْمَاوِينَ^(٧) قَدْ تَوَقَّعَ قَوَاتِ وَقْتِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَلَاتُهَا صَلَاةَ الطَّيْنِ، وَالْفَكْرُ قَدْ
غَاضَ مَعِينَهُ، وَضَعُفَ وَعَلَى اللَّهِ جَزَاءُ الْمَوْلَى الَّذِي يُعِينُهُ، فَغَرَّزْتَنِي بِكُتَيْبَةٍ بَيَانِ أَسْدُهَا
هَضُورٍ، وَعَلَمُهَا مَنْصُورٍ، وَالْفَاطِظُهَا لَيْسَ فِيهَا قُصُورٌ، وَمَعَانِيهَا عَلَيْهَا الْحُسْنُ مَقْصُورٌ،
وَاعْتِرَافٌ مِثْلِي بِالْعَجْزِ فِي الْمَضَاقِ حَوْلَ وَمِئَةٍ، وَقَوْلُ «لَا أَدْرِي» لِلْعَالَمِ فَكَيْفَ لغيره

(١) فِي النَّفْحِ: «فِي الْأَلْوَحِ». (٢) فِي النَّفْحِ: «مِنْ شِيمٍ وَمِنْ هِمَمٍ...».

(٣) النَّصُّ فِي نَفْحِ الطَّيْبِ (ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٤) فِي النَّفْحِ: «أَبْدَعْتَ». (٥) فِي النَّفْحِ: «مِنْ مَوْلَى».

(٦) فِي النَّفْحِ: «الْأَوْجَالِ».

(٧) ثَانِيَةِ الْعَجْمَاوِينَ: صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَأَوَّلَامَا صَلَاةُ الظُّهْرِ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ. لِسَانِ الْعَرَبِ (عَجْم).

جُئْتُ، لكنها بَشَّرَتْنِي بما يَقِلُّ لمهديه^(١) بَذَلُ النفوس وإن جَلَّتْ، وَأَطْلَعْتَنِي مِنَ السَّرائِ عَلَى وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ، بما أَعْلَمْتُ^(٢) به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أَيْدَهُ اللهُ، فِي عَبْدِهِ، وَصِدْقِ الْمَخِيَلَةِ فِي كَرَمِ مَجْدِهِ. وهذا هو الجود المَخْضُ، وَالْفَضْلُ الَّذِي شُكْرُهُ هُوَ الْفَرَضُ. وتلك الخلافة المُولَوِيَّةُ تُتَّصَفُ بِصِفَةِ^(٣) مَنْ يَبْدَأُ بِالنُّوَالِ، مِنْ قَبْلِ الضَّرَاعَةِ وَالسُّوَالِ، مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِلْأَسْبَابِ وَلَا مَجَازَاةٍ لِلْأَعْمَالِ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُبْقِيَ مِنْهَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْفَى الظَّلَالِ، وَيُبَلِّغَهَا مِنْ فَضْلِهِ أَقْصَى الْآمَالِ. ووصل ما بعثه سيدي صاحبها من الهدية، والتحفة الودية، وقبلتها امتثالاً، واستجليتُ منها عِثْقًا وَجَمَالًا. وسيدي في الوقت أَنَسَبَ إِلَى اتِّخَاذِ^(٤) ذَلِكَ الْجِنْسِ، وَأَقْدَرُ عَلَى الْاِسْتِكْثَارِ مِنْ إِنْثَاءِ الْبَهْمِ وَالْإِنْسِ. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إِلَّا فِي الثُّدْرَةِ، فَلَوْ رَأَى سَيِّدِي، وَرَأْيُهُ سَدَادٌ، وَقَضْدُهُ فَضْلٌ وَوِدَادٌ، أَنْ يَنْقُلَ الْقَضِيَّةَ إِلَى بَابِ الْعَارِيَةِ مِنْ بَابِ الْهَبَةِ، مَعَ وَجوبِ^(٥) الْحَقُوقِ الْمَتَرْتَبَةِ، لَبَسَطَ خَاطِرِي وَجَمَعَهُ، وَعَمِلَ فِي رَفْعِ الْمُؤْنَةِ عَلَى شَاكِلَةِ حَالِي مَعَهُ، وَقَدْ اسْتَصْحَبْتُ مَرْكُوبًا يَشُقُّ عَلَيَّ هَجْرَهُ، وَيُنَاسِبُ مَقَامِي شَكْلَهُ وَنَجْرَهُ^(٦)، وسيدي فِي الْإِسْعَافِ عَلَى اللهِ أَجْرُهُ، وَهَذَا أَمْرٌ عَرَضٌ، وَفَرَضٌ فَرَضٌ، وَعَلَى نَظَرِهِ الْمُعَوَّلُ، وَاعْتِمَادِ إِغْضَائِهِ هُوَ الْمَعْقُولُ الْأَوَّلُ. وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِي مِنْ مُعَظَّمِ قَدْرِهِ، وَمُتَلَزِمِ بَرِّهِ، ابْنِ الْخَطِيبِ، فِي لَيْلَةِ الْاِحْدِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ لَذِي قَعْدَةِ سَنَةِ^(٧) خَمْسٍ^(٨) وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَالسَّمَاءُ قَدْ جَادَتْ بِمَطَرٍ سَهَرَتْ مِنْهُ الْأَجْفَانُ، وَظَنَّ أَنَّهُ طُوفَانٌ، وَاللَّحَافُ فِي غَدٍ^(٩) بِالْبَابِ الْمُولَوِيِّ، مُؤْمَلٌ بِحَوْلِ اللهِ.

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاذ المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة^(١٠): [مجزوء الرجز]

أَيَا نَسِيمٍ^(١١) السُّحَرِ بِالله^(١٢) بَلَّغْ خَبَرِي
إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْجَمَى جَرَرْتَ فَضْلَ الْمُنْزَرِ

(١) فِي النَّفْعِ: «المؤديه».

(٢) فِي النَّفْعِ: «أعلمتني».

(٣) فِي النَّفْعِ: «بصفات».

(٤) فِي النَّفْعِ: «لاتخاذ».

(٥) فِي النَّفْعِ: «وجود».

(٦) التُّجْرُ، بفتح النون وسكون الجيم: الأصل واللون. لسان العرب (نجر).

(٧) كلمة «سنة» غير واردة في النفع.

(٨) فِي الْأَصْلِ: «خمس» وهو خطأ نحوي.

(٩) فِي النَّفْعِ: «غدها».

(١٠) القصيدة فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ (ج ٧ ص ٣٧٢ - ٣٧٨).

(١١) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ: «قُلْ لِنَسِيمٍ».

(١٢) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ: «الله».

ثم حَشَّتْ الخطو من فوق الكَثِيبِ الْأَغْفَرِ
مُسْتَقْرِيَا فِي عُشْبِهِ خَفِي^(١) وَطْءِ الْمَطَرِ
تُرْوِي عَنِ الضَّحَاكِ فِي الرِّيبِ وَضِ حَدِيثِ الزُّهَرِ
مُخَلِّقَ الْأَذْيَالِ بِالْعَبِيرِ أَوْ بِالْعَنْبَرِ
وَصِفَ لَجِيرَانِ الْجَمَى وَجُدِي بِهِمْ وَسَهْرِي
وَحَقَّقْهُمْ مَا غَيَّرَتْ وَدِّي صُرُوفُ الْغَيْرِ
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ قَضُؤٌ يَنْتِ حَمِيدُ الْأَثَرِ
أَيَّامُهُ هِيَ السَّيِّئُ أَخْسُبُهَا مِنْ عُمْرِي
وَبِالْأَيْلِ فِيهِ مَا عَيْبُ بَغِيرِ الْقِصَرِ
الْعُمْرُ قَبِيْلَانُ وَوَجْدُ هُ الدَّهْرُ طَلَقُ الْغُرَرِ
وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ ظِلْمٍ كَنَظْمِ الدُّرَرِ
صَفْوٌ مِنَ الْعَيْشِ بِلَا أَتَسَّ جَنِي الثَّمَرِ
مَا بَيْنَ أَهْلِ تَقْطِيفِ الدَّمَرِ شَائِبَةٌ مِنْ كَسَدَرِ
وَبَيْنَ آمَالِ تُبَيِّدُ حُ الْقُرْبِ صَافِي الْعُدْرِ^(٢)
يَا شَجَرَاتِ الْحَيِّ حَيُّ لَكَ الْحَيَا مِنْ شَجَرِ
إِذَا أَجَالُ الشُّوقِ فِي تِلْكَ الْمَغْنَانِي فِكْرِي
خَرُجَتْ مِنْ خُدِّي حَدِيدُ كُ الدَّمْعِ فَوْقَ الطُّرَرِ
وَقَلْبِي يَا خُدُّ أَزْوٍ مِنْ دَمْعِي صِحَاخِ الْجَوْهَرِي
عَهْدِي بِحَادِي^(٣) الرُّكْبِ كَالِ رَوَاقِ عِنْدَ السَّحَرِ
وَالْعَيْسُ تَجْتَابُ الْقَلَا وَالْيَغْمَلَاتُ تَنْبَرِي^(٤)
تَخْبِطُ بِالْأَخْفَافِ مِظْلُ لَوْمِ الْبَرَى وَهُوَ بَرِي^(٥)
قَدْ عَطَفْتُ عَنْ مَيِّدِ وَالتَّفَتُّ^(٦) عَنْ حَوَرِ

(١) في نفع الطيب: «مخفي وطاء». (٢) العُدْر: جمع غدِير. لسان العرب (غدر).

(٣) حادي الركب: الذي يحدو للإبل لتنشط في سبيلها. لسان العرب (حدا).

(٤) اليغملات: جمع يغملة وهي الناقة النجبية المعتملة المطبوعة على العمل. تنبري: تعترض، أي إنها تباري الإبل في سرعة سيرها. محيط المحيط (عمل) و(بري).

(٥) البرى، بالفتح: التراب. بري: أي بريء، فسهل الهمة. لسان العرب (بري) و(برأ).

(٦) في الأصل: «والتفت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

قِسِي سَيْر^(١) ما سوى الـ
حتى إذا الأعلامُ خُلِ
واستَبَشَرَ النازحُ بالـ
وعَيْن الميقاتِ للـ
والناس^(٢) بين مُحَرَّم
لَبِيكَ لَبِيكَ إِلـ
ولاحِظِ الكُفَّةَ بيـ
مقامَ إبراهيم والـ
واغتنمِ القومَ طَوَا
وأعقبوا رُكْعَتِي السـ
وعَرَفُوا فِي عَرَفَا
ثم أفاض الناس سـ
فوقفوا وكبُّروا
وفي مِنَى نالوا المُنَى
وبعد رَمَى الجَمْرَا
أَكْرَمَ بِذَاكَ الصُّخْبِ^(٣) والـ
يا قُوْزَهُ مِنْ مَوْقِفِ
حتى إذا كان الودَا
فَأَيُّ صَبْرٍ لَمْ يَحْصُنْ
وَأَيُّ وَجْدٍ لَمْ يَصُلْ

عَزَمَ لَهَا مِنْ وَتَرِ
لَتَّ لِيَحْفَسِي الْبَشَرِ
قَرَبَ وَتَيْلِ الْوَطَرِ
فَرِ^(٤) نَجَاحُ السُّقَرِ
بِالْحَجِّ أَوْ مُغْتَمَرِ
ه الخَلْقِ بِأَرِي الصُّوَرِ
تُ اللهُ ذَاتُ الْأَكْسَرِ
مَأْمُنٌ عِنْدَ الدُّعَرِ
فَ الْقَادِمِ الْمُبْتَدَرِ^(٥)
عِي اسْتَلَامَ الْحَجَرِ
يَ كُلَّ عَرَفٍ أَذْقَرِ^(٦)
يَا فِي غِيْدٍ لِيَمَشَعَرِ^(٧)
قَبْلَ الصَّبَاحِ الْمُشْفَرِ
وَأَيَقِنُوا بِالظُّفَرِ
تَ كَانَ خَلْقُ الشُّعَرِ
لَهُ وَذَاكَ التُّفَرِ^(٨)
يَا رُبْحَهُ مِنْ مَشْجَرِ
عُ وَطَوَافُ الصُّدْرِ^(٩)
أَوْ جَلْدٍ لَمْ يَغْدُرِ^(١٠)
وَسَلْوَةٍ لَمْ تُهْجَرِ

(١) يشبه الإبل الهزيلة السريعة بالقسي.

(٢) في النفع: «فالتاس».

(٣) المبتدر: المرع إلى عمل شيء، وأراد: طواف القدوم. لسان العرب (بدر).

(٤) الأذقر: الطيب الرائحة. لسان العرب (ذفر).

(٥) المشعر: موضع مناسك الحج. محيط المحيط (شعر).

(٦) في النفع: «الشفر».

(٧) الصُّدْر: الرجوع، وطواف الصدر هو الطواف الذي يكون آخر أعمال الحج، سمي بذلك لأنهم

يعودون بعده إلى بلادهم.

(١٠) يقول: إنهم جزعوا لمفارقة مكة.

ما أَفْجَعَ الْبَيْنَ لَقَدْ
 ثُمَّ تَنَوَّاهُ نَحْوَ رَسُولٍ
 فَعَايَنُوا فِي طَيْبَةِ
 زَارُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْـ
 نَالُوا بِهِ مَا آمَلُوا
 عَلَى الضَّجِيعِينَ أَبِي
 زِيَارَةُ الْهَادِي الشُّفِي
 فَأَخَسَّنَ اللَّهُ عِزًّا
 رَبِّعُ تَرَى مُسْتَنْزَلَ الْ
 وَمِلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْ
 وَرَوْضَةَ الْجَنَّةِ بِـ
 مُنْتَخَبِ اللَّهِ وَمُخْـ
 وَالْمُنْتَقَى وَالْكُونُ مِنْ
 إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أَفْقٍ
 ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْغُرِّ أَمْ
 يَشْهَدُ بِالضُّدْقِ لَهُ
 وَالضُّبِّ وَالطَّبِي إِلَى
 مِنْ أَطْعَمَ الْأَلْفَ بِصَا
 وَالْجَيْشَ رَوَاهُ بِمَا
 يَا نُكْتَةَ الْكُونِ الَّتِي
 يَا حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الْ

بِ الْوَالِدِ الْمُسْتَغْفِر^(١)
 لِ اللَّهِ سَيَّرَ الضُّمَّرَ
 لِأَلَاءِ نَسُورِ نَسِيرِ
 تَشَقَّعُوا بِلَثَمِ الْجُدُرِ
 وَعَرَّجُوا فِي الْأَثَرِ
 بِكَرِ الرُّضَا وَعُمَرِ
 عِ جُنَّة^(٢) فِي الْمَحْشَرِ
 قَاصِدٍ لَمْ يَزُرْ
 آيِ بِهِ وَالسُّورِ
 هَادِي الزُّكِّي الْعُنْصُرِ^(٣)
 يَنْ رَوْضَةٍ وَمُنْبَرِ
 خَارِ الْوَرَى مِنْ مُضَرِ
 مِلَابِسِ الْخَلْقِ عَرِي
 مِنْ رُحْلٍ أَوْ مُشْتَرِي^(٤)
 ثَالِ النُّجُومِ الزُّمَرِ
 مِنْهَا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ^(٥)
 تُطْقِي الْحَصَى وَالشَّجَرِ
 عِ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ
 الرَّاحَةِ الْمُتْهِمَرِ
 فَاتَتْ مَنَالَ الْفِكْرِ^(٦)
 رَائِحِ وَالْمَبْتَكِرِ
 لَهُ وَخَيْرَ الْبَشَرِ

(١) فِي النَّفْحِ: «الْمُسْتَغْفِر».

(٢) الْجُنَّةُ: بِضَمِّ الْجِيمِ: الرِّقَابَةُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (جَنَنٌ).

(٣) أَرَادَ بِالزُّكِّيِ الْعُنْصُرَ: النَّبِيَّ ﷺ.

(٤) فِي نَفْحِ الطَّبِي: «وَمُشْتَرِي».

(٥) انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ مَعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ السَّاعَةَ أَتَشَقُّ الْقَمَرُ ۖ﴾. سُورَةُ

الْقَمَرِ ٥٤، آيَةُ ١.

(٦) الْفِكْرُ: جَمْعُ فِكْرَةٍ، وَأَرَادَ الْعَقُولَ، وَقَوْلُهُ: فَاتَتْ مَنَالَ الْفِكْرِ: أَيِ عَجَزَ الْمَفْكُرُونَ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ.

يا من له الشَّقْدَم الـ
يا من لدى مَوْلده
إِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجُ إِذْ
وَمَوْقِدُ النَّارِ طِفَا
يا عُمْدَتِي يا مَلْجَأِي
يا من له اللَّوَاءُ وَالـ
يا مَنْقَذُ الْعَرْقَى وَهَم
إِنْ لَمْ تُحَقِّقْ أَمَلِي
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا
يا وَبَحْ نَفْسِي كَمْ أَرَى
واحسرتي^(١) من قِلَّةِ الـ
يُجِجُنِي وَاللهُ بِالـ
يا حُسْنَهَا مِنْ خُطْبِ
يا حُسْنَهَا مِنْ شَجَرِ
أَوْمَلِ الْأَوْبَةِ وَالسـ
أَسَوْفُ الْعِزِّ بِهَا^(٢)
مِنْ صَفَرٍ لِرَجَبِ
ضَيِّغَتْ فِي الْكِبَرَةِ مَا
وَلَيْسَ مَا مَرُّ مِنَ الـ
وَقُلْ مَا أَنْ حُمِدَتْ
وَلِي غَرِيمٌ لَا يَنْسِي
يا نَفْسُ جَدِّي قَدْ بَدَا الـ
وَأَعْظَى بِمَنْ مَضَى

حَقُّ عَلَى التَّأْخِرِ
الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ
ضَاقَتْ^(٣) قُصُورُ قَيْصَرِ
كَأَنَّهُا لَمْ تُنْعَرِ^(٤)
يا مَفْزَعِي يَا وَزْرِي
حَوْضُ وَوَرْدُ الْكَوْثَرِ
رَهْنُ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
بُؤْتُ بِسُعْيِ الْمُخْصِرِ
نُورِ الدُّجَا الْمُغْتَكِرِ
مِنْ غَفْلَتِي فِي عُمَرِ^(٥)
زَادَ وَبُغْدُ السُّفَرِ
بِرَهَانٍ وَغَطُّ الْمَنْبَرِ
لَوْ حُرِّكَتْ مِنْ نَظَرِي^(٦)
لَوْ أَوْزَقْتُ مِنْ ثَمَرِ
أَمْرٍ بِكَفِّ الْقَدَرِ
مِنْ شَهْرِ لِشَهْرِ
مِنْ رَجَبٍ لِصَفَرِ
أَعْدَدْتُهِ فِي صَفَرِي
أَيَّامَ بِالْمُنْتَظَرِ
سَلَامَةً فِي غَرَرِ
عَنْ^(٧) طَلَبِ الْمُتَكَبِّرِ
صَبَحَ أَلَا فَاغْتَبِرِي
وَارْتَدَّعِي وَارْتَدَّجِرِي

(٢) في النفع: «ضامت». طفي كأنه لم يُنْعَرِ.

(٣) في النفع: «في غفلة من عُمَرِي».

(٤) في الأصل: «واحسروا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «من نظر» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «في».

(٧) في النفع: «به».

ما بغد شَيْبِ الفؤد من
 أنتِ وإن طال المدى
 وليس من عُذر يُقيـ
 يا ليت شعري والمُنَى
 هل أرتجي من عودةٍ
 فأبرد الغُلة من
 مقتدياً بمن مضى
 نالوا جوار الله وهـ
 أرجو بإبراهيم مو
 فوعده لا يُمْتَرِي
 فهو^(٥) الإمام المُرتضى
 أكرم من نال المنى^(٦)
 مُمهّد الملك وسيـ
 خليفة الله السدي
 وكان منه الخُبْرُ في الـ
 فصَدَّقَ الثَّصديق من
 ومستعين الله في
 فاق الملوك الصُّيدا^(٧) بالـ
 فأصبح آل قبائهم
 وحاز منهم^(٨) أوحد
 برأيه المأمون أو
 بسيفه السُّفاح أو

مُرْتَقَبِ قَشْمَرِي
 في قُلْعَةٍ^(١) أو سَفَرِ^(٢)
 م حُجَّة المُنْتَذر
 تَسْرِقُ طيِب العُمَر
 أو رجعة أو صَدْر
 ذاك الزُّلالِ الخَصِر^(٣)؟
 من سَلَفٍ ومَغشَر
 والفَخْرُ للمُقْتَسِر
 لانساً بلوغ الوَطَر
 في الصَّدق منه المُمْتَرِي^(٤)
 والخَيْر ابن الخَيْر
 بالمُرْهفات البُثْر
 فالحق والليث الجري
 فاق بحسن السَّير
 علياء وفق الخبر
 مرآة للتصوّر
 وزد له وضدّر
 مجد الرُفيع الخطر
 مَنَسِيَّة لم تُذْكَر
 وُضِفَ العديد الأكثر
 عسكره المُظفّر
 بعزمه المُقْتَدِر^(٩)

(١) القُلْعَة: الانتقال. لسان العرب (قلع).

(٢) في النفح: «وسفر».

(٣) الخَصِر: العذب البارد. لسان العرب (خصر).

(٤) في نفح الطيب: «ممتري». وامتنى في الشيء: شك فيه. محيط المحيط (مرى).

(٥) في نفح الطيب: «وهو».

(٦) في نفح الطيب: «الغلاء».

(٧) في الأصل: «الصيد»، والتصويب من النفح.

(٨) في النفح: «منه».

(٩) في هذا البيت والذي يليه تورية بأسماء بعض الخلفاء.

بالْعَلَمِ الْمَنْصُورِ أَوْ بِالذَّابِلِ الْمُسْتَنْصِرِ^(١)
 بِابْنِ^(٢) الْإِمَامِ الطَّ هَامِرِ الْبَرِّ الزُّكِيِّ السَّيْرِ
 مَذْحُكَ قَدْ عَلِمَ نَظْ سَمِ الشَّغْرِ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ
 جَهْدُ الْمُقِلِّ الْيَوْمَ مِنْ مَثَلِي كَوْسَعِ الْمُكْثَرِ
 فَإِنْ يُقْصِرْ ظَاهِرِي فَلَمْ يُقْصِرْ مُضْمِرِي

وَوَرَدَتْ^(٣) عَلَى^(٤) بَابِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْعَالِمِ^(٥) أَبِي عَنَّانٍ، قَبَلَوْتُ مِنْ مِشَارِكْتِهِ، وَحَمِيدِ سَعِيهِ مَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ. وَلَمَّا نَكَّبَهُ لَمْ أَقْصِرْ عَنْ مُمَكِّنِ حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ. وَلَمَّا^(٦) هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَّانٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ الْمُتَلَحِّقِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ، كَانَ مِمَّنْ دُمْتُ^(٧) لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَنَاخَ رَاحِلَةَ الْمَلِكِ، وَخَلَبَ ضَرْعَ الدَّعْوَةِ^(٨)، وَخَطَبَ عُرُوسَ الْمَوْهَبَةِ، فَأَنْشَبَ طُفْرَهُ فِي مَتَابِ مَقْقُودٍ مِنْ لَدُنِ الْأَبِ، مُشْدُودٍ مِنْ لَدُنِ الْقُرْبَةِ^(٩)، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ كُتْبٍ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْرِهِ، وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَنْ بَيْتِهِ، وَلَا انْفَرَدَ بِمَا سِوَى بَضْعِ أَهْلِهِ، بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَلَا يَمْخُوحُ وَيُثْبِتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ حَدِّهِ، فَغَشِيَتْ بِأَبِهِ الْوُفُودُ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأُمَالُ، وَخَدِمَتْهُ الْأَشْرَافُ وَجَلِيَّتْ إِلَى سُدَّتِهِ بَضَائِعُ الْعُقُولِ وَالْأُمُوالِ، وَهَادَتْهُ الْمُلُوكُ، فَلَا تَخْذُو^(١٠) الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تَحْطُ الرِّحَالُ إِلَّا لَدَيْهِ. إِنْ خَضَرَ أُجْرِي الرِّسْمِ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، لَخَطَّأَ أَوْ سِرَّازًا أَوْ مَكَاتِبَةً، وَإِنْ غَابَ، تَرَدَّدَتْ الرُّقَاعُ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ. ثُمَّ انْفَرَدَ أَخِيرًا بِبَيْتِ الْخَلْوَةِ، وَمُنْتَبِذِ الْمُنَاجَاةِ، مِنْ دُونِهِ مُصْطَفُ الْوُزَرَاءِ، وَغَايَاتِ الْحُجَابِ، فَإِذَا انْصَرَفَ تَبِعَتْهُ الدُّنْيَا، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ، وَوَقَفَتْ بِبَابِهِ الْأُمَرَاءُ، قَدْ وَسَّعَ الْكُلُّ لِحَظَّهُ، وَشَمِلَهُمْ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَالْأُمُوالِ رَغْيُهُ، وَوَسَمَ أَفْدَادَهُمْ تَسْوِيْدُهُ، وَعَقَدَتْ بَيِّنَاتُ عَلَيْهِمْ بَنَانَهُ. لَكِنْ رَضِيَ النَّاسُ غَايَةَ^(١١) لَا تُدْرِكُ، وَالْحَقْدُ^(١٢) بَيْنَ بَنِي آدَمَ قَدِيمٍ، وَقَبِيلُ الْمَلِكِ مَبَايِنٌ لِمِثْلِهِ، فَطُوِيَتْ الْجَوَانِحُ مِنْهُ^(١٣) عَلَى سَلِّ،

(١) في النسخ: «المتنصر».

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٣) كلمة «على» غير واردة في النسخ.

(٤) كلمة «العالم» غير واردة في النسخ.

(٥) في النسخ: «دانت».

(٦) في النسخ: «الدولة».

(٧) في النسخ: «الغاية».

(٨) في النسخ: «والحسد».

(٩) في النسخ: «الغاية».

(١٠) كلمة «منه» غير واردة في النسخ.

وَحُيْتُ الضُّلُوعَ عَلَى بَثٍّ، وَأَغْمَضْتُ الْجَفُونَ عَلَى قَدَى، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ نُكْبَتِهِ^(١) مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ طُهْرًا.

وَلَمَّا جَزَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى السُّلْطَانِ^(٢) بِالْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ لِحَاقٍ جَمِيعَنَا بِالْمَغْرِبِ، جَنَيْتُ ثَمَرَةً مَا أَسْلَفْتُهُ فِي وُدِّهِ، فَوْقَى كَيْلَ^(٣) الزَّوْفَا، وَأَشْرَكَ فِي الْجَهَاءِ، وَأَدْرُ الرِّزْقِ، وَرَفَعَ الْمَجْلِسَ بَعْدَ التَّنْسِيبِ^(٤) فِي الْخِلَاصِ وَالسَّعْيِ فِي الْجَبْرِ، جَبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ لَهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ذَلِكَ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾^(٥).

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ سُلْطَانِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَذَفَ بِهِ بِحَرِّ التَّمَحِيصِ إِلَى شَطْطِهِ، وَأَضْحَى جَوْ الثُّكْبَةِ بَعْدَ انْطِبَاقِهِ، آثَرَ التَّشْرِيقِ بِأَهْلِهِ وَجُمْلَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ بَتُونَسَ خَطِيبِ الْخِلَافَةِ، مَقِيمًا عَلَى رَسْمِهِ مِنَ التَّجَلُّةِ، ذَائِعِ الْفَضْلِ هُنَالِكَ وَالْمِشَارَكَةِ، وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةُ إِلَى الْآنَ، كَانَ اللَّهُ لَهُ.

وَكُنْتُ^(٦) أَحْسَنْتُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ^(٧) الْوَارِدَةِ صَاحِبِيَّةً إِلَى الدُّنْيَا، وَحَنِيتُ لَمَّا فَارِقَ^(٨) مِنْ غُرُورِهَا، فَحَمَلَنِي الطُّورُ الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، عَلَى أَنْ خَاطَبْتُهُ^(٩) بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَحَقُّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا خَدَمَةُ الْمُلُوكِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى نُبْلِ، أَوْ يُلَمَّ^(١٠) بِمَعْرِفَةٍ، مُضَحِّقًا يَذْرُسُهُ، وَشِعَارًا يَلْتَزِمُهُ، وَهِيَ^(١١):

سَيِّدِي الَّذِي يَدُهُ الْبَيْضَاءُ لَمْ تَذْهَبْ بِشَهْرَتِهَا الْمَكَافَاةَ^(١٢)، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَذْحِهَا الْأَفْعَالِ وَلَا تَغَايِرَتْ فِي حَمْدِهَا^(١٣) الصِّفَاتِ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا الْعِظَامُ الرُّفَاتِ، أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكُونِ^(١٤) كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَعْضِهِ، وَرَشَّدَكَ^(١٥) فِي سَمَائِهِ الْعَالِيَةِ وَأَرْضِهِ، وَحَقَّرَ الْحِظَّ فِي عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَخْمِلُكَ عَلَى رَفْضِهِ. اتَّصَلَ بِي الْخَبِيرُ السَّارُ مِنْ تَزَكَّكَ لِسَانِكَ، وَإِجْنَاءِ اللَّهِ إِلَيْكَ ثَمَرَةَ إِحْسَانِكَ، وَانْجِيَابِ ظَلَامِ

(١) في النفع: «نكبتة الثالثة».

(٢) في النفع: «فوقى الكيل».

(٣) في النفع: «فوقى الكيل».

(٤) سورة الشعراء ٢٦، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) في النفع: «كتبته الواردة إلي صاغية...».

(٧) في النفع: «أخاطبه».

(٨) في النفع: «أخاطبه».

(٩) في النفع: «أخاطبه».

(١٠) في النفع: «أخاطبه».

(١١) في النفع: «أخاطبه».

(١٢) في النفع: «أخاطبه».

(١٣) في النفع: «أخاطبه».

(١٤) في النفع: «أخاطبه».

(١٥) في النفع: «أخاطبه».

الشدة الحالِك، عن أفق حالِك، فكبرت^(١) لانتشاق عفو الله العطر^(٢)، واستغبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج لا يسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر^(٣)، إنما هو فية^(٤)، وظل ليس له من الأمر شيء، ونسأله^(٥) جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا ونبيها، وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتذنيها، وكأني^(٦) والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها ولا حول ولا قوة إلا بالله لطبعك، وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والمليك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول: لبت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها^(٧) الرتبة العليا، وأفرض^(٨) المثال لحالة^(٩) إقبالها، ووصل جبالها، وضراعة سبيلها، وخشوع جبالها. ألتوقع المكروه صباح مسا^(١٠)، وارتقاب الجواله التي تدل من التعميم البأسا^(١١)، ولزوم المنافسة التي تعادي الأشراف والرؤسا^(١٢)؟ أترتب العتب، حتى^(١٣) على التقصير في الكتب، وضعية جار الجنب، ولوع الصديق بإحصاء الذنب؟ ألنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري، وتطويقك المؤبقات وأنت منها عري؟ ألاستهدافك للمضار التي تئجها غيره الفروج، والأحقاد التي تضطبها^(١٤) ركنة السروج وسرحة المروج، ونجوم السما ذات البروج؟ ألتقلدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فافتك، من حاجة لا يقتضي قضاءها^(١٥) الوجود، ولا يكفيها^(١٦) الركوع لملك والسجود؟ ألقطع الزمان بين سلطان يغبد، وسهام للغيوب تكبد، وعجاجة^(١٧) شر تببد، وأقبوحة تخلد وتوبد؟ أوزير يصانع ويدارى، وذو حجة صحيحة يجادل في مرزاة السلطان ويمارى، وعوزة لا توارى؟ ألباكرة كل عائب^(١٨) حاسد، وعدو مستأيد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسيد، وحال فاسد؟ أالفود^(١٩) تتزاحم بسدتك،

- (١) قوله: «فكبرت» وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت، لا يسوى...، غير وارد في النفع.
 (٢) في الأصل: «العاطر»، وقد صوبناه لتستقيم السجعة.
 (٣) يبتدر: يسرع.
 (٤) الفيء: الظل.
 (٥) في النفع: «ونسأل الله جل وعلا...». (٦) في النفع: «وكأني».
 (٧) الزبرج: الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك. محيط المحيط (زبرج).
 (٨) في النفع: «ونفرض».
 (٩) في النفع: «بحال».
 (١٠) في النفع: «صباحا ومساء».
 (١١) في النفع: «البأساء».
 (١٢) في النفع: «والرؤساء».
 (١٣) كلمة «حتى» غير واردة في النفع.
 (١٤) في النفع: «تضبطها».
 (١٥) في الأصل: «قضاها» والتصويب من النفع.
 (١٦) في النفع: «ولا يكفيها».
 (١٧) المعجاجة: المعجاج وهو الفبار. محيط المحيط (عجج).
 (١٨) في النفع: «قرن».
 (١٩) في النفع: «الفود».

مُكَافَءٌ لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوِّكَ، فَإِنْ لَمْ تَتَلَّ أَغْرَاضَهَا^(١) قَلَبْتَ عَلَيْكَ السَّمَاءَ مِنْ فَوْقَكَ؟ أَلْجُلُاسُ بِيَابِكَ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ^(٢) رَجْوَعِكَ وَإِيَابِكَ، إِلَّا بِقَبِيحِ اغْتِيَابِكَ؟ فَالْتَصَرُّفَاتُ تُمَقَّتْ، وَالْقَوَاطِعُ التَّجُومِيَّاتُ^(٣) تُؤَقَّتْ، وَالْأَلَاقِي^(٤) تُبْتُ، وَالسَّعَايَاتُ تُحْتُ، وَالْمَسَاجِدُ يُشْتَكِي فِيهَا^(٥) الْبْتُ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي يَدِكَ بِمَنْزِلَةِ الْجِمَارِ الْمَدْبُورِ، وَالْيَتِيمِ الْمَخْجُورِ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ، لَيْسَ لَهُ شَهْوَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَا أَمَلٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَرْبٌ، وَلَا مَوْجِدَةٌ^(٦) لِأَحَدٍ كَامِنَةٌ، وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَنِ رَأْيِ نَفْرَةٍ، وَلَا بِإِزَاءِ مَا لَا يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفْرَةٌ، إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصَيْدِكَ، وَعَانٌ فِي قَيْدِكَ، وَآلَةٌ لَتَصْرُفِ كَيْدِكَ، وَأَنْتَ عِلَّةُ خَيْفِهِ، وَمُسْلَطُ سَيْفِهِ: الشُّرَارُ يَسْمُلُونَ عُيُونَ النَّاسِ بِأَسْمِكَ، ثُمَّ يَمَزُقُونَ بِالْعَيْنَةِ مَزْقَ جِسْمِكَ، قَدْ تَنَخَّلَهُمُ الْوُجُودُ أَخْبِتَ مَا فِيهِ، وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ، إِذَ الْخَيْرُ يُسْرُهُ^(٧) اللَّهُ عَنِ الدُّوْلِ وَيُخْفِيهِ، وَيُفْرِجُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، فَهَمَّ يَمْتَاخُونَ بِكَ وَيَوْلُونَكَ الْمَلَامَةَ، وَيَقْتَحِمُونَ^(٨) عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ وَيَسُدُّونَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ إِلَّا مَا يَعُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ، وَلَا يَقُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ، وَذَهَابِ صُدَاعِهِ، مِنْ غِذَاءٍ يُشْبِعُ، وَثَوْبٍ يُقْنَعُ، وَفِرَاشٍ يُنِيْمُ، وَخَلِيمٍ يَقْعُدُ وَيُقِيمُ. وَمَا الْفَائِدَةُ فِي فُرْشٍ تَحْتَهَا جَنْمُ الْغَضَا، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا، وَجَاهٍ يُحَلِّقُ عَلَيْهِ سَيْفٌ مُتَنَضِي؟ وَإِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ، وَاللَّحَاجُ حَوْلَ الْمَسْقَطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَهْلِكُ^(٩)، فَكَيْفَ تُنْسَبُ^(١٠) إِلَى ثُبُلٍ، أَوْ تَسِيرُ^(١١) مَعَ^(١٢) السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ؟ وَإِنْ وَجَدْتَ فِي الْقُعُودِ^(١٣) بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ، بَعْضَ الْأَرْبَحِيَّةِ، فَلَيْتَ شِغْرِي أَيْ شَيْءٍ زَادَهَا، أَوْ مَغْنَى أَفَادَهَا، إِلَّا مُبَاكَرَةً وَجْهِ الْحَاسِدِ، وَذِي الْقَلْبِ الْفَاسِدِ، وَمَوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ؟ أَوْ شَعْرَتَ بَعْضِ الْإِنْسَانِ، فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ. هَلْ^(١٤) اَلْتَدَّتْ إِلَّا بِجَلْمٍ كَاذِبٍ، أَوْ جَذْبِهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَاذِبٍ^(١٥)؟ إِنَّمَا الْحِلْيَةُ^(١٦) وَاقْتَنَكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْبِزَّةِ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدَّتْ^(١٧)

(١) في النفع: «إِنْ لَمْ يَقَعْ الْإِسْعَافُ قَلْبَكَ...».

(٢) في النفع: «زَمَانٌ».

(٣) كلمة «النجوميات» ساقطة في النفع.

(٤) الْأَلَاقِي: جَمْعُ أَلْقِيَةٍ وَهِيَ مَا أَلْقَى مِنَ التَّحَاجِي وَالْأَلَاغِزِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (لَقِي).

(٥) في النفع: «فِي حَلْقِهَا».

(٦) الْمَوْجِدَةُ: الْغَضَبُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (وَجَد).

(٧) في النفع: «يُسْرُهُ».

(٨) في الأصل: «تَمْلِكُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ. (١٠) فِي الْأَصْلِ: «يَنْسَبُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(١١) فِي الْأَصْلِ: «أَوْ يُسَرُّ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ. (١٢) فِي النَّفْعِ: «مِنْ».

(١٣) فِي النَّفْعِ: «الْجُلُوسُ».

(١٤) فِي النَّفْعِ: «جَاذِبٌ».

(١٥) فِي النَّفْعِ: «إِنَّمَا رَاكِبٌ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْحِلْيَةِ وَالْبِزَّةِ...».

(١٦) فِي النَّفْعِ: «حَدَّتْ».

بخبرك، وَيَتَّبِعْ بِالنَّدِّ والتَّجَسُّسِ مواقعَ نظرك، وَيَمْنَعُكَ من مسَايرةِ أنيسِكَ^(١)، ويحتال على فراغِ كيسِكَ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لك ولرئيسِكَ^(٢). وأيُّ راحةٍ لمن لا يُباشِرَ قَضاهُ، وَيَسِيرُ^(٣) متى شاءَ وَخَده؟ ولو صَحَّ في هذه الحالِ لله حَظٌّ، وَهَبَه زَهِيدًا، أو عَيْنَ^(٤) للرُّشدِ عَمَلًا حَمِيدًا، لَسَاغَ الصَّابِ^(٥)، وَخَفَّتِ الأَوْصَابُ^(٦)، وَسَهَّلَ المُصَابُ. لكن الوقتُ أَشْغَلَ، والفكرُ أَوْغَلَ، والزَّمَنُ قد غَمَرَتْهُ الحَصَصُ الوَهْمِيَّةُ، واستَنَفَدَتْ منه الكُمِيَّةُ، أما ليلُهُ ففَكَرَ أو نَوَّمَ، وَعَثَبَ يَجْرُ^(٧) الضَّرَاسِ وَلَوَمَ، وأما يومُهُ فَتَذَبِيرٌ، وَقَبِيلٌ وَدَيِيرٌ، وأمورٌ يَغَيَّا بها نَبِيرٌ^(٨)، وبِلَاءٌ مُبِيرٌ، وَلَقَطٌ لا يَدْخُلُ فيه حَكِيمٌ كَبِيرٌ، وأنا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ. ووالله يا سَيِّدِي، وَمَنْ فَلَقَ الحَبَّ وأَخْرَجَ الأَبَّ^(٩)، وَذَرَأَ من مَشَى ومن^(١٠) دَبَّ، وَسَمَّى نَفْسَهُ الرَّبَّ، لو تَعَلَّقَ المَالُ الَّذِي يَجِدُهُ هَذَا الكَذْحُ^(١١)، وَيُورِي سَقِيظَهُ هَذَا القَذْحُ، بِأَذْيَالِ الكَوَاكِبِ، وَزَاخَمَتِ البَذَرُ يَذْرُهُ بِالمَنَاكِبِ، لَمَّا^(١٢) وَرِثَهُ عَقِبٌ، وَلَا خَلَصَ بِهِ مُحْتَقِبٌ^(١٣)، وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ وَلَا مُتَّقِبٌ. والشَّاهِدُ الدُّوَلُ والمَشَائِمُ^(١٤) الأولُ: فَأَيْنَ الرَّبَاعُ المُقْتَنَاءَةُ؟ وَأَيْنَ الدِّيَارُ المُبْتَنَاءَةُ^(١٥)؟ وَأَيْنَ الحَدَائِقُ^(١٦) المُعْتَرَسَاتُ، وَأَيْنَ الدُّخَانُ المُخْتَلَسَاتُ؟ وَأَيْنَ الودائعُ المُوَافِقَةُ، وَأَيْنَ الأَمَانَاتُ المَحْمَلَةُ؟ تَأْذَنُ اللهَ بِتَثْبِيرِهَا، وَإِذْنَاءِ نَارِ التَّبَارِ^(١٧) من دَنَائِيرِهَا، فَقَلَمًا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا أَغْرَاءَ الظُّهُورِ^(١٨)، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَايَاتِ^(١٩) الشُّهُورِ، مُتَعَلِّينَ بِالهَبَاءِ المُنْثُورِ، يُطَرِّدُونَ مِنَ الأبْوَابِ الَّتِي حُجِبَ عِنْدَهَا^(٢٠) أَبَاؤُهُمْ، وَعَرَفَ

(١) في الأصل: «من شارة أنيسك»، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «ولرئيسك»، والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «ويمشي إذا شاء...». (٤) في النفع: «وعين».

(٥) الصاب: عصارة شجر مر. لسان العرب (صوب).

(٦) الأوصاب: جمع وصب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٧) في النفع: «بجرا الضرائر ولوم».

(٨) ثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. الروض الممطر (ص ١٤٩).

(٩) الأب: الكلا والمعوى. لسان العرب (أب).

(١٠) في الأصل: «ما» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «الذي يعجزه هذا القذح».

(١٢) في الأصل: «لا» والتصويب من النفع.

(١٣) محتقب: محتمل؛ يقال: احتقب الشيء إذا وضعه في حقيقته. لسان العرب (حقب).

(١٤) في الأصل: «والمشائم». (١٥) في الأصل: «المبتدأة» والتصويب من النفع.

(١٦) في النفع: «الحوائط».

(١٧) في الأصل: «وإذناء وتار الثيار»، والتصويب من النفع. والتببير: الإهلاك. والتبارة: الهلاك.

محيط المحيط (تبر).

(١٨) في الأصل: «إلا أغرأ للظهور» والتصويب من النفع.

(١٩) في النفع: «الجرايات». (٢٠) في النفع: «عنها».

منها إباؤهم، وشُم من مقاصيرها عَنَبَرُهم وكَبَاؤُهم، لم^(١) تُسامحهم الأيام إلا في إرثٍ مُحَرَّرٍ، أو حلالٍ مُقَرَّرٍ، وربما مُحَقَّه الحَرام، وتَعَذَّر منه المَرام. هذه، أعزك الله، حالُ قَبُولِها^(٢) ومالِها مع الترفيه، وعلى فرض أن يَسْتَوِي العُمر في العزِّ مُستَوِيه. وأما ضِدُّه من عدوِّ يتحكَّم ويتَنَقَّم، وحثُّو بَغْيٍ يَتَبَلَّعُ وَيَلْتَقِمُ، وطَبَّقَ^(٣) يَحْجِبُ الهواء، ويُطِيلُ في الثرابِ الثَّواء، وتُعَبِّان قيد^(٤) يعضُّ السَّاق، وشوْبُوب عذابٍ يُمَزَّقُ الأَبشار الرِّقاق، وغيلةٌ يهديها الرَّاقيبُ^(٥) الفاسق، ويَجْرَعُها العدوُّ الفاسق، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق^(٦)]، مع الأفول والشروق. فهل في شيءٍ من هذا مُغْتَبَطٌ لنفس حُرَّة، أو ما يساوي جُرْعَةً حَالٍ مُرَّة؟ واحسرتاه للأحلام ضَلَّتْ، وللأقدام زَلَّتْ، ويا لها مُصِيبَةً جَلَّتْ! ولسيدي أن يقول: حَكَمْتُ عليَّ^(٧) باستِثقال الموعِظة واستِجْفافِها، ومُراوِدَةِ الدُّنيا بين خَلَانِها وأَكْفائِها، وتناسي عدم وفائِها، فأقول: الطَّبيبُ بالِعللِ أدري، والشَّفيقُ بسوءِ الظَّنِّ مُغْرَى، وكيف لا وأنا أَقِفُ على السَّحَابَاتِ بِخَطِّ يدِ^(٨) سيدي من مَطَارِحِ الاعتِقَالِ، ومَثَاقِفِ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَخَلَوَاتِ^(٩) الاستعداد للقاءِ الحُطُوبِ الشَّدَادِ، ونَوْشِ^(١٠) الأَسِنَّةِ الجِدَادِ، وحيث يَجْمَلُ بِمِثْلِهِ إِلَّا يَضْرِبُ في غير الخَضُوعِ لله بَنَانًا، ولا يَثْنِي لمخلوق عِنَانًا. وأتعرِف أنها قد ملأت الجَوَّ والدُّوَّ^(١١)، وَقَصَّدَتِ الجَمَادِ والبَوَّ^(١٢)، تقتحم أَكْفَ أولي السَّمَاتِ، وَحَقَّقَتِ المَذْمَاتِ، وأَعوانِ الثُّوبِ المُلِيماتِ، زيادةً في الشَّقَاءِ، وَقَصَّدَا برئًا من الاختِيَارِ والانتِقَاءِ، مُشْتَمِلَةً من التَّجَاوُزِ على أغْرَبِ من العَنَقَاءِ، ومن التَّفَاقِ على أشهرِ من البَلَقَاءِ. فهذا يُوصَفُ بالإمامة، [وهذا يُنسَبُ في الجودِ إلى كعب بن مامة^(١٣)]، وهذا يُجْعَلُ من أهل الكرامة، وهذا يُكَلِّفُ الدُّعَاءَ وليس من أهله، وهذا يُطَلِّبُ منه لقاء الصَّالِحِينَ وليسوا من شُكْلِهِ، إلى ما أَحَقَّقَنِي والله من البَحثِ عن

(١) في النفع: «ولم».

(٢) في النفع: «قبولها مع الترفيه، ومالها المرغوب فيه، وعلى فرض...».

(٣) في النفع: «ومطبق».

(٤) في الأصل: «قميد» والتصويب من النفع.

(٥) يقال: وقب الرجل: أي دخل في الوَقْبِ، أي عند غياب الشمس. محيط المحيط (وقب).

(٦) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفع.

(٧) كلمة «عليَّ» ساقطة في النفع.

(٨) كلمة «يد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٩) في النفع: «وخطوات».

(١٠) في النفع: «ونوش».

(١١) الدُّوُّ: المفازة. محيط المحيط (دو).

(١٢) البَوُّ: جلد الخوار يُخْشَى تَبًّا فَيَقْرَبُ من أم الفصيل إذا فقدت ولدها فتعطف عليه فتلرز. محيط المحيط (بو).

(١٣) ما بين قوسين ساقط في النفع.

السُّمُوم، وَكُتِبَ النُّجُوم، وَالْمَذْمُومُ مِنَ الْمَعْلُوم، هَلَّا كَانَ مِنْ يَنْظُرُ فِي ذَلِكَ قَدْ قُوطِعَ بِنَاتًا، وَأَعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِرَمَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِيقَاتًا، وَأَنَا لَا نَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا نُشُورًا وَلَا حَيَاتًا، وَأَنَّ اللَّوْحَ قَدْ حَصَرَ الْأَشْيَاءَ مَخُورًا وَإِبَاتًا، فَكَيْفَ نَرْجُو لِمَا مَنَعَ مَنَالًا أَوْ نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَرَ إِفْلَاتًا؟ أَفِيدُونَا مَا يُرْجِحُ الْعَقِيدَةَ الْمُقَرَّرَةَ^(١) نَتَّحَوَّلُ إِلَيْهِ، وَيُبَيِّنُوا لَنَا الْحَقَّ نَعْمُولُ عَلَيْهِ. اللَّهُ اللَّهُ يَا سَيِّدِي فِي النَّفْسِ الْمُرْشَحَةِ، وَالذَّاتِ الْمُحَلَّلَةِ^(٢) بِالْفَضَائِلِ الْمَوْشَحَةِ، وَالسُّلْفِ الشَّهِيرِ الْخَيْرِ، وَالْعُمَرِ الْمُشْرِفِ عَلَى الرُّحَلَةِ بَعْدَ حَتِّ السَّيْرِ، وَدَعِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا^(٣) فَمَا أَوْكَسَ حُظُوظَهُمْ، وَأَخْسَرَ لِحُظُوظَهُمْ، وَأَقْلَّ مَتَاعَهُمْ، وَأَعْجَلَ إِسْرَاعَهُمْ، وَأَكْثَرَ عَنَاءَهُمْ، وَأَقْصَرَ آتَاءَهُمْ: [مَجْزُوءَ الْكَامِل]

مَائِمْ^(٤) إِلَّا مَا رَأَيْتُ وَرَبِّمَا تُغْيِي السَّلَامَةَ
وَالنَّاسُ إِمَّا جَائِرٌ أَوْ حَائِرٌ يَشْكُو ظِلَامَةَ^(٥)
وَاللَّهُ مَا اخْتَقَبَ الْحَرِيرَ حَصْ سَوَى الذُّنُوبِ أَوْ الْمَلَامَةِ
هَلْ تَمَّ شَكٌّ فِي الْمَعَا دِ الْحَقِّ أَوْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
قُولُوا لَنَا مَا عِنْدَكُمْ أَهْلُ الْخُطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ

وَأَنْ زَمَيْتُ بِأَحْجَارِي، وَأَوْجَرْتُ^(٦) الْمَرْءَ مِنْ أَشْجَارِي، فَوَاللَّهِ مَا تَلَبَّسْتُ مِنْهَا الْيَوْمَ^(٧) بِشَيْءٍ قَدِيمٍ وَلَا حَدِيثٍ، وَلَا اسْتَأْثَرْتُ بِطَيِّبٍ قَضَاءً عَنْ خَبِيثٍ. وَمَا أَنَا إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ، وَهَاجِرُ مَرْعَى وَبَيْلٍ، وَمُتَرَقِّبٌ وَعَدٍ^(٨) قَدَرُ فِيهِ الْإِنْجَازُ، وَعَاكِفٌ عَلَى حَقِيقَةٍ لَا تَعْرِفُ الْمَجَازَ، قَدْ فَرَزْتُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يُقَرُّ مِنَ الْأَسَدِ، وَحَاقَلْتُ الْمَقَاطِعَةَ حَتَّى بَيْنَ رُوحِي وَالْجَسَدِ، وَغَسَلَ اللَّهُ قَلْبِي، وَاللَّهُ^(٩) الْحَمْدُ، مِنَ الطَّمَعِ وَالْحَسَدِ، فَلَمْ أَبْقِ عَادَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا، وَلَا جُنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا اذْرَعْتُهَا، أَمَّا اللَّبَاسُ فَالْصُّوفُ، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي^(١٠) النَّاسِ فَمَغْرُوفٌ، وَأَمَّا الْمَالُ الْغَنِيْطُ فَعَلَى الصَّدَقَةِ مَصْرُوفٌ. وَوَاللَّهِ

(١) فِي النَّفْحِ: «الْمَقَرَّرَةُ فَتَحْتَوَّلُ...».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَالذَّاتُ الْمُحَلَّلَاتُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٣) فِي النَّفْحِ: «لِبَنِيهَا». (٤) فِي الْأَصْلِ: «تَمَّ». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٥) جَاءَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ الْبَيْتِ التَّالِي:

وَإِذَا أَرَدْتُ السَّيْرَ لَا تَرُزُّ أَبْنِي الدُّنْيَا قِلَامَةَ

(٦) أَوْجَرْتُ الْمَرْءَ: صَيَّيْتُ فِي الْفَمِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (وَجَر).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «لِلْيَوْمِ». وَفِي النَّفْحِ: «الْيَوْمَ مِنْهَا».

(٨) فِي النَّفْحِ: «وَعَدًا». (٩) فِي الْأَصْلِ: «وَلَهُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٠) فِي النَّفْحِ: «بِأَيْدِي الْخَلْقِ فَمَعْرُوفٌ».

لو علمتُ أنَّ حالي هذه تتَّصل، وعُراها^(١) لا تنفصل، وأن ترتيبي هذا يدوم، ولا يحيرُني^(٢) الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمتُ أسفاً، وحسبي الله وكفى. ومع هذا يا سيدي، فالموعظة تُتلقَى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم أو^(٣) المحمود. ولقد أغمَلْتُ نظري فيما يكافيء عني بعض يدك، أو ينتهي^(٤) في الفضل إلى أمْدِكَ، فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، وألفت بذل النفس قليلاً لك من غير شرط ولا ثنيا^(٥)، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرعة في قالب الجفا، لمن لا يُثبت عين الصفا، ولا يُشيم بارقة^(٦) الوفا، ولا يعرف قاذورة الدنيا مفرقة مثلي من المتدسّسين بها المُتهمين، وينظر عُوارها القادح^(٧) بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حُسْنُها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبيّن لي أنني^(٨) قد كائفتُ^(٩) صنيعتك المتقدمة، وخرجتُ عن عهدتك المُلتزمة، وأمحضتُ^(١٠) لك النصيح الذي يُعجز^(١١) بعز الله ذاتك، ويُطيب حياتك، ويُخسي مَوَاتِكَ، ويريح جوارحك من الوَصَب^(١٢)، وقَلْبِكَ من النَّصَب^(١٣)، ويُحقّر الدنيا وأهلها في عينك إذا اغْتَبَرْتَ، ويُلَاشِي عَظائِمها لديك إذا اختبرْتَ. كلُّ مَنْ تقع عليه^(١٤) عينك حَقِيرٌ قليلٌ، وفقيرٌ ذليلٌ، لا يُفْضَلُك بشيءٍ إلّا باقتفاء رُشد أو ترك غيٍّ، أثوابه التَّبِيهة يُجردها الغاسل، وعزوة عزّه^(١٥) يُفْصِلها الفاصل^(١٦)، وماله الحاضر الحاصل، يَعيث فيه الخسام الفاصل، والله ما تَعَيَّن للَخَلْف إلّا ما تَعَيَّن للسَّلف، ولا مصيرُ المجموع إلّا إلى التَّلف، ولا صَحَّح من الهياط والمِياط^(١٧)، والصَّياح والعياط^(١٨)، وجمَع القيراط إلى القيراط، والاستظهار بالورعة والأشرط، والخَبْط والخُباط، والاستيكنار والاعتباط،

(١) في النفع: «وأن عراها». (٢) في الأصل: «يجيزني» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «ولا». (٤) في الأصل: «ينتهي» والتصويب من النفع.

(٥) الثنيا: الاستثناء. لسان العرب (ثنا).

(٦) يشيم: ينظر. البارقة: السحابة ذات البرق. لسان العرب (شام) و(برق).

(٧) في الأصل: «عواره القادح» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «أنني». (٩) في النفع: «كافات».

(١٠) في الأصل: «ومحضت لله» والتصويب من النفع. وأمحض: أخلص. لسان العرب (محض).

(١١) في الأصل: «يَقْرُ» والتصويب من النفع. (١٢) الوَصَب: المرض. لسان العرب (وصب).

(١٣) النَّصَب: التعب. لسان العرب (نصب). (١٤) في النفع: «عينك عليه فهو حقير...».

(١٥) في الأصل: «غيره» والتصويب من النفع. (١٦) في النفع: «يقصلها القاصل».

(١٧) الهياط: مصدر هاطَ يهيط، أي ضجَّ وأجلب. المياط: الدفع والزجر، والمراد من «الهياط

والمياط»: الدنو والتباعد. محيط المحيط (هاط) و(ماط).

(١٨) العياط: الصياح. محيط المحيط (عاط).

والغلو والاشتطاط، وبنا الصرح وعمل السباط، ورفع العماد^(١) وإدارة القسطاط، ألا أَلَمْ يذهب القوة، ويُنسي الآمال المرجوة، ثم نَفَسَ يصعد، وسَكَرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد، ولسان يُثْقَل، وعَيْنُ تُبصر الفراق الحق^(٢) وتمقّل ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾﴾^(٣). ثم القَبْرُ وما بعده، والله مُنْجِزٌ وعيْدهُ ووعْده، فالإضرابُ الإضرابُ، والترابُ التراب. وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، وبيده من التَّسْبُب ما يتكفل بإمساك أزمان، أين النَّسْخ الذي يَبْلُغ الإنسان بأجرته^(٤)، في كُنْ حُجْرته؟ لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرته؟ السؤال والله أقوم طريقاً، وأكرم طريقاً، مِنْ يَدِ تمتد إلى حرام، لا يَقُوم بِمَرَام، ولا يُؤْمِن من ضرام، أُخْرِقَتْ فيه الحُلل، وقُلِيَتْ الأديان والمِلل، وضربت الأَبْشار، ونُحِرت العِشار، ولم يصل منه على يَدَي واسِطَةِ السَّوءِ المِغْشَار. ثم طُلب عند الشَّدة ففُضِّح، وبان سَؤْمه^(٥) ووَضَح، اللهم طَهِّرْ مِنْهَا^(٦) أَيْدِيَنَا وَقُلُوبَنَا، وبلِّغنا من الانصراف إليك مَطْلُوبَنَا، وعَرَفْنَا بِمَنْ لا يَعْرِف غيرك، ولا يَسْتَرْفِدُ إِلَّا خَيْرَكَ، يا الله. وحقيق على الفضلاء إِنْ جَنَحَ سيدي منها إلى إشارة، أو أعمل في اختلابها إضبارة^(٧)، أو لَيْسَ منها شارة، أو تُشَوِّف إلى خدمة إمارة، ألا يُحْسِنُوا ظَنُونَهُمْ بعدها بابن ناس، ولا يَغْتَرُوا بِسِمَةِ^(٨) ولا خَلْقٍ ولا لباس، فما عَدَا، عَمَّا بَدَأ^(٩)؟ تَقْضَى العُمْرُ في سَجْنٍ وَقَيْد، وَعَمَرُوا وَزَيْد، وَضُرَّ وَكَيْد، وطِرَادَ صَيْد، وَسَعَدَ وَسَعِيد، وَعَبْدَ وَعَبِيد، فمتى تظهَرُ الأفكار، وَيَقْرَأُ القرار، وتُلازِمُ الأذكار^(١٠)، وتُشَامُ الأنوار، وتَتَجَلَّى^(١١) الأسرار؟ ثم يقع الشُّهود الذي تذهب معه الأفكار^(١٢)، ثم يحقُّ الوُصول الذي إليه من كلِّ ما سواه الفِرار، وعليه المَدَار. وَحَقُّ الحقِّ الذي ما سواه قَبَاطِل، والقَيْضُ الرُّخْماني الذي رَبَابُهُ^(١٣) الأَبَدُ^(١٤) هَاطِل، ما شَابَتْ^(١٥)

- (١) في النفع: «العُمْد». (٢) في النفع: «أمل». (٣) كلمة «الحق» ساقطة في النفع. (٤) سورة ص، الآيتان: ٦٧، ٦٨. (٥) المراد نسخ الكتب وكتابتها. (٦) في الأصل: «منا» والتصويب من النفع. (٧) الإضبارة: الحزمة من الصحف. محيط المحيط (ضبر). (٨) في الأصل: «بِسْمَت» والتصويب من النفع. (٩) أخذهُ من المثل: «ما عدا مما بدا». أي ما منعك ما ظهر لك أولاً. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٩٦).

- (١١) في الأصل: «الأذكار» والتصويب من النفع. (١٢) في النفع: «وتستجلى». (١٣) في النفع: «الذي يذهب معه الإخبار». (١٤) الرِباب: السحاب. لسان العرب (ريب). (١٥) في الأصل: «لا بُدَّ» والتصويب من النفع. (١٦) في الأصل: «ما شاب» والتصويب من النفع.

مُخاطبتي لك شائبة تريب^(١)، ولقد مَحَضْتُ لك ما يَمَحُضُه الحبيب إلى الحبيب^(٢)، فيحمل جفاء^(٣) في الذي حَمَلْتُ عليه الغيرة، ولا تَظُنُّ بي غيره. وإن^(٤) أقدر قُدري في مُكاشفة سيادتك بهذا البَثِّ، في الأسلوب الرَثِّ، فالحقُّ أقدم، ويناؤه لا يُهدم، وشأنِي معروف في مُواجهة الجبابة على حين يَدِي إلى رِفْدِهِمْ مَعْدُودَة، ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم مَعْدُودَة، وشبابي فاجِم، وعلى الشهوات مُزاجِم، فكيف بي اليوم مع الشَّيب، ونُضح الجَنِب، واستِكشاف العَيب؟ إنما أنا اليوم على كلِّ مَنْ عَرَفَنِي كَلُّ ثَقِيل، وسيفُ العَذْل^(٥) في كَفِّي صَقِيل، أَغْذِل أَهْل الهوى، وليست النفوس في القَبُول سَواء، ولا لكلِّ مَرَضٍ^(٦) دَواء، وقد شَقِيتُ صُدْرِي، وإن جَهِلْتُ قُدْرِي، فاحمِلْني، حَمَلَك اللهُ، على الجادة الواضحة، وسَحَبَ عليك سِتر الأبوَّة الصَّالحة، والسَّلام.

ولمَّا^(٧) شَرَحَ كِتَاب «الشِّفاء» للقاضي^(٨) أبي الفَضل عِياض بن موسى بن عِياض، رحمه الله، واستَبَحِر فيه، طلب أهل العُدوتين بِنَظْم^(٩) مقطوعات تَتَضَمَّنُ الثَّناء على الكِتَاب المذكور، وإطراء مؤلِّفه، فاثَّال عليه من ذلك الطَّم والرَّم، بما تعدَّدت منه الأوراق، واخْتَلَفَتْ في الإجادة وغيرها الأرزاق، إِيثارًا لِعَرْضِهِ، ومِبَادَرَةً من أهل^(١٠) الجهات لِإِسعاف أَرَبِهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَلِمْ في ذلك بشيءٍ، فكَتَبْتُ في^(١١) ذلك: [الطويل]

شِفاء^(١٢) عِياض لِلصُّدُور^(١٣) شِفاءٌ وليس^(١٤) بِفَضْلِ قَد حَوَاهِ خِفاءٌ
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لَجَزِيلِهَا^(١٥) سوى الأجر والذِّكر الجميل كِفاءٌ
وَفِي لِنَبِيِّ اللهِ حَقٌّ وَفائِهِ وأثَرُمُ أوصافِ الكِرامِ وفاءٌ

(١) في الأصل: «بريب» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «للحبيب».

(٣) في النفع: «فتحمل جفائي الذي...».

(٤) في النفع: «وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا البَثِّ، في الأسلوب الرَثِّ».

(٥) في النفع: «العدل» بالبدال غير المعجمة.

(٦) في الأصل: «لا لكلِّ مَنْ ضَرُّ؟» والتصويب من النفع.

(٧) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٤).

(٨) في النفع: «للقاضي عِياض رحمه الله تعالى».

(٩) في النفع: «نظم».

(١٠) في النفع: «كل».

(١١) في النفع: «له في ذلك». والأبيات أيضًا في نفاضة الجراب ص ١٢٨.

(١٢) في الأصل: «شفاء» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في نفاضة الجراب: «للقلوب».

(١٤) في المصدر نفسه: «فليس».

(١٥) في النفع: «المديله».

وجاء به بخراً يقول بفضله
 وحق رسول الله بعد وفاته
 هو الذخر يغني في الحياة عتاده
 هو الأثر المحمود ليس يناله
 خرضت على الإطباب في نشر فضله
 على البحر طغم طيب وصفاء
 رعاه، وإغفال الحقوق جفاء
 ويشارك منه ليلقين^(١) زفاء
 دثور ولا يخشى^(٢) عليه عفاء^(٣)
 وتمجيد لو ساعدتني فاء
 واستزاد^(٤) من هذا الغرض الذي لم يفتح منه^(٥) بالقليل، فبعثت إليه من محل
 انتقالي بمدينة^(٦) سلا حرسها الله^(٧): [مجزوء الرمل]

أزاهسير رياض
 جدل الباطل للحق
 وجلا الأنوار بزها
 وشفى^(٩) من يشتكي الغد
 أي بنيان معار^(١٠)
 أي عهد ليس يرمى
 ومعان في سطور
 وشفاء لصدور^(١٣)
 حرر القصد فما شئ
 يا أبا الفضل أذر أن^(١٤) الله عن سعيك راض
 فاز عبيد أقرض الله
 أم شفاء لعياض
 بأسسيف مواض
 نا بحق^(٨) وافتراض
 في رزقي الحياض
 آمن فوق^(١١) انتقاض
 بانتكاث^(١٢) وانتقاض
 كأسود في غياض
 من ضنى الجهل مراض
 بن نقد واعتراض
 الله عن سعيك راض
 به برجحان القراض^(١٥)

(١) في الأصل: «اليقين» وهكذا ينكر الوزن. وفي المصدرين: «اللبتين».

(٢) في نفاضة الجراب: «ولا يخشى». (٣) العفاء: الزوال. لسان العرب (عفا).

(٤) ما يزال النص شعراً ونثراً في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٥).

(٥) في النفع: «فيه». (٦) في النفع: «من مدينة».

(٧) الأبيات أيضاً في نفاضة الجراب (ص ١٩٢ - ١٩٣).

(٨) في نفاضة الجراب: «بخلف». (٩) في نفاضة الجراب: «وسقى».

(١٠) في النفع: «مقال». وفي نفاضة الجراب: «معال».

(١١) في المصدرين: «خوف». (١٢) الانتكاث: الانتقاض. لسان العرب (نكث).

(١٣) في نفاضة الجراب: «لفوس».

(١٤) في الأصل: «بان» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٥) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ سورة البقرة ٢، الآية ٢٤٥.

وَجُبَّتْ عَرْ^(١) الْمَزَايَا
لَكَ يَا أَضْدَقَ رَاوٍ^(٢)
لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَيْنِ—
خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَا—
سَلْدِ اللَّهِ ابْنِ مَرْزُو—
رُبْدَةِ الْعِرْفَانِ مَغْنَى—
فَتَوَلَّى بِسِنِّطٍ مَا أَجْ—
سَاهِرٌ^(٥) لَمْ يَذَرْ فِي اسْتِخْ—
إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْإِي—
دَامَ فِي عُلُوٍّ وَمِنْ عَا—
مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي

مِنْ طُيُولٍ وَعِرَاضٍ^(٢)
لَكَ يَا أَغْدَلَ قَاضٍ
تَ بِجَدٍّ^(٤) وَانْتِهَاضٍ
لِي وَفِي آتٍ وَمَاضٍ
قِي إِلَى تِلْكَ الْمَرَاضِي
كُلُّ نُسْكِ وَارْتِيَاضٍ
مَلَتْ مِنْ غَيْرِ انْقِيَاضٍ
لِلَّاهِ طَعْمَ اغْتِيْمَاضٍ
أَمَ قَدْ حَانَ التَّقَاضِي
دَاهِ يَهْوِي فِي انْخِفَاضٍ
فِي سَوَادٍ بِبَيَاضٍ^(٦)

ثم^(٧) نظمت له أيضًا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط، في هذا الموضوع، ليس على سبيل التَّبَجُّع بغرابته وإجادته^(٨)، ولكن على سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار^(٩): [السريع]

حَيِّيتَ يَا مُخْتَطِّ سَبْتِ بْنِ نُوخٍ
وَحَمَلَ الرُّيْحَانُ رِيحَ الصُّبَا
دَارَ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي
يَا نَاقِلَ الْأَثَارِ يُعْنَى بِهَا
طَرَفُكَ فِي الْفَخْرِ^(١١) بَعِيدِ الْمَدَى
كَفَاكَ إِعْجَازًا كِتَابُ الشُّفَا
لِلَّهِ مَا أَجَزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ
رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ

بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَنِدِي أَوْ يَرُوحُ
أَمَانَةً فَيْكُ^(١٠) إِلَى كُلِّ رَوْحٍ
أَصْحَتْ بِرِيَاهِ رِيَاضًا تَفُوحُ
وَوَاصِلًا فِي الْعِلْمِ جَزْيِ الْجَمُوحِ
طَرَفُكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحِ
وَالصُّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحِ
مِنْحَةً تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُتُوحِ
مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السُّفُوحِ

- (١) في المصدرين: «عَرْ». (٢) في المصدرين: «أو عراض».
- (٣) في نفاضة الجراب: «داو». (٤) في المصدر نفسه: «بجهد».
- (٥) في المصدرين: «ساهرًا». (٦) في النفع: «بسواد في بياض».
- (٧) النص في الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦). (٨) في النفع: «إجادته وغرابته».
- (٩) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦ - ٣٨٧) ونفاضة الجراب (ص ١٩٠ - ١٩٢).
- (١٠) في الأصل: «في كل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
- (١١) في النفع: «في الفضل».

فمن بيان الحق زهر ندى^(١) تأرج العزف وطاب الجنى
وحلة من طيب خير الورى ومفلم للدين^(٢) شيدته
فقل لهامان كذا أو فلا في أحسن الثفوريم أنشأته
فغمره المكتوب لا ينقضي كأنه في الحفل ريح الصبا
ما عذر مشغوف بخير الورى عجبث من أكباد أهل الهوى
إن ذكر المخبوب سالت دما يا سيد الأوضاع يا من له
يا من له الفخر على غيره يا خير مشروح وفى واكتفى
فنشخ من الله حباء به ومن لسان الله تأتي الفتوح

مولده: بتلسمان عام أحد عشر وسبعمئة.

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي^(٨) الكرسوطي^(٩)

من أهل فاس، نزيل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: الشيخ^(١٠) الفقيه المتكلم أبو عبد الله، غزير الحفظ، متبحر الذكر، عديم القرن، عظيم الاطلاع، عارف بأسماء الأوضاع، يتثال منه على المسائل كتيب مهيل، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة، ومنوطاً برجاله، والحديث بأسانيده ومثونه،

(١) في الأصل: «زهر ندى» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في نفاضة الجراب: «لا يطعم».

(٣) في المصدر نفسه: «في الدين».

(٤) في المصدرين: «منها».

(٥) في المصدرين: «غصن».

(٦) في النفع: «والشمس».

(٧) في نفاضة الجراب: «ومن ابن».

(٨) التسلي: نسبة إلى قبيلة تسولة البربرية.

(٩) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(١٠) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

خَوَار^(١) العنان، وسَّاع الخطو، بعيدُ الشَّو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المَنظُومات، ممَّا يختصُّ بنظمه أولو الشُّطارة والحِرقة من المغاربة، ويستظهر مَطوِّلات القصاص، وطَوَاير الوُعَاظ، ومَسَاطير أهل الكُذبة، في أسلوب وقَاح يَفْضحه الإعراب، حسن الخُلُق، جُمُّ الاحتمال، مُطَرَّح الوقار، رافضُ النَّصَّع، مُتَبَذِّل^(٢) اللبسة، رَحيب أكناف المرارة لأهل الولايات، يُلقِي بمعاطنهم البَرَك، وينوط بهم الوسائل، كثيرُ المشاركة لوصلائه، مُنْصِبٌ على أهل بيته، حَدِيبٌ على بَنِيهِ. قَدِمَ على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فأقام بالجزيرة مقرًا بمسجد الصُّواع منها، ومسجد الزايات، ثم قدم على مالقة وأقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، وخَفَّ به موقعه، فلم يَعدِم صلةً، ولا فقد مِرْقَةً، حتى ارتاش وتأنل بمحل سُكناه من مالقة، مَدَرَةَ مُغَلَّة، وعقارًا مَفِيدًا. وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، تَمَيَّرَ في الركب، مَهْجُورُ الحَلَقَةِ، حَمَلًا من الخاصة والعامة، لتلبسه بالعرَض الأدنى. وهو الآن خطيب مسجد القصبة بها، ومحلّه من الشهرة، بالحِفْظ والاستِظهار لقروع الفقه، كبير.

مشيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس، منهم أبوه، والأستاذ أبو الحسن القيحاوي البلوي، وأبو إسحق الحريري، وأبو الحسن بن سليمان، وأبو عبد الله بن أجروم. وقرأ الفقه على أبي زيد الجزولي، وعبد الرحمن بن عفان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عَزَلَهُ، ولذلك حكاية. حَدَّثَنِي الشيخ أبو عبد الله الكرسوطي، المُترجم به، قال: قرأتُ بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، والدُّجَاج والأوز المُخلات، فقال: انظر، هل يَمَال الدُّجَاج أو الجَدَاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: وَجَدَّ بِيض، وحمَرٌ مختلفٌ ألوانها، وغرايب سود. فأزرى به، ونقل إليه إزاره، فعزله. وقعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. وأخذ عن أبي إسحق الزناتي، وعن خلف الله المجاسي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل ابنه، وأبي العباس بن راشد العمراني، وأبي عبد الله بن رُشيد. وروى الحديث بسببته عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، وذاكر أبا الحسن بن شَاش. وبمالقة عن الخطيب الصالح الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور.

(١) خوار العنان: سهل المعطف لئنه.

(٢) متبذل اللبسة: غير معتن بملبسه وهندامه، بخلاف مبتذل اللبسة أي رث الملابس.

وبغرناطة عن أبي الحسن القيحاوي، وأبي إسحق بن أبي العاص. وبيّش عن أبي جعفر الزيات.

تواليفه: منها^(١) «الغرر في تكميل الطرر»، طُرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم^(٢) «الدرر في اختصار الطرر» المذكور. وتقييدان على الرسالة، كبيرٌ وصغيرٌ. ولخص «التهذيب» لابن بشير، وحذف أسانيد المصنّفات الثلاثة، البخاري، والترمذي، ومسلم^(٣)، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك^(٤) الصّحاح الواقعة في التهذيب^(٥) على مسلم والبخاري. وقيد على مختصر الطليطلي، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى^(٦) بن عياض، برسم ولدي، أسعده الله.

شعره: أنشدني، وأنا أحاول بمألقة لوث^(٧) العمامة، وأستعين بالغير على إصلاح العمل، وإحكام الليانة^(٨): [الكامل]

أَمْعَمَ قَمَرًا تَكَامَلَ حُسْنُهُ أَرَبَى عَلَى الشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ فِي الْبَهَا
لَا تَلْتَمِسُ مِنْ لَدَيْكَ زِيَادَةً فَالْبَدْرُ لَا يَمْتَارُ مِنْ نُورِ السُّهَا
وَيَصْدُرُ مِنْهُ الشَّعْرُ مُصَدَّرًا، لَا تُكَيِّفُهُ الْعِنَايَةُ.

محتته: أسير ببحر الزقاق^(٩)، قادمًا على الأندلس في جملة من الفضلاء، منهم والده. واستقر بطريف^(١٠) عام ستة وعشرين وسبعمائة، ولقي بها شدةً ونكالا، ثم سرح والده، لمحاولة فكاك نفسه، وفك ابنه، ويسر الله عليه، فتخلصا من تلك المحنة في سبيل كذبة، وأفلت من بين أثباب مشقة.

(١) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١). (٢) في النفع: «ثم كتاب الدرر...».

(٣) قوله: «البخاري والترمذي ومسلم» ساقط في النفع.

(٤) في النفع: «واستدرك».

(٥) في النفع: «في الترمذي على البخاري ومسلم».

(٦) في النفع: «موسى برسم ولدي».

(٧) لوث العمامة: عصبتها ولّفها. لسان العرب (لوث).

(٨) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(٩) بحر الزقاق: هو الداخل من المحيط الأطلسي الذي عليه ستة ما بين طنجة المغربية وبين الأندلس، ويتسع كلما امتد إلى ما لا نهاية. الروض المعطار (ص ٢٩٤).

(١٠) جزيرة طريف على البحر المتوسط في أول المجاز المسمى بالزقاق، وهي مدينة صغيرة. الروض المعطار (ص ٣٩٢).

بعض أخباره: قال: لقيت الشيخ ولي الله أبا يعقوب بساحل بادس^(١)، قاصداً الأخذ عنه، والتبؤك به، ولم يكن رأي قط، وألفيت بين يديه عند دخولي عليه، رجلاً يقرأ عليه القرآن، فلما فرغ أراد أن يقرأ عليه أسطراً من الرسالة، فقال له: اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إليّ، ورأيت في عزيمة له أصول خصص، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سرعة، واقتلع منها أصولاً ثلاثة، ودفعها إليّ، وقال: كل. فقلت في نفسي، تصرف في الخضرة قبل حضور رباعها، فقال لي: إذا أردت الأكل من هذه الخضرة، فكل من هذا القسم، فإنه لي. قلت: وخبرت من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ما قضيت منه العجب في غير ما شيء جربته. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه؛ لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام، بما طال به تكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح، والله يتولاه.

مولده: بمدينة فاس عام تسعين وستمائة.

محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري^(٢)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبتة، الأستاذ الحافظ.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، رجلاً صديق، طيب اللهجة، سليم الصدر، تام الرجولة، صالحاً، عابداً، كثير القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيراً، وسنه تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل الدؤب والسابقة، وكان من صدور الحفاظ، لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهره، فكاد يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره، آية تثنى، ومثلاً يضرب، قائماً على كتاب سيبويه، يسرده بلفظه. اختبره الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقة في الشطرنج، يلعبها محجوباً، مشاركاً في الأصول، آخذاً في العلوم العقلية، مع الملازمة للسنة، يغرب أبداً كلامه ويزينه.

مشيخته: أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ولازم أبا القاسم بن الشاط واتفق به وبغيره من العلماء.

(١) بادس: مدينة بها نخل كثير وفواكه وعيون كثيرة. الروض المعطار (ص ٧٥).

(٢) هو صاحب كتاب «الروض البعطار»، في خبر الأقطار، وكانت وفاته في سنة ٧٢٧ هـ. راجع مقدمة كتاب «الروض المعطار»، ففيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت له.

دخوله غرناطة: قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نُصْر، لما وصلوا بالبيعة.

وفاته: كان من الوفد الذين استأصلهم المَوْتان عند مُنصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأخواز تيزي^(١)، حسبما وقع التنبية على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس
ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر
ابن رُشيد الفهري^(٢)

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رُشيد.

حاله: من «عائد الصلة»: الخطيب المحدث، المُتَبَخَّر في علوم الرواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريدَ دهره عدالةً وجلالةً، وجَفْظًا وأدبًا، وَسَمْنًا وهدبًا، واسع الأشيعة، عالي الإسناد، صحيح الثقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قَيِّمًا عليها، بصيرًا بها، محققًا فيها، ذاكراً فيها الرجال، جماعةً للكُتُب، محافظًا على الطريفة، مضطلعًا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، رَيَّان من الأدب، حافظًا للأخبار والتواريخ، مُشاركًا في الأصلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، مُتَجَمِّلاً، كَلِف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كَهْفًا لأصناف الطلبة. قَدِم على غرناطة في وزارة صديقه، وزَفيق طريقه، في حُجَّه وتُشريقه، أبي عبد الله بن الحَكِيم، فلقي براءً، وتقدَّم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونَفَعَ الله لَدَيْهِ بشفاعته المَبْدُولة طائفةً من خَلْقِهِ، وانصرف إثر مَقْتَلِهِ إلى العُدوة، فاستقرَّ بمدينة فاس، معظمًا عند الملوك والخاصة، معروف القَدْر عندهم.

مُشِيخته: قرأ ببلده سبتة على الأستاذ إمام الشُّحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتابَ سيبويه. وقَيَّد على ذلك تقييدًا مفيدًا، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضًا عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطَّار. ورَحَّل من بلده سبتة لأداء الفريضة. حَجَّ ولَقِيَ

(١) جاء في الروض المعطار (ص ١٢٨): «تازا: من بلاد المغرب، أول بلاد تازا حُد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب... وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط، أعني في جبال تازا».

(٢) ترجمة ابن رشيد في نفح الطيب (ج ٥ ص ٦٩) و(ج ٧ ص ٢١٤، ٢٥٧، ٣٦٣).

المشايع عام ثمانية وثمانين وستمائة، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد الله الحكيم، وأخذ عن الجلة الذين يُشَقُّ إحصاؤهم، فممن لقي يافريقية الراوية العدل أبا محمد عبد الله بن هارون، يزوي عن ابن بقي، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجي. وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جابر الله أبي اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسمع، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة، وعن غيره، كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقة في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، فليُنظر هنالك.

تواليقه: ألف فوائد رحلته في كتاب سماه «ملء العينة»، فيما جمع بطول العينة، في الوجهتين^(١) الكريمتين إلى مكة وطينية. قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: وقفت على مسودته، ورأيت فيه فنونا وضروبا من الفوائد العلمية والتاريخ، وطرقا من الأخبار الجسان، والمُسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير، ولم يسبق إلى مثله. قلت: ورأيت شيئا من مختصره بسبته.

دخوله غرناطة: ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستمائة، فعقد مجالس للخاص والعام، يقرء بها فنونا من العلم. وتقدم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال: قعد يوما على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بلاشعاره وتنبيهه، وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهة: أيها الناس، رجمكم الله، إن الواجب لا يُبطله المندوب، وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكروا قوله، عز وجل: وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد رؤينا عنه ﷺ، أنه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب، اضمت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له. جعلنا الله وإياكم ممن علم فعلم، وعمل فقبل، وأخلص فتحلص. وكان ذلك مما استدلل به على قوة جنانه، وانقياد لسانه لبيانه.

شعره: وله شعر يتكلفه، إذ كان لا يزين أعاريضه إلا بميزان العروض، فمن ذلك ما حدث به، قال: لما خللت بدمشق، ودخلت دار الحديث الأشرفية، برسم رؤية الثعل الكريمة، نعل المضطفي، صلوات الله عليه، ولثمتها، حصرتني هذه

(١) في نفع الطبيب (ج ٥ ص ٧٠): «في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطينية».

الآيات : [الطويل]

هنيئًا لعيني أن رأت نعل أخمد
وقبلتها أشفي الغليل فزادني
فلله ذاك اللثم فهو ألد من
ولله ذاك اليوم عيدًا ومعلمًا
عليه صلاة تشرها طيب كما
فيا سغد، جدي قد ظفرت بأسعد
فيا عجبًا زاد الظما عند مؤرد
لمى شقة لَميا وخد مؤرد
بتاريخه أرخت مؤلد أشعد
يحب ويزضى ربنا لمحمد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستمائة، يشغر سبته حرمها الله تعالى : [الطويل]

أقول إذا هبّ التسيم المعطر
وعالي الضبا مرت على ربح جيرتي
وأذكر أوقاتي بسلمى وبالجمى
ربوع يود المسك طيب ترابها
بها جيرة لا يخفرون بدمية
إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم
ومن جود جذواهم يرى الليث يغمز
ومن سيب يمناهم يرى الروض يزهر
رعى الله عهدًا بالمصلى عهده
زمانًا نعمنا فيه والظل وارف
ولله أيام المصلى وطيبها
بحيث يرى بذر الكمال وشمسه
أروم دئوا من بهاء جمالها
خضعت وذلي للحبيب تعزز
ووجه سروري سافر متهلل
فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاريا

لعل بشيرًا باللقاء يبشر
فعن طيبهم عرف التسيم يعبر
فتذكو لظى في أضلعي حين أذكر
ويهوى حصى فيها عقيق وجوهر
هم لمواليهم جمال ومفخر
تغار لباهي ثورهم فتغور
ومن خوف غداهم يرى الليث^(١) يذغر
ومن قبض نعماهم يرى البحر يزخر
وروض المنى غش يرق وينضر
بجئات عدن تحتها العذب يخضر
وأنفسنا بالقرب والأنس تجبر
وروضته فردوس حوض^(٢) ومثبر
ولثما فتأبى هنية وتوفر
فطرقي مفضوض وخدي معفر
وحالي بهم حل^(٣) وعيشي أخضر
يجر بأذيال^(٤) الفخار وينشر

(١) قوله: «يرى الليث» ساقط في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٢) في الأصل: «فردوس وحوض»، وكذا يتكرر الوزن.

(٣) في الأصل: «حلل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «أذيال»، وكذا يتكرر الوزن.

وإذ فات عيني أن تراهم فرددوا
 وزدت فيا طبيب الورود بطيبة
 زمانى زمانى بالفراق فغررتني
 وأضمرت أشجاني ودمعي مظهر
 فمن أدمعي ماء يفيض ونهمر
 فجسمي مضفر وفودي أبيض
 وحين دنا الثوديع من أجبه
 ونادى صحابي بالرحيل وأزمعوا
 وألوى إليه الجيد حتى وجعته
 وقفت لأقضي زفرة وصباية
 ولو أنني بعث الحياة بنظرة
 وما باختياري إنما قدّر جرى
 حينني إلى معنى الجمال مواصل
 وغير جميل أن يرى عن جمالها
 أبيضر ظمآن يغال بغلة
 فيا عينها الزرقاء إن عيونها
 سأقطع ليلى بالسرى أو أزورها
 وأنضي المطايا أو أوافي ربعها
 حظرت على نفسي الجدار من الردى
 أيشكر تغرير المشوق بنفسه
 وقفت على فتوى المحبين كلهم
 وإنى إذا ما خطرة خطرت قضت
 أقيم فالقي بين عيني همتي
 إذا ما بدت للعين أعلام طيبة
 وللقبة الزهراء سمك سما علا
 لها منظر قيد التواظر والتهى

على منمعي ذكر المصلى وكروا
 صذرت فواخزني فلا كان مضد
 على مثل من فارقت عز التضر
 وأسزرت هجراني وحالي تخبر
 ومن أضلعي نار تغور وتسر
 وعيشي مغبر ودمعي أخمر
 وحن الذي ما زلت منه أهدر
 وسارت مطاياهم وظلت أهدر
 وظل فؤادي لوعة ينفطر
 ولا أثنى فالموت أجدى وأجد
 لأبت وحظي فيه أوفى وأوفر
 رضىت بما يقضي الإله ويقدّر
 وشوقي إلى معنى الجمال موافر
 فؤادي صبوراً والمسير ميسر
 وفي روضة الرضوان شهد وكوثر
 من الحزن فيض بالشجيع تفجر
 وأحمي الكرى عيناً لبعده يظهر
 فتشجذني طورا وطورا تغور
 أتخذر نفس الحبيب تسير
 وقد علموا أن المحب مقرر
 فلم أجد التغير في الوصل ينكر
 بهمي وعزمي همة لا توطر
 وسيري في سبل العلا ليس ينكر
 ولاحت قباب الكواكب تزهر
 وراق سنى كالشمس بل هو أزهر
 لها ساكن من نوره البدر يبدر

فأعرجوا^(١) على أهل^(٢) الكمال وسلموا
بنفسي لا بالمال أَرْضَى بِشَارَةٍ
وما قَدَّرُ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ كِفَاءً^(٣)
أقول إذا أَوْفَيْتُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ
وأخطى بتقريب الجوار مَكْرَمًا
وأزَّع في ظل الجنان منعَمًا
هناك هناك القُرب فأنعم بئيله
ودَّع عنك تطواف البلاد وخيَّم^(٤)
فَحَزْتُ بِمَذْحِي لِلثَّبِي مُحَمَّد
أطلت وإني في المديح مُقْصِر
ما بَلَّغْتُ كَفْ أَمْرٍ مَتَنَاوِل
وما بلغ المهدون في القول مِدْحَةً
عليك صلاة الله ما مَرَّ سَبَق

وقال يرثي ابنا نجيبًا ثَكَلَهُ بغرناطة : [الطويل]

شباب ثوى شابت عليه المفارق
على حين راق الناظرين بسوقه
فما أخطأت منه الفؤاد بعَمْدِهَا
وحين تدانى للكمال هلاله
إلى الله أشكو فهو يُشْكِي نَوَازِعًا
ولا مثلُ فُتْدَانِ البُنَي فجيعة
محمد إن الصُّبر صَبْرٌ وعلقم
فإن جَزَعًا فالله للعبد عاذِر
وتالله ما لي بعد عَيْشِكَ لَذَّة

وَعُضُن دَوَى تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْحَدَائِقُ
رَمَتْهُ سَهَامٌ لِلْعَيُونِ زَوَاشِقُ
فَلَا أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْعَيُونِ الرُّوَاقِ
أَلَمْ بِهِ نَقْصٌ وَجَدْتُ مَوَاحِقُ
عَظَامًا سَطَاها لِلْعِظَامِ عَوَارِقُ
وإن طال ما لَجَّتْ وَجَلَّتْ بَوَائِقُ
على أنه خَلَوِ المَثُوبَةِ سَابِقُ
وإن جَلَدًا فالوعد لله صَادِقُ
ولا راقني مَرَأَى لِعَيْنِي رَاقِ

(١) في الأصل: «فعرجوا» وكذا ينكسر الوزن. وأعرجوا: ادخلوا في وقت غيبوبة الشمس. محيط المحيط (عرج).

(٢) في الأصل: «كمل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «كفاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «وخيين».

فَأَنبِي بِهِ وَالْمُذَكَّرَاتُ عَدِيدَةٌ فَنُئِلَ وَهَمٌّ لِلْعَوَائِدِ خَارِقِ
فَإِنْ أَلْتَفِتْ^(١) فَالشَّخْصُ لِلْعَيْنِ مَائِلٌ وَإِنْ أَسْتَمِعْ فَالصُّوْتُ لِلأُذُنِ طَارِقِ
وَإِنْ أَدْعُ شَخْصًا بِاسْمِهِ لِمُضَرَّةٍ فَإِنْ أَسْمَكَ الْمَحْبُوبَ لِلتُّطْقِ سَابِقِ
وَإِنْ تَفْرِعَ الْأَبْوَابَ رَاحَةً قَارِعِ يَطْرُ^(٢) عِنْدَهَا قَلْبٌ لِذِكْرِكَ خَافِقِ
وَكُلُّ كِتَابٍ قَدْ حَوِيَتْ فَمُذَكَّرٌ وَأَنَارَهُ كَلٌّ إِلَيْكَ تَوَائِقُ
سَبَقَتْ كَهَوْلًا^(٣) فِي الطُّفُولَةِ لَا تَنِي وَأَزْهَقَتْ أَشْيَاخًا وَأَنْتَ مُرَاهِقُ
فَلَوْ لَمْ يُغَلِّكَ الْمَوْتُ دُمْتُ مُجَلِّيًا وَأَقْبَلَ سَكِينًا وَجِيئًا^(٤) وَلَا حِقِ
عَلَى مَهَلٍ أَخْرَزْتَ مَا شِئْتَ ثَانِيًا عِنَانُكَ لَا تَجْهَدُ وَأَنْتَ مُسَابِقِ
رَأَيْتُكَ الْمَنَابِيَا سَابِقًا فَأَعْرَزْتُهَا فَجَدُّ طِلَابًا إِنَّهِنَّ لَوَاحِقِ
لَثْنٌ سُلَيْتُ مِنْهُ نَفِيسُ ذَخَائِرِ فَلَمَّئِي بِمَذْخُورِ الْأُجُورِ لَوَائِقِ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ فَقَدْ صَارَ عِلْمِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقِ
غَرِيبِينَ كُنَّا فَرَقَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا فَأَبْرَحُ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ الْمُفَارِقِ
فَبَيْنَ وَبُعْدٍ بِالْغَرِيبِ تَوَكُّلًا قَدْ رَعَى يَمَا حَمَلْتُ وَاللَّهِ ضَائِقِ^(٥)
عَسَى وَطَنٌ يَذْنُو فَتَذْنُو لَهُ^(٦) مُنَى وَأَيُّ الْأَمَانِي وَالْخَطُوبِ عَوَائِقِ؟
فَلَوْلَا الْأَسَى ذَابَ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَسَى وَلَوْلَا الْبُكَاءُ لَمْ يَحْمَلِ الْحُزْنَ طَائِقِ
فَخَطُّ الْأَسَى خَطًّا تَرَوْقُ سَطُورُهُ وَتَمَحُّو الْبُكَاءَ فَالْدَّمْعُ مَاحٍ وَمَسَاحِقِ
فِيَا وَاحِدًا قَدْ كَانَ لِلْعَيْنِ نُورُهَا عَلَيْكَ ضِيَاءٌ^(٧) بَعْدَ بُعْدِكَ غَاسِقِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا جَنُّ سَاجِعٍ وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا ذَرَّ شَارِقِ
وَمَا هَمَمْتُ سَخَبَ غَوَادٍ رَوَائِحِ وَمَا لَمَعَتْ تَخَذُّو الرُّعُودَ بَوَارِقِ
وَجَادَ عَلَى مَثَوَاكَ غَيْثٌ مُرَوِّضُ عَبَادٌ^(٨) لِرِضْوَانِ الْإِلَهِ مُوَافِقِ

(١) في الأصل: «فأين التفت» وكذا لا يستقيم المعنى والوزن.

(٢) في الأصل: «يطير» وكذا ينكسر الوزن، والوجوب جزمه لأنه جواب الشرط.

(٣) في الأصل: «كهولة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «وجيئة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى. (٦) كلمة «له» ساقطة في الأصل.

(٧) في الأصل: «تل ضياء» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.

(٨) في الأصل: «عباد» بتشديد الباء، وكذا ينكسر الوزن.

محبته: تعرّض إليه قومٌ يوم قَتَلَ صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذاعة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتل، فتخلص ولا تسن كيف، وأزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، في اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد وعشرين وسبعمائة. ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس، وكان مولده بسنة عام سبعة وخمسين وستمائة.

محمد بن علي بن هاني اللّخمي السّبيّ (١)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.

حاله: كان، رحمه الله، فريداً دهره في سموّ الهمة، وإيثار الاقتصاد والتّحلي بالقناعة، وشموخ الأنف على أهل الرئاسة، مقتصرًا على فائدة رزق له ببلده، يتبّع مع الاستقامة، مع الصّبر والعمل على حفظ المروعة، وضوّن ماء الوجه، إمامًا في علم العربيّة، مبرزًا متقدّمًا فيه، حافظًا للأقوال، مُستوعبًا لطريق الخلاف، مُستحضرًا لحجج التّوجيه، لا يُشقّ في ذلك عُبارّه، ريان من الأدب، بارع الخطّ، سهل مقدّاة الكلام، مُشاركًا في الأضلين، قائمًا على القراءات، حسن المجلس، رائق البزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرشل، متوسط النّظم، كثير الاجتهاد والعكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدّمعة، بيته شهير الحسب والجلالة.

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصّه (٢): عَلِمَ تشير إليه الأَكْفُ (٣)، ويُعْمَلُ إلى لقائه الحافر والخُفُّ (٤)، رفع للعربيّة ببلده راية لا تتأخّر، ومرج منها لُجّة تزخر، فانفسح مجالُ درسه، وأثمرت أذواحُ غزبه، فركضَ بما (٥) شاء وبرج، ودوّن وشرح، إلى شمائل تَمَلِّكُ (٦) الظّرف زمامها، ودُعابة راشت الحلاوة سيّهامها. ولما أخذ المسلمون في مُنازلة الجَبَل (٧) وحِصاره، وأصابوا الكُفْر منه بجارحة

(١) ترجمة ابن هاني اللّخمي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١ - ٣٨٢).

(٣) قوله: تشير إليه الأَكْفُ: كناية عن الشهرة.

(٤) يُعْمَلُ إلى لقائه الحافر والخُفُّ: كناية عن أنه مقصود من كل الناس.

(٥) في النفح: «ما». (٦) في المصدر نفسه: «يملك».

(٧) يقصد جبل طارق أو جبل الفتح.

أَبْصَارَهُ، وَزَمَوْا بِالثُّكُلِ فِيهِ نَارِخَ أَمْصَارِهِ، كَانَ مَمَّنْ انْتَدَبَ وَتَطَوَّعَ، وَسَمِعَ النَّدَاءَ فَأَهْطَعَ^(١)، فَلَازَمَهُ إِلَى أَنْ تَفِدَ لَأَهْلِهِ الْقُوتَ، وَبَلَغَ مِنْ فَسْحَةِ^(٢) الْأَجْلِ الْمُوقُوتِ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ بِمَحْرَابِهِ، وَقَدْ^(٣) غَيْرَ مُحْيَاهُ طَوْلُ اغْتِرَابِهِ، وَبَادَرَهُ الطَّاعِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرَّ نَصْلُ الْإِسْلَامِ فِي قِرَابِهِ^(٤)، أَوْ يَغْلُقَ أَصْلُ الدِّينِ فِي ثُرَابِهِ. وَانْتَدَبَ إِلَى الْحَصَارِ بِهِ وَتَبَرَّعَ، وَدَعَاهُ أَجَلُهُ فَلَبَّى وَأَسْرَعَ. وَلَمَّا هَدَرَ عَلَيْهِ الْفَنِيْقُ^(٥)، وَرَكَعَتْ إِلَى قَبْلَتِهِ الْمَجَانِيْقُ^(٦)، أُصِيبَ بِخَجَرٍ دَوَّمَ عَلَيْهِ كَالْجَارِحِ الْمُحَلَّقِ، وَانْقَضَ إِلَيْهِ انْقِضَاضُ الْبَارِقِ الْمَتَأَلَّقِ، فَاقْتَنَصَهُ وَاخْتَطَفَهُ، وَعَمِدَ إِلَى زَهْرِهِ فَقَطَفَهُ^(٧)، فَمَضَى إِلَى اللَّهِ طَرِيعَ نَيْتِهِ، وَصَحْبَتَهُ غَرَابَةَ الْمَنَازِعِ حَتَّى فِي مَيِّتِهِ^(٨).

مشيخته: قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحق الخافقي، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن خريث.

تواليقه: أَلَفَ^(٩) كَتَبًا، مِنْهَا^(١٠) كِتَابُ «شرح التسهيل لابن مالك»، وهو أجل كتبه، أَبْدَعَ فِيهِ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ فِيهِ. وَمِنْهَا^(١١) «الغُرَّةُ الطَّالِعَةُ فِي شِعْرَاءِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ»، وَمِنْهَا^(١٢) «إِنْشَادُ الضُّوَالِ»، وَإِرْشَادُ السُّوَالِ فِي لَحْنِ الْعَامَةِ، وَهُوَ كِتَابُ^(١٣) مَفِيدٍ، وَ^(١٤) «قُوتُ الْمُقِيمِ». وَدَوَّنَ تَرْسُلَ^(١٥) رَئِيسِ الْكُتَّابِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بْنِ عُمَيْرَةَ وَضَمَّهُ فِي سِفْرَيْنِ. وَلَهُ رَجَزُ^(١٦) فِي الْفَرَائِضِ مَفِيدٍ.

شعره: حَدَّثَنَا^(١٧) شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ، نَسِيخُ وَحْدِهِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ، قَالَ: خَاطَبَتِ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِيٍّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أُولَاهَا^(١٨):

-
- (١) أهطع: أسرع. لسان العرب (هطم).
 (٢) في النفع: «وحياته وقد...».
 (٣) في النفع: «وحياته وقد...».
 (٤) القُرَاب: جفن السيف وغمدته. لسان العرب (قرب).
 (٥) في الأصل: «الفتيق» والتصويب من النفع. والفتيق: الفحل من الإبل. لسان العرب (فتق).
 (٦) في النفع: «وركع إلى قبلة المتجنيق». (٧) في النفع: «فاقطعه».
 (٨) في النفع: «أمنيته».
 (٩) في النفع: «منها شرح التسهيل للفوائد لابن مالك، مبدع تنافس الناس فيه...».
 (١٠) في النفع: «وكتاب».
 (١١) في النفع: «وكتاب».
 (١٢) في النفع: «وكتاب».
 (١٣) في النفع: «ترسيل أبي المطرف...».
 (١٤) في النفع: «جزء».
 (١٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٨٢) وجاء فيه: «وحدثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم قال: خاطبت ابن هانيء بقصيدة...».
 (١٦) الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٢ - ٣٨٣).

[البسيط]

هاب^(١) الحديث عن الرُّكْب^(٢) الذي شَخَصَافأجابني عن ذلك بقصيدة في رَويها^(٣):

لولا مَشِيبَ بِفُؤدي للفؤاد عَصَى
واستوقفت عِبْراتي وَهِيَ جَارِيَةٌ
مُسَائِلًا عن لِيَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزَتْ
وكنْتُ جَارِيَتْ فِيهَا مَنْ جَرَى طَلَقًا
أَصَابَ شَاكِلَةَ المَزْمِي حِينَ رَمَى
ومن أَعَدَّ مَكَانَ التُّبْلِ نُبْلَ حِجَا
ثم انْتَنَى ثَانِيًا عِطْفَ التُّسِيبِ إِلَى
فَظَلْتُ أَرَفُلُ فِيهَا لَيْسَةً شَرَفْتُ
يقولُ فِيهَا وقد خولْتُ مِنْحَتَهَا
هَذي عَقَائِلُ وَأَقْتُ مِنْكَ ذَا شَرَفٍ
فَقُلْتُ: هَلَّا عَكَسْتَ القَوْلَ مِنْكَ لَهُ
وَقُلْتُ: ذِي بِكَرٍّ فِكْرٍ مِنْ أَخِي شَرَفٍ
لَهَا حُلَى حُسْنِيَّاتٍ عَلَى حُلَلٍ
خَوَّلَتْهَا وقد اعْتَرِزْتُ مَلَابِسَهَا
خُذْهَا أَبَا قَاسِمٍ مَنِي نَتِيجَةً ذِي
جَاءَتْ تَجَارِبُ عَمَّا قد بَعَثَتْ بِهِ

نَضَيْتُ^(٤) فِي مَهْمِهِ التُّشْيِيبِ لِي قُلُصَا^(٥)
وَكُفَاءُ تُوهِمُ رَبْعًا لِلْحَبِيبِ قُصَا
أَيْدِي الْأَمَانِي بِهَا مَا شِئْتَهُ فُرَصَا
مِنَ الْإِجَادَةِ لَمْ يُخْجَمِ^(٦) وَلَا نَكْصَا
مِنَ الشُّوَارِدِ مَا لَوْلَاهُ مَا اقْتَضَا
لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النُّهَى قُنْصَا
مَذْجٌ بِهِ قد غَلَا مَا كَانَ قد رَخَّصَا
ذَاتًا وَمُنْتَسَبًا أَعَزَّزَ بِهِ قُصْصَا
وَجُرْعَ الْكَاشِخِ الْمُغْرَى بِهَا غُصْصَا^(٧)
لَوْلَا أَيْدِيهِ بَيْعَ الْحَمْدِ مُرْتَخَصَا
وَلَمْ يَكُنْ قَابِلًا مِنْ^(٨) مَذْحَةِ الرُّخْصَا؟
يُزْدِي وَيُرْضِي بِهَا الْحُسَادَ وَالْخُلْصَا
حُسْنِيَّةٌ تَسْتَبِي مَنْ حَلَّ أَوْ شَخْصَا
بِالْبَحْثِ يَنْقَادُ لِلْإِنْسَانِ مَا عَوَّصَا^(٩)
وَدَّ إِذَا شِئْتَ وَدَّا لِلْوَرَى خَلْصَا
إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُ مِنْ دُرِّ النُّحُورِ حَصَا

(١) في الأصل: «هَلَّتْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «الْكُزْب» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «فأجابني بقصيدة على رَويها أولها».

(٤) في النفع: «أنضيت».

(٥) القُلُص: جمع قُلُوص وهي الناقة. لسان العرب (قلص).

(٦) في النفع: «لم يجمع».

(٧) جُرْع: سَقَى. والكاشِخ: المِبْغَض. والقُصَص: جمع غَصَّة وهي عدم انسياغ الطعام في الحلق.

لسان العرب (جرع) و(كشخ) و(غصص).

(٨) في النفع: «في». (٩) عَوَّص: صَعَب. لسان العرب (عوص).

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه^(١): [الكامل]

ما للثوى مُدَّتْ لغير ضرورة ولقَبِلَ ما عهدي بها مَقْصُورَةٌ
إِنَّ الخليل وإنْ دَعَّته ضرورة لم يَرْضَ ذاك فكيف دون ضرورة

وقال مضمناً: [الرمل]

لا يَلْمَنِي عاذلي حتى يرى^(٢) وَجْهَ من أهوى فلؤمي مستحيل
لو رأى وَجْهَ حبيبي عاذلي لَتَفَارَقْنَا على وجه جميل

وقال في الفخر: [الكامل]

قُلْ لِلْمَوَالِي: عِشْ بِغِبْطَةِ حَامِدٍ وَلِلْمُعَادِي: بِثْ بِضَغْنَةِ حَاسِدٍ
السُّزْنُ كَفِّي والشَّرِيَا هُمَّتِي وَذُكَا^(٣) ذُكْرِي والسُّعُودُ مَقَاصِدِي^(٤)

وقال في غير ذلك: [البسيط]

غَنِيْتُ بي دون غيري الدُّهْرَ عن مَثَلٍ بَعْضِي لِبَعْضِي أَضْحَى يَضْرِبُ المَثَلَا
ظَهْرِي انحنى لمشيبي لاح وأعجبا غَضُّ إِذَا أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ ذَبَلَا
أَذَاك^(٥) أَمْ زُهْرٌ لَاحَتْ تُخْبِرُ أَنَّ يَوْمَ الصَّبَا والتَّصَابِي آتَسَ الطُّفْلَا

ومما تجمع فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا القاضي الشريف أبا القاسم الحسني، عن القصيدة الهمزية التي ثبتت في اسمه^(٦): [الكامل]

يَا أَوْحَدَ الأَدْبَاءِ أَوْ يَا أَوْحَدَ الـ فَضْلَاءِ أَوْ يَا أَوْحَدَ الشُّرَفَاءِ
من ذَا تراه أَحَقُّ منك إِذَا التَّوْتُ طَرُقَ الحِجَاجِ بَأَنٍ يَجِيبُ نِدَائِي^(٧)
أَدَبٌ أَرَقُّ من الهَوَاءِ وَإِنْ تَشَا فَمِنْ الهَوَا والمَاءِ والصُّهْبَاءِ
وَالَّذِي مِنْ ظَلَمٍ^(٨) الحَبِيبِ وظَلَمَهُ بِالظَّاءِ مَفْتُوحَا وَضَمُّ الظَّاءِ
مَا السُّخْرُ إِلَّا مَا تَصُوعُ بِنَائِهِ وَلِسَائِهِ من جَلِيَّةِ الإنْشَاءِ
والفَضْلُ مَا حَلِيَّتُهُ وَحَبِيَّتُهُ وَخَبَوْتُني منه بخير جِبَاءِ

(١) هذان البيتان والبيتان التاليان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣).

(٢) في النفع: «لا تلمني عاذلي حين ترى». (٣) في الأصل: «وذكا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «مقاصد» بدون ياء. (٥) في الأصل: «أذلك» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) بعض أبيات هذه القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٧) في الأصل: «نداء»، والتصويب من النفع.

(٨) الظلم، بفتح الطاء وسكون اللام: الرين. لسان العرب (ظلم).

أبكارُ فَنَكْرُكٌ قَدْ رُفَّتْ^(١) بِمَذْحَتِي
 لَا مِنْ قُصُورٍ بَلْ لَتُقْصِيَهَا
 لَكِنْ جُبْرَنْ وَقَدْ جُبِلَنْ عَلَى الرِّضَا
 هَذَا إِلَى الشَّرَفِ الَّذِي قَدْ فِزَتْ
 شَرَفُ السُّلَيْلِ مِنَ الرُّسُولِ وَسَيْلَةً
 حَسَنَ أَبُو^(٢) حَسَنِ وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ الْ
 شَرَفِ عَلَى شَرَفٍ إِلَى شَرْفَيْنِ
 هَذِي ثَلَاثٌ أَنْتَ وَاحِدٌ فَخَرِهَا
 مِنْ رَامٍ رُتِبْتَكَ السُّنِّيَّةُ فَلْيَقِفْ
 هَذِي مَائِرٌ قَدْ شَاوَتْ بِصِيَّتِهَا
 وَاللَّيْثُ يُزْهَبُ زَأْرُهُ فِي مَوْطِنِ
 يَكْفِيكَ مِنْ تَكْدِ الْمُعَانِدِ أَنْ يُرَى
 السُّنُّ يُفْنَى بِالْأَنَامِلِ قَرْعُهُ
 أَتَحَفَّتْنِي بِقَصِيدَةٍ هَمَزِيَّةٍ
 كَمْ بَيْنَ تِلْكَ وَهَذِهِ لَكُنْهَا
 ذُو الشَّيْبِ يَغْذُرُهُ الشُّبَابُ فَمَا لَهُمْ
 مِنْ قَارِبِ الْخَمْسِينَ خَطُؤًا سُنَّةٍ
 أَبْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ أَسْدَى مِنْ بِهِ
 لَهِ نَفْثَةٌ سَحَرٍ مَا قَدْ شِذَّتْ لِي
 عَارِضَتْ طُفُؤَاتَا بِهَا فَأَزَيْتَ مَا
 لَوْ رَاءَ لَوْلُوكَ الْمُنْظَمَ لَمْ يَفْزُ

تَمْشِي رَوَائِعُهَا عَلَى اسْتِخْيَاءٍ
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَظْفَرْزَنْ بِالْإِزْفَاءِ
 فَالْجَبْرُ لِلْأَبْكَارِ لِلْأَبَاءِ
 عَلَيْهِ^(٣) بِالْمِزَّةِ الْقَفْصَاءِ
 قَامَتْ بِإِبْنِ^(٤) سَنَّا وَإِبْنِ^(٥) سَنَاءِ
 هَادِي الْبَرِيَّةِ خَاتِمِ الثُّبْلَاءِ
 مِنْ حَائِزٍ^(٦) مَا حُزَّتْ مِنْ عَلِيَاءِ
 فَاشْمَخْ لَهَا شَرْقًا بِأَنْفِ عِلَاءِ
 دُونَ الْمَرَامِ مَوَاقِفَ الْإِقْصَاءِ
 مِنْ كَانَ مِنْ أَبٍ لَهَا أَوْ شَاءِ
 مَا كَانَ مِنْ تَقْدِ بِهِ أَوْ شَاءِ
 مُتَقَلِّدِ الْأَعْضَاءِ بِالْبَغْضَاءِ
 أَوْ عَضُّهُ مَتَوَقِّدِ الْأَحْشَاءِ
 مَقْصُورَةٍ مَمْدُودَةِ الْآرَاءِ
 غَطَى عَلَى هَذِي ذَهَابُ قَتَانِي^(٧)
 بِذِكَا^(٨) نُبْلٍ أَوْ بِثُبْلٍ ذِكَا^(٩)
 فَمَحَالُهُ مُسْتَوْجِبُ الْإِبْطَاءِ
 يَتَعَاطَمُ الْأَبَاءُ بِالْأَبْنَاءِ^(١٠)
 مِنْ نَفْثِ سَحَرٍ فِي مَشَادِ ثَنَاءِ
 يَسْتَعْظِمُ الرَّأْيُ لَهُ وَالرَّائِي^(١١)
 فِي^(١٢) نَظْمٍ لَوْلُوهُ بَغِيرِ عَنَاءِ

(١) فِي الْأَصْل: «رُفَّتْ» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٢) فِي الْأَصْل: «مِنْ عَلَيْهِ» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٣) فِي الْأَصْل: «بَابِن» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ، لِذَا جَعَلْنَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ هَمْزَةً قَطْعٍ لِلزُّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ.

(٤) فِي الْأَصْل: «وَأَبُو» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٥) فِي الْأَصْل: «مِنْ ذَا حَاز...» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٦) فِي الْأَصْل: «فَتَاءٌ» بِدُونِ يَاءٍ.

(٧) فِي الْأَصْل: «بَذْكَاءُ» وَهَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٨) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ سَاقِطٌ فِي نَفْثِ الْعَلِيْبِ.

(٩) فِي الْأَصْل: «وَالرَّاءِ» وَالتَّصْوِيْبُ مِنَ النَّفْثِ.

(١٠) فِي النَّفْثِ: «مِنْ».

بَوَاتْنِي مِنْهَا أَجَلَ مَبُولٍ فَلَاخْمَصِي مُسْتَوِطِنٌ^(١) الْجَوْزَاءِ
وَسَمَا بِهَا اسْمِي سَائِرًا^(٢) فَأَنَا بِمَا أَسَدَيْتَ ذُو الْأَسْمَاءِ فِي الْأَسْمَاءِ
وَأَشَدَّتْ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَلِي بِهَا طَوْلُ الثَّنَاءِ وَإِنْ أَطَلْتُ ثَوَائِي^(٣)
وَلَقَوْمِي الْفَخْرُ الْمَشِيدُ بَنِيثُهُ يَا حُسْنَ^(٤) تَشْيِيدٍ وَحُسْنِ بِنَاءِ
قَلْبِي هَانِيهِمْ يَدٌ بِيضَاءُ مَا إِنْ مَثَلَهَا لَكَ مِنْ يَدٍ بِيضَاءِ
حَلَيْتَ أَبْيَاثًا لَهُمْ^(٥) لُحْمِيَّةُ تُجَلِي عَلَى^(٦) مُضَرِّيَّةِ غَرَاءِ
قَلْبِي شَمُخُوا أَنْفًا بِمَا أَوْلَيْتَهُمْ يَا مُخَرِّزَ الْآلَاءِ بِالْإِبْلَاءِ

هذا^(٧)، بُنِي، وصل الله سبحانه^(٨) لك ولي بك علو المقدار، وأجرى وفق أو فوق إرادتك أو^(٩) إرادتي لك جاريات الأقدار ما سمح^(١٠) به الذهن الكليل، واللسان القليل، في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية السراء^(١١)، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية^(١٢) بجوامع المطلوب، الحسنة المهيّج^(١٣) والأسلوب، المتحلية بالحلى السنية^(١٤)، العريقة المُنْتَسَب في العلى الحسنة، الجالية صدا^(١٥) قلوب ران عليها الكسل، وخانها المسعدان السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو أقامت حولها، شكّت ويلها وعولها، وحُرمت من فريضة الفضيلة عولها، وعهدي بها والزمان زمان، وأحكامه^(١٦) الماضية أمانتي مقضية وأمان، تتوارد ألافها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل سهل مُنْتَع، مفرقٍ مُجْمَع^(١٧)، مُتَأَنِس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين، أيد من الفصاحة بأيد، فلم يخفيل بصاحبي طي وإيد، وكسي

(١) في النفع: «مستوطىء».

(٢) في الأصل: «سائر» والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «بأحسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «له».

(٥) في الأصل: «بعلا علاً» والتصويب من النفع.

(٦) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٤ - ٣٨٧).

(٧) كلمة «سبحانه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٨) في النفع: «وإرادتي».

(٩) في الأصل: «الجالية للسراء»، والتصويب من النفع.

(١٠) في النفع: «الموفية».

(١١) في الأصل: «الحسنة» والتصويب من النفع. (١٥) في النفع: «لصدا القلوب».

(١٢) في النفع: «وأحكامها».

(١٣) في النفع: «مجتمع».

بضاعة^(١) البلاغة، فلم يعبا بهما وابن المراجعة^(٢). شفاء المحزون، وعلم السر^(٣) المخزون، ما بين مثوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مبهج، ولا مرشد ولا منهج، عكست القضايا فلم تُنَجِّج، فتبلد القلب الذكي، ولم يرشح القلب البكي^(٤)، وعم الإفحام، وعم الإحجام، وتمكن الإكداء والإجبال، وكورت الشمس وسيرت الجبال، وعلت سامة، وعلبت ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لنوعي الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهزق، وفزع غصنه المورق، تغنى^(٥) به الحمام الأوزق، وأحاط بعداد عداته الغصص والشرق، وأمن من الغضب والسرقة، وأقبل الأمن وذهب بإقباله الفرق، نفخ في صور أهل المنظوم والمثثور، وبُعْث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتراءت للأدب صور، وعمرت للبلاغة كور، وهمت للبراعة دُرر، ونظمت للبراعة دُرر، وعندها يتبين^(٦) أنك واحد حلبة البيان، والسابق في ذلك الميدان، يوم الرهان، فكان لك القدم، وأقر لك مع التأخر السابق الأقدم، فوحق نصاعة ألفاظ أجذتها، حين أوردتها، وأسلتها حين أزسلتها، وأزنتها حين وزنتها، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها، وأزويتها حين رويتها^(٧)، وأصلتها حين فصلتها ووصلتها^(٨)، ونظام جعلته لجسد^(٩) البيان قلبا، ولمغصمه قلبا^(١٠)، وهصرت حدائقه غلبا، وارتكبت رويته^(١١) صغبا، ونثار^(١٢) أتبعته له خديما، وصيرته لمدير كأسه نديما، ولحفظ^(١٣) فمامه المدامي أو مدامه الدمامي مديما، لقد فتنتني حين أتتني، وسبتني حين نصبتني^(١٤)، فذهبت خفتها بوقاري، ولم يرعها بعد شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحبا، وحللت لفشتها الحبا، ولم أحفل بشيب، وألفيت ما رد نصابي نصيب^(١٥)، وإن كنا فرسي رهان، وسابقي حلبة ميدان، غير أن الجلدة

(١) في النفع: نصاعة.

(٢) هنام: هو الفرزدق. وابن المراجعة: هو جرير بن عطية.

(٣) في النفع: سر.

(٤) في النفع: ولم يرشح القلم الذكي.

(٥) في النفع: وتغنى.

(٦) في النفع: يتبين.

(٧) في النفع: رويتها أو وزيتها.

(٨) في النفع: أو وصلتها.

(٩) في النفع: بجسد.

(١٠) في الأصل: والمغصمة قلما والتصويب من النفع. والغلب: السوار. لسان العرب (قلب).

(١١) في الأصل: روية والتصويب من النفع. وهنا يشير إلى صعوبة القافية وإن كانت همزية، وهي غير صعبة.

(١٢) في الأصل: ونثارا والتصويب من النفع. (١٣) في النفع: ولحفظه.

(١٤) في النفع: أطبنتي.

(١٥) يشير هنا إلى قول نصيب [الوافر]

بيضاء، والمرجوز الإغضاء، بل الإرضاء. بُني، كيف رأيت للبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، ومحل دُعواه بين رحلة وتغريس^(١)؟ كم بين ثغاء بقر^(٢) هذا القلا، وبين زفير لينث العريس؟ كما أني أقطع^(٣) علما، وأعلم قطعاً، وأحكم مضاء وأمضى حكماً، أنه لو نُظر إلى قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المُتَسَخِّة بها فريدته، لذهب عزضاً وطولاً، ثم اعتقد لك اليد الطولى، وأقر بارتفاع^(٤) النزاع، وذهبت له تلك العُلات^(٥) والأطماع، ونسي كلمته اللؤلؤية، ورجع عن دعواه الأدبية، واستغفر الله ربه من تلك الإلهية^(٦). بُني، وهذا من ذلك، من الجزي في تلك المسالك، والتبسط في تلك المآخذ والمشارك، أينزع غيري هذا المنزع؟ أم المزة يشغره^(٧) وابنه مولع؟ حباً الله الأدب وبنيه، وأعاد علينا من أيامه وسنيه! ما أعلى منازعه، وأكبا منازعه، وأجل مأخذه، وأجهل تاركه وأعلم آخذه، وأرق طباعه، وأحق أشياعه وأتباعه، وأبعد طريقه، وأبعد فريقه، وأقوم نهجه، وأوثق نسجه، وأسمح ألفاظه، وأفصح عكاظه، وأصدق معانيه وألفاظه، وأحمد نظامه ونثاره، وأغنى شعاره ودثاره، فعائبه مطرود، وعائبه مضفود، وجاهله مخضود، وعالمه محضود، غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل، مَنْ ظفر بهما وصل، وعلى الغاية القصوى منهما^(٨) حصل، ومن تكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البرُّ الزكي، الحبيب الحفي^(٩)، الصفي الوفي، أنك حامل رايته، وواصل غايته، ليس أولوه وآخروه لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يطول الكتاب، وتُحرف الشعراء والكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفضل^(١٠) فيضاً، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضاً، قرئت عيون أودائك^(١١)، وملئت غيظاً صدور أعدائك، وزقيت درج الآمال، ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالي. والسلام

= وترجمة نصيب في الأغاني (ج ١ ص ٣١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٢٢).

(١) التعريس: النزول ليلاً للراحة. لسان العرب (عرس).

(٢) في النفع: «بقر القلاة وبين ليث الفريس». (٣) في النفع: «أعلم قطعاً، وأقطع علماً».

(٤) في النفع: «فارتفع». (٥) في النفع: «الملاقات».

(٦) في النفع: «الآلية». (٧) في النفع: «بنفسه».

(٨) في النفع: «منه».

(٩) الحفي: الذي يبالغ في السؤال عن الشيء. لسان العرب (حفي).

(١٠) في النفع: «الفضل».

(١١) الأوداء: جمع ودود وهو المُجَب. لسان العرب (ودد).

الآنم^(١) الأكمل الآنم، يَخْصُصُك به من طال في مَدْحِهِ إِزْقَالَكَ وإِغْذَاكَ^(٢)، ورَادَ رَوْضُ حَمْدِهِ^(٣) طَلُّكَ ورِذَاكَ، وَغَدَت مَصَالِحُ سَعْيِهِ في سَعْيِ مَصَالِحِكَ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَقُضْلِهِ وَمِثَّتَهُ مُعَاذُكَ، وَوَسَمَتَ نَفْسَكَ بِتَلْمِيزِهِ فَسَمَتَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ أَسْتَاذُكَ، ابن هانيء، ورحمة الله وبركاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الوَفْد من أهل بلده عند تصيرها إلى الإيالة النُصْرِيَّة، حسبما ثبت في موضعه.

وفاته: توفي بجبل الفتح، والعدو يحاصره، أصابه حَجَرُ المنجنيق في رأسه، فذهب به، تقبل الله شهادته ونفعه، في أواخر ذي قعدة، من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة^(٤).

وممن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أبو القاسم الحسني، وهي القصيدة التي أولها^(٥): [الطويل]

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضْرَاءِ أَشْلَاءَ سُودٍ تَضَمَّنَهُنَّ الثَّرْبُ صَوَّبَ الْغَمَائِمِ
وقد ثبت في «جُهد المُقِيل» في اسم المذكور، فليُنظر هنالك.

وممن رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين، رحمه الله بقوله^(٦): [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال اليزيد ^(٧)	فاضيز فحزئك لا يفيد
أودى ابن هانيء الوضا	فاعتادني للشكل عيد
بسخر العلوم وضدوها	وعميدها إذ لا عميد
قد كان زئنا للوجو	دفعيه قد فجج الوجو
العلم والتحقق والتد	وفيق والسحب التليد
تئدى خلائقه فقل	فيها: هي الروض المجود

(١) في النسخ: «الآنم الآنم الأكمل...».

(٢) الإرقال والإغذاذ: ضربان من السير السريع. لسان العرب (رقد) و(غذذ).

(٣) في النسخ: «حمدك وإبلك وطلُّك ورِذاذك».

(٤) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨): «وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعمائة».

(٥) البيت في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨).

(٦) قصيدة ابن شبرين في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٧) في النسخ: «البريد».

مُغْضٍ عَنِ الْإِخْوَانِ لَا
أَوْدَى شَهِيدًا بِأَذَلٍّ
لَمْ أَنْسَهُ حِينَ الْمَعَا
وَلَهُ صُبُوبٌ فِي طَلَا
لِلَّهِ وَقَتٌ كَانَ يَنْتُ
أَبَامَ تَغْدُو أَوْ تَرُو
وَإِذَا الْمَشِيخَةُ جُئْتُمْ
وَمُرَادُنَا جَمُّ التُّبَا
لَهْفِي عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْـ
لَوْ جِئْتُ أَوْطَانِي لَأَنْـ
وَلَرَأَى نَفْسِي شَيْبَ مَنْ
وَلَطَفْتُ مَا بَيْنَ الْلُحُورِ
سَزَعَانٍ مَا عَاثَ الْجَمَا
كَمْ زُمْتُ إِعْمَالِ الْمَسِيدِ
وَالآنَ أَخْلَقْتُ الْوَعْوِ
مَا لِفَتَى مَا يَنْتَفِي
أَعْلَى الْقَدِيمِ الْمُلْكِ يَا
يَا بَيْنُ، قَدْ طَالَ الْمَدَى
وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ
إِيهِ أَبَا عَبْدِ الْإِلَـ
أَيْنَ الرِّسَائِلُ مِنْكَ تَأْ
أَيْنَ الرُّسُومِ الصَّالِحَا

جَهْمُ الْقَلَاءِ وَلَا كُنُودُ^(١)
مَجْهُودَةٌ نَغَمَ الشَّهِيدُ
رَفٌّ بِاسْمِهِ فِينَا تُشِيدُ
بِ الْعِلْمِ يَثْلُوهُ صُغُودُ
ظَمُنَا كَمَا تُظَمُّ الْفَرِيدُ
ح وَسَغِينَا السُّغَى الْحَمِيدُ
هَضْبَاتُ جِلْمٍ لَا تُبِيدُ^(٢)
ت وَعَيْشُنَا خَضِرُ بَرُودُ^(٣)
أَنْرَابُ كُلُّهُمْ فَقِيدُ
كَرْنِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودُ
غَادِزْتُهُ وَهُوَ الْوَلِيدُ
د وَقَدْ تَكَائَرَتِ اللَّحُودُ
مُ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ هُجُودُ
رِ فَقِيدْتُ عَزْمِي قُبُودُ
د وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ الْجُرُودُ
وَاللَّهُ^(٤) يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
وَيَلَاهُ يَغْتَرِضُ الْعَبِيدُ
أَزْعِذْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ^(٥)
وَلَرِيْمَا لَانَ الْحَدِيدُ
لَهُ وَدَوْنَنَا مَرْمَى بَعِيدُ
تِينَا كَمَا تُظَمُّ^(٦) الْعُقُودُ؟
تُ؟ تَصْرُمْتُ، أَيْنَ الْعُهُودُ؟

(١) الكُود: كافر النعمة، البخيل. لان العرب (كند).

(٢) في النفع: «لا تُميد».

(٣) في الأصل: «خَضِرُ الْبُرُودِ» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «فالله».

(٥) في النفع: «أَبْرِقْ وَأَزْعِذْ...». وقد أخذ المعنى من قول الكميت [مجزوء الكامل]:

أَزْعِذْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ — دُ فَمَا وَعَيْدُكَ بِضَائِرِ

(٦) في النفع: «تُسَبِّحُ».

أَنعَمَ مَسَاءً لَا تَخْطُطُ^(١) كَ^(١) الْبَشَائِرُ وَالسُّعُودُ
وَأَقْدِمِ عَلَى دَارِ الرُّضَا حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالْخُلُودُ
وَالْوَقْدُ الْأَحْبَبُ حَيْثُ دَا رُ الْمُلْكِ وَالْقَضْرُ الْمَشِيدُ
حَتَّى الثَّهَادَةُ لَمْ تَفُتْ كَ فَتَنُجُمُكَ النُّجْمُ السَّعِيدُ
لَا تَبْعُدَنَّ وَعْدًا^(٢) لَوْ أَنَّ نَ الْمَمْنِ^(٣) فِي الدُّنْيَا يَعُودُ
وَلَتَنَ^(٤) بُلَيْتَ فَإِنْ ذَكَرَ كَ فِي الدُّنْيَا غَضْرُ جَدِيدُ
نَا اللَّهَ لَا تَنْسَاكَ أَنَا دِيَّةُ الْعُلَى مَا اخْضَرُّ عُودُ
وَإِذَا تُسْومَحَ فِي الْحَقْوِ قِي فَحَقُّكَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ
جَادَتْ صَدَاكَ غَمَامَةٌ يُرَوَى^(٥) بِهَا ذَاكَ الضَّعِيدُ
وَتَعَاهَدْتُكَ مِنَ الْمُهَيِّبِ مِنْ رَحْمَةٍ أَبَدًا وَجُودُ

محمد بن يحيى العبدري

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصدفي.

حاله: قال الأستاذ في «صلته»^(٦): إمام في العربية، ذاكر للغات والآداب، متكلم، أصولي مفيد، متفطن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ علم العربية والآداب عن النحوي أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي ذر الحشني، وأكثر عنهما، وأكمل الكتاب على ابن خروف، تفقها وتقييدا وضبطا. وكان حسن الإقراء، جيد العبارة، متين المعارف والدين، شديد الورع، متواضعا جليلا، عالما عاملا، من أجل من لقيته، وأجمعهم لفنون المعارف، وضروب الأعمال، وكان الجفظ أغلب عليه، وكان سريع القلم إذا كتب أو قيد، وسمعته يقول: ما سمعت شيئا من أحد من أشياخي، من نكبت العلم، وتفسير مشكل، وما يرجع إلى ذلك، إلا وقيدته، ولا قيدت بخطي شيئا إلا حفظته، ولا حفظت شيئا فتسيته. هذا ما سمعت منه.

(١) في النسخ: «لا تخطيك».

(٢) في الأصل: «وعد» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٣) في النسخ: «البد».

(٤) في النسخ: «يرمي».

(٦) الأستاذ هو أبو جعفر بن الزبير، وكتابه هو: «صلة الصلة».

مشيخته: أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي دَرَّ الحُشْنِي، وأكثر عنه، وأخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، ولازم ثلاثتهم، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح، وأخذ عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعة كانت لديه، يتجر فيها، ودخل إشبيلية، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفي، رحمه الله، شهيداً بمرسى جبل الفتح. دخل عليهم العدو فيه، فقاتل حين قُتل، وذلك سنة إحدى^(١) وخمسين وستمائة. وسمعته يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة.

المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاً الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير^(٢)

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا^(٣) الشيخ سيكيت حلبة، ولد أبيه في علو النباهة، إلا أنه لَوْدَعِي فكه، حسن الحديث، رافض للتصنع، ركض طَرْف الشبيبة في ميدان الراحة، مُنْكَبًا عن سُنَنِ أبيه وقومه، مع شُغُوفٍ^(٤) إِذْرَاك، وجودة حِفْظ، كانا يُطْمِعَان والده في نجابته، فلم يَغْدَم قَادِحًا. ورحل إلى العدو، وشرق ونال حُظُوة، وَجَرَتْ عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رَسْمه يَتَكَوَّر بها، وهو الآن قد نال منه الكِبَر، يُزْجِي الوقت^(٥) بمالقة، متعللاً بوقفٍ^(٦) من بعض الخدم المَخْزُونَةِ^(٧)، لطف الله به.

مشيخته: استجاز له والده الطم والرّم، من أهل المغرب والمشرق، ووقف عليه منهم في الصغر وفقاً لم يغتبط به عمره، وادّكره الآن بعد أُمّة، عندما نَقَرَ عنه لديه، فَأَثَرَتْ به يده من علو رواية، وتوفّر سبب مبرّة، وداعية إلى إقالة عثرة، وسرّ

(١) في الأصل: «أحد» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة ابن الزبير في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٤) في النفع: «شغوف».

(٥) في النفع: «برمق».

(٦) نسبة إلى المخزون. وجاء في النفع: «المخزونية».

هَبِيَّة شَيْبَةَ. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد الجشدالي، إجازة ثم لقاءً وسماعاً، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون. وأجازه الأستاذ أبو إسحاق الغافقي، وأبو القاسم بن الشاط، والشريف أبو العباس أحمد الحسيني، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي، نزيل سبته. ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتاني الشاطبي ببجاية، والإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحرام، وابن دقيق العيد وغيرهم. ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السُّدَّاد، وأبو جعفر بن الزيات، وأبو عبد الله بن الكُمَّاد، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله بن بُزْطَال، وأبو محمد عبد المنعم بن سِمَاك، والعَدْل أبو الحسن بن مَسْتَقُور. وأجازه من أهل المشرق والمغرب عَالَمٌ كبير.

شعره: وبضاعته فيه مُزْجَاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان^(١): [الوافر]

نوالي الشُّكْرَ للرحمٰن قَرَضَا	عَلِمَ نَعِمَ كَسَتْ طَوَلَا وَعَرَضَا
وكم لله من لُطْفٍ خَفِيٍّ	لنا منه الذي قد شَا ^(٢) وَأَمْضَى ^(٣)
بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ أَتَتْ سَعُودُ	نَنَالَ ^(٤) بِهَا نَعِيمَ الدَّهْرِ مَخْضَا
فيا بُشْرَى لَأَنْدَلَسٍ بِمَا قَدْ	بِهِ وَالْأَكْ بَارِينَا وَأَرْضَى
ويا لله من سَفَرٍ سَعِيدٍ	قَدْ أَقْرَضَتْ ^(٥) الْمُهَيِّمَ فِيهِ قَرَضَا
تَهَضَّتْ ^(٦) بِنِيَّةٍ أَخْلَصَتْ فِيهَا	قَابَلَتْ ^(٧) بِكُلِّ مَا يَبْغِي وَيَرْضَى
وَتُبَّتْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لَمَّا	عَلِمَتْ بِأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَقْضَى
لَقَدْ أَخَيَّنْتَ بِالتَّقْوَى رُسُومًا	كَمَا أَرْضَيْتَ بِالتَّمْهِيدِ أَرْضَا
وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِينَا	تَمَهَّدُ سُنَّةً وَتَقِيمُ قَرَضَا
وَرَضْتَ ^(٨) مِنَ الْعُلُومِ الصُّغْبَ حَتَّى	جَنَيْتَ ثَمَارَهَا رَطْبًا وَغَضَا

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) أصل القول: «شَاء»، فحذف الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «الذي يَشَاء... وَأَمْضَا»، أي في الأصل بياض مكان كلمة «قَدْ»، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «نَالَ»، والتصويب من النفع.

(٥) في النفع: «قَدْ أَقْرَضَتْ»، (٦) في النفع: «وَرَحَّتْ».

(٧) في الأصل: «قَابَلَتْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) رَضْتُ: ذَلَّلْتُ وَمَهَّدْتُ. لسان العرب (روض).

فَرَأَيْكَ نَاجِحٌ^(١) فِيمَا تَرَاهُ وَعَزَمَكَ مِنْ مَوَاضِي الْهَيْدِ أَمْضَى
تُدْبِرُ أَمْرَ مَوْلَانَا فَيَلْقَى الْـ مُسِيءَ لَدَيْكَ إِشْفَاقًا وَإِغْضَا^(٢)
فَأَغْقَبْنَا شِفَاءً^(٣) وَائِبَسَاطًا وَقَدْ كَانَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مَرْضَى
وَمَنْ أَضْحَى عَلَى ظَمِلٍ وَأَمْسَى يَرِذُ إِنْ شَاءَ مِنْ تُعْمَاكَ حَوْضًا^(٤)
أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ إِلَيْكَ أَشْكُو زَمَانِي حِينَ زَادَ الْفَقْرُ عَضًا^(٥)
وَمِنْ تُعْمَاكَ أَسْتَجِدِي لِيَا سَا يَفِيضُ^(٦) بِهِ عَلَيَّ الْجَاهُ قَيْضًا
بَقِيَتْ مُؤْمَلًا تُرْجَى وَتُخْشَى وَمِثْلَكَ مِنْ إِذَا مَا جَادَ أَرْضَى
وفاته: توفي في التاسع لمحرم من عام خمسة وستين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغساني

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، ويعرف بالقلبي^(٧)،

أوليته: قد جرى من ذكره وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية^(٨).

حاله: كان^(٩) نبيه البيت، رفيع القدر، عالي الصيت، من أهل العلم والفضل
والحسب والدين، وأجمع على استيفضائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سَمْحُون سنة
ثمان وخمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة أوائل صفر عشرة وخمسمائة، ودفن في روضة أبيه. ذكره
ابن الصيرفي وأطّنب.

(١) في النسخ: «راجع».

(٢) إغضا: أصلها: إغضاء، فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «شفا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٤) في الأصل: «خوضا» بالخاء والتصويب من النسخ.

(٥) رواية عجز البيت في الأصل هكذا:

حِينَ نَابَ الْفَقْرُ عَضًا

وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٦) في النسخ: «تفيض».

(٧) ترجمة القليبي في التكملة (ج ١ ص ٣٣٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥).

(٨) تقدمت ترجمة أبيه أحمد بن خلف في الجزء الأول من الإحاطة.

(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥) والتكملة (ج ١ ص ٣٣٥).

محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، شيخ الفقهاء والمؤثقين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل والتخلق والعدالة، طرّفاً في الخير، مُحَبِّباً إلى الكافة، مجبّولاً على المشاركة، مطبوعاً على الفضيلة، كَهْفًا لِلْغُرَبَاءِ والقادِمين، مَالِفًا للمتعلّمين، إِمَالاً لِلْأَمْسَرِيِّ والعائِزين، تَخَلَّصَ مِنْهُمْ على يَدَيْهِ أُمَمٌ؛ لَقَصَدَ النَّاسَ إِثَاءً بِالْصَّدَقَةِ، مَقْصُودًا فِي الشَّفَاعَاتِ، مُعْتَمِدًا بِالْأَمَانَاتِ، لَا يُسَدِّلُ دُونَهُ سِتْرًا، وَلَا تُحَجِّبُ عَنْهُ حُرْمَةٌ، فَفِيهَا حَافِظًا، إِيخَارِيًّا مُحَدَّثًا مَمْتَعًا، مُتَقَدِّمًا فِي صِنَاعَةِ التَّوَثِيقِ، حَسَنَ الْمَشَارَكَةِ فِي غَيْرِهَا، كَثِيرَ الْحُضُرِ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي الْمَحْوُولِ وَالْأَزْمَاتِ، يَقُومُ فِي ذَلِكَ مَقَامَاتٍ حَمِيدَةٍ، يَنْفَعُ اللَّهُ بِهَا الضَّعَفَاءَ، وَيُنْقِذُ النَّاسَ لِمَوْعِظَتِهِ، وَيُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ بِصِدْقِهِ. فَقَدْ بِفَقْدَانِهِ رَسْمٌ مِنْ رُسُومِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ.

مُشِيخَتُهُ: قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْخَطِيبِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ فَضِيلَةَ، وَرَوَى عَنِ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ الْمُسَيَّنِّ الْمَحْدَثِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَنَعَمِ بْنِ سَمَّاكٍ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّكُوتِ الْمَالِقِيِّ، وَالْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشِيدٍ، وَالْقَاضِي أَبِي يَحْيَى بْنِ مَسْعُودٍ، وَالْعَدْلَ أَبِي عَلِيِّ الْبَجَلِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمَنِ الْخَوْلَانِي. وَأَجَازَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَنَابَ عَنْ بَعْضِ الْقَضَاةِ بِغَرْنَاطَةِ. وَلَدَ عَامَ تِسْعَةِ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَتَوَفَّى فِي الثَّلَاثِ لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامٍ ثَمَانِيَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُودَةً.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن

يوسف بن روبيل الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السراج. طليطي الأصل، طبيب الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل التُّفُنِّ والمعرفة، مُتَنَاهِي الْأُجْهَةِ وَالْحُظُورَةِ، جَمِيلَ الصُّورَةِ، مَلِيحَ الْمَجَالَسَةِ، كَثِيرَ الدُّعَايَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ، ذَاكِرًا لِلْأَخْبَارِ وَالطُّرُقِ، صَاحِبَ حِفْظٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ وَالتَّفْسِيرِ، قَارِضًا لِلشُّعْرِ، حَسَنَ الْخَطِّ،

(١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٧): «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدؤسي...».

ظريف الوراق، طرّفاً في المعرفة بالعُشب، وتمييز أعيان الثّبات، سنيّاً، محافظاً، مُحبّاً في الصالحين، ملازماً لهم، مُعْتَنياً بأخبارهم، مُتَلَمّداً لهم. انحاش إلى الولي أبي عبد الله التّونسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودوّن أحواله وكراماته. وعيّن زرع ما يستفيدة في الطّب صدقة على يَدَيْهِ، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان، فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين، فكان على أبوه على أهل الدنيا، يؤثر ذوي الحاجة، ويخفّ إلى زيارتهم، ويُرْفِدهم، ويُعينهم على معالجة عللهم.

مُشِيخته: قرأ الطّب على الشيخ الطيب، نسيج وحده أبي جعفر الكزني، رئيس الصناعة في وقته، ولقي فيه الأستاذ إمام التّعاليم والمعارف أبا عبد الله الرّقوطي المُرسي وغيره. وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطّباع بالروايات السّبع، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصائغ الإشبيلي، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير.

توالياً: ألف كتباً كثيرة، منها في الثّبات والرّوايا، ومنها كتاب سماء، «السّر المُداع، في تفصيل غرناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله مُلَغّزاً في المَطَر: [الطويل]

وما زائر مهما أتى ابتَهَجَتْ به	نفوس وعَمَّ الخَلْقُ جوداً وإحساناً
يُقيمُ فيشكو الخَلْقُ منه مُقامه	ويَكْرُبُهُمْ طُراً إذا عَنْهُمْ بانا
يَسُرُّ إذا وافى وَيَكْرُبُ إن نأى	ويُكرِّه منه الوصل إن زار أحيانا
وأعجبُ شيءٍ هَجَرُ حَبِّ مواصلٍ	به لم ^(١) يُطِلْ هواه إن لم يُطِلْ خانا

محتته: ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر ^(٢) فجأة، وهو يُصَلّي المغرب، وباكراً الطبيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر أنه تناول كَعَكاً وَصَلَهُ من وليّ عهده، فقال كلاماً أوجب نكبته، فامتحن بالسّجن الطويل، والتّمسّت الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلى إلى العُدوة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفاً ما عهد من البرّ وقَّده من التّجلة.

ميلاده: بفرناطة عام أربعة وخمسين وستمائة.

(١) في الأصل: «حين»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ولي سلطنة غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي^(١)

يكنى أبا عبد الله^(٢)، وبيته معلوم.

حاله: كان من أهل المعرفة والتُّبَل والذكاء.

مشيخته: قرأ القرآن على أبي بكر بن التُّفَيْس، وأبي عبد الله بن شهيد المُرِّي المقرئ بطخشارش من غرناطة. ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله بن مالك^(٣) المقرئ، وأبي الحسن علي بن عمر بن أَضْحَى، وعلى غيرهما من شيوخ غرناطة.

وفاته: توفي سنة أربعين وخمسمائة.

قلت: وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشتطت صدر خطبته ألا أذكر هذا النمط لمكان مُصاهرتي في هذا البيت. ولعلَّ حافِدَ هذا المترجم به من ولدي يُطْلَع على تَعْدَادهم وذكرهم في هذا التَّأليف وتردادهم، فيكون ذلك محرِّضًا له على التَّجابه، محرِّضًا للإجابة، جعلنا الله مُمِّنَ انتمى للعلم وأهله، واقتفى من سُنَّته واضح سُبُلِهِ.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم
ابن حَسَّان القيسي^(٤)

الوادِشِي الأصل والمعرفة، التُّونِسِي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر.

حاله: من «عائد الصلة»: نشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرِّوَاية ونَقَّب عن المشايخ، وقَبِدَ الكثير، حتى أصبح جَمَاعَةَ المغرب، ورواية الوقت. ثم قَدِمَ الأندلس ظريف التُّزْعَة، عظيم الوقار، قَوِيم السُّنَمَت، يأوي في

(١) ترجمة ابن أبي زَمَنِين في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٠١) وهو فيه: «محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله...».

(٢) كنيته في الذيل والتكملة: أبو بكر.

(٣) في الأصل: «ملك» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) ترجمة محمد بن جابر القيسي في التعريف بابن خلدون (ص ١٨) والدياج المذهب (ص ٣١١) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٢) و(ج ٧ ص ١٩٢).

فضل التَّعْيِش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع والرواية، وانتقل إلى بَلَش، فقرأ بها القرآن العظيم والروايات الشَّيخ، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرُّحْلة الحجازية، وأغْرَق، فلقى أُمَّة من العُلَمَاء والمُحَدِّثِينَ، وأصبح بهم شَيْخٌ وَخَدَه، أَنْفَسَاحُ رِوَايَةٍ، وَعُلُوُّ إِسْنَادٍ.

مشيخته: من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغُمَاز الحَزْرَجِي البَلَنْسِي، وقاضي الجماعة بها أبو إسحاق بن عبد الرَفِيع، وقاضي قضاة الدِّيار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر الكِنَانِي. وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغُبَرِينِي، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طَرَاد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأَصْبَحِي، وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السَّعْدِي المصري، ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري، وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، وأبو الفضل أبو القاسم بن حمَّاد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبدي، وعبد الله بن يوسف بن موسى الخِلاسي، وعبد الله بن محمد بن هارون، وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التَّجِيبِي، وأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللَّبْلِي^(١)، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعزُّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصُّفَّار، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجُذَامِي الشَّاطِيبِي، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأَنْصَارِي الأَسَدِي القَيْرَوَانِي، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القَبْشُورِي^(٢)، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رَزِين التَّجِيبِي، وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرَنِي^(٣)، وعزُّ القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وصُدْرُ النُّحَاة أبو حَيَّان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي المقدسي الدَّلَاصِي، ورضيُّ

(١) نسبة إلى لبله Niebla وهي مدينة في غرب الأندلس. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٢) نسبة إلى قبتور وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

(٣) نسبته إلى بَطْرَنَة وهي قرية بساحل إلبيرة. نزهة المشتاق (ص ٥٦٤) وجغرافية الأندلس وأوروبا (ص ١٢٩) ومملكة غرناطة (ص ٢٨٨).

الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري، والمُعمر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وأما مَنْ كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب.

قدم غرناطة في أول عام ستة وعشرين وسبعمئة، فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طاريء وغريب.

توالياقه: له تواليف حديثة جُملة، منها أربعون حديثًا، أغرب فيها بما دلَّ على سعة خطوه وانفساح رَحله.

وفاته: كان حيًّا سنة أربعين وسبعمئة، وبلغني أنه توفي عام سبعة بعدها.

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي^(١)

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان^(٢) مُتَكَلِّمًا، واقفًا على مذاهب المُتَكَلِّمين، متحققًا برأي الأشعرية، ذاكرًا لكتب الأصول والاعتقادات، مشاركًا في الأدب، مقدِّمًا في الطب.

مشيخته: روى عن أبي جعفر بن محمد بن حكيم بن باق، وأبي جعفر بن خَلَف بن الهيثم، وأبوي الحسن بن خَلَف العنسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، وأبوي عبد الله بن عبد العزيز الموري، وابن فرج مولى الطَّلَاع، وأبي العباس بن محمد الجُدّامي، وأبي علي الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصُّفّار، وأبي القاسم أحمد بن عمر. وأخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن المُرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن موسى الكلبي. وتأدَّب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خَلَف بن يوسف بن فَرْثُون بن الأبرش.

مَنْ روى عنه: روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، وأبو خالد المرواني، وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسى، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان، وأبو الوليد بن خيرة.

(١) ترجمة محمد بن خلف في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

تواليايفه: من تواليايفه: «الثكت والأمالى، في الرّد^(١) على الغزالي»،
و«الإيضاح^(٢) والبيان، في الكلام على القرآن»، و«الأصول^(٣)»، إلى معرفة الله ونبوة
الرسول» ورسالة «الاقتصار^(٤)»، على مذاهب الأئمة الأخيار»، ورسالة «البيان، في^(٥)
حقيقة الإيمان»، والرّد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في
الجزء الأول من مُقدّماته، و«شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح^(٦) البخاري»،
وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وخمسمائة^(٧) في شوال منه، وبلغ في
الكلام فيه إلى الثكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في
معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: أَلْفَتْ في نور البصيرة، فأَلَفَ في نور البصر تُنْفَع
وتُنْتَفَع، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جُمُ الإفادة، ثم أكمل الثكت.

شعره: وكان له حظٌ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا
المعالى الجويني^(٨): [الخفيف]

حُبِّ حَبِيرٍ^(٩) يُكْنَى أَبَا للمعالى^(١٠) هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا والله مُفَرِّمٌ في هواه^(١١) عُلِّلُونِي بِذِكْرِهِ عُلِّلُونِي

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع
 وخمسين وخمسمائة^(١٢).

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشريشي^(١٣).

(١) في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨): «في التقصير».

(٢) كلمة «والإيضاح» ساقطة في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤).

(٣) في الأصل: «والوصول» والتصويب من التكملة والذيل والتكملة.

(٤) في التكملة والذيل: «الاقتصار». (٥) في التكملة والذيل: «عن».

(٦) في التكملة «وكتاب».

(٧) في الأصل: «وستمائة» وهو خطأ، وصوبناه من الذيل والتكملة.

(٨) هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني، والبيتان في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥)
ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٩) الحَبِير: العالم، جمعه أحبار. لسان العرب (حبر).

(١٠) في الأصل: «أبا المعالى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المصدرين: «بهواه».

(١٢) جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥): «وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين
 وخمسمائة».

(١٣) ترجمة أبي عبد الله الشريشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥) ونفع الطيب (ج ٩ ص ٢٣٠)=

حاله: من أهل التَّصَاوُن والحشمة والوقار، مُعَرَّق في بيت الخَيْرِيَّة والعَقَّة، وكان والده صاحبنا، رحمه الله، آيَةً في الدُّووب والصُّبر على انتِسَاخ الدَّوَابِين العِلْمِيَّة والأجزاء، بحيث لا مَظَنَّة معرفة أو حُجْرَة طَلَب تخلو عن شيءٍ من خطِّه إِلَّا ما يَقِلُّ، على سكون وعدالة وانقباض وصبر وقناعة. واكتب للصُّبيان في بعض أطواره، ونشأ ابنه المذكور ظاهر الثُّبُل والخصوصِيَّة، مشاركًا في فنون؛ من عربية وأدب وحساب وفريضة. وتصرَّف في الشهادة المَخَزَنِيَّة برهة، ثم نُزِع عنها انقيادًا لداعي التَّزَاهة، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: وشعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله^(١): [السريع]

بي شادَنَ أهيفَ مَهَمًا انشنى	يحكي تَثْنِيَه القَضِيْبَ الرُّطِيْبَ
ذو غُرَّةٍ كالْبَذَرِ قد أَطْلِعَتْ	فوق قَضِيْبٍ نابِتٍ في كَثِيْبٍ
خُضْتُ حُشَا الظُّلَمَاءِ من حُبِّه	أَخْتَلِسُ الوَضْلَ حِذَارَ الرُّقِيْبِ
فبِتُّ والوَضْلُ ^(٢) لنا ثالثٌ	يَضُمُّنا ثوبٌ عَفَافٍ قَشِيْبٍ
حتى إذا ما الليلُ ولَّى وقد	مالَتْ نجومُ الأفقِ نحو الغروبِ
وَدَّغَتْهُ والقلبُ ذو لَوْعَةٍ	أُسْبِلُ ^(٣) من ماءٍ جفوني غُروبِ
فلسْتُ أدري حينَ ودَّغَتْهُ ^(٤)	قلبٌ بأضلاعي غدا أم قليبٌ؟

ومن ذلك في النسيب^(٥): [السريع]

يا أَجْمَلَ الناسِ ويا مَنْ عَدَتْ	غُرَّتُهُ تمحو سَنَا الشمسِ
أُنْعِمْ على عَبْدِكَ يا مالكي	دونَ اشتراءٍ ومُنَى نفسي
بأن تُرى وَسطى لعقدي وأن	تُعِيدَ رَنْعِي كاملَ الأُنسِ
فإن تَفَضَّلْتَ بما أرتجي	أُبْقِيْتَنِي في عالمِ الإنسِ
وإن تكن تُرْجِعْني خائبًا	فلإنني أَدْرَجُ في رَمْسِي ^(٦)

= (ج ١٠ ص ٢٤، ١٣٦).

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٢) في الأصل: «وللوصل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «أسيل»، والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أودغته»، والتصويب من الكتيبة.

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥).

(٦) في الأصل: «رَمْسٍ» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

وقال في فضل العلم^(١): [السريع]

يا طالب العلم اجتهد إنه خير من التآلد والطارف
فالعلم يذكو^(٢) قذر إنفاقه والمال إن^(٣) أنفقته تالف

وترقى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان،
والرئاسة القرآنية بباب الإمارة، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة^(٤)، حميد الطريقة
في ذلك كله، معروف الحق، تولاه الله.

مولده: عام ثمانية عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن علي بن سودة المرّي

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة^(٥)، بشاره بني
حسان، وولي جده الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله: هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء، المانع عن كثير من
الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المماسة في بعض أغراضها
بالدؤوب والعكوف، المورّين تأثير حبل الرّكبة في جحرها، فتصدّر للعلاج، وعانى
الشعر، وأزسم في الكتابة، وعُدّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات
الحكماء، وتشوّف إلى العهد للرحلة الحجازية، والله يسرّ قصده.

مشيخته: قرأ الطبّ والتّغديل على الحبر طبيب الذّار السلطانية، فارس دينك
الفنين، إبراهيم بن زرزار اليهودي، ورحل إلى العُدوة، فقرأ على الشريف العالم
الشهير، رحلة الوقت في المغرب، أبي عبد الله العلوي، وبلغانه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاء الجسمى صوب الغمام هُتونه تُزجي البُروق سحابه فتُعينه

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥). (٢) في الكتيبة: «يزكو».

(٣) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) المراد القلعة الحمراء الملاصقة لقصر الحمراء.

(٥) البشارة أو بشرة أو البُشَرَات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير،
على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) (ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة
غرناطة (ص ٤٦).

وسقى ديار العامرية بعد ما
يسندى بأفئنان الأراك كأنه
ومحى الكثيب سكونه فكأنه
حتى إذا الأرواح هبّت بالضحي
وكأنه والرعْد يحدو خلفه
أو سخ دمعى فوق أكناف اللوى
والبرق في حُلل السحاب كأنه
أو ثوب ضافية الملابس كاعب
هنّ الديار برامة لا دهرها
ولقد وقفت برسمها فكأنني
قلبي بذاك اللوى خلّفه
لا تسأل^(١) العُدال عني فالهوى
إن يخف عن شرحي حديث زُميرتي
عجباً لدمعي لا يكف كأنما
محيي المكارم بعدما أودى بها
مولى الملوك غميد كل فضيلة
يُضفي إلى داعي الثدى فيهره
من ذا يُسابق فضله لوجوده
إن تَلَقَّه تَلَقَّ الجمال وقاره
غَمَر الأنام نواله ومحا الضلا
أخيا رسوم الدين وهي دَوارس
شمس الهدى خنفت العدا مُخيي النُدا
ليث الشرى غوث الورى قمر الشرى
فليأسه يوم الوغى ولعزمه

وافى بجزعاً^(١) الكثيب مَعِيْنُهُ
عَقْدَ تناثر بالعقيق ثَمِيْنُهُ
خَطُ تَطَلُّس ميسمه أو نُونُهُ
مَسَحَتْ عليه بالجنّاح تُبَيِّنُهُ
صَبَّ بطول إلى اللقاء حَنِيْنُهُ
جادت بلؤلؤة النفيس عيُونُهُ
مَكْنُونٌ سِرٌّ لم يَلِغْ^(٢) مَضْمُونُهُ
عمدث بحاشية النُضار تَزِيْنُهُ
سَلِسُ القياد ولا العِتَابُ يَلِينُهُ
من ناجل الأطلال فيه أكوْنُهُ
ألوى بمزْدَلَف الرِّفاق ظَمِيْنُهُ
هذا^(٣) يخامر بالضلوع دَفِينُهُ
فعلى الفنون فريضة تُبَيِّنُهُ
جدوى أبي عبد الإله هُتُونُهُ
زَمَنٌ تَقَلَّبَ بالكِرام خَوْوُونُهُ
عَلِقَ الزمان ثَمِيْنُهُ ومَكِيْنُهُ
وبملتقى الجَمْعين طال سكونه
ويلُجُّ فَيُضُّ البحر فاض يَمِينُهُ
والحلُم طَبِعٌ والسُّمّاحة دِينُهُ
ل رشاده وجلا الظُّلام جَبِيْنُهُ
ولطالما صَدَعَ الشكوك يَقِيْنُهُ
بحر الجِدا طول المدى تَمَكِينُهُ
سَنُ القِرَى عَمَّ القِرَى تَأْمِينُهُ
جاش الهَزْبُزُّ إذا الهَزْبُزُّ يَخُوْنُهُ

(١) في الأصل: «الجرعاً» وكذا يتكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قد أذيع» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «تَسَلَّ» وكذا يتكسر الوزن. (٤) في الأصل: «ذا» وكذا يتكسر الوزن.

لا تَسْأَلُ^(١) الهيجاء عنه إنه
لو كان يُشغله المنام عن العُلا
وإذا تطاولت الملوك بماجد
يا ابنَ الألى نصرُوا الرسولَ ومَنْ بهم
خُصُّوا ببيعته وحاموا دولته
أَمَاضِيدَ الإسلامِ أنتَ عميدُه
لم يبقَ إلَّا من بسيفك طائعٌ
وبجيشك المنصور لو لاقينهُ
ولو اضْطَنَّتْ إلى العدوِّ إدالة
خُذْها إليك قصيدةً من شاعر
جعل القوافي للمعالي سُلَمًا
غَطَّى هواه عقله واقتاده
ولو أَخَذْتَهُ أيدي التحرير والتقد، لُجِّي أن يكون شاعرًا، وبالجمله فالرجل
معدود من السُراة بَيِّنًا وتخصُّصًا.

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

مُنَكَّبِي^(٢)، الأصل، يكنى أبا عبد الله، طبيب الدار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، فذا في الانطباع واللؤذعية، حسن
المشاركة في الطب، مليح المحاضرة، حَفِظَةً، طُلَعَةً، مستحضرًا للأدب، ذاكرًا
لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبي جعفر الكزني، وانتصب للعلاج، ثم انتقل
إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، وولَّى الحِشْبَةَ، ومن شعره يخاطب السلطان
على السنة أصحابنا الأطباء الذين جَمَعَتْهُمْ الخدمة ببابه يومئذ، وهم أبو الأضيغ بن
سعادة، وأبو تمام غالب الشَّقُورِي: [الخفيف]

قد جمعنا ببابكم سَطْرَ علم لبلوغ المنى ونيل الإرادة

(١) في الأصل: «تسل» وكذا ينكر الوزن.

(٢) في الأصل: «والفنش»، وكذا ينكر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو. والفنش: هو Alfonso صاحب قشتالة.

(٣) نسبة إلى المُنَكَّب Almuñecar، وهي مدينة صغيرة في مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط.
الروض المعطار (ص ٥٤٨).

وَمِنْ أَسْمَانَا^(١) لَكُمْ حُسْنُ قَالَ غَالِبٌ ثُمَّ سَالَمَ وَسَعَادَةُ

وفاته: توفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين^(٢)

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الملاح^(٣)، قال: وَلِي الْأَحْكَامَ، وكان فقيهاً نبيهاً.

وفاته: توفي بغرناطة في عشر الستين وأربعمائة.

قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر، فليُنظر هناك إن شاء

الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِين

عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي

حاله: كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، وأجلُّ وقته قدراً في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء، مُتَفَنِّئاً في العلم، مضطجاً بالأدب، قارضاً للشعر، متصرفاً في حفظ المعاني والأخبار، مع التُّسْك والزُّهْد، والأخذ بِسُنَنِ الصَّالِحِينَ، والتخلُّق بأخلاقهم. لم يزل أُمَّةً في الخير، قانتاً لله، مُنِيباً له، عالماً زاهداً صالحاً خيراً متقشفاً، كثير التُّبُّل والتُّزَلُّف بالخيرات، مسارعاً إلى الصالحات، دائم الصلاة والبكاء، واعظاً، مذكراً بالله، داعياً إليه، ورِعاً، مُلْكِي الصدقة، معيَّناً على الثَّابَّة، مواسياً بجاهه وماله، ذا لسانٍ وبيانٍ، تُصْغِي إليه الأفتدة فصيحاً، بهيًّا، عربيًّا، شريفًا، أبي النفس، عالي الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكياً، راسخاً في كلِّ جُمٍّ من العلوم، صَيرَفِيًّا جَهْدًا، ما رُوِيَ، قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، وسمع بها من أحمد بن مطرّف، ووهب بن مسرة

الججاري، وعن أبان بن عيسى بن محمد بن دينار، وعن والده عبيد الله بن عيسى.

(١) في الأصل: «ومن أسمانا» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) ترجمة ابن أبي زَمَنِين في مطلع الأنفس (ص ٢٦٦) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٩٨).

(٣) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي، المعروف بالملاح، صاحب كتاب «تاريخ علماء البيرة»، وقد توفي سنة ٦١٩ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب بعد قليل.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود اللبيري وغيره.

توالياقه: ألف كتاب المُغْرَب في اختصار «المُدَوْنَة» ثلاثين جزءاً، ليس في المختصرات مثله بإجماع، والمُهَذَّب في تفسير «المُوطَّأ»، والمُشْتَمَل في أصول الوثائق، وحياة القلوب، وأنس الفريد، ومُنْتَخَب الأحكام، والنصائح المنظومة، وتفسير القرآن.

مولده: في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

وفاته: توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه الله ونفع به.

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَّف
ابن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايسى^(١)

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان^(٢) وزيراً جليلاً، فقيهاً رفيعاً، جواداً، أديباً، جيد الشعر، عارفاً بصناعة النحو والعروض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرواية والدراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد القاضي الإمام، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمُجُون.

شعره: من شعره قوله^(٣): [السريع]

يا حُرْقَةَ البَيْنِ كَوْنِي الحشا	حتى أَذْنَبِ القَلْبَ في أضْلَعِ
أَذْكَيْتِ فيه النَّارَ حتى غدا	يَنْسَابُ ذاك الدَّوْبُ من مَذْمَعِ
يا سَوْلاً هذا القَلْبَ حتى متى	يُوسَى بِرَشَفِ الرِّيْقِ من مَنَبَعِ؟
فإنَّ في الشَّهْدِ شِفَاءَ الوري ^(٤)	لا سيما إنْ مُصَّ ^(٥) من مَخْرَجِ
والله يُذْنِي منكمُ عاجلاً	وَيُبْلِغُ القَلْبَ إلى مَطْمَعِ

(١) ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن هاني اللخمي في التكملة (ج ٢ ص ٥٤) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣). (٣) الأبيات في نفع الطيب (ج ٥ ص ١٤٣).

(٤) في الأصل: «شفاً للورى» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «يصر» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من النفع.

مولده: ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في آخر^(١) جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد
ابن يوسف بن أحمد الغساني^(٢)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب»^(٣)، واختصاراً حسن في «اقتباس الأنوار» للرشاطي. وكان كاتباً وافر الحظ من الأدب، يقرض شعراً لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب^(٤): [الكامل]

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعِمَارَةٌ	يَظُنُّ وَفَخَذَ وَالْقَصِيلَةُ تَابَعَهُ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ ^(٥) لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَامِعَةٌ
وَالْبَطْنُ تَجْمَعُهُ الْعِمَارُ ^(٦) فَاغْلَمَنُ	وَالْفَخْدُ تَجْمَعُهُ ^(٧) الْبَطُونُ الْوَاسِعَةُ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ ^(٨) لِلْفَصَائِلِ كُلِّهَا ^(٩)	جَاءَتْ عَلَى نَسَبٍ لَهَا مُتَتَابِعَةٌ
فَحَزِيمَةٌ شَعْبٌ وَإِنْ كُنَانَةٌ	لَقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْقَصَائِلُ شَائِعَةٌ ^(١٠)
وَقُرَيْشُهَا تُسَمَّى الْعِمَارَةُ ^(١١) يَا فَتَى	وَقُصِيَّ بَطْنٌ لِلْأَعَادِي ^(١٢) قَامِعَةٌ

(١) في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣): «توفي بغرناطة لسبع بقين من جمادى الآخرة...».

(٢) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الغساني في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).

(٣) ورد في التكملة أن هذا الكتاب سماه الغساني بمستفاد الرحلة والاغتراب.

(٤) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).

(٥) في النفح: «مجتمع القبيلة».

(٦) في الأصل: «يجمعه العمار» والتصويب من المصدرين.

(٧) في الأصل: «يجمعه» والتصويب من المصدرين.

(٨) في الذيل: «تجمع». (٩) في المصدرين: «هاكها».

(١٠) في الأصل: «شاسعة» والتصويب من المصدرين.

(١١) في الأصل: «تسمو العبارة»، والتصويب من المصدرين.

(١٢) في الأصل: «بطن الأعادي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

ذا هاشم^(١) فخذ^(٢) وذا عباسها^(٣) إلا^(٤) الفصيلة لأثناط بسابعة

مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وفاته: بمُرسية في رمضان تسع عشرة وستمئة^(٥).

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرَّج بن أحمد
ابن عبد الواحد بن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد
ابن حَقْل الغافقي^(٥)

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاح^(٦) من قَنْب قَيْس من عمل
البيرة، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاح. وقد نقلنا عنه الكثير، وهو من المفاهر
الغرناطية.

حاله: كان محدثاً راوية مُعْتَنِيَا، أدبياً، مؤرخاً، فاضلاً جليلاً. قال الأستاذ^(٧)
في «الصلة»: كان من أفضل الناس، وأحسّينهم عشرةً، وأليّينهم كلمة، وأكثرهم مروءةً،
وأحسّينهم خلقاً وخُلُقاً، ما رأيت مثله، قدّس الله تربته. وذكره صاحب «الذيل»^(٨)
الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الملك، وأطنب فيه، وذكره المحدث أبو عبد الله
الطنجالي، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبي محمد، وأبي القاسم بن بشكوال، وأبي العبّاس بن
اليتيم، وعالم كثير من غير بلده، ومن أهل بلده سوى أبيه، وعن أبي سليمان
داود بن يزيد بن عبد الله السّعدى القلعي^(٩)، لازمه مدة. وعن أبي خالد بن رفاة
اللخمي، وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبّدي، وأبي جعفر عبد الرحمن بن

(١) في الأصل: «ذا ما ثم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الذيل: «وما». (٣) في النسخ: «أثر».

(٤) في التكملة: «وتوفي بمُرسية في العشرة الأواخر من رمضان سنة تسع عشرة وستمئة».

(٥) ترجمة محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاح في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج

٦ ص ٤١٣) والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٦) الملاح: قرية على بريد من غرناطة. التكملة (ج ٢ ص ١١٩) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٧) هو ابن الزبير صاحب «صلة الصلة».

(٨) هو ابن عبد الملك المراكشي، صاحب كتاب «الذيل والتكملة» وقد ذكره، كما قلنا، في الذيل
والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣).

(٩) ترجمة داود بن يزيد السّعدى القلعي في التكملة (ج ١ ص ٢٥٥) والوافي بالوفيات (ج ١٣ ص
٤٩٩) وبقية الوعاة (ص ٢٤٦).

الحسن بن القصير، وأبي بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن حَكَم الحصار، وأبي عبد الله بن عَرُوس، وأبي الحسن بن كَوثر، وأبي بكر الكُثندي، وأبي إسحق بن الجلاء، وأبي بكر بن أبي زَمَنِين، وأبي القاسم بن سَمُجون، وأبي محمد عبد الصمد بن محمد بن يَعِيش الغساني. وكان من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط والتقيد والإتقان، بارِعَ الحَظُّ، حسن الوراق، أديبًا بارِعًا ذاكِرًا للتاريخ والرجال، عارفًا بالأنساب، نَقَّادًا حافظًا للأسانيد، ثقةً عَدْلًا، مشاركًا في فنون، سياسيًا. وروى عنه الأستاذ، واعتنى بالرواية عنه. وقال الأستاذ: حدثني عنه من شيوخي جماعة، منهم القاضي العَدْلُ أبو بكر بن المُرابط.

توَالِيفُهُ: ألَّف كتابه في «تاريخ علماء البصرة»، واحتفل فيه. وألَّف كتاب «الشجرة في الأنساب»، و«كتاب الأربعين حديثًا»، و«كتاب فضائل القرآن»، و«برنامج روايته» وغير ذلك.

مولده: سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وفاته: توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستمائة ببلده^(١).

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشَّقُوري، منسوبًا إلى مدينة شَقُورة^(٢) ومنها أهله، صاحبًا طيب دار الإمارة، حفظه الله.

حاله: هذا الرجل طُرِفَ في الخير والأمانة، فذُ في حسن المشاركة، نَقِيٌّ في حب الصالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حَذِرٌ من التفريط، حريص على التعلُّق بجناب الله، نشأ سايغ رداء العفة، كثيف جَلَبَاب الصيانة، متصدِّرًا للعلاج في زمن المراهقة، مُعِمًّا، مُخَوِّلًا في الصُّنَاعَة، بادي الوقار في سَن الحشمة. ثم نظر واجتهد، فأخزى الشهرة بدينه، ويُنَمُّ نَقِيَّتَهُ، وكثرة حَيْطَتِهِ، ولطيف علاجه، ونُجَح تجربته. ثم كَلِفَ بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاعْتَبَطَ به، وشدَّ اليَدَ

(١) في التكملة (ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠): «وتوفي لخمس خلون من شعبان سنة تسع عشرة وستمائة، وقال غيره: سنة عشرين». ومثله جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٨).

(٢) شقوره: بالإسبانية Segura de la Sierra، وهي مدينة من أعمال جيان بالأندلس. الروض المعطار (ص ٣٤٩).

عليه، وظهر له فضله، وهو لهذا العهد ببابه، حميدُ السيرة، قويُّم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشدُّ الخلق حرصًا على سعادة من صَحِبَه، وأكثرهم ثناءً عليه، وأضرَّحُهم نصيحة له، نبيلُ الأغراض، قَطنُ المقاصد، قائمٌ على الصنعة، مُبينُ العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلم في طريقة الصوفية، عديم النظر في الفضل، وكرم النفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُذَيْل، ولازمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ الصوفي أبي مُهذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بَرَكَته.

توالياً: ألف كتباً نبيلة، منها «تحفة المتوصل في صنعة الطب» وكتاباً أسماه «الجهاد الأكبر»، وآخر سماه «قمع اليهودي عن تعدي الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدني بعد ممانعة واعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت ركاب العِز أين ركابي	فأبدي عِناداً ثم ردّ جوابي
ركابك مَن سيري يسيرُ بسيره	بغير حُلُول مَذ حَلَلْتُ جَنابي
فلا تلتفت سيرا لذاتك إنما	تسير بها سيرا لغير ذهاب

وهي متعددة.

مولده: ولد في عام سبعة وعشرين وسبعمائة.

محمد بن علي بن فرج القَرْنَلِيَانِي^(١)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلاً ساذجاً، مشغلاً بصناعة الطب، عاكفاً عليها عمره، محققاً لكثير من أعيان الثِّبَات، كَلِيفاً به، مُتَعَيِّشاً من عَشْبِهِ أول أمره، وارتاد المنايِب، وسَرَحَ بالجبال، ثم تصدّر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كتانيشه على ركاكة خطه، وعالج السلطان نصر المُسْتَقَرَّ بوادي آش، وقد طرق مَن بها مرضٌ وافد حمل علاجه المُشَاقَّةَ لأجله، وعظُم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره، فطوَّف

(١) نسبة إلى قَرْنَلِيَان Grevillente، وهي قرية صغيرة بمقاطعة لقنت، كثيرة الزيتون. الروض المعطار (ص ٤٥٥).

القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى العُدوة، وأقام بمزأكش سنين عدة، ثم كَرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين، وبها هلك على أثر وصوله.

مشيخته: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قَرْيَليان بلد الدُجن^(١)، وأخذ الجراحة عن فوج من مُحسنِي صناعة عمل اليد من الرُّوح. وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره.

تواليفه: ألف كتابًا في الثِّبَات.

وفاته: في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعمئة.

محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكوني^(٢)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش^(٣).

حاله: رحل في فتاته، بعد أن شدا شيئًا من الطلب، وكَلِفَ بالرواية والتقييد فلقي مشيخته، وأخذ عن جلَّة، وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقياض والعفة، وأدخل الأندلس فوائد وقصائد، وكان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية.

شعره: مما نسب إليه من الشعر قوله^(٤): [المجث]

يا مَنْ عليه اعتمادي	في قِلْ أَمْرِي وكُثْرِهِ
سَهْلٌ عليَّ ارتحالي	إلى النُّبْيِ وقُبْرِهِ
فذاك أَقْصَى مُرادِي	من الوجودِ بأُسْرِهِ
وليس ذا بعزيز	عليك فامُنْ بِبُسْرِهِ
ومن ذلك ^(٤) : [الطويل]	

أَمِنْ بَعْدَ ما لآخَ المُشِيبِ بمفرقي	أَمِيلَ لَزُورٍ بالغرور مصاغ ^(٥)
وأرتاح لِلذَّاتِ والشَّيْبِ مُنْذَرٌ	بما ليس عنه للأنام مراغ

(١) أي أن قريليان هذه كانت في أيام ابن الخطيب، أي في عهد بني نصر، سلاطين غرناطة، في أيدي النصارى، والدجن أو المدجنون هم المسلمون الذين كانوا يرزخون تحت حكم الإسبان.

(٢) ترجمة محمد بن علي السكوني في الكتيبة الكامنة (ص ٦١).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس، تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٦١). (٥) في الكتيبة: «بصاغ».

وَمَنْ لَمْ^(١) يَمُتْ قَبْلَ الْمَشِيبِ فَإِنَّهُ يُرَاغُ بِهَوْلِ بَعْدِهِ وَيُرَاغُ
فِيَا رَبِّ وَفَقَنِي إِلَى مَا يَكُونُ لِي بِهِ لَلَّذِي أَرْجُوهُ مِنْكَ بِلَاغُ
وفاته: توفي مُعْتَبِطًا فِي وَقِيعَةِ الطَّاعُونَ عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، خَطِيبًا بِحَصْنِ
قُمَارَش.

محمد بن سُودَة بن إبراهيم بن سُودَة المُرِّي

أصله من بُشْرَة عرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من بعض التواريخ المتأخرة: كان شيخًا جليلاً، كاتبًا مجيدًا، بارع
الأدب، رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفًا بالنحو واللغة والتاريخ،
ذاكرًا لأيام السلف، طيب المحاضرة، مליح الشبابة، حسن الهيئة، مع الذين والفضل،
والطهارة والوقار والضمّت.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن
الفرس، وغيره من شيوخ غرناطة. وبمالقة على الأستاذ أبي القاسم السهيلي، وبجيان
على ابن يزبوع، وبإشبيلية على الحسن بن رزقون وغيره من نظرائه.

أدبه: قال الغافقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن
سهل بن مالك، مكاتبات ومراجعات، ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم
براعته.

محتته: أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة، أضر به وأولاده، فكانت وفاته أسفا
لما جرى عليهم، نفعه الله. توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة.

محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري

أصله من قرية طُرُش^(٢).

حاله: طلب العلم وعنى بسمعه، ونسخ أكثر كتبه بخطه، وكان لُغَوِيًا شاعرًا،
من الفقهاء المُشاورين الموثقين، وولي الصلاة بالحاضرة، وغزل، وسرد الصُوم عن
تذير لزمه عُمره.

(١) كلمة «لم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة الكامنة.

(٢) طُرُش: بالإسبانية Turro، وهي قرية على ضفة البحر بين المنكب وبلش مالقة. راجع مملكة
غرناطة (ص ٧٠) ففيه دراسة عن هذه القرية مع ثبت بأسماء المصادر التي تحدثت عن تلك
القرية.

مُشِيخته: سمع من شيوخ البيرة؛ محمد بن قُطَيْس، وابن عَمْرِيْل، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص بن نجيع، وبقرطبة من عُبَيْد الله بن يحيى بن يحيى وغيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي علي البغدادي، في مَقْدَمِهِ إلى قرطبة، أن الخليفة الحَكَم^(١) أمر ابن الرُّمَاحِس عامله على كُورَتِي البيرة وبُجَّانَة، أن يجيء مع أبي علي في وفد من وجوه رعيته، وكانوا يتذكرون الأدب في طريقهم، إلى أن تجاروا يوماً، وهم سائرون، أدب عبد الملك بن مَرْوان، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، وإنشاده بيت عُبْدَة بن الطيب^(٢): [البسيط]

تُمِتْ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أعرافُهُنَّ^(٣) لَأَيْدِينَا مَنادِيلُ

وكان الذَّاكِر للحكاية أبو علي، فأنشد الكلمة في البيت: أعرافُها^(٤)، فلوى ابن رفاعَة عِناهُ منصرفاً، وقال: مع هذا يُوفد على أمير المؤمنين، وتُتَجَسَّم الرِّحْلَة العظيمة، وهو لا يقيم وَزْنَ بيت مشهور في النَّاسِ، لا يَغْلُط فيه الصُّبَّيان، والله لا تَبِغْتُهُ خطوة، وانصرف عن الجماعة، وتَدَبَّه أميره ابن الرُّمَاحِس، ورامَهُ بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يَعرُفُهُ بابن رفاعَة، ويصف ما جرى معه، فأجابهُ الحَكَم على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جَعَلَ في بادية من بوادينا مَنْ يُخْطِئُ وفد أهل العراق، وابن رفاعَة بالرِّضَا أولى منه بالسُّخْط، فدعه لِسَآنِهِ، وأقدم بالرُّجُل غيرَ مُتَقَصِّص من تَكريمه، فسوف يُعليه الاختبار أو يحطُّه.

وفاته: توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي

ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء.

(١) هو الخليفة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر، المعروف بالحكم المستنصر، حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

(٢) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وترجمته في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٦١٣) وبيته هذا قاله في الصعلكة، وهو في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٢) والشعر والشعراء (ص ٦١٤).

(٣) في الأصل: «أعرافهن» بالقاف، والتصويب من المصدرين. والأعراف: جمع عَرْف وهو شعر عَنق الفرس. محيط المحيط (عرف).

(٤) في الأصل: «أعرافها» بالقاف.

حاله: كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً، خطيباً، فقيهاً، مُجَوِّداً للقرآن، قديم الطلب، شهير البيت، معروف الثَّغِين، نبيه السلف في القضاء، والخطابة والإقراء، مضى عمره خطيباً بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها، وباشر الحصار بها عشرين شهراً، نفعه الله. ثم انتقل إلى مدينة سَبْتَة، فاستقرَّ خطيباً بها إلى حين وفاته.

مشيخته: قرأ على والده، رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ أبيه عمر، وعباس بن الطفيل، الشهير بابن عَظِيمة، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد بغرناطة عند قدومه عليها، والقاضي أبي المجدد بن أبي الأحوص، قاضي بلده، وكتب له بالإجازة الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، وأجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد الله الطنجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو عثمان بن سعيد. وأخذ عن القاضي بسبْتَة أبي عبد الله الحَضْرَمي، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث، والمحدث أبي القاسم التَّجِيبي، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم، والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم، ابني يَزْبُوع. قال: وكلُّهم لقيته وسمعتُ منه. وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُرَيْث فإنه أجاز لي، ولقيته ولم أسمع عليه شيئاً، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المِشْدالي، والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهما، ممن تضمنه برنامجُه.

تواليفه: قال: وكان أحد بُلْغَاء عصره، وله مُصَنَّفَات منها: «الثَّغِيَّة الأَرْجِيَّة»، في الغزوة المَرْجِيَّة»، ودخل غَرْناطة مع مثله من مشيخة بلده في البَيْعَات، أظن ذلك.

وفاته: توفي في الطَّاعُون بسبْتَة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين وسبعمئة.

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

من أهل المَرِيَّة.

حاله: من بعض التَّقِيْدَات، كان فَنَى وسيماً، وقوراً، صَيِّباً، متعقفاً، نجيباً، ذكياً. كَتَب عن شيخنا أبي البركات بن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة، فكَتَب بها. وكان ينظم نظماً مترقفاً عن الوَسْط. وجرى ذكره في «الإكلیل» بما نصّه: مَمَّنْ نَبِغٌ وَنَجَبٌ، وَخُلِقَ لَهُ الْبِرُّ بِذَاتِهِ وَوَجِبَ، تَحَلَّى بِوَقَارٍ، وَشَغَشَعَ لِلأَدَبِ كَأْسَ عُقَارٍ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَرِمَ فِي اقْتِبَالٍ، وَأَصِيبَ الْأَجَلَ بِنِيَالٍ.

ومن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعاني على طول البعاد هواها وقد سَدُّ أبواب اللقاء^(١) نَواها
وقد شِمتُ بَرَقًا للقاء^(٢) مُبَشِّرًا وقد نَفَحَتْ رِيح الصُّبا بشذاها
وجنُّ دُجى ليلٍ بخيلٍ بضحبه كما بَخِلْتُ لَيْلَى بطيف سُراها
وقاد زماني قائدُ الحبِّ قاصدا ربوعًا ثَوَتْ لَيْلَى بطول قَناها
وناديتُ والأشواق بالوَجْدِ بَرُحت ودمعي أجزى سَابِقًا لِقاها
أيا كَفَّةَ الحُسن التي النفس^(٣) تَزتجي رضاها وحاشى أن يَخيب رجاها
أحبك يا لَيْلَى على البُغْد والنوى وبني منك أَشواق تَشُبُّ لظاها
لئن حُجبت لَيْلَى عن العين إنني بعين فؤادي لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المُشْتَتِ شَمَلنا وما بَلَقْتُ نفسَ المَشوق مُناها
فمدتُ يمينًا للوداع ودمعها يُكفِّكُفُه خوفُ الرقيب سُراها
وقالت: وداعًا لا وداعَ تَفَرُّقٍ لعلَّ الليالي أن تُدِيل نَواها
تَذْكُرنا لَيْلَى معاهدَ اللَّوى رعى الله ليلاتِ اللَّوى ورعاها

وفاته: توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبع مائة.

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمراكشي.

حاله: كان فتى جميل الرؤيا، سَكُونًا، مَطْبُوعًا على المغافضة^(٤) والنمز، مهتدًا إلى خفيِّ الحيلة، قادرًا على المباحثة، ذكيًا، مُتَسَوِّرًا على الكلام في الصنائع والألقاب، من غير تدرب ولا خُنْكة، دِمَتْ الأخلاق، لَتِن العريكة، انتحل الطب، وتصدَّر للعلاج والمداواة، واضطبن أغلوطه صارت له بها شهرة، وهي رِقْ يشتمل على أعداد وخطوط وزايرجة، وجداول غريبة الأشكال، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصنائع والعلوم، ويتصل بها قصيدة رويها لام الألف أولها، وهي منسوبة لأبي العباس السبتي: [الطويل]

يقول لِسَبْتِي^(٥) ويحمدُ ربُّه مُصَلٌّ على هادٍ إلى الناس أُرسلًا

(١) في الأصل: «اللقاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «اللقاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «للفس»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) المغافضة: المفاجأة. لسان العرب (غفص).

(٥) في الأصل: «سبتي»، وكذا ينكسر الوزن.

وأنها مدخل للزُجرجة، ذكر أنه عثر عليها في مَظَنَّة غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام بالكنيات، والإخبار بالحَقِي وتَقْدِمة المعرفة، والإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المَشِيخة، ممن كان يركن إلى رُجحان نظره، وسلامة فطرته، واستغفلت الشهادة له بالإصابة سجيّة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتَحَرِّفين. أخبرني بعضهم أنه خبأ له عَظْمًا صغيرًا، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح ديك، وزعم أرباب الخَواص أنه يُزِيل الإعياء إذا عُلِق، فتصَرَّف على عاداته من الدخول في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثيرة، يَضْرِبُهَا آوَنَةً، ويُقْسِمُهَا أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوبًا وسهامًا، ويأخذ جذورًا، وينتج له العمل آخرًا حروفًا مقطعة، يبقِيها الطرح، يُؤلف منها كلامًا تُقْتَنَصُ منه الفائدة، فكان في ذلك بيت شعر: [الطويل]

وفي يدكم عَظْمٌ صغير مُدَوَّر يُزِيل به الإعياء^(١) مَنْ كان في السَفَرِ

وأخبرني آخرون أنه سُئِلَ في نازلة فقهية لم يَلْقَ فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جِلَّةً من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يُخْرِجُ خبيثته سواد لَيْلَةٍ، فتأمل ما يصنعه، فلم يأت بشيء، ولا ذهب إلى عمل يُتَعَقَّلُ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تَخَيُّلٍ وتخمين، تختلف فيه الإصابة وضدها، بحسب الحالة والقائل، لتصَرُّفِ الحيلة فيه، فافتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموَّهة، ممطولين منه بطريق التصرُّف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان، فأرسم بيباه، وتعدَّى الإنس إلى طبِّ الجن، فافتضح أمره، وهُمُّ به، فنجا مُفْلِتًا. ولم تزل حاله مضطربة، إلى أن دُعِيَ من العُدوة وسلطانها، منازل مدينة تلمسان، ووصلت الكتب عنه، فتوجَّه في جَفَنٍ هُمَّى له، ولم ينشِب أن تُوفى بالمحلَّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من أهل الخصوصية والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلُّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس والمأكل، على سُنَنِ الفضلاء وأخلاق الجِلَّة.

(١) في الأصل: «الإعياء» وكذا ينكسر الوزن.

انتظم لهذا العهد في تَمَط من يُسْتَجَاز وَيُجِيز. وكان غَفَلًا فَأَقَام رُسْمًا محمودًا، ولم يُقَصِّر عن غاية الاستعداد.

مشيخته: منهم الأستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة^(١) خُتْمَةً قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتبًا كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولأزمته، رضي الله عنه وأرضاه، إلى حين وفاته، ونلت من عظيم بركاته وخالص دعواته ما هو عندي من أجل الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعَدَّته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صَدْر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين. وهو عِلْمُ يجعله الله في قَلْبِ الْعَبْدِ إِذَا أَحْبَبَهُ؛ لَأَنَّهُ يُوَوِّلُ بِأَهْلِهِ إِلَى احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ، والتزام الصبر، ومُجَاهِدَةِ الْهَوَى، ومُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، ومراعاة خواطر القلب، والمُراقبة لله، والحياء من الله، وصحَّة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحَّة النية، واستشعار الخشية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) فكفى بخشية الله عِلْمًا، وبالإقبال عليه عَزًّا. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لَأَنَّهُ لا يصدر إلَّا عن ذي حركة، ومُضْطَبِّن بَرَكَةٍ، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.

دخل غرناطة راويًا، وفي غير ذلك في شؤون، وهو الآن ببلده مالقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي

الميورقي^(٣) الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدثًا، عالي الرواية، عارفًا بالحديث وعِلِّله، وأسماء رجاله، مشهورًا بالإتقان والضبط، ثِقَّةٌ فيما نقل وروى، دينًا، زكيا، متحاملًا، فاضلًا، خيرًا، مُتَّقِلًا من الدنيا، ظاهري المذهب داوُدِيَّة^(٤)، يَغْلِبُ عليه الزهد والفضل.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الجباري، وأبي علي الصدفي الغساني، وأبي مروان الباجي، ورحل إلى المشرق وحجَّ، وأخذ

(١) في الأصل: «أربعة عشر» وهو خطأ نحوي. (٢) سورة فاطر ٣٥، الآية ٢٨.

(٣) نسبة إلى ميورقة Mallorca وهي إحدى الجزر الثلاث: منورقة ويايسة وميورقة. الروض المعطار (ص ٥٤٩).

(٤) نسبة إلى خلف بن داود الأصفهاني، مؤسس المذهب الظاهري.

بمكة، كرمها الله، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني. قلت: وغيرهم اختصرتهم لطولهم، وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل، وغيرهما^(١).

محتته: امثحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه صحبة أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمعتم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكفاة، طزقاً وزوياً وعارضةً وترتيباً، تجلجل بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المثرفين من وزراء الدول بالمغرب أيام وجّهته إليه صحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالا عريضاً لينفقه في سبيل البر، فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووقف عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد، فحصلت الشهرة، ونبه الذكر وتطور، ورام العروج في مدارج السلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصّلت الصبغة، وغلبت الطبيعة، وتأنل له مال جم اختلف في سبب اقتنائه، وأظهر التجر المزّهف الجوانب بالجاه العريض، والحرص الشديد، والمسامحة في باب الورع، فتبّك به نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترّفه، طارد به اللذة ما شاء في باب النكاح استمتاعاً ودواقاً يتبع رائد الطرف، ويقلّد شاهد السمع، حتى نعي عليه، ووُلّي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما شاء من جهورية وعارضة، وتسور على أعراض، والفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القحة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكرّ إلى بلده، مليح الشيبة، بادي الوقار، نبه الرتبة، فتولى الخطابة إلى حين وفاته.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

مشيخته: حسبما قيّدته من خطّ ولده أبي الحسن، وارثه في كثير من خلاله، وأغلبها الكفاية. فمنهم والده، رحمه الله، قرأ عليه وتأدّب به، ودوّن في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركشي، والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم، كابن رُشيد، وابن خميس، وابن بُرطال، وابن مسعدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

تواليقه: وتسوّر على التأليف، بفرط كفايته، فمما يُنسب إليه كتاب: «التجرب الربيع»، في شرح الجامع الصحيح». قال: منه ما جرّده من المُبَيضة، ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، وكتاب «بهجة الأنوار»، وكتاب «الأسرار»، وكتاب «إرشاد السائل، لنهج الوسائل»، وكتاب «بغية السالك، في أشرف المسالك» في التصوف، وكتاب «أشعة الأنوار، في الكشف عن ثمرات الأذكار». وكتاب «الثقفة القدسيّة»، وكتاب «غنية الخطيب، بالاختصار والتّقرير» في خطب الجُمع والأعياد، وكتاب «غرائب الثّجب، في رغائب الشعب»، شعب الإيمان، وكتاب «في مناسك الحج»، وكتاب «نظم سلك الجواهر، في جيّد معارف الصّدور والأكابر»، فهرسة تحتوي على فوائد من العلم وما يتعلق بالرواية، وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

دخوله غرناطة: دخلها مرات تشدّد عن الإحصاء. ولد عام ثمانية وسبعين وستمئة، وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمئة.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر، ويعرف بالطنجالي، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

حاله: من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدّراية والرّواية والتراث والاكتساب، وعُلُو الانتساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّول، وطول الأليسة بالطول، وهدوا إلى الطّيب من القول، أترُ الشموخ يَبْرُق من آتفه، ونسيم الرّسوخ يَغْبِق من عَرَفه، وزاجر الصّلاح يُومي بِطَرْفه، فتخاله من خَوْف الله ذا لَمَم، وفي خلقه دماثة وفي عرينه شَمَم. ووصفه بكثير من هذا النمط.

ومن «العائد»: كان من أهل العلم والتّقن في المعارف والتّهمم بطلبها، جمع بين الرّواية والدّراية والصّلاح. وكانت فيه خِفّة، لقرط صِحّة وسذاجة وفضل رُجولة

به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيبًا جَزَلًا، مع ما كان عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأقرأ به العلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه الولي الخطيب، رحمه الله. وروى عن جدّه أبي جعفر، وعن الراوية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والراوية أبي عبد الله بن عيَّاش، والقاضي أبي القاسم بن السَّكوت، وغيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق والمغرب.

وفاته: توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان عمره نحوًا من تسع وخمسين سنة.

محمد بن محمد بن مَيْمُون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بلا أسلم؛ لكثرة صدور هذه اللفظة عنه، مُرْسِي الأصل، وسكن غرناطة ووادي آش والمريّة.

حاله: من كتاب «المؤتمن»^(١): كان دَمِثَ الأخلاق قبل أن يخرجه شيء من مُضَيِّقات الصدور، يشارك في العربية، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لُحْن. وكان يتعيش من صناعة الطّب. وَجَرَتْ له شهرة بالمعرفة نَزَعُ به بتلك الصُّنَاعَة على حَدِّ شهرة ترك النّصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به. وشهرته بترك النصيحة تُثْزِلُه، فيمرُّ بين الحاليتين بِشَطَفِ العيش، وَمَقْتِ الكافّة إِيَّاه.

قلت: كان لا أسلم، طَرَفًا في المعرفة بطُرُق العلاج، فسيح التَّجربة، يشارك في فنون، على حال غَرِيبَةٍ من قِلَّةِ الطَّرَف، وَجَفَاءِ الآلات، وَخَشْنِ الظَّاهر، والإزراء بنفسه وبالناس، متقدّم في المعرفة بالخُصوم، يُقصد في ذلك. وله في الحرب والجيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خُمُرٌ مُحَبَّاةٌ، في كَرَم كان له بالمريّة، عَثَر عليها بعض الدُّعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرّة وملاها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئًا من العقاقير المُسَهِّلَات، وأشاع أن الخمر الغَيِّبَة التي كانت له لم تُسرق، وإنما باقية بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدُّعرة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستِطلاق القَبِيح المُهْلِك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إِيَّاه، أدّوا إليّ ثمن الشُّربة،

(١) هو كتاب «المؤتمن»، على أنباء أبناء الزمن، لأبي البركات ابن الحاج البليقي، أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.

وحينئذ أشرع لكم في الدواء، ويقع الشفاء بحول الله، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، وعالجهم حتى شقوا بعد مشقة. وأخباره كثيرة.

وفاته: توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونه عن المريّة عام تسعة وسبعمئة^(١). وخلفه ابن كان له يسمى إبراهيم، ويعرف بالحكيم، وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه، مرت عليه ببخت وقبول، وتوفي بعد عام خمسين وسبعمئة.

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري^(٢)

جثاني الأصل مآقيّه، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشديد على بنية التصغير، وهو كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة.

حاله: من^(٣) أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصيّة، مجموع^(٤) خلال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله. بلبل دوح السبع المثاني، وماشطة عروس أبي الفرج الجوزي، وآية صقعه في^(٥) الصوت، وطيب الثغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، وتوصل إلى ضحبة الأشراف، وجرّ أذيال الشهرة. قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان، أمير المسلمين بالعذوة، ودنا منه محله، لولا إيثار منقسط رأسه. وتقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلى الثراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المثزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر^(٦) على الحكايات، متسور^(٧) جمى الوقار، ملتب^(٨) داعي الانبساط، على استرجاع واستقامة، مبرور الوفاة، مثوّه الإنزال، قلّد شهادة الديوان بمالقة، معولاً عليه في ذلك، فكان مغار حبل^(٩) الأمانة، صليب العود، شامخاً^(١٠)، صادق^(١١) التزاهة، لوحاً للألقاب، محرراً للعمل.

(١) في غرة ربيع أول من هذا العام نازل صاحب برجلونه (برشلونة) مدينة ألمرية وأخذ بمخنفها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفِع الحصار. اللوحة البدرية (ص ٧٥).

(٢) ترجمة محمد بن قاسم الأنصاري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢ - ٣٠٤) بتصرف.

(٤) في النفح: «جملة جمال».

(٥) في النفح: «صقعه، ونسيج وحده، في حسن الصوت...».

(٦) في النفح: «قادر».

(٧) في الأصل: «متسور». وفي النفح: «متسوراً».

(٨) في النفح: «مليّاً».

(٩) في الأصل: «جبل» والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «شامخ».

(١١) في النفح: «مارن».

وَوَلَّى الْحِسْبَةَ بِمَالِقَةَ، حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَخَاطَبْتَهُ فِي ذَلِكَ أَدَاعِيَهُ، وَأَشِيرَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَجْدَادِهِ، وَأُولَى الْحَنْلِ عَلَيْهِ بِمَا نَصُّهُ: [السريع]

يَا أَيُّهَا الْمُخْتَسِبُ الْجَزْلُ وَمَنْ لَدَيْهِ الْجِدُّ وَالْهَزْلُ
تُهْنِيكَ^(١) وَالشُّكْرُ لِمَوْلَى الْوَرَى وَلَا يَسَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَزْلُ

كَتَبْتُ أَيُّهَا الْمُحْتَسِبُ، الْمُتَنَمِّي إِلَى النَّزَاهَةِ الْمُتَنَسِّبُ، أَهْنِيكَ بِبُلُوغِ تَهْنِيكَ، وَأَحْذَرُكَ مِنْ طَمَعِ نَفْسٍ بِالْغُرُورِ تَهْنِيكَ، فَكَأَنِّي^(٢) وَقَدْ طَافَتْ بِرَكَابِكَ الْبَاعَةَ^(٣)، وَلَزِمَ لِأَمْرِكَ^(٤) السُّنْعَ وَالطَّاعَةَ، وَارْتَفَعْتَ فِي مُصَانَعَتِكَ الطُّمَاعَةَ، وَأَخَذْتَ أَهْلَ الرِّيبِ بَغْتَةً كَمَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَتَهَضُّتْ تَقْعِدَ وَتَقِيمَ، وَسَكُوتُكَ^(٥) الرِّيحَ الْعَقِيمَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ الْقِسْطَاسُ^(٦) الْمُسْتَقِيمَ، وَلَا بُدَّ مِنْ شَرْكَ يَنْصَبُ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى ذِي جَاهٍ تُغْصَبُ^(٧)، وَحَالَةٌ^(٨) كُنَيْتٍ بِهَا الْجَنَابُ الْأَخْضَبُ، فَإِنْ غَضَضْتَ ظَرْفَكَ، أُمِيتَ عَنِ الْوَلَايَةِ صَرْفَكَ، وَإِنْ مَلَأْتَ ظَرْفَكَ^(٩)، رَحُلْتَ عَنْهَا حَرْفَكَ، وَإِنْ كَفَفْتَ فِيهَا كَفُّكَ، حَفُّكَ الْعِزُّ فِيمَنْ حَفُّكَ. فَكُنْ لِقَالِي الْمُجَبَّنَةَ قَالِيًا^(١٠)، وَلِخُوتِ السَّلَةِ سَالِيًا. وَأَبْدُ لِدَقِيقِ الْخَوَارِي زُهْدَ خَوَارِي^(١١)، وَازْهَدْ فِيمَا بَأْيَدِي النَّاسِ مِنَ الْعَوَارِي، وَسِرُّ فِي اجْتِنَابِ الْحُلُوءِ^(١٢)، عَلَى السَّبِيلِ السُّوَاءِ، وَارْفُضْ فِي الشُّوَاءِ، دَوَاعِيَ الْأَهْوَاءِ، وَكُنْ عَلَى الْهَرَّاسِ^(١٣)، وَصَاحِبِ ثَرِيدِ^(١٤) الرُّؤَسِ، شَدِيدِ الْمِرَاسِ، وَثِبْ عَلَى بَائِعِ^(١٥) طَبِيخِ الْأَعْرَاسِ، لَيْتَا مَرْهُوبَ الْاِفْتِرَاسِ، وَأَذْبَ أَطْفَالَ الْفُسُوقِ^(١٦)، فِي السُّوقِ، سَيِّمَا مَنْ

(١) فِي النَّفْحِ: «يَهْنِيكَ». (٢) فِي النَّفْحِ: «فَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ...».

(٣) فِي الْأَصْلِ: «السَّاعَةُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٤) فِي النَّفْحِ: «أَمْرِكَ».

(٥) فِي النَّفْحِ: «وَسَطُوتُكَ».

(٦) الْقِسْطَاسُ: الْمِيزَانُ الْمُسْتَقِيمُ. مُحِيطُ الْمُحِيطِ (تَسْطَسُ).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «تَغْصَبُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٨) فِي النَّفْحِ: «وَدَالَةٌ يَمُتُ بِهَا...».

(٩) مَلَأْتَ ظَرْفَكَ: كَنَائَةٌ عَنْ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وَالرِّشَاءِ.

(١٠) قَالِيًا: مَبْخُضًا. لِسَانُ الْعَرَبِ (قَلَا).

(١١) الْخَوَارِي: لِبَابِ الدَّقِيقِ وَخَالِصِهِ. وَالْخَوَارِي: مَنْ يَكُونُ مِنْ أَنْصَارِ الْأَنْبِيَاءِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (حَوْر).

(١٢) فِي الْأَصْلِ: «الْحُلُوءُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٣) الْهَرَّاسُ: صَانِعُ الْهَرِيسَةِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (هَرَس).

(١٤) فِي الْأَصْلِ: «فَرِيدُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. وَالثَّرِيدُ: كَسْرَةُ الْخَبِيزِ الْمُتَلَطَّخَةِ بِمَاءِ اللَّحْمِ. مُحِيطُ الْمُحِيطِ (ثَرَد).

(١٥) كَلِمَةٌ «بَائِعُ» غَيْرُ وَارِدَةٍ فِي النَّفْحِ. (١٦) فِي الْأَصْلِ: «السُّوقُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

كان قبل البلوغ والسُّبُوق^(١)، وصَمَّم في^(٢) استخراج الحقوق، والناس أصناف، فمنهم خَسِيس يطمع منك في أكله، ومُسْتَعِد عليك بِوَكْزَةٍ أو رَكْلَةٍ. وحاسدٌ في مطيَّة تُرَكَّب، وعَطِيَّة تُسَكَّب، فاحفض للحاسد جناحك، وسدِّد إلى حربه رِماحك، وأشبع الخَسِيسَ منهم مَرَقَةً دَسِمةً^(٣) فإنه حَيِّق، ودُسُّ له فيها عَظْمًا لعلَّه يَحْتَنِق، واحفُزْ لِشَرِّيرِهِمْ حُفْرَةً عميقة، فإنه العدوُّ حَقِيقَةٌ، حتى إذا حَصَلَ، وعلمت أنَّ وقت الانتصار قد وصل^(٤)، فأزِقْ وأزِجْ، ولا تَزْجِعْ، وأولِياه من^(٥) حِزْبِ الشَّيْطَانِ فَأَفْجِجْ، والحقُّ أقوى، وإن تغفُرَ أقربَ للتقوى. سَدِّدْكَ اللهُ تعالى^(٦) إلى غرض التَّوْفِيقِ، وأغْلِقْكَ^(٧) من الحقِّ بالسُّبُبِ الوَثِيقِ، وجعل قدومك مقرونًا برُخْصِ اللحم والزَّيْتِ والدَّقِيقِ، بمَنِّه وفضله^(٨).

مُشِيخَتُهُ: قرأ القرآن على والده المُكْتَبِ النُّصُوح، رحمه الله، وحَفِظَ كُتُبًا كرسالة أبي محمد بن أبي زيد، وشهاب القُضَاعِي، وفصيح ثَعْلَب، وعَرَضَ الرِّسَالَةَ على ولي الله أبي عبد الله الطَّنْجَالِي، وأجازه. ثم على ولده الخطيب أبي بكر، وقرأ عليه من القرآن، وجَوَّدَ بِحَرْفٍ نافع على شيخنا أبي البركات. وتَلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي. ثم رَحَلَ إلى المغرب، فلقي الشيخ الأستاذ الأوحِد في التَّلاوة، أبا جعفر الدَّرَاج، وأخذ عن الشَّريف المُقْرَى أبي العباس الحسني بسُنْبَتِهِ، وأَذْرَكَ أبا القاسم التَّجِيبِي، وتَلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم^(٩) ولازمه، واختصَّ بالأستاذ ابن هاني السُّبْتِي، ولقي بفاس جماعة كالفقيه أبي زيد الجَزُولِي، وخَلَفَ اللهُ المِجَاصِي، والشيخ أبا العباس المِكنَاسِي، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرَازِق، وقرأ على المُقْرَى الفَذَّ الشَّهير في الثَّرْمِ بِأَلْحَانِ القرآن أبي العباس الزَّوَاوِي سَبْعَ خَتَمَات، وجمع عليه السُّبُع، والمُقْرَى أبي العباس بن حِزْبِ اللهِ، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المُهيمن الحَضْرَمِي.

شعره: من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير الدولة المَغْرِبِيَّة في غرض الاستِطَاف:

[الكامل]

يا من به أَبَدًا عُرِفْتُ ومن أنا لولاه لي دَامَتْ عُلاهُ ودَامَا

- (١) في النفع: «والسُّبُوق».
- (٢) في النفع: «على».
- (٣) كلمة «دَسِمة» غير واردة في النفع.
- (٤) في النفع: «قد اتَّصل».
- (٥) في النفع: «من الشَّيَاطِينِ فَأَفْجِجْ».
- (٦) كلمة «تعالى» غير واردة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.
- (٧) في الأصل: «وأغْلِقْنَا» والتصويب من النفع. (٨) قوله: «بمنِّه وفضله» غير وارد في النفع.
- (٩) هو الكاتب محمد بن محمد بن عبد المنعم، وترجمته في الكنية الكامنة (ص ٢٧٧).

لا تَأْخُذْكَ فِي الشَّدِيدِ لَوْمَةٌ فَشَخِصْ نَشَاتَهُ بِفَضْلِكَ قَامَا
رَبُّيُّهُ عَلمُهُ أَذْبَهُ قَدَّمْتُهُ لِلْفَرْضِ مِنْكَ إِمَامَا
فَجَزَاكَ رَبُّ الْخَلْقِ خَيْرَ جَزَايَةٍ عَنِّي وَبِوَاكِ الْجَنَانِ مُقَامَا

وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطناً حضرة غرناطة، وتالياً الأعراس القرآنية، بين يدي السلطان، أعزه الله، مرفع الجانب، معزز الجراية بولايته أخباس المدرسة، أطروقة عصره، لولا طرش نقص الأئس به، نفعه الله.

مولده: ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعمائة.

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري

السبتي الدار، الغرناطي الاستيطان، يكنى أبا الحسين، ويعرف بالتلمساني.

حاله: طُرِفَ في الخير والسلامة، مُعَرِّق في بيت الصُّون والفضيلة، مُعِمٌّ^(١) تَحَوَّل في العدالة، قديم الطُّلب والاستعمال، معروف الحق، مليح البَسْط، حُلُو الفكاهة، خفيف إلى هَيْعَةِ الدُّعَايَةِ، على سَمْتٍ ووقار، غَزَلٌ، لَوَذْعِي، مع استرجاع وامِتْسَاك، مُتَرَفٌّ، عَرِيقٌ في الحضارة، مؤثر للراحة، قليل التَّجَلُّد، نافرٌ عن الكَذِّ، مُتَّصِل الاستعمال، عَرِيضُ السَّعَادَةِ في باب الولاية، محمول على كَتَدِ المَبْرَةِ، جار على سُنَنِ شِيُوخِ الطُّلُبَةِ والمُفْتَاتِينَ من الأرزاق المُقَدَّرَةِ، أولى الخُصُوصِيَّةِ والضُّبُطِ من التُّظَاهِرِ بالجاه على الكِفَايَةِ. قَدِمَ على الأندلس ثمانية عشر وسبعمائة، فمهد كَنَفَ القَبُولِ والاستعمال، فَوَلَّى الحِشْبَةَ بغيرناطة، ثم قُلِّدَ تَفْهِيمَ الأرزاق وهي الخُطَّةُ الشرعية والولاية المُجَدِّدَةِ، فَاتَّصَلَتْ بِهَا ولايته. وَنَابَ عَنِّي في العَرَضِ والجواب بمجلس السلطان، حميد المنأى في ذلك كله، يقوم على كتاب الله حِفْظًا وتَجْوِيدًا، طَيِّبُ الثَّنَمَةِ، رَاوِيًا مُحَدِّثًا، إخباريًا، مُرتاحًا للأدب، ضاربًا فيه بِسْطَهُمْ يقوم على كُتُبِ السَّيَرَةِ الثُّبُوتِيَّةِ، فَذَا في ذلك. قرأه بالمسجد الجامع للجمهور، عند إحقاقه بغيرناطة، مُعَرِّبًا به عن نفسه، مَتَّبِعًا على مَكَانِهِ، فزعموا أن رجلاً قَاضَتْ نَفْسُهُ وَجَدًا لَشَجْوِ نَعْمَتِهِ، وَحُسْنِ إلقائه. وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إمامًا به، وأُتِمَّ بمجلسه بالسَّلامَةِ والخير، فلم تُؤْثِرْ عنه في أحدٍ وَقِيعَةٍ، ولا بَدَرَتْ له في الحَمَلِ على أحد بنتٌ شَفَّة.

(١) المُعِمُّ: الذي يُعِمُّ القوم بالمعطة، أي يشملهم. لسان العرب (عم).

مشيخته: منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي الثقي طاهر بن أبي الشرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم والده المترجم به، ومنهم أبوه وجدّه، ومنهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد العزفي، والمقرئ أبو القاسم بن الطيب، وإمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن خريث، والأستاذ مُلحق الأبناء بالآباء أبو إسحاق الغافقي، والكاتب النَّاسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والأستاذ المُعمر أبو عبد الله بن الخضار، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشيد، والخطيب الأديب أبو عبد الله العُمّاري، والأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والقاضي الأعْدل أبو عبد الله بن بُرطال، والشيخ الوزير المُعمر أبو عبد الله بن ربيع، والصوفي الفاضل أبو عبد الله بن قَطْرال، والأستاذ الحسابي أبو إسحاق البرغواطِي، هؤلاء لقيهم وقرأ وسمع عليهم. ومن كتب له بالإجازة، وهم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المُرحّل، والخطيب أبي الحسن فضل ابن فضيلة، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، والقَدْْل أبي الحسن بن مَسْتَقُور، والوزير المُعمر أبي محمد بن سِماك، والخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عُثمان بن حَكَم، والشيخ الصالح أبي محمد الخَلّاسي، والقاضي أبي العباس بن الخَمّاز، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللَّبيدي، والقَدْْل المُعمر الراوية أبي عبد الله بن هارون، والمحدث الراوية أبي الحسن القَرافي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن أبي المنصور، والإمام شرف الدين أبي محمد الدُمياطي، وبهاء الدين بن النُّحاس، وقاضي القضاة تقي الدين بن دَقِيق العِيد، وضياء الدين أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد، وكتب في الإجازة له: [الطويل]

ولذتْ لعمام من ثلاث وعشرة وستْ مئني هجرة لمحمد
تطوّفتْ قُدْماً بالحجاز وإنني بمصر هو المَرْبِي^(١) وسَبْنَةُ مَوْلدي^(٢)

(١) في الأصل: «المربلي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «مولد» بدون ياء.

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشق إخصاؤهم، قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، رحمه الله.

محتته: نالته محنة بجزي الأمور الاشتغالية وتبعاتها، قال الله فيها لعثرته لغًا، فاستقل من التكة، وعاد إلى الرتبة. ثم عثت عليه بآخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

مولده: ولد عام ستة وسبعين وستمائة، وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصاري

من أهل مراكش، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، فاضلاً صوفياً، عارفاً، متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تجرد عن ثروة معروفة، واقتصر على الزهد والتخلي، وملازمة العبادة، والغروب عن الدنيا. وله نظم رائع، وخط بارع، ونثر بليغ، وكلام على طريقة القوم، رفيع الدرجة، عالي القدر. شرح قصيدة الإسرائيلي بما يشهد برسوخ قدمه، وتجول في لقاء الأكابر على حال جميلة من إثارة الصمت والانقباض والجشمة. ثم رحل إلى المشرق حاجاً صدر سنة ثلاث وسبعمائة.

مشيخته: من شيوخه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي، والفقيه أبو فارس الجروي، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، والعدل أبو محمد بن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله بن الخضار، وأبو إسحق التلمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السكوت، وأبو عبد الله بن عياش، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لقيهم، وأخذ عنهم. وكتب له بالإجازة جملة، كالقاضي أبي علي بن الأخوص، وأبي القاسم العزفي، وأبي جعفر الطنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد بن الحجاج، وأبي بكر بن حبيش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني، وغيرهم.

شعره: وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا مُعمل السُّير أيّ إعمال سَلَّم على الفاضل ابن قَطْرال

من أبيات راجعني عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زَارَتْ فَأَزَّرَتْ بِمَسْكَ دَارِين تَفْتَنُ لِلْحَسَنِ فِي أَفَانِين

ومثلها في شتى محاسنها ليست بِبِدْع من ابن شبرين

وفاته: توفي بحرم الله عاكفًا على الخير وصالح الأعمال، مُعرضًا عن زهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، وفيه حكاية، عام تسعة وسبعمئة.

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة. وغير ذلك.

الْعَمَال فِي هَذَا الْأَسْمِ وَأَوَّلًا الْأَصْلِيُونَ

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل^(١)

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخ^(٢) حسن الشَّيْبة، شامل البياض، بعيد مدَى الدُّقْن، خذوع الظاهر، خَلُوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصُّوفية، والكَلَفُ بإطراءِ الخيرية^(٣)، سيما عند فَقْدان شُكر الولاية، وجماع الحُطوة، من بيت صَوْنٍ وحشمة، مُبين عن نفسه في الأغراض، مُتقدِّم في معرفة الأمور العملية، خائض مع المخاضين في عُمار طريق^(٤) التَّصوُّف، وانتحال كيميائِ السَّعادة، راکبٌ مثنى دعوى عريضة في مقام التَّوْحِيد، تُكذِّبُهَا أحواله الرَّاهنة جُمْلَةً، ولا تسلم له منها بُيْذَةٌ، لمعاصرة خلقه على الرياضة واستيلاء الشَّره، وَعَلَبَ^(٥) سلطان الشهوة، فلم يَجْنِ من جَفْجَاعه المُبرم فيها إلَّا اسْتِغْراق الوقت في القواطع عن الحق، والأسف على ما رَزَّته الأيام من مَتاع الزُّور، وقِئَةِ الغرور، والمَشَاخِة أيام الولاية، والشُّباب^(٦) الشاهد بالشَّره، والحلف المتصل بياض اليوم، في ثمن الحَرْدَلَةِ باليمين التي تجرُّ فساد الأثْكحة، والغَضَب الذي يَقلِّب

(١) ترجمة ابن الأكحل في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣) بتصرف.

(٣) في النفع: «إطراء أهل الخير».

(٤) كلمة «طريق» غير واردة في النفع.

(٥) في النفع: «وغلبة».

(٦) في النفع: «والسباب».

العين، والبذا الذي يُصاحب الشين، مغلُوبٌ عليه في ذلك، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ، وتفويتٌ جدّة، وإطباقٌ رزق، وقيدٌ للعذاب، فألقيْتُ عليه ردائي، ونفَسَ الله عنه بِسَبَبِي، محوًا للسينة بالحسنة، وتوسلًا إلى الله بترك الحظوظ، والمِئَةُ لله جلٌّ جلاله على ذلك.

شعره: خاطبني بين يَدَي نكبتة أو خَلَفَهَا بما نصّه، ولم أكن أظنّ الشَّعر مما تلوكه جَحْفَلته^(١)، ولكن الرجل من أهل الكفاية^(٢): [الطويل]

رَجَوْتُكَ^(٣) بعد الله يا خيرَ مُنْجِدٍ وَأَكْرَمَ مَأْمُولٍ وَأَعْظَمَ مُرْفِدٍ^(٤)
وَأَفْضَلَ مَنْ أَمَلْتُ لِلْحَادِثِ الَّذِي فَقَدْتُ بِهِ صَبْرِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي^(٥)
وحاشا وكلّا أَنْ يَخِيبَ مُؤْمِلِي^(٦) وَقَدْ عَلِقْتُ بِابْنِ الْخَطِيبِ مُحَمَّدٍ
وما أنا إِلَّا عَبْدُ أَنْعَمِهِ^(٧) الَّتِي عَهَدْتُ بِهَا يُنْمِي وَإِنْجَاحَ مَقْصِدِي^(٨)
وَأَشْرَفُ مَنْ حَضَّ الْمُلُوكَ عَلَى الثَّقَى وَأَبْدَى لَهُمْ نُصْحًا وَصِيَّةً^(٩) مُرْشِدٍ
وَسَاسَ الرُّعَايَا الْآنَ خَيْرَ سِيَاسَةٍ مَبَارَكَةٍ فِي كُلِّ غَيْبٍ وَمَشْهَدٍ^(١٠)
وَأَعْرَضَ عَنْ دُنْيَاهُ زُهْدًا وَإِنِّهَا لَمُظْهَرَةٌ طَوْعًا لَهُ عَنْ تَوَدُّدٍ
وما هو إِلَّا اللَّيْثُ وَالْغَيْثُ إِنْ أَتَى لَهُ خَائِفٌ أَوْ جَاءَ مَغْنَاهُ مُجْتَدِي^(١١)
وَيَخْرُ عَلُومُ دُرَّةُ كَلِمَاتِهِ إِذَا رُدَّدَتْ فِي الْحِفْلِ أَيَّ تَرْدُدٍ
صُقَيْلُ مَرَاثِي^(١٢) الْفِكْرِ رَبُّ لَطَائِفِ مُحَاسِنُهَا تُجَلِّي بِحَسَنِ تَعَبُدٍ
بَدِيعَ عَرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلِإِ الَّذِي تَجَلَّتْ بِهِ الْأَسْرَارُ فِي كُلِّ مَضْعَدٍ
شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمُ الْحِلْمِ رَاحِمٌ وَأَيُّ جَمِيلٍ لِلْجَمِيلِ مَعُودٍ
صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي عَلَى حِينِ قُدْرَةٍ يَواصِلُ^(١٣) تَقْوَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ وَالْغَدِ

(١) الجَحْفَلَةُ للدَّيَاةِ بمنزلة الشَّفة للإنسان. لسان العرب (جحفل).

(٢) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٣٥).

(٣) في الأصل: «راجوتك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) المُرْفِدُ: المُعْطَى. لسان العرب (رغد). (٥) في الأصل: «يد» والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «مألمي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «نعمته».

(٨) في الأصل: «مَقْصِدِي» والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «نصيحة».

(١٠) المشهد: الحضور. لسان العرب (شهد).

(١١) في الأصل: «مُجْتَدِي» والتصويب من النفع. والمُجْتَدِي: طالب النوال والمطاء. لسان العرب (جدا).

(١٢) في الأصل: «مرأى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في النفع: «مواصل».

أيا سيدي يا عُمْدَتِي عند شِدَّتِي
 حَنَائِيكَ وَأَلْطَفَ بِي وَكُنْ لِي رَاحِمًا
 رَجَاكَ رَجَاءً^(٢) لِلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَأَمَّكَ مُضْطَرًّا لِرَحْمَاكَ شَاكِيًا
 وَعِنْدِي ائْتِقَارٌ لَا يَزَالُ^(٥) مُوَاضِلًا
 تَرْفُقُ بِأَوْلَادِ صَغَارِ بَكَاءِهِمْ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ تَطَلُّعُ
 أَيْلَهُمْ أيا مولاي نَظْرَةٌ مُشْفِقِي
 وَقَابِلُ أَخَا الْكُرْهِ^(٦) الشَّدِيدِ بِرَحْمَةٍ
 وَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَّا لِفَضْلِكَ، لَا إِلَى
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ إِنْني تَائِبٌ
 بِقَبِيئَتِ بَخِيرٍ لَا يَزَالُ^(٩) وَعِزَّةً
 وَسَخَّرَكَ الرَّحْمَنُ لِلْعَبْدِ، إِنَّهُ

وقد وُلِّي خُطَطًا نَبِيهَةً، مِنْهَا خُطَّةُ الْاِشْتِغَالِ عَلَى عَهْدِ الْغَادِرِ الْمُكَايِدِ لِلدَّوْلَةِ، إِذْ
 كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ شَيْطَانِهِ وَمَمْدِيهِ فِي غِيهِ، وَسَمَاسِيرِ شَغْوَذَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ مِنْ مُسِيطِرِي^(١١)
 دِيْوَانِ الْأَعْمَالِ، عَلَى تَهَوُّرٍ وَاقْتِحَامِ كَبْرِيَّةٍ، وَخَطٌّ لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ فِي الرُّكَاكَةِ، كَمَا قَالَ
 الْمَعْرِي^(١٢): [الوافر]

تَمَشَّتْ^(١٣) فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِيخَتْ نَمَالًا

(١) فِي الْأَصْل: «شَرِبِي» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٢) فِي الْأَصْل: «رَجَا الَّذِي» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٣) فِي الْأَصْل: «الْتَنَاءُ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٤) فِي النَّفْعِ: «كَجَرِ الشَّمْسِ حَالِ تَوَقُّدٍ».

(٥) فِي الْأَصْل: «اِئْتِقَارٌ لِأَنْوَالٍ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٦) فِي النَّفْعِ: «الْكُرْبُ».

(٧) فِي النَّفْعِ: «وَأَسْعِدِ».

(٨) فِي النَّفْعِ: «فَعَوَّذَ».

(٩) فِي الْأَصْل: «لِأَنْوَالٍ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(١٠) فِي الْأَصْل: «لَمُثْنٌ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ. (١١) فِي النَّفْعِ: «ج ٨ ص ٢٣٥»: «مَسْطَرِي».

(١٢) شُرُوحُ سَقَطِ الزَّنْدِ (ص ١٠٤).

(١٣) فِي شُرُوحِ السَّقَطِ: «وَدَبَّتْ». وَهَذَا الْبَيْتُ فِي وَصْفِ السَّيْفِ وَيَقُولُ فِيهِ: إِنَّ إِفْرَنْدَهُ كَأَنَّمَا دَبَّتْ

فَوْقَهُ النَّمْلُ.

استحضرت يومًا بين يدي السلطان، وهو غفل لفك ما أشكل من معمياته في الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئة، ولما أعيت بسببه ونعيت عليه هُجنته، أحسن الصدر عن ذلك الورد، وتذر في نفسه وقال: حيّا الله رداة الخط إذا كانت ذريعة إلى دخول هذا المجلس الكريم، فاستحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاته: توفي عام سبعة وستين وسبعمائة.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طليطلة، انتقل منها جد أبيه، وسكنوا غرناطة، وعدوا في أهلها.

حاله: كان أبو الوليد طالبًا نبيلًا، نبهًا، سريًا، ذكيًا، ذا خط بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونزع إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. وولي الإشراف في غير ما موضع. قلت: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه، التي من جملة المستخلص السلطاني بغرناطة وغيرها، مما يدل على قدم وتعمق أصيلة.

وفاته: توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وسنه دون الخمسين.

محمد بن محمد بن حسان الغافقي^(١)

إشبيلي الأصل، غرناطي المنشأ، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السزو والظرف والمروءة، وحسن الخلق، تولى الإشراف بغرناطة، وخطة الأشغال، فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدثني بعض أشياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، وقد تحدث بصرف ابن حسان عن عمل كان بيده، وإذا رُقعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكنم أياد لكم أياد كَرَزْتُهَا إنها كثيرة

(١) ترجم ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٤٥) لرجل يحمل الاسم نفسه تحت عنوان: «الشيخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الغافقي، رحمه الله تعالى»؛ والذي ترجم له في الكتيبة الكامنة كان قد بعث إليه شعرًا في بعض المناسبات، يعني أنه كان صديقه، بينما المترجم له هنا في الإحاطة توفي سنة ٧١٣ هـ، وابن الخطيب توفي سنة ٧٧٦ هـ. فاعلم.

فإن عزمتم على انتقالي رُبَّةً أَبْغِي أو الجزيرة
وإن أبيتم إلى^(١) مُقامي فنعممة منكم كبيرة

وقال لي بعضهم: جرى بين ابن حسان هذا، وبين أحد بني علاق، وهم أعيان، كلام وملاحة، فقال ابن حسان: إنما كان جدكم مولى بني أضحى، وجد بني مشرف، فاستعدي عليه، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزك الله، كنت بالكُثيبين، وعُرض عليّ كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي: [البسيط]

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء المجد إشراقُ
فلم يزل ينتمي للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراقُ
فإن تُردَّ شَرْقاً يَمُنُّ مُشْرِفُه وإن تردَّ عِلَقٌ مجدٍ فهو علاقُ

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، ونتيجة بديهته، فعجب من كفايته، وترضى خصمه، وصرفهما بخير. وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعمئة.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد
ابن أسد بن قاسم التميمي، المدعو بابن الحاج
يكنى أبا عمرو، وقد مرّ ذكر أخيه.

حاله: تولى خطة الإشراف بِلَوْشَة وأندَرش ومالقة. وولّي النظر في مختص المريّة، والأعشار الرومية بغرناطة. وكان له خط حسن، وجودة كاملة، وحُسن خُلُق، ووَطْأَةٌ أَكْثاف تشهد له بجلالة قَدْره، ورفيع خَطْره. وضاهر في أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن، فاضلٌ، سَرِيٌّ، متخلّق، حسن الضريبة، متميّز بخصال متعددة، من خطٍ بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طبّ وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حَجَّ وجال في البلاد، ولقي جِلَّة. وتولّى بالمغرب خُططاً نبيهة عليه. ثم كَرَّ إلى الأندلس عام ستين وسبعمئة، فأجرى من الاستعمال على رَسْمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي، أن يُوجه في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر، لما تقدّم من مُرانه على تلك البلاد، وجولاته في أقطارها، وتعرّفه بملوكها والجلّة من أهلها، فأب بعد أعوام، مشكور التصرفات، جارياً على سُنن

(١) في الأصل: «إلا» وكذا ينكر الوزن.

الفضلاء، مضطلعًا بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل مُغْتَنَى به، مُرَشَّحًا إلى الخُطط التي تطمح إليها نفس مثله، مُسْنِدًا النَّظْر في زمام العسكر الغربي إلى ولده الذي يخلفه عند رحلته نائبًا عنه، مُعَزِّزًا ذلك بالمرتبات والإحسان، تولاه الله وأعانه.

شعره: مدح السلطان، وأنشد له في المواليد النبوية. ورَفَعَ إلى السلطان بحضرتي هذه الأبيات: [البسيط]

مولاي، يا خَيْر أعلام السلاطين	ومن له الفضل في الدنيا وفي الدِّين
ومن له سَيَرُ ناهيك من سَيَرِ	واقَتْ بأكرم تحسِين وتحصِين
شُرُفَتْ عَبْدُكَ تَشْرِيفًا لَهُ رُتَبٌ	فوق النجوم التي للأَقْي ^(١) تُغْلِينِي
وكان لي موعِدٌ مولاي أنجزه	وزاد في العزُّ بعد الرُّتبة الدُّون
والله ما الشُّكر مني قاضيًا وَطَرِي	ولو أتَيْتُ به حينًا على حين
ولا الثَّنَاءُ مُؤَفَّ حَقٌّ أَنْعَمِهِ	ولو ملأْتُ به كل الدَّواوين
لكنْ دُعائِي وَحُبِّي قد رَضِيتهما	كفاء ^(٢) أفعاليه الغرَّ الميامين
وعند عَبْدِكَ إخلاصٌ يواصله	في خِدمةٍ لم يزل للخير تُدْنِينِي
وسوف أنصح كل النصيح مُغْتَنَمًا	رضى إمام له فضل يُرْجِينِي
جوزَيْتَ عني أمير المسلمين بما	ترضاه للمُلْك من نصرٍ وتَمَكِين
وأنت أكرم من ساس الأنام ومن	عَمَّ البلاد بتَشْكِين وتَهْدِين
ومن كَمِثْل أبي عبد الإله إذا	أضحى الفَخار لنا رُخْب الميادين
محمد بن أبي الحجاج خيرةً من	أَهْدِي له ^(٣) مِدْحًا بالسُّعد يَخْطِينِي
وَجَهْ جَمِيل وأفعال تناسبه	ودولة دولة المأمون تُنْسِينِي
لا زال في السُّعد والإسعاد ما سَجَعَتْ	وزق الحمام على قُضْبِ البساتين

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آش.

حاله: كان طالبًا نبيها كاتبًا جليلاً، جَيِّد الكتابة. كَتَبَ عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة، وبشرق الأندلس، وكان أثيرًا عنده

(١) في الأصل: «التي فوق الأفق...» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «كفاء» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «إليه» وكذا ينكسر الوزن.

مكرماً. وكان، رحمه الله، شاعراً، مطبوعاً، ذا معرفة جيدة بالعَدَد والمساحة، ثم نَزَعَ عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، وولّي إشراف بُنيات غرناطة. ثم وُلّي إشراف غرناطة، فكفَّ يده، وظهرت نصيحته. ثم نُقل إلى حضرة مَرَاكُش، فولّي إشرافها مدة، ثم صُرف عنها إلى غرناطة، وقُدِّم على النظر في المُسْتَخْلَص إلى أن توفي.

مناقبه: أشْهَد لما قربت وفأته، أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه، أربعة آلاف دُنِير من صميم ماله لتتميم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل^(١) بخارج غرناطة. وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأتق في بناه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيراً، نفعه الله.

شعره: ومن شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران، وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته: [الطويل]

شَكُوْتُ فَأُضْنِي الْمَجْدَ بَرْحُ شَكَاتِي	وفارق وَجَهَ الشَّمْسِ حُسْنُ آيَاتِي ^(٢)
وَعَادَتْ بِبُعْدِيكَ ^(٣) الزَّمَانُ زَمَانَةً	تَعَدَّتْ إِلَى عَوَادِهِ ^(٤) وَأُسَاتِيهِ
وَعَيْضُ مَا لِلْبَشْرِ لَمَّا تَبَسَّطَتْ	يَدُ السُّقْمِ ^(٥) فِي سَاحَاتٍ كَافِي كِفَاتِهِ
فَكَيْفَ بِمَقْصُوصٍ وَصَلَتْ جَنَاحِهِ	وَأَذْهَمَ قَدْ سَرَبَلَتْهُ بِشَاتِهِ؟
وَمُنْتَحَنِ لَوْلَاكَ أَدْعَنُ خَبِيرَةً	وَهَانَ عَلَى الْأَيَّامِ غَمَزُ قَنَاتِهِ
أَمَغْلَقُ أَمَالِي وَمُطْمَخُ هُمُتِي	وَوَاهِبُ نَفْسِي فِي عِدَادِ مِبَاتِهِ
سَأَسْتَقْبِلُ الثُّغْمَى بِبِرِّكَ غَضَّةٍ	وَيَضَعُرُ ذَنْبُ الدَّهْرِ فِي حَسَنَاتِهِ
وَتَسْطَوُ عَيْنُ الْحَقِّ مِنْكَ بِمُرْهَفٍ	تُرَاعِ الْخُطُوبَ الْجُورَ مِنْ فَتَكَاتِهِ
وَتُطْلَعُ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ نَيْرًا	تُطَالَعُنَا الْأَقْمَارُ مِنْ قَسَمَاتِهِ
حَرَامٌ عَلَى الشُّكْوَى اعْتِيَادَ مَطْهَرٍ	حَيَاةَ الدُّنَا وَالْدِّينِ طَيِّ حَيَاتِهِ
فَمَا عَرَضَتْ فِي قَصْدِهِ بِمَسَاءَةٍ	وَلَكِنْ تَرَجَّتْ أَنْ تُرَى فِي عَفَاتِهِ

(١) سمي أيضًا نهر شنيل، وشنجل، وسنجل، واسمه بالإسبانية اليوم Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يخترق مرج غرناطة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٨).

(٢) في الأصل: «آياته» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «بعديك» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «عواده»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «يَدُ السُّقْمِ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

مشيخته: قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد الشهلبي، رحمه الله.
وفاته: وتوفي بغرناطة سنة سبع وستمائه، ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها
على ضفة الوادي.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد
ابن عمار بن ياسر^(١)

أوليته: قد وقع التنبية عليها ويقع بحول الله.

حاله: كان^(٢) وزيراً جليلاً بعيد الصيت، عالي الذكر، رفيع الهمة، كثير
الامل^(٣).

نباهته: ذكره^(٤) ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين، فنبه على مكانة
محمد بن عبد الملك منهم في الرأي والحظوة، والأخذ عنه في أمور الأندلس^(٥)،
وأثنى عليه. وذكره أبو زيد الشهلبي في «شرح السيرة الكريمة»^(٦)، حتى انتهى إلى
حديث كتاب رسول الله ﷺ، الموجه إلى هزقل، وأن محمد بن عبد الملك عاينه
عند أذفونش، مكرماً، مُفْتَحَرّاً به. والقضية^(٧) مشهورة. وأما محله من أمداح
الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرصافي بقوله^(٨): [الكامل]

أَيْدَا^(٩) تَفِيضُ وَخَاطِرًا مُتَوَقِّدًا؟ دَعَا تَبَتْ قَبْسًا عَلَى عِلْمِ النَّدَى

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة: [البسيط]

يا رحمة الله للرّاجي ونقمته لكل باغ طغى عن خيرة الرُّسُلِ

(١) ترجمة محمد بن عبد الملك في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) وفيه يكنى: أبا عبد الله، ونفع
الطيب (ج ٣ ص ٩٦). وذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخ المن بالإمامة (ص ٢٥١ - ٢٥٢)،
مع أخيه عبد الرحمن، وقال: كان لهما مشاركة في بناء المسجد الجامع بإشبيلية وصومته
الشهيرة.

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٣) في النفع: «كثير الأموال».

(٤) قارن أيضاً بنفع الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٥) في النفع: «أمور الناس».

(٦) في النفع: «الشريفة». و«شرح السيرة الكريمة» هو كتاب «الروض الأنف».

(٧) في النفع: «والقصة».

(٨) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتاً، وهو في ديوان الرصافي البلسني (ص ٦٢).

(٩) في الأصل: «أَيْدَا». وفي النفع: «ذهناً يفيض وخاطراً متوقداً ماذا عسى يُفنى على علم
الندي».

لم تُبَقْ منهم كفورًا دون مَرْقِبة مطالعًا منك حَقْفًا غير مُنفصلٍ
كما بُزائِكَ لم تترك بأرضهم وَخَشًا يَفِرُّ ولا طِيرًا بلا وَجَل
وكان كثير الصَّيد، ومرتدُّ الغارات.

مناقبه في الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرُّصافي في القصيدة التي مطلعها^(١): [الكامل]

لِمَحَلِّكَ الشَّرْفِيعُ والشُّعْظِيمُ وَلِوَجْهِكَ التُّقْدِيسُ والتَّكْرِيمُ
حلف ألا يسمعها، وقال: عليَّ جائزتك، لكنَّ طباعي لا تحتل مثل هذا،
فقال الرُّصافي: وَمَنْ مثلك؟ وَمَنْ يستحق ذلك في الوقت غيرك؟ فقال له: دعني من
خداعك أنا وما أعلمه عن نفسي.

شعره: أنشده صاحب «الطالع»^(٢)، ولا يذكر له غيره^(٣): [الطويل]

فلا تُظْهِرَنَّ ما كان في الصُّدْرِ كامِنًا ولا تَرْكَبَنَّ بالغَيْظِ في مَرْكَبٍ وَغَرٍ
ولا تَبْحَثَنَّ في عُذْرٍ مَنْ جاء تائبًا فليس كريمًا مَنْ يباحثُ في عُذْرٍ^(٤)

ووليَّ من الأعمال للموحدين كثيرًا، كُمُخْتَصَّ حضرة مراكش، ودار السلاح،
وسلا، وإشبيلية، وغرناطة، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة، وكان من شيوخها
وأعيانها.

محنته: وعُيِّل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحِلْي، ما لا يكون إلا عند
الملوك، وأنه إذا ركب في صلاة الصبح، من دار الرُّخام التي يجري الماء فيها، في
اثنى عشر مكانًا، شَوْش الناس في الصلاة، دويُّ الجلاجل بالبُزاة، ومناداة الصيادين،
ونباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه، وعلى ابن عمه، صاحب أعمال إفريقية،
أبي الحسين، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. ثم رضي عنهما، وأمر محمد بن
عبد الملك أن يكتب بخطه كلَّ ما أخذ له، فصرفه عليه، ولم ينقصه منه شيء، وغرم
ما فات له.

(١) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتًا في مدح أبي جعفر الوقشي، وزير ابن همشك، وهو في ديوان
الرُّصافي البُلنسي (ص ١٣١) والمغرب (ج ٢ ص ٣٤٣) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد، لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي،
صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب.

(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٤) في المصدرين: «في العذر».

ولد سنة أربع عشرة^(١) وخمسمائة، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار
ابن ياسر العنسي^(٢)

يكنى أبا بكر، وقد تقدّم التعريف بأوليته.

حاله: قال في «الطالع»: ساد في دولة الملثمين^(٣)، وولّوه بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرُخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقي فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل قلعة يَحْصِب^(٤). كان في عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، ووُلّي إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد الميمون بن بدر اللمتوني. وقال صاحب «المُنْهَب»^(٥): وَحَسِبَ القلعة كَوْن هذا الفاضل الكامل^(٦) منها، وقد رَقَم بُرْدَ مَجْدِه بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجّة القابلة أعلى سبب، وله من المكارم ما يُغَيِّر في وجه كعب وحاتم، لذلك ما قصده الأدباء، وتهافتت في مدحه الشعراء، وفيه أقول: [الطويل]

وكان أبو بكر من الكُفَر عصمة	وردّ به الله العُزاة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظ أهله	بلين وسبّط في المبرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر	بغرناطة ناغاه في الرأي والصدق
فهذا لنا بالعُزْب يَجْني معالما	تُباهي الذي أخيا الديانة بالشرق

وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزّمان، ويجري عند ذكر نُرّهون بنت القِلاعي ما فيه كفاية، إذ كان مَقْتُونًا بها، وبِحَمْدَة وزَيْنَب، بِثَنِي زياد المؤدّب من أهل وادي آش، وفيهما يقول: [المجث]

ما بين زينب عُفْري أحث كَاسِي وَخَفْدَة

(١) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٥٢) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠).

(٣) الملثمون هم المرابطون، وقد حكموا الأندلس من سنة ٤٨٣ إلى سنة ٥٤٢ هـ.

(٤) قلعة يَحْصِب: بالإسبانية Alcalá la Real، أي القلعة الملكية، وتنسب إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة أيوب، وقلعة بني سعيد، وتبعد عن غرناطة ثلاثين ميلًا. مملكة غرناطة (ص ٦٢).

(٥) النص في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣). (٦) كلمة «الكامل» غير واردة في المغرب.

وكل نظم ونثر وحكمة مُستَجِدَّة
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ المَرءَ قَضَدَهُ

ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى، وقد سها عن رَسْمِ تَفْقُّدِهِ، فكتب إلى علي بن يوسف^(١) في شأنه بما كان سبب عَزْلِهِ ونكبتة: [الطويل]

إليك، أَمِيرَ المؤمنين، نصيحةٌ
بغرناطةٍ ولَّيتَ في الناسَ عاملاً
وأنتَ أما^(٢) تَخْفَى عليك خَفِيَّةٌ؟
وما لإلاه العرش ثَفْنِيهِ حَمْدَةٌ
يجوزُ بها البحرَ المُجْجَعِ شاعرٌ
ولكن بما تَخْوِيهِ منه المَآزِرُ
فَسَلْ أَهْلَهَا فالأمر للناس ظاهرٌ
وزينبُ والكأس الذي هو دائرُ
شعره: من ذلك قوله^(٣): [المجتث]

يا هذه، لا ترومي
تَبْكِي وقد قَتَلْتُني
وقال عفى الله عنه^(٣): [الطويل]

لقد صَدَعَتْ قلبي حمامةٌ أَيْكَةٌ^(٤)
ورَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ
وقال في مذهب الفخر^(٣): [الخفيف]

فَخَرُّنا بالحديث بَعْدَ القديم
نحن في الحرب أَجْبَلُ راسياتٍ
من معالي تَوَارِثَتْ^(٥) كالنجوم
ولنا في النَّدِيّ لُطْفُ النُّسِيمِ

ولادته: ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

ومن الطارئين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدي^(٦)

من أهل وادي آش، يكنى أبا عبد الله.

(١) هو علي بن يوسف بن تاشفين المرابطين، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٠٠ هـ إلى سنة ٥٣٧ هـ.

(٢) في الأصل: «ما» وكذا ينكسر الوزن. (٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣).

(٤) في المغرب: «بانية». (٥) في المغرب: «توارثت».

(٦) ترجمة العبدي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩) وجاء فيه «العبدي» بدل «العبدي».

حاله: كان رجلاً شديد الأذمة، أغين، كَثَّ اللحية، طُرْقًا في الأمانة، شديد الاستِربة بجليسه، مُحِينًا لرفيقه، سييء الظنَّ بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مُختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على التَّفير والقِطْمير، مُستوعب للحضُر والتَّقيد، أسير محيي وعابد زمام، وجَنيب أمانة، وجَلَس سقيفة، وزَقِب مُشرف، لا يقبل هودة، ولا يُلبس رشوة، كثير الالتفات، متفقدًا للآلة، متممًا للعمل.

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شِغْرِ خامل نسب إليه بما نصه^(١): رجل غليظ^(٢) الحاشية، معدودٌ في جنس السائمة والماشية، ثَلِيت على العمال به سُورة الغاشية، ولي^(٣) الأشغال السلطانية، قَدُعِرَت الجُبَاءُ لولايته، وأيقنوا^(٤) بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقَيطُوا كلَّ القُتوط، وقالوا: جاءت الدَّابةُ تُكَلِّمُنَا وهي إحدى الشُّروط، من رجل صائم الحُسوة^(٥)، بعيد عن^(٦) المُصانعة والرُّشوة، يتجنَّب الناس، ويقول عند المخالطة^(٧) لهم: لا مِساس، عهدي به في الأعمال يَخْبِط وَيَتَبَرَّ^(٨)، وهو^(٩) يهْلُل ويكَبِّر، ويحسُن^(١٠) ويقبِّح، وهو يسبِّح، انتهى. قلت: ووَلِي الأشغال السلطانية، فضَمَّ التَّشْر، وأَوْصَد باب الحيلة، وبثَّ أسباب الضَّياع، وتُرْصَد ليلاً وأصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجَلَتَه الوفاة، فنُقِسَ عن أَقْتابه المُخْتَق.

شعره: قال يخاطب بعض أئزاء الدولة قبل نهايته^(١١): [الطويل]

عمادي، ملاذي، مَزَلِي، ومؤملي	ألا أَنْعَمَ بما ترضاهُ للمتأمل
وحَقَّقَ بَنِيْلَ القَصْدِ منك رجاءه	على نحو ما يُرضيك يا ذا التَّفَضُّل
فَأَنْتَ الذي في العِلْمِ يُعْرِفُ قَدْرَهُ	بخير زمانٍ فيه لا زَلَتْ تَعْتَلِي ^(١٢)
فَهَيْئَتِ يا مَعْنَى ^(١٣) الكمالِ بِرُتْبَةٍ	تَقِرُّ لكم بالسُّبْقِ في كلِّ مَحْفَل

-
- (١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٤). (٢) في النفع: «كثيف».
- (٣) في النفع: «تولَّى».
- (٤) في النفع: «وقامت قيامتهم لطلوع...».
- (٥) في النفع: «الحُسوة».
- (٦) في النفع: «من».
- (٧) في النفع: «عند المخاطبة: لا...».
- (٨) في النفع: «في الأعمال يقدر فيها ويدبر، ويرجح ويعبر، ويخبط ويتبر».
- (٩) في النفع: «وهو مع ذلك يكبر».
- (١٠) في النفع: «ويحسن من الأزمنة ويقبِّح».
- (١١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٠).
- (١٢) في الأصل: «منه لا زلت فيه تعتل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
- (١٣) في النفع: «معنى».

وفاته: توفي عام ثلاثة وأربعين^(١) بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، وله خط حسن، وممارسة في الطب، وقد توسط المعترك.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي^(٢)

من أهل المرية، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن»^(٣) قال: يُشهر بَنَسِه وأصل سَلَفه من جهة بيرة، إما من بَجَانة^(٤)، وإما من البريج^(٥)، واستوعب سبب انتقالهم.

حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقة، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة وسماحة، ومبرة وأدبا ولودعية ودعابة، رافع راية الانطباع، وحائز قصب السبق في ميدان التخلق، مبذول البر، شائع المشاركة.

وقال في «المؤتمن»: كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بأقوال الناس، حافظاً لمراتبهم، مُنْزَلاً لهم منازلهم، ساعياً في حوائجهم، لا يَصْذرون عنه إلا عن رضى بجميل مُداراته. التفت إلى نفسه، فلم يَنس نصيبه من الذل، ولا أغفل من كان يَأْلُفه في المنزل الحُسن، وأصلاً لرحمه، حاملاً لوطاة من يَجْفُوه منهم، في ماله حظ للمساكين، وفي جايه رِفْدٌ للمضطرين، شيئاً ذكياً المُجالسة، تَسْتَطِيب معاملته، على يقين أنه يُخفي خلاف ما يُظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، ولا يَغْلُق بهم أهل الآخرة، لعزوه عن التَّخوة والبَطَر، رحمه الله. تكررت له الولاية بالديوان غير ما مرة، وورد على غرناطة، وافداً ومادحاً ومُعْزِياً.

مشيخته وما صدر عنه: قرأ على ابن عبد الثور، وتأدب به، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأخوص أيام قضائه بَسْطَة، ونظم رَجَزاً في الفرائض.

(١) في النسخ: (ج ٨ ص ٤٠٠): «توفي عام ثلاثة وأربعين وسبع مائة».

(٢) نسبة إلى دار بَلِي بقرطبة، وهو بَلِي بن عمرو بن قضاة، وقبيلة بلي عربية كانت تسكن بشمال قرطبة، ولم تكن في أيام ابن حزم تحسن التحدث باللطينية. جمهرة أنساب العرب (ص ٤٤٣).

(٣) هو «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي. وقد تقدم اسم الكتاب كاملاً في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة ابن البركات.

(٤) بَجَانة: بالإسبانية Pechina، وهي مدينة بالأندلس مشهورة بحماتها العجيبة، وتبعد عن المرية خمسة أميال. الروض المعمار (ص ٧٩).

(٥) البريج: بلدة قريبة من بجاية، تابعة للمرية.

شعره: قال الشيخ^(١) في «المؤتمن»: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسيط، وكان شِعْرُ تلك الحَلْبَةِ الآخِذَةِ عن ابن عبد النور، كأنه مصوغٌ من شعر شيخهم المذكور، ومَحْدُوٌّ عليه، في ضعف المعاني، ومِهْنَةُ الألفاظ. تنظر إلى شعره، وشعر عبد الله بن الصائغ، وشعر ابن شُعْبَةَ، وابن رُشَيْد، وابن عُيَيْد، فتقول: ذَرِيَّةُ بَعْضِهَا من بعض.

فمن ذلك ما نظمته في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلهي، أَجْزَنِي إِنْ نِي لَكَ تَائِبٌ	وإِنِّي مِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَهَارِبٌ
عَصِيَّتُكَ بَجْهَلًا ثُمَّ جِئْتُكَ نَادِمًا	مُقِرًّا وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ
مَضَى زَمَنٌ بِي فِي الْبَطَالَةِ لَاهِيًا	شَبَابِي قَدْ وَلَّى وَعُمْرِي ذَاهِبٌ
فَحُذِّ بِيَدِي وَأَقْبِلْ بِفَضْلِكَ تَوْبَتِي	وَحَقَّقْ رَجَائِي فِي الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي ذُنُوبًا جَنَيْتُهَا	وَحَاشَاكَ أَنْ أَشْقَى وَأَنْتَ الْمُحَاسِبُ
وَإِنِّي لِأَخْشَى فِي الْقِيَامَةِ مَوْقِفًا	وَيَوْمًا عَظِيمًا أَنْتَ فِيهِ الْمُطَالِبُ
وَقَدْ وُضِعَ الْمِيزَانُ بِالْقِسْطِ حَاكِمًا	وَجَاءَ شَهِيدٌ عِنْدَ ذَاكَ وَكَاتِبُ
وَطَاشَتْ عَقُولُ الْخَلْقِ وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ	وَفَرَّ عَنِ الْإِنْسَانِ خَلٌّ وَصَاحِبُ
فَمَا تُمْ مِنْ يُرْجَى سِوَاكَ تَفَضُّلاً	وَأَنْ الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ لَخَائِبُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُغْطِي إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجِدْ؟	وَمَنْ هُوَ ذُو مَنِّعٍ إِذَا أَنْتَ وَاهِبُ؟
عَبِيدُكَ، يَا مَوْلَايَ، يَدْعُوكَ رَغْبَةً	وَمَا زِلْتَ غُفَّارًا لِمَنْ هُوَ تَائِبُ
دَعْوَتِكَ مُضْطَرًّا وَعَفْوُكَ وَاسِعٌ	فَأَنْتَ الْمَجَازِي لِي وَأَنْتَ الْمَعَايِبُ
فَهَبْ لِي مِنْ رُحْمَاكَ مَا قَدْ رَجَوْتُهُ	وَبِالْجُودِ يَا مَوْلَايَ تُرْجَى الْمَوَاهِبُ
تَوَسَّلْتُ بِالْمَخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وَمَنْ نَحْوَهُ قَصِيدًا تُحْكُ الرُّكَائِبُ
شَفِيعُ الْوَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهُهُ	وَمُثَقِّدُ مَنْ فِي النَّارِ وَالْحَقُّ وَاجِبُ

ومما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجابة، قوله من قصيدة هنا فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر^(٢)، لما وفد هو وجملة أعيان البلاد أولها: [الكامل]

يُهْنِي الْخِلَافَةَ فَتَحَتْ لَكَ بَابَهَا فَادْخُلْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ يُمَنَّا غَابَهَا

(١) هو أبو البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي.

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

منها، وهو بديع، استظرف يومئذ:

يا يوسفيا باسمه وبوجهه
 في الأرض مَكَتَكَ الإله كيوسف
 بَلَعَتْ بِكُمْ أَرَائِبَها من بعد ما
 كانت تُراود كُفُوها حتى إذا
 اضْعَدَ لِمَثَبِها وَضُنْ مِحْرابِها
 وَلْتَمَلُكُنَّ بِرُبِها أَرِبابِها
 قَالَتْ لَذَلِكَ نَسُوهُ ما رابِها
 ظَفِرَتْ بيوسف غَلَقَتْ أَبوابِها

قلت^(١): ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه الله، في هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوُسْط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجازة كما قال، وحاز بها نمطاً أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى، فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المئزج، بعيدة من الجزالة، ولعل ذلك كان مقصوداً من ناظمها رحمه الله.

وفاته: توفي ببلده عن سنّ عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة.

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين، رحمه الله، بقوله: [البسيط]

يا عَيْنِ، سَحِي بِدمع وإِكْفِ سَرِبِ
 بَكَيْتَ، إِذْ ذُكِرَ الموتى، على رجل
 على الفقيه أبي بكر تَضَمَّنْهُ
 قد كان بي منه وَدُ طابَ مَشْرَعُهُ
 لكن ولأء^(٢) على الرحمن مُحْتَسِباً
 فاليوم أصبح في الأجداث مُرْتَهناً
 إِنَّا إلى الله وَمَنْ فَقَدَ الأَحِبَّةَ ما
 مَنْ للفضائل يُسَدِّدُها وَيُلْحِمُها؟
 قُلْ فيه ما^(٣) تَصِفُ رُكُنًا لِمُنْتَبِذِ
 باقٍ على العهد لا تَنْفِيهِ ثانية
 سهل الخليفة بادي البشر مُنْبَسِطِ
 لحاملِ الفضل والأخلاق والأدبِ
 إلى بَلِيٍّ^(٤) مِنَ الأحياءِ مُنْتَسِبِ
 زَمَسَ وأعمل سِيراً ثم لم يُؤْبِ
 ما كان عن رَغَبٍ كَلًّا ولا رَهَبِ
 في طاعة الله لم يَمْدُقْ ولم يَشِيبِ
 ما ضَرَّتْ الرِّيحُ أَمْلُوداً من الغضبِ
 أَشَدُّ لَذْعاً لِقَلْبِ الشَّاكِلِ الوَصْبِ
 مَنْ للعلی بين مَوروث ومُكْتَسِبِ؟
 رَوْضِ، لِمُنْتَجِعِ أَنَسِ، لِمُعْتَرِبِ؟
 عن المكارم في وزد ولا قُرْبِ
 يَلْقَى الغريب بوجه الوالد الحَدِيبِ

(١) القول هنا للناسخ كما يتضح من السياق.

(٢) هو بلي بن عمرو بن قضاة، وقد تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٣) في الأصل: «ولا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أما» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

كم غير الدهر من حالٍ فقلِّبها
سامي المكانة معروفٌ تقدِّمه
أكرم به من سجايا كان يحملها
ما كان إلّا من الناس الألى ذرّجوا
أمسى ضجيج الثرى في جنب بلقعة
ليست صباية نفسي بعده عجباً
أجاب دمعى إذ نادى النعوى به
ما أغفل المرء عما قد أريد به
يا ويح نفسي أنفاس^(١) مضت هدرًا
ظننت أنى بالأيام ذو هزء
أشكو إلى الله فقري من معاملة
ما المال إلّا من الله فأفلح من^(٢)
اسمع^(٣) أبا بكر الأوضى نداء أخ
أهلاً بقدمتك الميمون ظاهرها
نم في الكرامة فالأسباب وافرة
لله والآجال قاطعة
ومن فرائد آداب يُحبرها
أما الحياة فقد ملئت مدتها
لولا قواطع لي أشراكها نصبت
وقل ما شفيت نفس بزورة من
يا نخبة ضمها تذب ولا عجب
كيف السبيل إلى اللّيا وقد ضربوا
عليك مني سلام الله يتبعه

وحال إخلاصه ممتدة الطُّنب
وقدّره في ذوي الأقدار والرُتب
وكلها حسن تُنبك عن حسب
عقلًا وحلمًا وجودًا هامى السُحب
لكن محامده تبقى على الحُقب
ولنما صبرها من أعجب العُجب
لو غير مثعاه نادى الدمع لم يُجب
في كل يوم تناديه الردى اقترب
بين البطالة والتسويق واللعب
غلطت بل كانت الأيام تهزأ بي
لله أنجو بها في موقف العطب
جاء القيامة ذا مالٍ وذا ثُشب
باك عليك مدى الأيام مكثب
على محل الرضى والسَّهل والرَّحِب
وربما نيلت الحُسنى بلا سبب
ما بيننا من خطابات ومن خُطب
فيودع الشهب أفلاكًا من الكتب
فمعرض الله منها خير مُثقلب
لرُزت قبرك لا أشكو من النُصب
حلّ البقيع ولكن جهد ذي أرب
إن التراب قديمًا مدفن النُخب
بيني وبينك ما بقي من الحجب؟
حسن الثناء^(٤) وما حييت من كتب

(١) في الأصل: «الأنفاس» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ما المال إلّا من الله قُرى فأفلح من»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «اسمع» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٤) في الأصل: «الثناء» وكذا ينكسر الوزن.

محمد بن محمد بن شعبة الغساني^(١)

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال شيخنا أبو البركات في الكتاب «المؤتمن»: من أهل المرية ووجوهها، لا حظ له في الأدب، وبضاعته في الطلب مُزجاة. قطع عمره في الأشغال المخزنية، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العملية، ماض على لين، متحرك في سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملك من جدّة، مُنحط في هوة اللذة، غير مُعرج على ربيع الهمة، لطيف الثأني، مُتنزل في المعاملة، ديث الأخلاق، مليخ العمل، صحيح الحساب، مُنجب الولد.

مشيخته: قرأ على ابن عبد الثور، والقدر الذي يُحس به عنه أخذه.

شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة: [البسيط]

وافى البشيرُ فوافى الأثرُ والجَدَلُ	وأقبل السغدُ والتوفيقُ والأملُ
ورأيت الأرضَ حُسناً زاهراً وسَوى	واخضر ^(٢) منها الربى والسَّهْلُ والجبلُ
ولاح وَجْهُ عليّ بَعْدَ ذَا قَعْدَا	له شعاعُ كضوءِ الشَّمسِ مُتَّصِلُ
مذ غاب أظلمت الدنيا لنا وُعِدَتْ	أحشاؤنا بلهبِ الشوقِ تشتعلُ
وحين أشرقَت الدنيا بغيرته	عاد الظلام ضياءً وانتفى الخَبَلُ
إيه أبا حَسَنَ أنتَ الرجاءُ لنا	مهما اغترَّتْ شدةُ أو ضاقت الحيلُ
وأنتَ كهفٌ منيعٌ مَنْ نَحَاكَ فَقَدَ	نال المُنَى ويدا عيشَ له خَصيلُ
يا سيِّداً قد غدا في المجدِ ذا رُتبِ	مسيِّدةٍ قد بئَّتها السَّادةُ الأولُ
بنو كُماشَةَ أهلُ الفضلِ قد شُهِروا	باهتَ بهم في قديم الأعصرِ الدُّولُ
السَّالكونَ هدى السابقونَ مَدَى	والباذلونَ نَدَى والناسَ قد بَخِلُوا
أنتَ الأخيرُ زماناً والقديمُ علَا	والسيِّدُ المَرْتَجى والفارسُ البطلُ
إن كُنْتُ جئتَ أخيراً فارساً ^(٣) فلقد	أضحى بجودِ يدِكَ يُضْرَبُ المثلُ
حُزَّتْ المآثرُ لا تُخصى لكُثرتها	مَنْ رامَ إحصاءَها سُدَّتْ له السُّبُلُ
جُزَّتْ البُدُورُ سَوى والمَرَقْدِينِ علَا	وأنتَ تَجَرُّ النَّدَى والوابلُ الهِطْلُ

(١) ترجمة محمد بن محمد بن شعبة في الكتيبة الكامنة (ص ١١٦).

(٢) في الأصل: «واخضرَّت» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «فارساً» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى ممّا.

من جاء يطلب منك السلمَ قابله
ومن يرد غير ذا تبأ له وردى
هناك ربك ما أولاك من نعم
ولا عديمت مدى الأيام منزلة
وخذه بعد سلاماً عاطراً أرجا
من خادم لعلاككم مخلص لكم
تقبيل كفك أعلى ما يؤمله
وفاته: في أول عام أربعة وستين وسبعمئة.

محمد بن محمد بن العراقي^(١)

وادي آشي، يكنى أبا عبد الله.

حاله: فاضل^(٢) الأبوة، معروف الصون والعفة، بادي الاستقامة، ذم^(٣)
الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم وينثر، ويجيد الخط، تولى أعمالاً نبهية، ثم علفت
به الحرفة، فلقي ضغطاً وفقد نشباً، واضطر إلى التحول عن وطنه إلى برّ العذوة عام
سته وخمسين وسبعمئة، وتعرف لهذا العهد أنه تولى الأشغال بقسطنطينية^(٤) الهواء من
عمل إفريقية.

شعره: كتب إلي وقد أبى عملاً عرض عليه^(٥): [الطويل]

أأضمت ألفاً ثم أنطق بالخلف
وأفقد ألفاً ثم أنس بالجلف؟
وأفسك دهري ثم أنطق^(٦) علقماً
ويمنحني بذري ثم ألحق بالخسف؟
وعزكم لا كنت بالذلّ عاملاً
ولو أن صغفي ينتمي بي^(٧) إلى حتف^(٨)

(١) ترجمة محمد بن محمد بن العراقي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) وجاء فيه: «محمد بن محمد العراقي».

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) بتصرف.

(٣) في النفح: «حسن».

(٤) في الأصل: «قسطنطينية»، والتصويب من معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٩)؛ إذ جاء فيه: قسطنطينية، بضم القاف وفتح السين: مدينة وقلعة يقال لها قسطنطينية الهواء.

(٥) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٦).

(٦) في النفح: «أفطر».

(٧) كلمة «بي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(٨) في النفح: «الحتف».

فإنْ تُعْمَلُونِي فِي تَصَرُّفِ عَزَّةٍ وَعَدَلٍ وَإِلَّا فَاحْسَمُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
بَقِيَتْ وَسُحِبَ الْعَطْفُ^(١) مِنْكُمْ تُظْلَنِي وَعُطِفَ^(٢) ثُنَائِي^(٣) دَائِمًا ثَانِي الْعِطْفِ

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا.

أوليته: يُنسب إلى القاضي بَبْطَلْيُوس، قاضي القضاة، رحمه الله. وبمالقة دُورٌ
تنسب إلى سَلَفِهِ تدلُّ على نباهة، وقد قيل غير ذلك. والنَّص الجلي أولى من
القياس.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية. صَدُرَ نَمَطُهُ، وفريدُ فَنِّهِ رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعاً وإدراكاً وتجلُّداً وصبراً.
نشأ بمالقة معدوداً في أهل الطُّلب والخصُوصية، ورحل إلى الحجاز الشَّريف في
فِتنائه، فاستكثر من الرِّواية، وأخذ عن أكابر من أهل المشرق والمغرب، حسبما يشهد
بذلك برنامجه.

وكان على سُنَنِ من السُّزو والحشمة، فذاً في الكِفاية، جريئاً، مقداماً،
مَهيباً، ظريف الشَّارة، فارِه المَرْكَب، مليح الشَّيبة، حسن الحديث، وقاد الذهن،
صابراً على الوظائف، يَخْلُط الخوض في الأمور الدُّنيوية بعبادةٍ باهظة، وأوراد
ثقيلة، ويجمع ضحك الفانِك وبُكاء النَّابِك في حالة واحدة، هُشاً، مفرط الجِدَّة،
يَشْرُد عليه مَجْلُ لسانه في المجالس السلطانية بما تعرَّوه المندمة بسببه، قائماً على
حفظ القرآن وتَجويدِهِ وتلاوته، ذا خصال حميدة، صَنَّاع اليد، مقتدرًا على
العمليات من نسخٍ ومقابلة وحساب، معدوداً من صُدُور الوقت وأعلام القُطُر ورجال
الكمال.

مشيخته: أخذ عن الجِلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السُّداد
الباهلي؛ لازمه وانتفع به، والخطيب أبي عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه، والولي
أبي عبد الله الطَّنْجالي، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدوة والأندلس
والمشاركة.

(١) في النسخ: «العفو».

(٢) في النسخ: «وَحُظِّ».

(٣) في الأصل: «ثُنائي» والتصويب من النسخ.

محدثه: لقي نَصَبًا في الخدمة السلطانية، وَغَضًا من الدهر لبأوه، بَتَعَثته وعدم مبالاته مَزَاتٍ، ضَمِيقٌ لها سِجْنه، وِعُرْضٌ عليه النُّكَال، وَزِيلٌ منه بالإهانة كُلُّ مَنْال، وَأَغْرَمَ مَالًا أَجْحَفَ بِمُخْتَجِنِه، وِعُرْضٌ للأيدي نفائس كُتِبِه، وعلى ذلك فلم يَذْعِر سِرْبُه، ولا أَضْعَفَتْ النكبة جَأْشَه.

ولادته: ولد عام ثلاثة وسبعين وستمائة. ومات مَيِّتة حسنة. صلى الجمعة ظهرًا، وقد لَزِمَ الفراش. وَنَفَثَ دَمَ الطاعون، ومات مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، على أتم وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعمئة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، أزدي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله: كان فاضلاً وقوراً سَمَحًا، مليح الدُّعَابَةِ، عَذِبَ الْفَكَاهَةِ، حُلُو النادرة، يَكْتُبُ وَيُشْعِرُ، طَرَفًا في الانطباع واللُّوْذَعِيَّةِ، آيَةً في خلط الجِدِّ بالهَزَل. وَلِيَّ الإشراف بمدينة مالقة، وتَقَلَّبَ في الشهادة المَخْزَنِيَّة عُمره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، رحمه الله: [الطويل]

فؤداي من حَظَب الزمان سَقِيمٌ وفيه لَسَهُمُ الحادثات كُلوْمُ
ولم أَشْكُ دائي في البريَّة لامرئٍ أَأَشْكُو به وابنُ الحكيم حَكِيمُ؟

وفاته: توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين وسبعمئة.

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راوية ثَقَّةً، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيِّب النفس، كامل المروءة، حَسَنُ الخلق، جميل العشرة، تلبس بالأعمال السلطانية دهرًا، وُلِّيَ إشراف غرناطة وغيرها، إلى أن قَعَدَ لشكاية منعه من القيام والتَّصَرُّفِ فَعَكَّفَ على النَّظَرِ، فانتفع به.

مشيخته: كانت له رِخْلَةٌ سَمِيعٌ فيها بالإسكندرية على أبي عبد الله بن منصور وغيره، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن، ابنا صالح بن سالم.

تواليفه: له اختصار حسن في «أغاني الأصبهاني»، وردّ جيد على ابن عَزِيسِيَّة في رسالته الشَّعْوِيَّة^(١)، لم يَقْصُر فيها عن إجادة.

وفاته: وتوفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين وستمائة.

الزُّهَاد وَالصُّلَحَاء وَالصُّوفِيَّة وَالْفُقَرَاء وَأَوَّلَا الْأَصْلِيَّونَ

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري^(٢)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصَّنَاع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصوفي، الكثير الاتباع، الفدّ الطريقة، المُحَبَّب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه الله، شيخاً حسن السمت، كثير الذكر والمداومة، يقود من المُخَشَّوشِينَ عددَ ربيعة ومضر، يعمل الرّحلة إلى حُصُونِهِمْ، فيتألفون عليه تألف التُّحُل على أمرائها ويعاسيبها، مُعلنين بالذِّكر، مهرولين، يَغشَوْنَ مَنَواها بأقواتهم على حالها، ويتناغون في التماس القرب منه، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة. وكان من الصالحين، وعلى سُنن الخِيار الفضلاء من المسلمين، وله حظٌّ من الطُّلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينية، ويتكلم في طريق المتصوّفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه، كلاماً جَهْورِيّاً، قريب العُمُر. وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها وأهل مُنتحليها؛ ليستعين بها بزعم على آماله الخيريّة، فلم يَحُلْ بظائل.

مشيخته: قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، وكانت له في حاله فِرَاسَةٌ. حدّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي، رحمه الله. وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي.

وفاته: وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال، قَدِمَ لها العهد، ونُقِرَ لها الناس من كل أوب، وجيءَ بسريره، تلوح عليه العناية، وتحفُّه الاتباع المقتاتون من جِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولّوا مواراته، تملو الأصوات حوله، ببعض أذكّاره.

(١) هو أبو عامر أحمد بن غرسية، من أبناء نصارى البشكنس، سبي صغيراً وأذبه مولاه مجاهد العامري. المغرب (ج ٢ ص ٤٠٦). وقد ذكره ابن بسام وأورد له رسالته الشعوية، وهي رسالة ذميمة ذم فيها العرب، وفخر بقومه المعجم. الذخيرة (ق ٣ ص ٧٠٥ - ٧١٤).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠): «محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب الأنصاري...».

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمواق.

حاله: كان معلماً لكتاب الله تعالى، خطيباً بمسجد ربض الفخارين، طزقاً في الخير ولين العريكة والسذاجة المشفوعة بالاختصار وإيثار الخمول، مستقيماً في طريقته، خافئاً في خطبته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء، مظنة الصلاح والبركة.

وفاته: توفي بغرناطة قبل سنة خمسين وسبعمائة بيسير، وكلف الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم وجلب أواني المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

محمد بن حسنون الحميري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلاً صالحاً، مشهور الولاية والكرامة، يقصده الناس في الشدائد، فيسألون بركة دُعائه. ومن إملأ الشيخ أبي بكر بن عتيق بن مُقَدِّم، قال: أصله من بَيَّاسَة^(١)، وكان عمه من المقرئين المحدثين بها، وسكن هو مُرسية، ونشأ بها، وقرأ على أشياخها، وحفظ «كتاب التحبير» في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم الفُشيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، وأم الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحُلُفَا، ويتقوت من ذلك.

وفاته: توفي عام خمسة وسبعمائة بغرناطة، وهو من عدد الزُهاد.

ومن مناقبه: ذكروا أنه سمع يوماً بعض الصُّبيان يقول لصبي آخر: مُرُّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فأنصرف إلى السُّجن، فدخله، وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان، فوجّه وزيره، فأخرجه، وأخرج معه أهل السُّجن كلهم، وكانت من كراماته.

محمد بن محمد البكري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

(١) بياسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة تبعد عن جيان عشرين ميلاً. الروض المعطار (ص

كان، رحمه الله، شيخًا صالحًا، جَهْورِيًّا، بعيدًا عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مُغْلَظًا لأهل الدنيا، شديدًا عليهم، غير مُبَالٍ في الله بغيره، يلبس خِرْقَةَ الصُّوفِيَّة من غير التزام لاضطلاح، ولا مُتَقَاد لِرُقُو، ولا مُؤَثِّر لِسَمَاع، مُشَارِكًا لِلنَّاس، ناصحًا لهم، ساعيًا في حوائجهم. خدَم الصالح الكبير أبا العباس بن مَكْنُون، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتجند، فرفض زِيَّه، ولبس المُسَوَّح والأَسْمَال. وكان ذا حِظٍّ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجِيَّاب: سمعته ينشد في بعض مجالسه: [الرجز]

يا غاديًا في غفلة ورائحًا إلى متى تَسْتَحْسِن القَبَائِحَا؟
وكنم إلى كم لا تخاف موقفًا يَسْتَشْطِقُ الله به الجَوَارِحَا؟
يا عجبًا منك وأنت مُبْصِرٌ كيف تُجَنَّبُ^(١) الطريق الواضِحَا؟
كيف تكون حين تقرأ^(٢) في غَد صحيفَةً قد ملئت فضائِحَا؟
أم كيف ترضى أن تكون خاسرًا يوم يَفُوز مَنْ يَكُونُ رابِحَا؟

ولمَّا حاصر الطَّاغِيَّة مدينة المَرِيَّة^(٣) وأشرفت على التلف، تبرَّع بالخروج منها ولحاقه بباب السلطان؛ لبثَ حالها، واستنْفار المسلمين إلى نُصْرها، فيُسْر له من سَتر غَرَضه، وتسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته: توفي بالمَرِيَّة محلَّ سكناه، في حدود عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

غرناطي، قيجاطي^(٤) الأصل، يعرف بالسَّوَّاس.

قال في «المؤتمن»^(٥) في حاله: رجل مُتَطَبِّب، سهل الخُلُق، حسن اللقاء، رحل من بلده، وحجَّ، وفاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، وعاد فتصدَّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلتُ: وعظُم صيته، وشهر فضله، وقُدِّم أمنيًا على أخباس

(١) في الأصل: «تجتنب» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «تقرأ» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا الهمزة.

(٣) المراد بالطَّاغِيَّة صاحبُ برجلونة، إذ حاصر في غرة ربيع الأول من عام ٧٠٩ هـ مدينة المَرِيَّة وأخذ بمخنقها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفِع الحصار. اللوحة البدرية (ص ٧٥).

(٤) نسبة إلى قيجاطة Quesada، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع على ثلاثين كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من أبدة. الروض المعطار (ص ٤٨٨).

(٥) هو كتاب «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي.

مسجد رسول الله ﷺ، بالمدينة الطاهرة وصدقائه، وذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن خصى نفسه، وسقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكأنه برحبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المرحل لنفسه:

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمت والكلب أخفط مخلوق لإحسان
فإن غضبت على شخص لتشتمه فقل له: أنت إنسان ابن إنسان
وفاته: كان حياً عام خمسين وسبع مائة فيما أظن.

ومن الطارئين عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر
ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار
ابن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف السلمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجي، منسوبا إلى قرية^(١) بالإقليم، وكان من أهل غرناطة.

حاله: من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلاً صالحاً فاضلاً متخلقاً، سَمَحاً، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، مَثْن وضع الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصة تَبْرُهُ ولا تنتقده، والعامّة تَوَدُّه وتعتقده، وتترادف على زيارته، فئة بعد فئة، فلا تُثْقَلَب عنه إلّا راضيةً، وكان جارياً على طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، إذ كان قد لقي بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله، ولازمه وانتفع به، كما لقي ولازم تاج الدين أبا العباس المُزسي، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى، ينتسبون إليه، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، ومُلازمة الوظائف، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين كتاب سَمَاء به الأنوار في المخاطبات والأسرار مُضَمَّنَةٌ جملةً من كلام شيخهم تاج الدين،

(١) هي قرية تنجة، كما سيأتي بعد قليل.

وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سره، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي، وحقائق الطريق، وبعض كرامات غير مَنْ ذُكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل فحج ودخل الشام، وعاش مدة من حراسة البساتين، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان ملياً بأخبار مَنْ لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى مَنْ خَفَّ على قلبي الوصول إلى منزله لَمَّا قدم المريّة، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضاً أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثارُ العافية باقٍ فيه من قرشٍ وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبُها فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكه	ما لم يُرَدَّ من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبُ أهواءٍ فيقلقه	هذا ويأخذه هذا ويتركه
طوراً يؤمنه طوراً يخوفه	طوراً يُيقّنه طوراً يُشكّكه
حيناً يوحّشه حيناً يؤنّسه	حيناً يُسكّنه حيناً يُحرّكه
عسى الذي يمسك السبع الطّباقي على	يديك يا مُطلع الأنوار يمسكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها	مهما أبيضه بالذكر تُشركه
عسى الذي شأنه الشتر الجميل كما	غطى عليه زماناً ليس يهتكه

فلما قرأ منها: «فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها»، قال: هذه عِلّتي.

مولده: سأله عنه، فقال لي: عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيباً بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة، في الوياء العام، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي^(١)

وبيته شهير بمالقة، يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صفوان.

حاله: كان مفتوحاً عليه في طريق القوم، مُلْهِمًا لرموزهم، مصنوعاً له في ذلك، مع المحافظة على السنة والعمل بها آخر الرُعيْل، وكوكب السحر، وفذلكة الحساب ببلده، اقتداءً وتخلُّقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً. رَحَلَ فحجَّ، وقفل إلى بلده، مُؤثِّراً الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلم في شيء من تلك النحلة، يأتي بالعجائب، ويُفكُّ كل غامض من الإشارات. وغني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الرُّوبي المسمَّى بـ«منازل الساري إلى الله» فقام على تدرسه، واضطلع بأعبائه، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولو العناية، ولازمه الجُملة من أولي الفضل والصلاح، فانتفعوا به، وكانوا في الناس قُدوة. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من الرُّبض الشرقي، وبه كان يقعد، فيقصده الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيامٌ على كتاب الله.

توالياً: ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج^(٢)، رحمه الله، كتاباً في التَّصَوُّف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاي الخليفة يوسف	جاءت بهذا العالم المُتَّصِفُ
فكفى بما أسدى من الحكم التي	أبدى من سرِّ الطريقة ما خفي ^(٣)
وحقائق رُفَع الحجاب بهنَّ عن	نور الجمال فلاح غير مُكَيَّف
كالشمس لكن هذه أبدى سَنًا	للحُسن والمعنى لعين المُنْصِف
فيه حياة قلوبنا ودواؤها	فمن استغاث بجرعة منها شفي ^(٤)
إن ابن صفوانٍ إمامٌ هداية	صافي قُصُوفي فهو صُوفي صفي ^(٥)
وإن اختبرت فإنه صفو ابن صف	و ظاهر في طيِّهِ صفو خفي ^(٦)

(١) ترجمة ابن صفوان القيسي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

(٣) في الأصل: «ما خف» بدون ياء. (٤) في الأصل: «شف» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «صف» بدون ياء. (٦) في الأصل: «خف» بدون ياء.

علمَ توارثه وحالَ قد خَلَّتْ ذوقًا فَنِعْمَ الْمُقْتَدَى والمُقْتَفَى^(١)
 فليُهنِكَ المولى سُعود إِيالة فيها سراجُ نورُهُ لا يَنْطَفَى^(٢)
 جلى وجوة شريعة وحقيقة صُبْحًا سَناءُ باهرٍ لا يَخْتَفَى^(٣)
 لا زلتَ تسلك كل نَهْج واضح منها وتحيي كل سَفَى مُزلف

ومن تواليفه: «جَرُّ الحُرِّ» في التوحيد، وعلّق على الجزء المنسوب لأبي إسماعيل الهروي.

مَن أخذ عنه: أخذ عنه بيلده وتبرّك به جَلّة، وكان يحضر مجلسه عالمٌ، منهم شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم الكسكلان، وأبو الحسين الكوّاب، والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال، والعاقد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم.

شعره: رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يُذيل قول أبي زيد^(٤)، رضي الله عنه^(٥): [الطويل]

رَأَيْتَكَ يُدْنِينِي^(٦) إِلَيْكَ تَبَاعَدِي^(٧) فَأَبْعَدْتُ نَفْسِي لَابْتِغَاءِ التَّقَرُّبِ^(٨)

فقال: [الطويل]

هَرَبْتُ^(٩) بِهِ مَنِي إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ بِي الْبُعْدُ فِي بُعْدِي فَصَحَّ بِهِ قُرْبِي^(١٠)
 فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَا بِي^(١١) لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
 فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بَغِيرِ تَبَاعَدٍ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِي^(١٢)

(١) في الأصل: «والمقتف» بدون ياء. (٢) في الأصل: «لا ينطف» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لا يختف» بدون ياء. (٤) في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤): «أبي يزيد».

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤ - ٥٥).

(٦) في الأصل: «تدنيني» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الأصل: «تباعدي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «وابتغائي من القرب».

(٩) في الأصل: «هويت بدمني...» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «قرب» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «وكان به لأبي» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٢) في الأصل: «قرب» بدون ياء.

وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها، وذهب سَحْرًا يرتاد ماءً لوضوئه، فتردى في حفرة تردّيًا أوهن قواه، وذلك بخارج بَلَش^(١)، فرُدَّ إلى مألقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمئة.

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري^(٢)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالساحلي.

حاله: من «عائد الصلاة»: المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة، وصبره على المُجاهدة. قطع عمره في التَّبَتُّل والتَّهَجُّد، لا يفتُر لسانه عن ذكر الله والصلاة على نبيّه، ﷺ. خرج عن مَثْرُوك والده، واقتصر على التَّعْيِش من جِرْفَةِ الخياطة. ثم تعدّاها إلى النُّسخ والتَّعليم، وسلك على الشيخ أبي القاسم المُريد، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره مُستوعبًا ضروب الخير، وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكر ونسخ وقراءة وملازمة خَلْوَةٍ، ذا حِظٍّ من الفصاحة، وجُرْأَةٍ على الروعظ في صوت جَهِير وعَارِضَةٍ صَلِيبة. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الديار، والزمهم الأذكار، وحولهم للسلوك، فأصبح كثير الاتباع، بعيد الضيعة. وولّى الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونُقِلَ إلى الخطابة بجامع غرناطة في نَبْوَةٍ عرضت له بسبب دُنَائِي ذُرِيَةٍ طرَقوا الكَدْرَ إلى سِرْبِهِ، ثم عاد إلى بلده متين ظَهر الحُظْوَةِ، وثيق أساس المَبَرَّة.

مُشِيخَتُهُ: قرأ ببلده مألقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لب، وأبي جعفر الحرّار، وأبي عبد الله بن الحُلُو، والخطيب أبي عبد الله بن الأَعْوَر.

مُحَنَّتُهُ: ابتلي بعد السبعين من عمره بِفَقْدِ بصره، فظهر منه من الصبر والشكر والرِّضا بقضاء الله ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن يكفّ بصري خوفًا من الفِتْنَةِ. وفي هذا الخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره، ﷺ، بسؤال العافية والإمتاع بالإسماع والإبصار.

(١) هي بَلَش مألقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكنفًا بالقول: «بَلَش»، بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة: بلد بالأندلس ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي. معجم البلدان (ج ١ ٤٨٤).

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي في نيل الابتهاج (ص ٢٣٠) والكتيبة الكامنة (ص ٤٥).

شهرته: وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق، الملوك فَمَنْ دُونَهُمْ، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المُعمر الحجة الرحلة أبا علي ناصر الدين المشدالي كتب إليه من بجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسنا وأهلنا الضُر، وجئنا ببضاعة مُزجاة، فأوف لنا الكيل، وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين. وبعده: من العبد الأصغر والمُحب الأكبر فلان، إلى سيّد العارفين، وإمام المحققين، في ألفاظ تناسب هذا المعنى.

حدّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، وكان من أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدي، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله ﷺ، فأخبرني واشف صدري، هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال: فأفكر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية ابن الجيّاب الساعة ومحدثه، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: وهذا أمر غريب، ولا يصح إلا رؤية القلب، ولكن غلبت عليه حتى تخيل في الحس الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد في محلين اثنين محال.

شعره: نظم الكثير من شعر مُنحط لا يصلح للكتب ولا للرواية، ابتلي به، رحمه الله، فمن لبابه قوله، وهو من الوسط^(١): [الكامل]

إن كنت تأمل^(٢) أن تنال وصالهم فامح الهوى في القيل والأفعال
واصبر على مرّ الدواء فإنه يأتيك بعد بخالص السلسال

تواليفه: ألف كتاباً سمّاه «إعلان الحجة»، في بيان رسوم المحجة.

وفاته: توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعمئة، وكانت جنازته مشهودة، تراحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عاداتهم من ارتكاب القحة الباردة في مِسْلاخ حُسن الظن.

محمد بن أحمد بن قاسم الأمي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطان، الفقيه الأواب المتكلم المجتهد.

حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المنزع، عجيب التصوف. قرأ وعقد الشروط، وتصدّر للعدالة، ثم تجرّد، وصدق في معاملته لله، وعول عليه،

(١) البيتان في الكتبية الكامنة (ص ٤٥). (٢) في الكتبية: «تطلب».

واضطلع بشروط التوبة، فتحلل من أهل بلده، واستفاد واسترحم، واستغفر، ونفض يديه من الدنيا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يُشار إليه في الزهد والورع، لا تراه إلا متبسماً، ملازماً لذكر الله، متواضعاً لأصاغر عبادته، محباً في الضعفاء والمساكين، جميل التخلق، مُغضياً عن الهينات، صابراً على الإفادة. وجلس للجُمُهور بمجلس مألقة، يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، ويُرشدهم، ويُرْهِدُهم، ويحملهم على الإيثار، في أسلوب من الاستنفار والاسترسال والدلالة والفصاحة والحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بالهام وإعانة، فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتوبة، وبادر مُتَرَفُوهُم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزلات، ودَهِم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصَّدة، ما لا يأخذه الحَضْر ولا يُدرکه الإحصاء، ولولا أن الأجل طرّقه، لعظم صيته، وانتشر نفعه.

وفاته: توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمئة، ودفن بجبانة جبل فاره^(١)، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلى عليه خارج باب قنينة، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم.

وممن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال: [الطويل]

أَبْعَدَ وَلِيَّ اللَّهِ دَمْعِي يُسَجِّمُ	وَعِمَارَ قَلْبِي مِنْ كُلُّومٍ تُتَزَجِّمُ؟
فَوَادِي مَكْلُومٍ بِحُزْنِي لَفَقْدِهِ	لِذَاكَ جُفُونِي دَمْعُهَا كُلُّهُ دَمٌ
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي التَّفَجُّعَ وَالْبُكََا	وَمَاذَا عَسَى يُجْنِدِي الْأَسَى وَالتَّبَرُّمُ؟
مَأْصِرٍ لِلْبَلَوَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبُهَا	فَصَبِرِ الْفَتَى عِنْدَ الشَّدَائِدِ يُعْلَمُ
كَذَا الْعِلْمُ بِالسَّيْفِ الصَّقِيلِ لَدَى الْوَعَى	فَوَيْقَ الَّذِي مِنْ حُسْنِهِ لَا يُوسَمُ ^(٢)
عَلَى قَدَرٍ صَبَرِ الْمَرْءِ تَضَعُرُ عِنْدَهُ	خَطُوبٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ تَعْظُمُ
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تَعِيلُهُ بَاطِلُ	وَمَخْمَضُ ^(٣) أَحْلَامٍ لِمَنْ بَاتَ يَخْلُمُ
تَجَنَّبَهَا أَهْلُ الْعُقُولِ فَأَقْصَرُوا	وَأَغْرَقَ فِيهَا الْجَاهِلُونَ وَأَشْأَمُوا ^(٤)

(١) جبل فاره: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزعة المشتاق (ص ٥٧٠).

(٢) كلمة «لا» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «ومخمضة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «وأشام».

أَعِذْ نَظْرًا فِيهَا تُجِيبُكَ بِرَاحَةٍ
 أَعِذْ لَهَا دِرَاقَ صَبْرِكَ إِنَّهَا
 تَلْقَتْ إِلَى تَعْذِيبِهَا لِمَحَبَّتِهَا
 يُظُنُّ بِهَا رِيحَانَةً وَهِيَ مِذْرَةٌ
 عَجِبْتَ لَهَا تَخْفَى عَلَيْنَا غُيُوبِهَا
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُعَوَّلَ عَاقِلٌ
 وَمَا وَضَلَهَا مِغْشَارَ غُشْرِ صُدُورِهَا
 إِذَا ابْتَسَمْتَ يَوْمًا تَرَقَّبَ غُيُوبِهَا
 ضَحَى كَانَ وَجْهُ الدَّهْرِ سَبْرَ بَشْرِهِ
 ذَرِينَا بِعَقْدٍ مِنْ وَلِيِّ مَكَائِهِ
 هَوَى مِثْلَ مَا هَوَى مِنَ الْأَفْقِ كَوَكَبٍ
 تَسَاوَى لَدَيْهِ صَيْدُهَا وَعَبِيدُهَا
 هُوَ الْمَوْتُ لَا يَنْفُكُ لِلخَلْقِ طَالِبًا
 وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّاءُ عَزَّ دَوَاؤُهُ
 دَهَا كُلَّ مَخْلُوقٍ فَمَا مِنْهُ سَيِّدٌ
 وَلَوْ كَانَ ذَا كَانَ الثَّيْبِيُّ مُحَمَّدٌ
 تَعَنَّى بِهِ مُوسَى وَيُوسُفُ قَبْلَهُ
 بِهِ بَادَ بِهَرَامٍ وَتُبَسَّرَ بِهَرَمٍ
 وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّأْنِ حُلٌّ بِرَبِّعِهِ
 وَلَكُنَّا نُنْهِى وَتَأْبَى حَدِيثُهُ
 فَحَتَّى إِذَا حُلَّ سَاحَةُ مَا جِدَ
 نُسِينَا حَدِيثَ الْمَوْتِ جَهْلًا بِغَدْرِهِ
 وَفَاةٌ وَزَمِي فِي الثَّرَابِ مُوسِدٌ
 خَبَا ضَوْءُ نَادِي فَأَقْفَرُ^(٥) رَبْعُهُ

وَأَنْسَ^(١) بِمَا تَقْضِي عَلَيْكَ وَتَحْكُمُ
 مِنَ الْبُؤْسِ وَالتَّلْوِينِ وَاللَّوْنِ
 وَمَاذَا بِهَا يَلْقَى كَثِيبٌ وَمُغْرَمٌ
 وَلَا مُنْتَهَى إِلَّا الرَّدَى وَالتَّسْنُدُ
 وَذَاكَ لِأَنَّا فِي الْحَقِيقَةِ نُؤْمُ
 عَلَى عَاجِلٍ مِنْ وَضَلَهَا يَتَصَرَّمُ؟
 وَلَكِنَّهُ صَرَفٌ وَلِلدَّهْرِ^(٢) أَذْوَمُ
 فَمَا إِنْ لَنَا مِنْهَا يَذْوَمُ الثَّيْبُ
 فَلَمْ يُخَسِّ حَتَّى بَانَ مِنْهُ التَّجَهُمُ
 مَكِينٌ لَدَى الْعَلِيَاءِ سَامٌ مَعْظَمُ
 فَجَلَلْنَا لَيْلٌ مِنَ الْخَطْبِ مُظْلَمُ
 وَعَالِمُهَا التَّحْرِيرِ وَالتَّسْلِيمِ
 يَرْوَحُ وَيَغْدُو كُلُّ حِينٍ عَلَيْهِمُ
 فَلَيْسَ لَشَيْءٍ فِي الْبَسِيطَةِ يُخَسِّمُ
 لَهُ الْجَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَنْجُو وَيَسْلَمُ^(٣)
 تَجَنَّبَهُ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا^(٤)
 وَنُوحٌ وَإِدْرِيسُ وَشِيثُ وَآدَمُ
 وَكُسَّرَ مِنْ كِسْرَى سَوَارٍ وَمِغْصَمُ
 فَإِنْ تَخْتَبِرْهُ فَهُوَ رَبٌّ وَأَعْظَمُ
 وَتُنَجِّدُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَتُثْمِ
 نَطْلُ بِهَا مِنْ خَسْرَةٍ نَتَكَلَّمُ
 فَأَلْهَمْنَا إِذْ هَزْنَا مِنْهُ مُلْهَمُ
 وَأَتَارَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ تُخَيِّمُ
 مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ رِبْعٌ وَمُعْلَمُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَأَنْسَ»، وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ، لَذَا جَعَلْنَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ هَمْزَةً قَطْعًا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «لِلدَّهْرِ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ. (٣) فِي الْأَصْلِ: «فَسَلِّمُ».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «وَسَلِّمُ». (٥) فِي الْأَصْلِ: «أَقْفَرُ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ.

تردّى فأردى فَقَدَهُ أَهْلَ رِيَّةٍ^(١) غدا أهلها من قَجْمَةٍ بمصابه
وهل كان إلا والد مات عنهم؟ قضى نَحْبَهُ الأستاذُ واحدُ عصره
قضى نَحْبَهُ القَطَّانُ فالحزن قاطن وهل كان إلا روضة زَفٍّ ظلُّها
وهل كان إلا رحمة عاد فَقَدَها سَلِ الثَّائِبِينَ العاكفين على الهدى
أَفَادَهُمْ من كلِّ عِلْمٍ لُبَّابِهِ جَزَى اللهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جزائه
أَبَانَ لَهُمْ طُرُقَ الرُّشَادِ فَأَقْدَمُوا وجاءَ من التَّعْلِيمِ للخير كله
فصاحَةُ أَلْفَاظٍ وَحُسْنُ عِبَارَةٍ يُصِيبُ فلا يُخْطِئُ إِذَا مَقْصِدًا
يَحْدُثُ في الآفاقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا سَرَى في الورى ذَكَرٌ له ومدائح
لِعَمْرُك ما يَأْتِي الزمان بمثله فقيَّة نزيَّة زاهد متواضع
يودُّ لو أَنَّ النَّاسَ أَثَرى جميعهم يودُّ لو أَنَّ الله تاب على الورى
عليه من الرُّحْمَنِ أَوْسَعُ رحمة

فما مِنْهُمْ إِلَّا كَثِيبٌ وَمُغْرَمٌ وعيشُهُمْ صابٌ قَطِيعٌ وَعَلَقَمٌ
فيا مَنْ لِقَوْمٍ يُتَمُوا حينَ أُيْمُوا^(٢) فكاد الأسى يَقْضِي إلى الكلِّ منهم
مَقِيمٌ بِأَحْنَاءِ الضُّلُوعِ مُحْكَمٌ أُنِيجَ له قَيْظٌ من الجَوْنِ صَيْلَمٌ؟
علامَةٌ فَقَدَ العِلْمَ والله أَغْلَمٌ؟ لَكُمْ مئةُ أسدى وأهدى إليهم
وفهمهم أسرارهِ فَتَفَّهُمُوا^(٣) دليلًا بهم نحو الهدى حيثَ يَمْمُوا^(٤)
وَحَذَّرَهُمْ عن كلِّ غيٍّ فَأَحْجَمُوا^(٥) بِأَبْيَنَ مَنْ يَأْتِي به مَنْ يُعَلِّمُ
مَضِيٌّ كما يَنْقُضِي الحُسَامُ الْمُصْصَمُ وَمَنْ^(٦) يَجِيبُ فلا يُبْطِئُ ولا يَتَلَعَثُ
فأخباره أَضْحَتْ تُخْطُ وتُرْسَمُ يكاد بها طَيْرُ العُلَى يَتَرُثَمُ
وما ضُرْنِي لو كنت بالله أَقْسَمُ رَوْفٌ عَطُوفٌ مُشْفِقٌ مُتَرَحِّمٌ
فلم يَنْبَقِ مِسْكِينٌ ولم يَبْقِ مُعْدَمٌ فتابوا فما يَنْبَقِي من الكلِّ مُجْرَمٌ
فقد كان فينا الذَّهْرُ يَحْتُو وَيَرْخَمُ

(١) رِيَّة: Reyو: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٧٩).

(٢) في الأصل: «حين أو يُتَم» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن. وَأَيَّم الرجل أو المرأة: قتل زوجه أو جعله أَيْمًا. محيط المحيط (أيم).

(٣) في الأصل: «فتفَّهُمُوا».

(٤) في الأصل: «فأحجمُوا».

(٥) في الأصل: «ولمن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «يَتَم».

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي
ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي^(١)

لؤثبي^(٢) الأصل، مالقي النشأة والاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيه إلى هاشمية الثب، وهم يبلدنا لؤشة أشراف، وكانت لهم فيها
ثروة وثورة اجتثها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات. ويمت سلفنا إليهم
بضحبة ومصاهرة في حديث يستدعي طولاً، وانتقل خلفهم إلى مالقة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان هذا الولي الفاضل، المجمع على ولايته وفضله،
سهل اللقاء، رفيقاً بالخلق، عطوفاً على الضعفاء، سالكاً سنن الصالح من السلف
سمتاً ومذنباً، بصره مغضوض، ولسانه صامت إلا من ذكر الله، وعلمه نافع، وثوبه
خشين، وطعمته قد نفدها الورع الشديد حتى اضطفاها مختارة، إذا أبصرت بها العين،
سبقتها العبرة. بلغ من الخلق الملوك فَمَن دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطر،
وتمد إلى عنايته الأيدي، وتخط بفنائه الوسائل، فلا يرتفع عن كلف الناس ولا
حوائجهم، ولا يلقبض عن الشفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم؛ له في ذلك كله أخبار
طريفة. واستعمل في السفارة بين ملكي العدو والأندلس في أحوال المسلمين، فما
فارق هيئته، وركوب جماره واستصحاب زاده، وليس الخشين من ثوبه. وكان له حظ
رغيب من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة. ولي الخطابة ببلده مالقة، واستسقى في
المحول، فسقى الناس.

حدثني بعض أشياخنا، قال: حضرت مقامه مُسْتَسْقِيّاً، وقد امتنع الغيث، وقحط
الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضج الخلق بالبكاء والعجيج، ولم
يترحوا حتى سقوا. وكراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدث بعض أشياخنا عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات، قال: رأيت في
القوم قائلاً يقول: قُتِدَ الليلة من يَغْمُرُ بيت الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من
تلك الليلة حتى وَرَدَ الخبر بموته.

(١) له حفيد يحمل اسمه، ترجم له أبو الحسن النباهي والمقري؛ هو القاضي أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، ولي قضاء بلده مالقة
صدر عام ٧٥٠ هـ. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى لؤشه Loz، وهي مدينة من إقليم البيرة، بينها بين البيرة ثلاثون ميلاً. الروض الممطر
(ص ٥١٣).

مُشِيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم وأُسند إليهم الرواية والده، رحمه الله، وأبو عمرو بن حَوْط الله، والخطيب ابن أبي ربحانة المَرْبَلِي، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، والرواية أبو الوليد بن العطار، والرواية المحدث أبو بكر بن مُشليون، والمقرئ أبو عبد الله بن مُسْتَقُور الطائِي، والأستاذ أبو جعفر الطَّبَّاع، وأبو الحسين بن أبي الربيع، والمحدث أبو عبد الله بن عِيَّاش، والأستاذ أبو الحسن السَّفَّاج الرُّنْدِي، والخطيب بالمرية أبو الحسن الغَزَّال. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رُزَيْق الشَّافعي، والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطُّبري، وأبو اليُمْن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات، المعروف بالنجم، والحسن بن هَبَّة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطُّبري، إمام الخليل، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطُّبري، ومحمد بن علي بن وَهَب بن مُطِيع القُشَيْرِي، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطُّبري المكي الشَّافعي وغيرهم.

ميلاده: بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة.

وفاته: بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شيء من أعماله المقررة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، ومُلازمة الإقراء والرواية، والصبر على الإفادة.

حَدَّث من يُوثق به أنَّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، وهو في حال النَّزْع، والمَيَّة تُحَشِّر في صَدْره، فقال: يا والدي، أوصني، فقال، وعيناه تدمعان: يا ولدي، اتَّق الله حيث كنتَ واتَّبع السُّبَّة بالحسنة تَمَجِّها، وخالق الناس بِخُلُقٍ حسن.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البَلْفَيْقِي^(١)

ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات. وقد مرَّ في ذكر النَّسَب المُتَّصِل بعباس بن مرداس، والأولَّية النَّبِيَّة ما يُغني عن الإعادة.

(١) نسبة إلى بَلْفَيْق Vellefique، وهي بلدة تابعة لمدينة ألمرية. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٤٨) بتحقيق عنان.

حاله: من خطّ ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبني في بعض ما كتب به إليّ: ذكر أبي، وهو ممن طلبتم ذكره إليّ في أخباره جزءاً من نحو سبعين ورقة في المشقوم، لخصت لك من مبيضته ما يذكر:

نشأ، رحمه الله، بسبّنة على طهارة تامة، وعفة بالغة وصون ظاهر، كان بذلك علماً لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقرئات السبع، وحفظ ما يذكر من المبادئ، وأتم بالطلب. ثم تانت نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى التي اعتلق بها سلفه، فنبذ الدنيا، وأقبل على الآخرة، وجرى على سنن المتّقين، أخذاً بالأشدّ من ذلك والأقوى، طامحاً بهمته إلى أقصى ما يؤمله السالكون، فرفض زي الطلبة، ولبس الخشنية، وترك ملابسة الخلّ بالجملة، وبالح في الانقباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات سبّنة وجبالها، وخصوصاً بمينائها، وعكف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحاً في الأرض، على زي الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، وورد المرية، مستقرّ سلفه، وأخذ في إثار بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من الثبّل والإخبار. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخُدّانه، صواماً، قواماً، خاشعاً، ذاكراً، تالياً، قولاً للحق، وإن كان مرّاً كبيراً في إسقاط الثّصنع والمباهاة، لا يضاهي في ذلك، ولا يسوّى غباره. وقدم على غرناطة، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتك؟ فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله، فعاز على من انتسب إليه أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر وقد اشتدت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوّهم، وقدم على ملكه، ووعظه موعظة أغنف عليه فيها، فأنفعل لموعظته، وأجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، وغزا بها، وأقام بها ما شاء الله، وتادب الروم لو تمّ المراد، قال: وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل عليّ كانت يده ترعّد في يدي، إلّا هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعّد في يده عند مصافحته.

كراماته: وجلب له كرامات عدّة، فقال في بعضها: ومن ذلك ما حدّثني الشيخ المعلم الثقة أبو محمد قاسم الحضار، وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، والسفر معه إلى البادية، فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدّثني أهل وادي الزرجون، وهو حش^(١) من أعمال سبّنة، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا، هذا لفظه، فلما استقرّ في

(١) الحش: البستان. محيط المحيط (حش).

رأس العقبة المشرفة على الوادي، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسداً كبيراً جداً قد تعرّض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله، فلما سمع الصياح قال: ما هذا؟ ف قيل له: أهل القرى يصيحون عليه خيفةً من السبع، قال: فأعرض عنهم بيده، ورفع حاجبه كالمُتكبر على ذلك، وأسكتهم، وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب، وقال له: من ههنا، من ههنا، أخرج عن الطريق، فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، وأجازه والده أبو إسحق إجازة عامة. ومن شيوخه القاضي المُسنُّ أبو عبد الله الأزدي، والمحدث أبو بكر بن مشليون، وأبو عبد الله بن جُوهر، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس بن عبد الملك، وأبو إسحق بن عياش، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية، وأبو بكر القرطبي حميد، وأبو إبراهيم الطرسي، والقاضي أبو عبد الله بن عياض، والكاتب أبو الحسن الرُعيني، وأبو الحسن الشّاري، وأبو يحيى بن الفرس، وأبو إسحق بن عبيد الله، وأبو الحسن الغزّال، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء. ومن أهل العُدوة كابي يعقوب المحاسبي، وابن قُرتون، وغيرهما^(١).

محتته: نُمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرى به ملك المغرب، وتخلّص بعد لأي في خبر طويل، وانتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمختص^(٢)، واستمرّ، وذلك إلى دولة والده، وامتنح السّاعون به، فعجل الله عقوبتهم.

مولده: قال شيخنا: نقلت من خط أبيه ما نصّه: وُلد ابني أبو بكر محمد، أسعده الله ووفّقه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستمائة.

وفاته: قال: ألفت بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شبرين، وكان ممن حضر جنازته بسبّنة، وكانت وفاة الفقيه النّاسك السّالك الصّالح أبي بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث أبي إسحق السلمي البلقيني في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستمائة، بمخروسة سبّنة، ودفن إثر صلاة العصر بجبّانة الخروبة من منارتها بمقبرة من قبر ريحان الأسود العبد الصّالح، نفع الله به. وصلى عليه الإمام أبو عبد الله بن حُرَيْث.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

(٢) المختص: المستخلص، وهو الأملاك السلطانية.

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك
ابن إبراهيم بن يحيى بن عباد النّفري^(١)

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاجّ الصّوفي.

حاله: نشأ ببلده رُنْدَة، وهو من ذوي البيوتات الأصيلة بها، ثم رَحَلَ إلى المشرق، ولقي العلماء والصّوفية، وحضر عند المشيخة، ثم كَرَّ إلى الأندلس، فتصوف، وجال في الثّواحي، وأطرح السّموت، وفوّت ما كان بيده من متاع الدّنيا، وكان له مالٌ له خطر، وألقى التّصنّع لأهله رأساً. وكان فيه تَوَلُّه وجِدَّة، وله ذهنٌ ثاقب، يتكلم في المعقولات والمنقولات، على طريقة الحُكماء والصّوفية، ويأتي بكلّ عبارة غريبة، وأثاره هائلة من غير تمكّن عِلْم، ولا وثاقة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلّا حَسَنًا، وهو مع ذلك طَوَّاف على البلاد، زوّار للرُّبَط، صَبَّار على المجاهدة طَوْعًا وضرورة، ولا يسأل ثيابًا البتّة إلّا بذلّة من ثوب أو غيره، صدقةً واحد في وقته.

محنته وفضله وشعره: نُمي عنه كلامٌ بين يَدَي صاحب المغرب، أَسِفَ به مُدبّر الدولة يومئذ، فأشخص عند إياه إلى رُنْدَة وسُجِن بسِجْن أَرْباب الجرائم، فكتب إلى وليّ الأمر: [الطويل]

تركتُ لكم عزَّ الغنى فأبَيْتُمُ وأن تتركوني للمذلة والفقر
ونازعتموني في الخمول وإنه لذي مُهْجتي أخلى من البنى والأمر

ثم قال: يا مَنْ رمانى بِسَهْمِهِ الغربُ، قد رُدَّ عليك مَخْضُوبًا بالدّم. قال: فوالله ما مرّت ثلاثة، حتى نفذ حُكْمُ الله فيمن عدا عليه.

وشعره حسن يدلّ على طبع مَعِين، فمن ذلك: [الكامل]

سُرَى يُسِيرُ إِلَيَّ أَنْكَ تَارِكِي نَفْسِي الْفِدَاءَ لِلطُّفَيْكَ الْمُتَدَارِكِ
يا مالكي وليّ الفخارُ بأنني لك في الهوى ملكٌ وأنتُك مالِكي^(٢)
الشُّرْكُ هَلْكَ فاعفِني منه وعذ بالوَضْلِ تُحيي ذا^(٣) مُعِجِبٌ هَالِكِ

(١) ولد ابن عباد النّفري برنده عام ٧٣٣ هـ وتوفي عام ٧٩٢ هـ، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٤٠) ونيل الابتهاج (ص ٢٨٧) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٨).

(٢) في الأصل: «مالك» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «ذما» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

إِنْ لَمْ تُعِذْهُ إِلَيَّ مَنْ لِّلْهَالِكِ؟
فَتَيْنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكَ أَوْ نَاسِكَ
ذَاكَ الْجَمَالِ جَلَا الظَّلامِ الْحَالِكِ؟
تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلْ قَصْدُ السَّالِكِ
فَهَجَرْتَنِي فَكُسِبْتُ ثُوبَ الْهَاتِكِ
مَا حَاكَهُ لَلْبَشَرِ كَفُّ الْحَائِكِ
وَاهْتِكِ وَصِلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ كُنْ تَارِكِي^(٢)
تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَيْلُكَ تَرَكَ الْمَالِكِ

وَأَعِذْ جَمِيلًا فِي الْهَوَى عَوِذْتَنِي
يَا مُثْيِي الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ
آتِيهِ^(١) دُونَكَ أَوْ أَحَارْ وَفِي سَنَى
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ
وَلَقَدْ عَرَفْتُ بَسْتَرِ سَرِّي فِي الْهَوَى
مَا السُّتْرَ إِلَّا مَا يَحُوكُ رِضَاكَ لَا
مَا الْفَضْلَ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ قُضُنْ
مَا لِي سِوَى حُبِّكَ يَا حُبِّي فَدَعْ

وَقَالَ أَيْضًا^(٣): [الكامل]

هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتْهُ مِنْ نُعْمَانِهِ؟
عَنْ أَجْرِجِ الْعَلَمِينَ أَوْ سُكَّانِهِ
حُضْنِي فِيهِ الْبُرْءُ مِنْ أَشْجَانِهِ
مَنْ قَدْ رَوَاهُ^(٤) وَحَبِّذَا بَبِيَانِهِ
وَيَعِزُّ قَدْرُ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ
ذُقْتُ الْهَوَى وَتَجَوَّزْتُ مِنْ عُدْوَانِهِ
أَنْبَاتُهُمْ بِلِسَانِ حَالِ كِيَانِهِ^(٥)
وَيَقْلُ بَذَلُ دُمَائِي فِي تَبْيَانِهِ
بَشْدًا^(٦) حُزَامَاهُ وَطَيْبِ لِيَانِهِ^(٧)
وَيَسْقُمُهُ^(٨) سُقْمِي فِدَيْتُكَ عَائِهِ
شَوْقًا لِنَفْحَةِ نَسَمَةٍ^(٩) مِنْ بَانِهِ
عَنْ خُسْرِ مِنْ أَهْوَاهُ أَوْ إِحْسَانِهِ^(١٠)

هَذَا الْعَقِيقُ قَسَلٌ مَعَاطِفَ بَانِهِ
وَأَسْأَلُهُ إِنْ زَارْتُهُ مَاذَا أَخْبَرْتُ
وَأَصِيحُ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعِذُهُ لَدِ
يَا حَبِّذَا ذَاكَ الْحَدِيثِ وَحَبِّذَا
وَسَقَى الْإِلَهَ زَمَانَهُ وَمَكَانَهُ
يَا سَعْدُ، سَاعِذْ مُسْتَهَامًا فِيهِ لَا
وَأَصِيحُ لِمَا يَنْتَلُو^(١١) الْوُجُودَ عَلَيْكَ مِنْ
وَأَبْنُهُ لِي وَاقْبَلْ دُمَامِي بِشَارَةٍ
وَسَلِ النَّسِيمَ يَهْبُ مِنْ وَادِيهِمْ
أَزْحَمُ بِرُوحٍ مِنْهُ رُوحِي تُخَيِّهِ
وَيَنْشُرُهُ أَنْشُرْ نَفْسَ مُشْتَاقٍ قَضَتْ
يَا سَعْدُ، حَدَّثَنِي فَكَلِّ مُخْبِرٍ

(١) في الأصل: «آيته» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تارك» بدون ياء.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤١ - ٤٢).

(٤) في الأصل: «رفاه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٥) في الكتيبة: «يجلوه». (٦) في الكتيبة: «بيانه».

(٧) في الأصل: «شذا» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٨) في الأصل: «لبانه» بالباء الموحدة، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٩) في الأصل: «ويسقمه» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الكتيبة الكامنة (هبة). (١١) هذا البيت غير وارد في الكتيبة الكامنة.

يا سَعْدُ، حَدَّثَنِي حَدِيثًا^(١) عَنْهُمْ
يا سَعْدُ، طَارِخِيهِ وَاِمْلَأْ بِسَمْعِي
أَنَا فِي الْغَرَامِ أَخُوكَ حَقًّا وَالْفَتَى
قُلْ كَيْفَ وَاَدِي وَذُ^(٢) سَكَّانَ الْحَمَى
هَلْ قُلِّصْتُ أَيْدِي الثَّوَى مِنْ ظِلِّهِ؟
وَهَلِ الرِّبُوعُ أَوَاهِلُ بِجَمَى لَهُمْ^(٣)
وَهَلِ التَّقَى بَانَ عَلَى عَهْدِ الثَّوَى^(٤)
فَبَرَوْضٍ أَنْسَهُمْ عَهْدُ^(٥) نَضَارَةٍ
وَأَرَى هَجِيرَ الْهَجِيرِ أَذْبَلَ يَانَعًا
وَأَحَالَ حَالَ الْأَنْسِ فِيهِ وَخَشَةً
آهًا وَالْهَفَى وَوَنَحَى أَنْ مَضَى
وَبَأَجْرُعِ الْعَلَمَيْنِ مِنْ شَرْقِيهِ
حَازَ الْمُحَاسِنَ كُلَّهَا فَجَمَعَنَ لِي
وَزَهَا عَلَيَّ بَعْرَةً^(٦) فَبِوَاجِبِ
وَقَضَى بَانَ أَقْضَى وَلَيْتَ بِمَا قَضَى
وَاخْتَارَ لِي أَنْ لَا أَمِيلَ لَسَلُوةٍ
يَا عَاذِلِي أَوْ نَاصِحِي أَوْ لَائِمِي
غَلَبَ الْغَرَامُ وَعَزَّ سُلْطَانُ الْهَوَى

وَيَجْلُ قَدْرُ الْحُبِّ عَنْ نِسْيَانِهِ
مِنْ سِرِّهِ إِنْ شِئْتَ أَوْ إِعْلَانِهِ
لَا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ عَنْ^(٧) إِخْوَانِهِ
وَمُنَى أَمَانِيهِ وَرَوْضُ لِسَانِهِ؟^(٨)
أَوْ مَا جَرَى هَلْ عَاثَ فِي جَرْيَانِهِ؟
فَسَقَى^(٩) الرِّبُوعَ الْوَدْقَ^(١٠) مِنْ هَتَائِجِهِ؟
وَهَلِ الثَّوَى يَلُوي بِعَوْدِ زَمَانِهِ؟
نَزَّهْتُ مِنْهَا الطَّرْفَ^(١١) فِي بُسْتَانِهِ
مِنْهُ وَأَذَوَى الْعُضْضَ مِنْ رِيحَانِهِ
وَطَوَى بِسَاطِ الْأَنْسِ فِي هِجْرَانِهِ
عَهْدُ عَرَفْتُ الْأَنْسَ فِي أَزْمَانِهِ
حُبُّ غِذَائِي حُبُّهُ بَلْبَانِهِ
كُلُّ الْهَوَى فَحَمَلْتُ^(١٢) كُلُّ هَوَانِهِ
أَزْهَوُ^(١٣) بِذَلِّي فِي يَدَيِّ سُلْطَانِهِ
يَرْضَى فَطِيبُ الْعَيْشِ فِي رِضْوَانِهِ
عَنْ حُبِّهِ فَسَلُوتُ عَنْ سُلْوَانِهِ
تَبْغِي السُّلُوءَ وَلَاتِ حِينَ أَوَانِهِ
فَالْكُلُّ فِيهِ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَانِهِ

(١) في الأصل: «... حَدَّثَنِي فَكُلَّ حَدِيثٍ عَنْهُمْ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «مِنْ» والتصويب من الكتيبة. (٣) في الكتيبة الكامنة: «وَادٍ».

(٤) في المصدر نفسه: «أَمَانَهُ».

(٥) في الأصل: «بِجَمَالِهِمْ» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «فَسَقَى لِلرِّبُوعِ...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) الْوَدْقُ: المطر. (٨) في الكتيبة «الْهَوَى».

(٩) في الأصل: «عَمِدْتُ» والتصويب من الكتيبة. (١٠) في الكتيبة «الْقَلْب».

(١١) في الكتيبة الكامنة: «وَحَمَلْتُ».

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «بِعِزَّة».

(١٣) في الكتيبة الكامنة: «أَزْهَى».

فعلامَ تَغْتِيبُ مُسْتَهَامًا، كُلُّ مَا^(١)
 دَغَّ عَنْكَ لَوْمِي إِنِّي لَكَ نَاصِح
 وإذا الفتى قام الجمالُ بِعُذْرِهِ
 من سام قلبي في هَوَاهِ سَلْوَةٌ
 وقال في الغرض المذكور^(٢): [البسيط]

يا لِلرُّجَالِ، أَلَا حِجْبٌ يَسَاعِدُنِي
 عُيَيْتٌ فِيهِ وَمَا أَجَدْتُ مُغَالِبَتِي
 رَكِبْتُ لُجَّتَهُ وَخَدِي فَأَذْهَشَنِي
 وَاضِيعةُ العُمرِ والبُلُوِّ مَضَاعِفَةٌ
 وَالْهَفَ نَفْسِي إِنْ أَوَدْتُ وَمَا ظَفِرْتُ
 فَلَيْتَ^(٣) شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقُضِي طَمَعًا
 هَلِ الْأَلَى^(٤) مَلَكُوا رِقِي وَقَدْ عَلِمُوا
 فَكَمْ أَكْفَكَفَ دَمْعِي بَعْدَهُمْ وَأَرَى
 وَكَمْ أَمْرٌ عَلَى الْأَطْلَالِ أُنْدِيهَا
 وَفِي الْفَوَادِ لَهُمْ مَا لَيْسَ يَغْلُمُهُ
 أَهْمِي الْمَدَامِخَ كَنِّي أُرَوِّى فَتَغْطِشُنِي
 وَكُلُّ مَنْ لَمَحَتْ عَيْنِي أَسْأَلُهُ
 يَا أَهْلَ تَجْدٍ وَفَخْرِي^(٥) أَنْ أَحْبَبُّكُمْ
 هَلِ لِلْهَوَى^(٦) مِنْ سَبِيلٍ لِلْمُنَى فَلَقَدْ

فِي ذَا الْغَرَامِ فَأَبْكِيهِ وَيَبْكِينِي^(٧)
 وَهَنْتُ وَالصَّبُّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْهَوَنِ
 وَمِثُّ^(٨) فِي يَدِهِ فَرْدًا فَدُلُونِي^(٩)
 مَا بَيْنَ يَأْسٍ وَأَمَالٍ تُرَجِّجُنِي^(١٠)
 فِي ذَا الْهَوَى بَتَمَنُّ أَوْ بَتَأْمِينِ
 فِي ذَا الْهَوَى^(١١) بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمَغْلُوبٍ
 بِذَلَّتِي^(١٢) وَافْتِقَارِي أَنْ يُوَاسُونِي؟
 مُجَدِّدًا نَارَ يَأْسِي وَهِيَ تُبْلِيْنِي
 وَبِالْمَنَازِلِ مِنْ خَيفٍ وَدَارِينَ
 هُمْ، عِلْمُهُمْ بِالْحَالِ يَكْفِينِي
 وَالزَّمُّ الذَّكْرَ لِلْمُسْلُوى فَيُشْجِينِي
 عَنْهُمْ فَيُغْثِرِي بِهِمْ قَلْبِي وَيُغْثِرِينِي
 لَا أَطْلُبُ الْوَضْلَ عَزَّ الْحَبِّ يُغْنِينِي
 عَزَّتْ أَمَانِيهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

(١) في الأصل: «كَلَمًا» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «شِيمَانَهُ» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤٣).

(٤) في الأصل: «وَبِكِينِ» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «وَتَهَتْ».

(٦) في الأصل: «فَدُلُونِ» بدون ياء.

(٧) في الكتيبة الكامنة: «وَلَيْتَ».

(٨) في الأصل: «تَرْجِينِ» بدون ياء.

(٩) في الكتيبة: «فِي الْحَبِّ مَا بَيْنَ...».

(١٠) في الأصل: «الْأُولَى» والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «بِذَلَّتِي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «وَمَجْدِي».

محمد بن يوسف بن خَلصون

يكنى أبا القاسم، روطي^(١) الأصل، لوشية^(٢)، سكن لَوْشَة وغرناطة ومالقة.

حاله: كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلاً، مُنقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحراً في الإلهيات، إماماً في طريقة الصوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة والطلاوة، قائماً على القرآن، فقيهاً أصولياً، عظيم التخلق، جميل العشرة. انتقل من حصن رُوطَة إلى الخطابة والإمامة بلَوْشَة، كثير الدؤوب على النظر والخُلوة، مقصوداً من مُتجلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفة ممن شأنها الغضُّ من مثله، فانزعج من لَوْشَة إلى مالقة، فتحرف بها بصناعة الطب، إلى حين وفاته.

حدثنني والدي، وكان خبيراً بأحواله، وهو من أصحاب أبيه، قال: أصابَت الناس شدة فُحْط، وكانت طائفة من أصداده تقول كلاماً مُسَجَّعاً، معناه: إنكم إن أخرجتم ابن خَلصون من بينكم، مُطَرْتَم. قال: فانزعج عنها، ولما كان على آميال نزل الغيث الرغد، قال: فسجد بموضعه ذلك، وهو معروف، وقال: سيدي، وأساوي عندك هذا المقدار، وأوجب شُكْرًا. وقدم غرناطة، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرُّقُوطي، وله استيلاء على الحُظوة السلطانية، وشأنه اختبار مَنْ يرد على الحضرة ممن يحمل قُتًا، وللسلطان على ابن خَلصون مودة، لمدحه في حدائته أحد الثوار عليه بقمارش^(٣)، بقصيدة شهيرة. فلما حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال: التصوف، فالتفت إلى السلطان وقال: هذا رجل ضعيف لا شيء لديه، بحيث لا يُفَرِّق بين الصَّناعة وغيرها، فصرفه رحمه الله.

توالياه: وتوالياه كثيرة، تدل على جلالته وأصالته معرفته، تنطق عِلْمًا وحكمة، وتروق أدبًا وظرفًا. فمن ذلك كتابه في «المحبة»، وقفت عليه بخط جَدِّي الأقرب سعيد، وهو نهاية. وكتاب «وصف السلوك»، إلى ملك الملوك، عارض به مغراج

(١) نسبة إلى روطَة: Rueda، وهي حصن يقع شمال مدينة شريش. وهي غير روطَة أحد حصون سرقسطة.

(٢) نسبة إلى لَوْشَة Loja، وهي مدينة بالأندلس، بينها وبين البيرة ثلاثون ميلًا. الروض المعطار (ص ٥١٣).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

الحاتمي، فبان له الفضل، ووجبت المزيّة، ورسالة «الفَتْق والرُّتق»، في أسرار حكمة الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العُشّاق
والْبَيْنُ يَكْتُبُ مِنْ نَجِيعِ دُمَائِهِمْ
لو كنتَ شاهدَ حالِهِمْ يومَ التَّوَي
منهم كَيْثٌ لا يَمَلُّ بِكَأُوهِ
وَمُحَرِّقُ الْأَحْشَاءِ أَشَقَلَ نَارَهُ
وَمُؤَلَّةٌ لا يَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ
خَرَسَ اللِّسَانُ فَمَا يُطِيقُ عِبَارَةً
ما لِلْمَحَبِّ مِنَ الْمَثُونِ وَقَايَةً
مولاي، عَبْدُكَ ذَاهِبٌ بِغَرَامِهِ
إِنِّي إِلَيْكَ بِذِلَّتِي مَتَوَسِّلٌ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

أَعِدِ الْحَدِيثَ إِذَا وَصَفْتَ جَمَالَهُ
يا وَاصفِ الْمَحْبُوبَ كَرَّرَ ذِكْرَهُ
فَيَذْكُرُ مِنْ أَفْوَى وَشَرَحَ صِفَاتِهِ
طَابَ السَّمَاعُ بِوصْفِهِ لِمَسَامِعِي
قَلْبِي يَلْدُ مَلَامَةً فِي حَبِّهِ
يا عَاذِلِي أَوْ مَا تَرِقُّ لِسَامِرِ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبَّنَا وَهَوَانَا
فَاسْجُرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا
قَلْتُخْمِلَنَّ مَذَلَّةً وَهَوَانَا
وَاعْضَبْ عَلَيْهَا إِنْ طَلَبْتَ رِضَانَا

(١) في الأصل: «ويلاق» بدون ياء.

(٢) أصل القول: «فأدرك»؛ لأن الفعل رباعي، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا همزة القطع وجعلناها همزة وصل.

(٣) في الأصل: «الباق» بدون ياء.

واخلع فؤادك في طلاب ودادنا
 فإذا قَنِيت عن الوجود حقيقةً
 أو ما عَلِمْتَ الحب فيه عِبْرَةً
 وابذل لُبَابِكَ إِنْ وَقَفْتَ ببابنا
 ما نَغْلَعُ ما حَاجِرُ ما رَامَةٌ
 إِنْ الْجَمَالُ مُخَيِّمٌ بِقِبابنا
 نحن الأَجِبَةُ مِنْ يَلْذُ بِقَنَائنا
 نحن المَوَالِي فَاخْضَعْنَ لِعَزُنَا^(١)
 إِنْ السُّذُلُ لَلتُّذُلِ يَسْخَرُ
 واصبرِ على ذُلِّ المحبَّة والهوى
 تُون الهَوَانِ مِنَ الهوى مسروقةً

ومن لطيف كلامه ورقيق شعره: [الرمل]

لو خيالٌ من حَبِيبِي طَرَقَا
 ونسيمُ الريح منه لو سَرَى
 ومتى هُبْتُ عَلَيَاثِ الضُّبَا
 عَجَبًا يَشْكُو فؤادي في الهوى
 يا أَهْيَلُ^(٢) الحَيِّ، لي فيكم رِشَا
 بَدْرُ تَمِّ طَالَعِ أَشْمَرِهِ
 راق حُسْنًا وجمالًا مثلما
 أَنَسَ^(٣) الشمسَ ضِيَاءَ ذَهَبَا
 حُلِّلَ الحُسْنُ عَلَيْهِ خُلِقَتْ
 ومن شعره: [البسيط]

دعوتُ من شَفَتِي رِفْقًا على كَبْدِي
 قلت الخيالُ ولو في الثَّومِ يَقْنَعُنِي
 فقال لي: خُلِقَ الإنسانُ في كَبِدِ
 فقال: قد كَحَلْتُ عَيْنَاكَ بِالشُّهْدِ

(١) في الأصل: «لَعَزُنَا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) في الأصل: «فَهْنُ»، وكذا ينكر الوزن. (٣) في الأصل: «يا أهل»، وكذا ينكر الوزن.

(٤) في الأصل: «أَنَسَ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فقلت: حَسْبِي بقلبي في تذكُّره
قلت الوصال حياتي منك يا أُملي
فقلت: أَهْلًا بما يَرْضَى الحبيبُ به
فقال: لي القلبُ والأفكارُ ملكٌ يدي
قال الوصال فراق الروح للجسد
فإنَّ قلبي لا يَلُوى على أحد
ومن أقواله الصوفية، وكلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]

رَكِبْنَا مطايا شوقنا نَبْتَغِي السُّرى
وعَيْنُ الدُّجَى قد نام لم يَذَرِ ما بنا
إلى أن رأينا اللَّيْلَ شابَ قَدَّاله
لَمَخْنَا برأس البُغْد نازًا منيرة
وأَفْضَى بنا السَّيْرُ الحِيثُ بِسُخْرَةٍ
فلَمَّا حَلَلْنَا حَبْوَةَ السَّيْرِ عنده
وحَرَّكَ ناقوسًا له أَعْجَمَ الصُّدا
وقال لنا: حُطُّوا حَمِدَتْكُمْ مَسِيرَكُمْ
نَعِمْتُمْ صَبَاحًا ما الذي قد أتى بكم
وراحَتنا في الرِّاحِ إن كنت بائعًا
فقال لكم: عندي مُدَامَ عَتِيقَةٍ
مُشْغِشَةً كالشَّمْسِ لَكِنْ تَرَوُحَتْ
وحلَّ لنا في الحين حُثْمُ فِدَائِهَا
وقلنا: مَنْ السَّاقِي فلاح بوجهه
وأشْعَلْنَا عن خَمْرِهِ بِجَمَالِهِ
ومن شعره في المعنى: [البسيط]

يا نائِمًا يطلب الأسرارَ إِسْرارًا
أرجع إليك ففِيكَ المُلْكُ مُجْتَمَعٌ
أنت المِثَالُ وكُرْسِي الصِّفَاتِ قُتَّةٌ
والطُّورُ والدُّرُّ منشورًا وقد كَتَبَتْ
فيك العيان وتَبْغِي بَعْدَ آثارا
والفُلُكُ والفُلُكُ العُلُوي قد دارا
على العوالمِ إِعْلَانًا وإِسْرارًا
أقلامٌ قُدِّرَتْه في اللُّوحِ آثارا

(١) عجز البيت مثل يضرب لمن يحتمل المشقة وجاء الراحة، ويضرب أيضًا في الحق على مزاوله الأمر والصبر. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣).

والبيت يغمره سر الملائك في
ورفع الله سقفاً أنت تسكنه
وبخر فكرك مسجور بجوهره
فإن رأيت بوادي القدس ناز هدى
واخلع لسمع الندا نعلينك مفتقرا
وغيب عن الكون بالاسماء متصفا

مِشْكَاةَ قَلْبِكَ قَدْ أَسْرَجْنَ أَنْوَارَا
سَمَاؤُهُ أَطْلَعَتْ شَهَبًا وَأَقْمَارَا
فَعُضَّ بِهِ مُخْرِجًا لِلدُّرِّ أَسْرَارَا
فَأَثْبَتَ قَنُورَكَ فِيهَا مَازِجَ النَّارَا
إِلَى الْمُنَادِي تَنَلَّ عَزًّا وَإِكْبَارَا
وَاطْلُبْ مِنَ الْكُلِّ رَبَّ الدَّارِ لَا الدَّارَا

ومن ذلك في هذا المعنى : [الطويل]

أطالب ما في الروح من غامض السر
عرضت لعلهم أبهم الشزع بابه
ولكن خبيراً قد سألت محققاً
وبين يدي نخواك قدّم وسيلة
ولا تلتفت جسماً ولا ما يخصه
وخذ صورة كلية جوهرية
ولكن بمرآة اليقين تولدت
كذلك لم تحدث وليست قديمة
ولكن بذات الذات كان ظهورها

وقارع باب العلم من عالم الأمر
لكل جهول للحقائق لا يذري
فدونك فانظم ما نثرت من الدر
تقى الله واكتم ما فهمت من السر
من الجس والتخييل والوهم والفكر
تجل عن التمييز بالعكس والسبر
وليست بذاتي إن سألت ولا غير
وما وصفت يوماً بشفع ولا وتر
إذا ما تبدت في الدجى غرة الفجر

ومن هذا الغرض قوله : [الطويل]

مُشَاهِدَتِي مَعْنَاكَ، يَا غَايَتِي، وَقَتَّ
مُقَامِي بِقَائِي عَاكِفًا بِجَمَالِكُمْ
لَسُنَّ حَالَتِ الْأَحْوَالِ دُونَ لِقَائِكُمْ
وَإِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى خَانَ عَهْدَهُ
وَمَا لِي رَجَاءَ غَيْرُ ثَنِيلٍ وَصَالِكُمْ
نَعَمْ إِنْ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْأَنْسِ بَارِقُ
وَمَهْمَا تَذَكَّرْتُ الْعِتَابَ يَهْزُنِي
تَوَاجَدْتُ حَتَّى صَارَ لِي الْوَجْدُ مَشْرِبَا
فَهَا أَنَا بَيْنَ الصَّخَوِ وَالْمَخَوِ دَائِرُ

فَمَا أَشْتَكِي بُغْدًا وَحُبًّا لِي نَعْتُ
فَكُلُّ مُقَامٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِي نَحْتُ
فَلَأْنِي عَلَى حُكْمِ الْمَحَبَّةِ مَا حُلْتُ
فَلَأْنِي وَأَيْمُ اللَّهِ عَهْدِي مَا خُنْتُ
وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ قُوْتُ
يُحَرِّكُنِي بَسْطُ بِهِ نَحْوَكُمْ طَرْتُ
لَهَيْبَتِكُمْ قَبْضُ يَغِيبُ بِهِ الثُّغْتُ
وَلَا حَ وَجُودَ لِلْحَقِيقَةِ إِذْ غَبْتُ
أَقُولُ: فَلَا حَرْفَ هُنَاكَ وَلَا صَوْتَ

قُصُودي إليكم والورودُ عليكم
وفي غَيْبَتِي عَنِّي حضوري لديكم
وفي فُرْقَتِي الباني بحقَّ جَمَعَتْنِي
تَجَلَّيْتُ^(٢) لي حتى دَهَشْتُ مهابة
مواردُ حقٍّ بل مواهبُ غاية
لوائح أنوار تلوح وتختفي
ومَهْمَا بدت تلك الطَّوَالعُ أَدَهَشْتُ
وهيهات هَيَبَات الجلال تردُّني
تَسْفَنُ جبالي فهي قاعٌ وَصَفَصَفَ^(٣)
ولي أدمعُ أَجْجَنُ نارَ جَوَانِحِي
ألا فانظروا قَلْبَ العيان حَقِيقَةً
مراتبُ في الثَّلَوِينِ نِلْتُ جميعَها
وعند قيامي عن فَنَائِي وجدتكم
ورودٌ وشربٌ ثم لا رَيَّ بعده
شربْتُ كَنَاسَ^(٤) الوجودِ مُدَامَةً
وكيف وأقْداحُ العَوَالِمِ كُلِّها
تَغَلَّقَ قومٌ بالأواني وإِنِّي
وأَرْضَعْتُ كَأَسَا لم تُدَنَّسْ بمزجها
شرباً بها الأبرارُ طاب مزاجُهُمْ
بها آدمُ نال الخِلافةَ عندما
وَنَجَتْ لنوحٍ حينَ فرَّ لِفُلْكِه

ومنكم سُهودي والوجودُ إذا عُدْتُ^(١)
وعند امتحان الرُّسْمِ والمخو أُنْبِتُ
وفي جَمْعِ جَمْعِي في الحَقِيقَةِ فَرَّقْتُ
ولما رَدَّدْتُ اللَّخْظَ بالسُّرِّ لي عِشْتُ
إذا ما بَدَتْ تلك البداءةُ لي تُهْتُ
ولكنْ وميضُ البَرْقِ ليس له تُبْتُ
وإنْ غُيِّبَتْ تلك اللُّوَامِعُ أَظْلَمْتُ
وعند التَّجَلِّي لا محالة دَخَدَكْتُ
وليس يُرى فيهنَّ زِيغٌ ولا أَمْتُ
ولي نَفْسٌ لولاه من حُبِّكم ذُبْتُ
فَنَائِي وَجُودِي^(٤) والحياة إذا مَتَّ
وفي عالم التَّمَكِينِ عن كُلِّها بِنْتُ
فلا رُتْبَةً عُلُوِّيَّةَ فوق ما نِلْتُ
لئن كنت أزوَى من شَرَابِكَ لا كنتُ
فلسْتُ أَجَلِّي عن ورودٍ متى شئتُ
ولكنني^(٦) من صاحب الدَّيْرِ أُسْكِرْتُ
جَمال المعاني لا المغاني عُلِمْتُ
وقد نِلْتُهَا صِرْفًا لِعَمْرِي^(٧) ما ضِغْتُ
وأَرْضَعْتُهَا صِرْفًا لَأَنِّي قُرَيْتُ
تَبَدُّتْ له شمسًا لها نحوه سَمْتُ
ومن بان عن أسرارها لي^(٨) عَمَد الموت

(١) في الأصل: «عِدْتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تجليته» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «صفصف» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «وجودي» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل: «أكواس»، وكذا ينكسر الوزن، ثم إن كأس تجمع على أكؤس وكؤوس وكئاس. لسان العرب (كأس).

(٦) في الأصل: «ولكنني» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «... صرفًا فيا لعمري...» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٨) كلمة «لي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

وقد أخمَدَتْ نَارَ الْخَلِيلِ بنورها وكان لِمُوسَى عن أشتعتها بُهت
 وَهَبَتْ لروح الله روحُ نَسِيمِها فأَبْصَره الأعمى وكَلِمه المَينَت
 وسار بها الْمُخْتَار سيري لربِّه إلى حيثُ لا فَوْقُ هناك ولا تَحْتُ
 هنيئًا لمن قد أَشْكُرْته بعَرفِها لقد نال ما يَبْغِي وساعده البَحْثُ
 ومن نشر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خَلِصون المترجم به، قوله من رسالة:

وصلني أيها الابن الثَّجِيب، المُخْلِص الحبيب، كتابك الناطق بِخُلُوص وُدِّكَ، ورُسُوخ عَهْدِكَ، وتلك سَجِيَّة لائقة بِمَجْدِكَ، وشِيشِيَّة تُعرف من والدك وَجَدَكَ، وَصَلَ الله أسباب سَعْدِكَ، وَأَنْهَض عزم جَدِّكَ، بِتَوْفِيق جَدِّكَ، وَبَلَّغَكَ من مَأْمُولِكَ أَقْصَى قُضْدِكَ. فلتَعْلَم أَيها الحبيب أن جَنَانِي، يَنْطَوِي لَكُمْ أَكْثَر مما يَنْشُرُه لِسَانِي، فَإِنِّي مُغْرَى بِشُكْرِكُمْ وَإِن أَعْجَمْتُ، وَمُقْصِصٌ بِجَمِيل ذِكْرِكُمْ وَإِن جَمَعَجَمْتُ، لا جَزَمُ أَنَّ الوقتَ حَكَمَ بِما حَكَمَ، واستولى الهَرَجُ فاستَحَكَمَ، حتى انْقَطَعَتِ المسالكُ، وَعَدِمَ الواردُ والسالكُ، وذلك تَمَحِيصٌ من الله جَارٍ على قُضِيَّة قِسْطِهِ، وَتَقْلِيْبٌ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ بين إصْبَعِي قَبْضِهِ وَبَسْطِهِ، حينَ مَدَّ على الخَلِيقَةِ ظِلَّ التَّلْوِينِ، ولو شاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا، ثُمَّ جَعَلَ شَمْسَ المَعْرِفَةِ لِأَهْلِ التَّمَكِينِ، عَلَيْهِ دَلِيلًا باطِنًا، ثُمَّ قَبَضَ كُلَّ الْفِرْقِ عَنْ خَاصِيَّتِهِ قَبْضًا يَسِيرًا، حتى أَطْلَعَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْأَثْسِ بَدْرًا مُنِيرًا. وَإِلَى ذَلِكَ يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى إِلَيْكَ على تَشْوِيقِهِ إِيَّاكَ إِلَى مُطَالَعَةِ كُتُبِ المَعَارِفِ، وَتَعَطُّشِكَ لِلرُّودِ على بَحْرِ اللُّطَائِفِ. وَإِنَّ الإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ^(١)، رَحِمَهُ اللهُ، لَمَنْ أَحْرَزَ خَصْلَهَا، وَأَحْكَمَ فِرْعَهَا وَأَصْلَهَا، لا يُنْكَرُ ذَلِكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَلا يَأْبَاهُ إِلَّا مُتَعَسِّفٌ جَا حِدٌ. هَذَا وَضَفُّهُ، رَحِمَهُ اللهُ، فِيمَا يَخُصُّهُ فِي ذَاتِهِ. وَأَمَّا تَعْلِيمُهُ فِي تَوَالِفِهِ، وَطَرِيقُهُ الَّتِي سَلَكَهَا فِي كَأَنَّهُ تَصَانِيفُهُ؛ فَمِنْ عُلَمَائِنَا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مَنْ قَالَ: إِنَّهُ خَلَطَ النِّهَايَةَ بِالْبِدَايَةِ، فَصَارَتْ كُتُبُهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّضَلُّلِ مِنْهَا إِلَى الْهُدَايَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْصُدْ فِيهَا إِلَّا النُّفْعَ فِيمَا أَمَّهُ مِنَ الْغَرَضِ، فَوُجِدَ فِي كُتُبِهِ الضَّرَرُ بِالْعَرَضِ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْفَقِيهَ الْحَكِيمَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطُّفَيْلِ^(٢)، قَالَ: وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ، فَإِنَّهُ مَضْطَرِبُ التَّأْلِيفِ، يَرْبُطُ فِي مَوْضِعٍ، وَيَجِلُّ فِي آخِرٍ، وَيَتَمَذَّهَبُ بِأَشْيَاءَ، وَيَكْفُرُ بِهَا، مِثْلَ أَنَّهُ كَفَرَ الْفَلَّاسِفَةَ بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْمَعَادَ

(١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفيلسوف الصوفي، ولد بطوس بخراسان سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ. وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٥٨) والرواني بالوفيات (ج ١ ص ٢٧٤).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٨١ هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

رُوحاني، وإنكارهم حَشْر الأجساد. وقد لَوَّح هو بأن ذلك مَذْهَبه في آخر كتاب «الجواهر والأربعين»، وخَرَجَ بأنه مُعْتَقِد كِبَار الصُّوفِيَّة، في كتاب آخر، وقال: إن مُعْتَقَدَه كَمُعْتَقَدِهِمْ، وأنه وقع على ذلك بعد بحث طويل وعناء شديد. قال: وإنما كلامه في كُتُبِه على نحو تَغْلِيم الجُمهور. وقد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب «مِيزَان الْعَمَل»، على أَغْلَب ظَنِّي، فإن لي من مُطالعة الكتب مُدَّة. قال: ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلَّا ما يُشَكِّك في اعتقادك المَوروث، يَغْنِي التَّقْلِيد، فإنه من لم يُشَكَّ لم يَنْظُر، ومن لم يَنْظُر لم يَبْصُر، ومن لم يَبْصُر ففي العَمَى والخَيْرَة. ثم تمثّل بقول الشاعر: [البسيط]

خذ ما تراه ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عن رُحْلٍ

وذلك أنه قَسَمَ آراءه إلى ثلاثة: رأي يُجَاب به كلُّ مُسْتَرَشِد سائل بحسب سؤاله وعلى مقدار فهمه. ورأي يُجَاب به الخاصَّة ولا يَصْرُحُ به للعامة. ورأي بيّن الإنسان ويَبَيِّن نَفْسِه، لا يَطْلُع عليه إلَّا من شريكه في اعتقاده. وأما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رُشد، رحمه الله، فإنه بالغ في ذلك مَبالغ عظيمة، وذلك في كتابه الذي وَصَف فيه مناهج أدلَّة المُتَكَلِّمين، فإنه لما تكلَّم على طُرُق الأشعرية والمُعْتَزلة والفلاسفة والصُّوفية والحشوية وما أحدثه المُتَكَلِّمون من الضَّرر في الشريعة بتوالي فهم، انْعَطَف فقال: وأما أبو حامد، فإنه طَمَّ الوادي على القُرى، ولم يَلْتَزِم طريقة في كُتُبِه، فنراه مع الأشعرية أشعريًّا، ومع المُعْتَزلة مُعْتَزليًّا، ومع الفلاسفة فيلسوفًا، ومع الصُّوفية صوفيًّا، حتى كأنني به: [البسيط]

يوما يمانٍ إذا لاقيت ذا يَمَنٍ وإن لقيت معَدِيًّا فَعَدْنانُ

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم، أن يُنْهَوْا الجُمهور عن كُتُبِه، فإن الضَّرر فيها بالذات، والمنفعة بالعرض. قال: وإنما ذلك لأنه صرَّح في كتبه بنتائج الحكمة دون مقدّماتها، وأفصح بالتأويلات التي لا يطلع عليها إلا العلماء الراسخون في العلم، وهي التي لا يجوز أن تُؤوَّل للجُمهور، ولا أن تُذكر في غير كُتُب البُرْهان. وأنا أقول: إن كتبه في الأضلين، أعني أصول الدين وأصول الفقه، في غاية الثبل والتباهة، وبَسِطَ اللفظ، وحَسَّن الترتيب والتقسيم، وقُرَّب المسائل. وكذلك كُتُبُه الفقهية والخلافية والمذهبية، التي ألَّفها على مذهب الشافعي، فإنه كان شافعيًّا المذهب في القُروع. وأما كتبه التي دَعَب فيها مذهب التصوف، فهي التي يوجد فيها ما ذُكر من الضَّرر بالعرض. وذلك أنه بَنَى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما نأدى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة، ونَسَبها إلى المُتَصَوِّفة. وقد نبّه على

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي^(١) في كتابه الذي سماه بـ «مراقي العارفين». قال: وقد دَخَلَ على السالكين ضرر عظيم من كُتُب هذا الرجل الطوسي^(٢)، فإنه تشبَّه بالصوفية ولم يَلْحَق بمذاهبهم، وخَلَطَ مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غَلِطَ الناس فيها. على أنني أقول: إنَّ باعَه في الفلسفة كان قَصِيرًا، وإنه حَذَا حَذو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد، ومَنْطِقَه الذي نقله في مِغْيَار العلم، لكنَّ قَصُرَ عنه. وتلك الاعتقادات، منها حقٌّ ومنها باطلٌ، وتلخيصه لا يتأتَّى إلَّا لِصِنْتَيْنِ من الناس، أعني أهل البرهان وأهل المُكاشفة، فبحسب ذلك تحتاج كُتُبُه إلى تَقْدِمة علوم البرهان، أو رياضة أهل المُكاشفة. ولذلك صُنِفَ هو مِغْيَار العلم؛ ليكون الناظر في كُتُبِه يَتَقَدَّم، فيتعلَّم منه أصناف البراهين، فيلْحَق بأهل البرهان. وقَدِّم أيضًا تَصْنِيف «ميزان العمل» ليكون المُرْتَاض فيه، وبه يَلْحَق بأهل المُكاشفة، وحينئذ يُنْظَر في سائر كتبه. وهذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كُتُب أبي حامد الغزالي، رحمه الله، بما يدل على تفنُّنه، وعلى اضطلاعه، رحمه الله.

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل
ابن يوسف العراقي

ثم الخَلَّاطي، ثم الأَقْشَرِي الفارسي، ويُنعَت من الثُعوت المشرقية بجلال الدين، من بلاد فارس.

حاله: كان من الصوفية المتجرِّدين من المال والعِيَال، ذا وقار وثُؤدة، وسُكون ومحافظة على ظاهره. أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشيوخ المحدثين والمُتصوِّفين، ثم قَدِّم المغرب، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعمائة، وأخذ عَمَّن بها من الشيوخ، ودخل غرناطة. وكان شافعي المذهب، يُشارك في قَرْض الشعر.

(١) هو الزاهد محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، من أشهر مؤلفاته «سراج الملوك» و«بر الوالدين». وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٩٢) والمغرب (ج ٢ ص ٤٢٤) والصلة (ص ٨٣٨) وبنية الملتمس (ص ١٣٥) وخريدة القصر - قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢١١).

(٢) المراد بالرجل الطوسي أبا حامد الغزالي الطوسي المتقدم ذكره قبل قليل.

مشيخته: أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشي بفاس، وعن أبي بكر محمد بن محمد بن قسي الموماني، ولبس الخرقه الصوفية من جماعة بالمشرق وبالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجري، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين.

تواليفه: أخذ عنه تأليفه في نحو اللغة الفارسية وشرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدي ببابه، وقد أحسن بغض من الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس، عميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المقارب]

عَبِيدُ بَابِ الْعُلَى واقف أَيْقَبِلُهُ الْمَجْدُ أم يَنْصَرِفُ؟
فإن قَبْلَ الْمَجْدِ نِلْتُ الْمُنَى ولَا فَكْذَرِي مَا أَعْرِفُ
ثم كتب على لفظه: ما من، وصححه، قال: فأذن له، واستظرف منزعه.

محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي^(١)

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن شاطر.

حاله: فقير متجرد، يلبس أحسن أطوار الخرقه، ويؤثر الاضطلاع، مليح الشبية، جميل الصورة، مُسْتَظَرَفُ الشَّكْلِ، ملازم للمسجد، مساكناً بالمدارس، محبب إلى الخواص، كثير الذكر، متردد التأوه، شارد اللسان، كثير القلنات، مُطَرِّحٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلْسُّمْتِ، ينزع إلى هدف تائه، تَشِمُ عَلَيْهِ الْقِحَّةُ وَالْمَجَانَةُ، مُقْتَحِمٌ جَمِى الْجِشْمَةِ فِي بَابِ إِيْهَامِ التَّلْيِيسِ، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، وإن قارب الانهماك، وغير مبالٍ بناقد، ولا حافلٍ بِذَامٍ، ولا حامدٍ. كلما اتبع انفراد، ومهمى استقام شرد، تطيب النفس به على غيرة، ويُحَسِّنُ الظَّنَّ بِبَاطِنِهِ عَلَى سُوءِ ظَاهِرِهِ، مليح الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع والاستغفار، فعال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن، مع عدم الحفظ، مُسْتَشْهَدٌ بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ. قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقرئ: لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدنيا، والآخر نادرتهما. أما العالم، فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الأيلي، وأما النادرة، فأبو عبد الله بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزميري كثيراً، وأبا عبد الله بن تجلات، وأبا العباس بن البنا^(٢) وإخوانهم من

(١) ترجمة محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي في نيل الابتهاج (ص ٢٤٨) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤): «البناء وأضرابه من...».

المراكشيّين ومَنْ جاورهم، واختصُّ بأبي زيد الهذليّ، وآثره وتبناه، وكان يقول له: وألقيت عليك محبةً مني، فيظهر أثر ذلك عليه، من ستر الهنات، ووضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس، وقدم على غرناطة، وتلوم بها أياماً.

تُبذ من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا وليّ مفسود، وفي هذا من التُصِفَة، وخِفَة الروح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا^(١): قلت له يوماً: كيف أنت؟ فقال^(٢): كيف أنا محبوس في الدّم. ومن حكمه: الليل والنهار حَزِينَان^(٣)، أحدهما أسود، والآخر أبيض، وقد أخذ^(٤) بمجامع الخلق إلى^(٥) يوم القيامة، وإن مرَدنا^(٦) إلى الله. ومرّ يوماً بأبي العباس^(٧) بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة، وقد ذهبَتْ به الفكرة، فصاح به، فلما رفع رأسه، قال، وله نَعش^(٨) خاطر: انظر إلى مَرْكَب عَزرائيل، قد رفع شيراعه، والنّدا^(٩) عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد الله المقرّي: وجدته يوماً في المسجد ذاكرًا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مُهِيم في روضة يَجْبُرُون، فهممتُ بالانصراف، فقال: أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا الثّاج؟ وأشار إلى المنار، مملوءاً بالله أكبر. قال: وأنشدني أبو العباس بن البنا، وكتبهما عنه^(١٠):

[الوافر]

قصدتُ إلى الوجازة^(١١) في كلامي لعلمي بالصّواب في الاختصار
ولم أخدّر فهُم^(١٢) ما دون فهمي ولكن خِفْتُ إزراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسطِ تَغْلِيْم الصغار

(١) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥).

(٢) في النفع: «فقال: محبوس في الروح، وقال: الليل...».

(٣) الحرسي: الحارس. لسان العرب (حرس). (٤) في النفع: «أخذ».

(٥) في النفع: «يَجْرانهم إلى القيامة». (٦) في الأصل: «مرنا» والتصويب من النفع.

(٧) في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥): «أبي العباس أحمد بن شعيب». وهو أحمد بن شعيب

الجزنائي، تازي الدار، نزيل قاس. توفي بتونس عام ٧٥٠ هـ. ترجمته في نثر فرائد الجمان

(ص ٣٣٥) ونيل الابتهاج (ص ٦٨) والتعريف بابن خلدون (ص ٤٨) وجذوة الاقتباس (ص

٤٧) ودرة الحجال (ج ١ ص ٢١).

(٨) قوله: «وله نَعش خاطر» غير وارد في النفع. (٩) في النفع: «وثودي عليه الطلوع يا غزي».

(١٠) ورد في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٦) صدر البيت الأول فقط.

(١١) الوجازة: الإيجار. لسان العرب (وجز).

(١٢) في الأصل: «فهو» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

قال: وأخبار ابن شاطر تحتل كُرَاسَة، قلت: رأيتُه بفاس في أخريات عام خمسة وخمسين، وهو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السبعين.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ابن الحلقاوي

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله، نَزِيل غرناطة، ويعرف بالتونسي وبابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: وليَّ الله المُجَابُ الدعوة، الظاهرُ الكرامة، المشهودُ له بالولاية. وَرَدَ الأندلس في جملة من تُجَار بلده، ويده مالٌ كبيرٌ بذله في معاملة ربِّه، إلى أن استأصله بالصدقة، وأنفقَه في سبيل الله ابتغاءَ مَرْضَاتِهِ، وتجرَّد عن الدنيا، وأخذ نفسه بالصلاة والصوم والتلاوة وكثرة السجود والتطارح على ذلك، محفوظًا في ذلك كله جِغَظَة الأولياء، مُدَكِّرًا بمن سَلَفَه من الزُّهاد، عازيًا عن الدنيا، أخذ نفسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمةً للخلق، وتمالًا للمساكين، يقصده الناس بصدقاتهم، فيبيثها في ذوي الحاجات، فيتألف في باب مسجده آلاف من رجالهم ونسائهم وصبيانهم، حتى يعيهم الرُّفْد، وتسعهم الصدقة. وكان غريبَ الأحوال؛ إذا وصل وقت الصلاة يظهر عليه البشرُ والسرور، ويدخل مَسْجِدَه الذي اِبْتَنَاه واختفل فيه، فيخلو بنفسه آخذًا في تعبدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، ويزدحم الناس حول المسجد، وأكثرهم أهلُ الفاقة، فإذا تمكَّن الوقت أذن أذانًا مُؤَثِّرًا في القلوب، جَدِيٌّ وصدقًا ووقارًا، كان صَدْرُه يَنْصُدع عند قول: لا إله إلا الله. ثم يعيدُ التَّعَبُّدَ والسُّجود في الصَّومعة وأذراجها، حتى يُفْتَح باب المسجد، وينتقل إلى صَدْر المحراب، فيصلِّي ركعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، ووقف عند المحراب، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرُّع والتملُّق والرغبة، ما لا تفي العبارة بوضفه، كأن موقفَه موقفَ أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة. فإذا أتمَّ الصلاة على أتمِّ هيئاتها، تَرى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه حُشِر من قبر، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النبي ﷺ، في كل دَعْوَة، ويتوسَّل به، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمُراقبة، وتَجَلِّي عن وجهه ما كان به. وكان يَحْتِم القرآن في شهر رمضان مائة حَتْمَة، فما من ليلة إلا ويُحيي الليل كله فيها بمسجده. هذا ترتيبه، ولو تَتَبَّعنا ما شوهِد من كراماته وأحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس في حدود الأربعين وستمائة.

وفاته: توفي شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعمائة. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، استوعب الناس كافة، وحضر السلطان فمن دونه، وكانت تنم، زعموا، على نعشه وقبره رائحة المسك. وتبرك الناس بجنازته، وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات، وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة، وتصدق على قبره بجملة من مال، فقدي به طائفة من الأسرى. وقبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، معروف هنالك.

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي^(١)

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بطوطة^(٢).

حاله: من خط شيخنا أبي البركات، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وعراق العجم، وبلاد الهند والسند، والصين، وصين الصين، وبلاد اليمن. وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة. ولقي من الملوك والمشايخ عالمًا، وجاوز بمكة. واستقر عند ملك الهند، فحظي لديه، وولاه القضاء، وأفاده مالًا جسيمًا. وكانت رحلته على رسم الصوفية زيا وسجية، ثم قفل إلى بلاد المغرب، ودخل جزيرة الأندلس، فحكى بها أحوال المشرق، وما استفاد من أهله، فكذب. وقال: لقيته بغرناطة، وبثنا معه ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية ينلة، وحدثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى، وهي على قدر مدينة مسقة كلها، وفيها اثنا عشر ألف أسقف. قلت: وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا. وانتقل إلى العُدوة، فدخل بلاد السودان. ثم تُعرف أن ملك المغرب استدعاه، فلحق ببابه، وأمر بتدوين رحلته.

(١) نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر.

(٢) يلقب ابن بطوطة بشمس الدين؛ ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ. ترجمته في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٨٠) وهديّة العارفين (ج ٢ ص ١٦٩) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٩٩) والأعلام (ج ٦ ص ٢٣٥). وراجع أيضًا مقدمة كتابه المسمى بهرحلة ابن بطوطة بقلم كرم البستاني.

(٣) في الأصل: «أني» وهو خطأ نحوي.

سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارية علينا أو غريب

مَزْدَلِي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن وزبابطن
ابن منصور بن نصاله بن أمية بن وابان الصنهاجي اللثموني

حاله: كان الأمير مَزْدَلِي عَضَدَ القائم بالدولة اللثمونية يوسف بن تاشفين،
وقريبه لالتقائهما في تَرْقُوت، رَاشَ به وَبَرَى، وَجَزَّ وَفَرَى، فهو شيخ الدولة اللثمونية،
وكبير العصابة الصنهاجية، بطلاً ثَبَتًا، بُهَمَ من البُهَم، بعيد الصَّيْت، عظيم الجَلَد،
شهير الذِّكْر، أصيل الرُّأْي، مُسْتَحْكَم الحُنْكَة. طال عمره، وَحُمِدَت مواقفه، وَبَعُدَت
غارته، وَعَظُمَت في العَدُوِّ وقائعه، وَشُكِرَت عن سلطانه نيابته.

من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسَغيه، وردّه إلى مُلْكَةِ
الإسلام بحميد غِنائه في مُتَصَف رجب عام خمس وخمسمائة.

دخوله غرناطة: وُلِّي قرطبة وِغْرناطة وما إليهما من قِبَل يوسف بن تاشفين سنة
خمس وخمسمائة.

قال ابن الصِّيرفي: توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية
 وخمسمائة، غازیًا على مقربة من حِصْن قسطنطية، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم
الأربعاء ثاني يوم وفاته، وَصَلَّى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي بقرطبة أبو
القاسم بن حَمْدِين، ودفته قرب أبيه، وَبُيِّت عليه روضةً حسنة. وكان، نَضَرَ الله
وجهه، البقية الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهثثاني
السيد أبو عمران.

حاله: بَيَّنَّته معروف. وكان أديبًا شاعرًا، جوادًا، واختَصَّ بالعدل، فجلَّ قَدْرُه
في دولته، وأمله الناس بإشبيلية في حوائجهم لمحلّه منهم. ولَمَّا انصرف عنها العادل
إلى طلب الخلافة، قَدَّمه عليها، فبلغ الغاية.

وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستمائة، كانت على جَيْشِه الوقعة، أوقعها
به السيد أبو محمد الياسي، وأخباره شهيرة.

وفاته: وتوفي تَغْرِيقًا في البَحر بعد أن وُلِّي بجاية، رحمه الله وعفا عنه.

شعره: قال: وكان أبو المطرف بن عميرة، يَنشِدُ له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن خريق يستجِئُه على نظم الشعر في عروض الخَبَب: [المتدارك]

خُذْ في الأشعار على الخَبَبِ فقصورك عنه من العَجَبِ
هذا ويؤو الآداب قَضُوا بعُلُوْ مُجْدَكَ في الرُّثْبِ

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخَبَب]

أُبْعِيدُ الشَّيْبَ هَوَى وَصَبَا؟ كَلَّا لَا لَهْوًا وَلَا لَعِبَا
ذَرَّتِ السُّتُونُ بُرَادَتَهَا فِي مِسْكٍ عِذَارِكَ فَاشْتَهَبَا
ومنها:

يَا نَفْسُ أَخِي أَخِي تَصْلِي أَمَلَا عِشِي رَوْحِيَا تَرْوِي عَجَبَا
وُخْذِي فِي شُكْرِ الْكُبْرَةِ مَا لَاحِ الْإِضْبَاحِ وَمَا دَقَبَا
فِيهَا أَخْرَزْتُ مَعَارِفَ مَا أَبْلَيْتَ بِجِدَّتِهِ الْحَقَبَا
وَالْخَمْرُ إِذَا أُغْتِثَتْ وَصَفَتْ أَعْلَى ثَمَنًا مِنْهَا عِنَبَا
وَبَقِيَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ لَهُ إِنْ كَانَ بِهَا طَبَا دَرَبَا
هَبْنِي فِيهَا بِإِنَابَتِهِ مَا هَدَمَهُ أَيَّامُ صَبَا
دخل غرناطة، فوجِبَ ذكره مع مثله.

متنديل بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيو الأمير أبو زيان

حاله: كان فاضلاً عاقلاً جواداً، عيَّنه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحق، للضرب على أحواز مالقة عند الفتنة، فاضطرب المحلة تجاه سهيل^(١)، وضيَّق على تلك الأحواز، وبرز إليه الجيش لنظر موسى بن رحو من قرابته النَّازِعِينَ عن إيالة المغرب من بني رحو. وكان اللقاء، ف وقعت به الذبيرة، وانهزم جيشه، وقُبِض عليه، وسيق إلى السلطان، فتلقاه بالبر، ورعى ما ليَّنته الكبير من الحق، وأسكنه مجاوراً لقصره بحمرائه^(٢)، مرفهاً عليه، مخجوراً عن التصرف، إلى أن كان

(١) سهيل: بالإسبانية Fuengirola، وهي بلدة تقع على شاطئ البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من مالقة.

(٢) أي قصر الحمراء، مقر سلاطين بني نصر بغرناطة.

ما تلاخَق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء، وتَصَيَّر الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف. وتَجَدَّدَت الألفة وتأكَّدَت المودة، وارتفعت الإخَّة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تَغِيَّة إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرْبِلَة^(١)، وصُرف الأمير أبو زيان مَخْبُوءًا بما يليق به.

حدَّثني شيخنا أبو زكريا بن مُذِيل، رحمه الله، قال: نُصِب للسلطان أبي يعقوب خِباء احتفل في اتخاذه له أميرُ سِنْتَة، فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سُمُو عماد، وامتداد ظلّ، وانفساح ساحة، إلى إحكام الصُّنعة، والإعياء في الزُخرف. وقَعَد فيه السلطان ملك المغرب، وأجلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن الغالب بالله، عن يمينه، وأخاه الأمير أبا زيان عن يساره، وقرأ عِشاره المعروف بالوقاد، آية الله في حُسن الصُّوت، وبعد مَدَى السَّمْع، وطيب الثُّغمة، قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الْغُرُورُ مَسْنَا وَأَهْلًا الْأَشْرُ وَحَنَّا يَضَعَعُرُ مُرَجَلُهُ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَشْرَ جَاهِلُونَ ۝٨٩﴾ قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُمْ مَن يَتَّقَ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَصَبِّينَ ۝٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰكَ وَإِن كُنَّا لَخَاطِلِينَ ۝٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَقُودُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٩٢﴾^(٢). فكان مقامًا مُبِهًا. كان السلطان، رحمه الله، يقول: لَشَدُّ ما جَنَى عليّ عدوّ الله بِقَحْتِهِ، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله: أنا يوسف وهذا أخي. ثم أجاز للعدوة، فطاح بها لعهد غير بعيد.

وكان الإيقاع بجيش الأمير أبي زيان في أَخْرِيَات ذي الحجة عام أربعة وثمانين وستمائة، فاتصل بذلك موثٌ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده، وكان إلقاء السُلْطَانَيْن بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه، وكان اللُّقاء، كما ذُكر، في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

(١) مَرْبِلَة: بالإسبانية Marbella، وهي مدينة صغيرة مسورة، تبعد ستين كيلومترًا إلى الغرب من مالقة. الروض المعطار (ص ٥٣٤).

(٢) سورة يوسف ١٢، الآيات ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

ومن الطارئین

المُطَرَّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية^(١)

حاله: كان المطرف، ولد الخليفة^(٢) عبد الله أمير المسلمين بالأندلس، شجاعاً مقداماً، جريئاً، صرّفه والده الخليفة في الغزوات وقود العساكر، وهو الذي بنى حصن لوشة، ووقم كثيراً من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة: قال ابن حيان^(٣): غزا المطرف ببشتر^(٤) بسبب ابن حفصون، إذ كان صالح الأمير عبد الله، ودفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطفل وجد غير ابنه، فنهض إليه المطرف، وكان القائد على العسكر قبله عبد الملك بن أمية، فنهض صحبته، ونازل المطرف ابن حفصون، فهتك خوزته، وتقدم إلى بنتية كان ابنتها بموضع يعرف باللويات^(٥)، فشرع في خرابها، وخرج ابن حفصون ومن معه من النصرانية يدافع عنها، وعن كنيسة كانت بقربها، فغلب ابن حفصون، وهدمت الكنيسة، وقتل في هذه الحرب حفص بن الثمرة، قائد ووجوه رجاله، وعند الفراغ من ذلك انصرف المطرف، فدخل كورة لإبيرة، وبنا لوشة، وتقدم منها إلى إبيرة ودخلها، ثم طاف بتلك الجهات والحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب الإحنة بينه وبين أبيه.

قال^(٦): وفي هذه الحركة أوقع بعبد الملك بن أمية؛ لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له وتمزيق العهد في خير يطول. وكان والده قد أخذ عليه

(١) ترجمة المطرف وأخباره في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٠٢ - ١١٥، ١٣١ - ١٣٧) والمغرب (ج ١ ص ١٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال (ص ٢٨ - ٢٩) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٠).

(٢) لم يكن عبد الله بن محمد خليفة، بل كان أميراً، وقد حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٣٠ - ١٣١) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف.

(٤) ببشتر: بالإسبانية Bobastro، وهي حصن منيع بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) في المقتبس: «المعروف بالعرمات».

(٦) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف. ومقتل عبد الملك بن أمية كان في سنة ٢٨٢ هـ.

الميثاق عند خروجه إلى شَذُونَة^(١) أَلَا يَغْرِضُ إِلَيْهِ بِمَكْرُوهِ، وَأَقْسَمَ لَهُ بِالْإِيمَانِ، لَثَنَ نَالَ مِنْهُ شَيْئًا لِيُعَاقِبَهُ بِمَثَلِهِ، فَلَمَّا قَتَلَهُ، عَقَدَ الْوَثَاقَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ الشَّهَادَاتَ فِيهَا بِالظُّلْمِ وَالشُّؤْمِ خَوْفًا مِنْ أَبِيهِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَغْتَذِرُ لَهُ، وَيُحْكِمُهُ فِي نَفْسِهِ.

مقتل المطرّف: قال^(٢): وظهرت عليه فِعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكّد غائلة أبيه عليه، وأعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أَنَّ المطرّف كان قد خلا به، فذكروا أَنَّهُ نَزَلَ يَوْمًا عِنْدَهُ بِمَنْزِلِهِ، وَأَخَذُوا فِي حَدِيثِ الْأَبْنَاءِ، وَكَانَ الْمَطْرَفُ عَقِيمًا، فَدَعَا مُعَاوِيَةَ بِصَبِيٍّ يَكْلِفُ بِهِ، فَجَاتَ وَبِرَأْسِهِ دُؤَابَتَانِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْمَطْرَفُ حَسَدَهُ، وَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ، أَتَنْشِبُهُ بِأَبْنَاءِ الْخُلَفَاءِ فِي بَيْنِهِمْ؟ وَتَنَاولَ السَّيْفَ فَحَزَّ بِهِ الدُّوَابَةَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ حَيَّةَ قَرِيشٍ دِهَاءً وَمَكْرًا، فَأَظْهَرَ الْإِسْتِخْسَانَ لَصُنْعِهِ وَاتَّبَسَطَ مَعَهُ فِي الْأُنْثَى، وَهُوَ مُضْطَغْنٌ، فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِسَالِهِ اتِّصَالَهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَوْصَلَهُ كَاشَفَهُ فِي أَمْرِ الْمَطْرَفِ بِمَا أَرْعَجَجَهُ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ لِيَلَّا أَحْكَمَ أَمْرُهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ بِلُطْفٍ جِيلَتِهِ، فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ سَهْمٌ سِيعَايَتِهِ. قَالَ ابْنُ الْفَيَاضِ: بَعَثَ الْأَمِيرُ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى دَارِ وَلَدِهِ الْمَطْرَفِ عَسْكَرًا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ، مَعَ ابْنِ مُضَرٍّ، فَقَوَّلَ فِي دَارِهِ حَتَّى أُخِذَ، وَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ، فَتَشَاوَرَ الْوُزَرَاءُ فِي قَتْلِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَنْ لَا يَقْتُلَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ قَتَلَكَ، فَأَمَرَ ابْنُ مُضَرٍّ بِصَرْفِهِ إِلَى دَارِهِ، وَقَتْلَهُ فِيهَا، وَأَنْ يَدْفِنَهُ تَحْتَ الرِّيحَانَةِ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ تَحْتَهَا، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَسَنَةً، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ صُحَى لِعَشْرِ خُلُودٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.

مُنْذِرُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيِّ^(٣)

أمير الثُّغُرِ، الْمُتَنَزِّي بَعْدَ الْجَمَاعَةِ بِقَاعِدَةِ سَرَقُوسْطَةِ، يَكْنَى أَبُو الْحَكَمِ، وَيُلَقَّبُ بِالْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ، وَذِي الرِّيَاسَتَيْنِ.

حالُه: قَالَ أَبُو مَرْوَانَ^(٤): وَكَانَ أَبُو الْحَكَمِ رَجُلًا مِنْ عُرْضِ الْجُنْدِ، وَتَرَفَّى إِلَى الْقِيَادَةِ آخِرَ دَوْلَةِ ابْنِ أَبِي عَامَرَ، وَتَنَاهَى أَمْرُهُ فِي الْفِتْنَةِ إِلَى

(١) شَذُونَة: بِالْإِسْبَانِيَةِ Sidona وهي كورة متصلة بكورة مورور، نزلها جند فلسطين من العرب بعيد الفتح. الروض المعطار (ص ٣٣٩).

(٢) القول لابن حيان، والنص في المقتبس بتحقيق إسماعيل العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف.

(٣) ترجمة منذر بن يحيى التجيبي في المغرب (ج ٢ ص ٤٣٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفسال) (ص ١٩٦) والذخيرة (ق ١ ص ١٨٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥).

(٤) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨٠ - ١٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦) وأعمال=

الإمارة^(١). وكان أبوه من الفرسان غير الثَّبَاهِ. فأما ابنُهُ منذر، فكان فارسًا نقيَّ
 الفُروسَةِ^(٢)، خارجًا عن مدى الجهل، يتمسك بطَرْف من الكتابة السَّاذجة. وكان على
 عَذْرِهِ، كَرِيمًا، وَهَبَ قُصَادَهُ مَالًا عَظِيمًا، فَوَقَدُوا عَلَيْهِ، وَعَمَّرَتْ لَذَلِكَ حَضْرَتُهُ
 سَرَقُشْطَةً، فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ، وَهَتَفَ الْمُدَّاحُ بِذِكْرِهِ.

وفيه يقول أبو عمرو بن دَرَّاج القُسْطَلِي قصيدته المشهورة، حين صَرَفَ إليه
 وجهه، وَقَدِمَ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(٣): [الكامل]

بُشْرَاكَ مِنْ طُولِ التَّرْخُلِ وَالسُّرَى	صُبْحَ بِرُوحِ السُّفْرِ لَاحَ فَأَسْفَرَا
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَى	فَجَرَا بِأَنْهَارِ الدُّرَى ^(٤) مُتَفَجَّرَا
نَادَى ^(٥) بِحَيٍّ عَلَى النَّدَى ثُمَّ اعْتَلَى	سُبُلَ ^(٦) الْعُفَاةِ مُهَلَّلًا وَمُكَبَّرَا
لَبَّيْكَ أَسْمَعَنَا نِدَاكَ وَدُونَنَا	نَوْءَ الْكَوَاكِبِ مُخَوِّبَا أَوْ مُنْطَرَا
مِنْ كُلِّ طَارِقٍ لَيْلٍ هَمٌّ ^(٧) يَنْتَحِي	وَجْهِي بِوَجْهِهِ مِنْ لِقَائِكَ أَزْهَرَا
سَارٍ لِيَعْدِلَ عَنْ سَمَائِكَ أَنْجُمِي	وَقَدْ أَزْدَهَا مَا عَنْ سَنَّاكَ مُحِيرَا
فَكَأَنَّمَا أَعْدَتْهُ ^(٨) أَسْبَابُ النُّوَى	قَدَرًا لِيُعْذِيَ عَنْ يَدَيْكَ مُقْدَرَا ^(٩)
أَوْ غَارَ مِنْ هَمِّي فَأَنْحَى شَأْوَهَا	فَلَكَ الْبُرُوجُ مُتَغَرِّبَا وَمُتَغَوَّرَا
حَتَّى عَلِفْتُ التُّبَيْرَيْنِ فَأَعْلَقَا	مَثْنَى يَدَي مَلِكِ الْمُلُوكِ النُّيِّرَا
فَسَرَيْتُ فِي حَرَمِ الْأَهْلِ مُظْلِمًا	وَرَفَلْتُ فِي خَلْعِ السُّمُومِ مُهَجَّرَا
وَشَعَبْتُ أَفْلَادَ الْفَوَادِ وَلَمْ أَكْذُ	فَحَذَوْتُ مِنْ حَذْوِ الثُّرَيَّا مَنَظَّرَا
سَيْتُ تَسْرَاهَا ^(١٠) الْجَلَاءُ مَغْرَبَا	وَحَدَا بِهَا حَادِي النَّجَاءِ ^(١١) مُشْمَرَا
لَا يَسْتَفِيقُ الصُّبْحُ مِنْهَا مَا بَدَا	فَلَقَا وَلَا جَذِي الْقَرَايِدِ مَا سَرَى

= الأعلام (ص ١٩٦).

- (١) في الذخيرة: «إلى نيل الإمارة».
- (٢) في الذخيرة وأعمال الأعلام: «لَبَّى الفُروسَةِ».
- (٣) القصيدة في ديوان ابن دراج القسطلي (ص ١٢٤ - ١٣١) وفي أعمال الأعلام (ص ١٩٨ - ٢٠٠) ٥١ بيتًا. وقد أورد منها ابن بسام في الذخيرة (ص ١٨٠ - ١٨١) ٢٤ بيتًا لم ترد هنا.
- (٤) في الديوان وأعمال الأعلام: «الدُّرَى».
- (٥) في أعمال الأعلام: «ناديت حَيٍّ».
- (٦) في أعمال الأعلام: «سِلْ».
- (٧) في الديوان: «مَثْنَى».
- (٨) في الديوان: «أَغْرَتْهُ».
- (٩) رواية عجز البيت في الأصل هي:

نور الهدى عن يدك منورا

وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من الديوان.

- (١٠) في أعمال الأعلام: «تَسْرَاهَا».
- (١١) في المصدر نفسه: «النَّوَاء».

وَتَرَكْنَ مَأْلُوفَ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرَا
أَمَاجُهُ وَالْبَرُّ حَيْثُ تَنَكَّرَا
أَبَدًا وَلَا عَنْ بَخْرِ جُودِكَ مُصْدِرَا
يُزْجِيهِ نَحْوُكَ كُلُّ مَحْبُوكِ الْقَرَا^(١)
بِغْنَائِهَا^(٢) فِي كُلِّ أَفْقٍ مَنَحَرَا
قَلَقَ الْمَضَاجِعِ تَحْتَ جَوْ أَكْثَرَا
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ الْمُبْصِرَا
أَشْلَاوَهْنَ كَمِثْلِ أَنْصَافِ الْبُرَا
مِمَّا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مُنْذِرَا^(٣)
دُونَ ابْنِ يَحْيَى^(٤) أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا
يُمْنُكَ يَا بَذَرَ السَّمَاءِ الْمُقْفِرَا
فَجَرَى^(٥) فَأَوْزَقَ فِي يَدَيْكَ وَأَنْمَرَا
فَبِمَا شَرِئْتُ إِلَيْكَ بِالْمَاءِ الصُّرَى^(٦)
فَلَقَدْ لَبِثْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا
فَلَكُمْ صَلِيْتُ إِلَيْكَ جَوًّا^(٧) مُسْعَرَا
وَرَأَى رِضَاكَ بِهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى
قَلْبًا بِكَادَ عَلَيَّ أَنْ يَتَفَطَّرَا
إِلَّا تَذَكَّرَ عُبْرَتِي فَاشْتَعْبَرَا
عَنْ غَوْلٍ رَخْلِي مُشْجِدًا أَوْ مُغْوِرَا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
وَأَسْمَتُ خَيْلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبَقَرَا
مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا

ظُفْرُنَ أَلْفَنَ الْقَفْرِ فِي غَوْلِ الدُّجَى
يَطْلُبْنَ لُجَّ الْبَحْرِ حَيْثُ تَقَافَتْ
هَيْمَ وَمَا يَبْغِينَ دُونَكَ مَوْرِدَا
مِنْ كُلِّ نِضْوٍ الْآلِ مَحْبُوكِ الْمُنَى
بُذْنٌ قَدَتْ مِثْلًا دِمَاءُ تُحُورُهَا
تَحَرَّتْ بِنَا صَدَرَ الدُّيُورِ فَأَنْبَطَتْ
وَصَبَتْ إِلَى نُحُورِ^(٨) الصُّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ
خَوْصَ تَفْخَنَ بِنَا الْبُرى حَتَّى انْتَنَتْ
تَذَرَتْ لَنَا أَنْ لَا تُلَاقِي رَاحَةً
وَتَقَاسَمَتْ أَنْ لَا تُسَبِّحَ حَيَاتُهَا
لِلَّهِ أَيُّ أَهْلَةٍ بَلَلَتْ بِنَا
بَلْ أَيُّ غَضَنِ فِي ذَرَاكَ مَصْرَتُهُ
فَلَمَّا صَفَا مَاءُ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي
وَلَمَّا خَلَعْتَ عَلَيَّ بُرْدًا أَخْضَرَا
وَلَمَّا مَدَدْتَ عَلَيَّ ظِلًّا بَارِدَا
وَكَفَى لِمَنْ^(٩) جَعَلَ الْحَيَاةَ بِضَاعَةً
فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ
لَهْفَانٍ لَا يَزِيدُ طَرْفَ جَفُونِهِ^(١٠)
أَبْنَى، لَا تَذْهَبُ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً
فَلَمَّا تَرَكْتَ اللَّيْلَ قَوْفِي دَاجِيَا
وَلَقَدْ وَرَدْتُ مِثْلَ مَأْرَبِ حُقْلَا
وَنَظَّمْتُ لِلْعَبِيدِ الْجِسَانِ قَلَانِدَا

(١) القرا: الظهر.

(٢) في أعمال الأعلام: «بِقَائِهَا». والبقاء: الطلب.

(٣) في المصدر نفسه: «نَحْر».

(٤) هو منذر بن يحيى، ممدوح ابن دراج.

(٥) ابن يحيى: هو منذر بن يحيى، المقدم ذكره.

(٦) في الديوان: (نُحْر).

(٧) في أعمال الأعلام: «حُرَا».

(٨) في الديوان: «وكفأك مَنْ».

(٩) في أعمال الأعلام: «لا يرتد في أجفانه».

وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَضْبَاؤُهَا
وَلَيْغَلَمْ^(٢) الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهُمْ
وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي
مَنْ فَكُّ طَرْفِي مِنْ تَكَالِيفِ الْقَلَا
وَكَفَى عَنَابِي مِنْ أَلَامٍ مُعَذِّرَا
وَمُسَائِلِي عُنِي الرِّفَاقَ وَوُدَّهُ
وَبَقِيَتْ فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلَا
كَلًّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ مُوَدِّ هُدَى
وَأَصْنَبْتُ فِي سَبِيلِ مُوَزَّتٍ مُلْكِهِ
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تُبْعَ رَافِعَا
وَالْحَارِثَ الْجَفْنِيَّ مَمْنُوعَ الْجَمَى
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمِ
وَلَقِيْتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
وَعَقَّدْتُ فِي يَمَنِ مَوَاقِقَ ذِمَّةٍ
وَأَتَيْتُ بِخَدَلٍ^(٧) وَهُوَ يَرْفَعُ مِثْبَرَا
وَحَطَّطْتُ^(٨) بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا
تِلْكَ الْبُحُورَ^(٩) تَتَابَعَتْ وَخَلَقَتْهَا
وَلَقَدْ تَمَوَّكَ وِلَادَةً وَسِيَادَةً

ذَهَبًا يَرِفُ^(١) لِنَظَرِي وَجَوْهَرَا
أَلْقَيْتُ كُلَّ الصُّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٣)
مَلِكٌ تُخَيِّرُ لِلْعُلَا فَتَخَيِّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى أَجْدَرَا
وَأَجَارَ طَرْفِي مِنْ تَبَارِيحِ الشُّرَى
وَتَذَمُّمِي مِمَّنْ تَجَمَّلُ^(٤) مُغْذِرَا
لَوْ تَنَبَّذَ السَّاحَاتُ^(٥) رَحْلِي بِالْعَرَا
وَعَذَلْتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُتَحَيِّرَا
وَلَقِيْتُ يَغْرُبَ فِي الْقُبُولِ وَجَمِيرَا
يَنْسَبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الضَّرَا
أَعْلَامُهُ مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى
بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولَ الْقِرَى
أَيَّامَ يَقْرِي مُوسِرًا أَوْ مُغْسِرَا
تَكْسُو^(٦) غِلَافَهَا الْجِيَادَ الضُّمُرَا
مَشْدُودَةَ الْأَسْبَابِ مُوَثَّقَةَ الْعُرَى
لِلدِّينِ وَالذُّنْيَا وَيُخْفِضُ مِثْبَرَا
حَرَمًا أَبَتْ حُرْمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
سَفِيًّا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيِّرَا
وَكَسَوْتُكَ عِرًّا وَابْتَنَوْنَا لَكَ مَفْخَرَا

- (١) في أعمال الأعلام: «يَزُوقُ». (٢) في أعمال الأعلام: «وَلَيْغَلَمْ». (٣) أخذه من المثل: «كُلُّ الصُّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا». يضرب لمن يُفَضِّلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه فِرَاء. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦). (٤) في الأصل: «تَحْتَلُّ» بالحاء المهملة، والتصويب من المصدرين. (٥) في الأصل: «السانحات» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من أعمال الأعلام. وفي الديوان: «السادات». (٦) في الأصل: «يكسو»، وكذا في الديوان، والتصويب من أعمال الأعلام. (٧) هو بَخْدَلِ بْنِ أُنَيْفِ الْكَلْبِيِّ، الَّذِي تَزَوَّجَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ مِنْ بَنْتِهِ مَيْسُونَ وَالِدَةِ ابْنِهِ يَزِيدَ، وَقَدْ كَانَ لَقَبِيَّةَ كَلْبِ الْيَمَنِ الَّتِي يَتَسَبَّأُ إِلَيْهَا بِحَدَلِ الْبَلَاءِ فِي نَصْرَةِ الدَّعْوَةِ الْأُمَوِيَّةِ. (٨) في أعمال الأعلام: «وَحَطَّطْتُ» بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ. (٩) في المصدر نفسه: «البدور».

فَمَمَرْتُ بِالْأَمَالِ^(١) أَكْرَمَ أَكْرَمٍ
وَشَمَائِلٍ عَبَقْتُ بِهَا سُبُلَ الْهُدَى
أَهْدَى إِلَى شَغَفِ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى
وَمَشَاهِدٍ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَبَاطِهَا
لَا قَبِيْتُ فِيهَا الْمَوْتَ أَسْوَدَ أَدَمَا
وَلَوْ اجْتَلَى فِي زِيٍّ قِرْنِكَ مُغْلَمَا
يَا مَنْ تَكَبَّرَ بِالتَّكْرُمِ^(٢) قَدْرُهُ
وَالْمُنْذِرُ الْأَعْدَاءَ بِالْبُشْرَى لَنَا
مَا صُوِّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ
فَارْزَقَ لَهَا عَلَمَ الْهُدَى فَلِيُمِثِّلَهَا
وَانْصُرْ تُصِرَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَلِنَمَا
وَاسْلَمْ وَلَا وَجَدُوا لِحُكُوكِ مَنْقَسَا

مُلْكًا وَرِثَتْ عُلَاهُ أَكْبَرَ أَكْبَرَا
وَذَرَتْ عَلَى الْآفَاقِ مِنْسَكَا أَذْقَرَا
وَالَّذِي فِي الْأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الْكَرَى
ظَلْنَا يَرِيبُ وَلَا حَدِيثًا يُفْتَرَى
فَدَعَرْتُهُ بِالسَّيْفِ أبيضَ أَخْمَرَا
لَتَرَكْتَهُ تَحْتَ الْعَجَاجِ مُعْفَرَا
حَتَّى تَكْرُمَ أَنْ يُرَى مُتَكَبِّرَا
صَدَقْتُ صِفَاتِكَ مُنْذِرَا وَمُبَشِّرَا
حَتَّى يَرَاكَ اللَّهُ فِيهِ مُصَوِّرَا
رَفَعْتُكَ أَعْلَامَ السِّيَادَةِ فِي الدُّرَى
نَاسَبْتَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ لِيُثْنَصِرَا
فِي النَّائِبَاتِ وَلَا لِيُخْرِكَ مَغْبِرَا

سيرته: قال^(٣): وسأسَ لأول ولايته عظيمَ الفِرْنَجَةِ^(٤)، فحفظت أطرافه، وبلغ من استمالته طوائفَ النصرانية، أن جرى على يديه بحضرته عقد مصاهرة بعضهم^(٥)، ففرقته الألسنة لسعيه في نظام سلكِ النصارى. وعمر به الثغر إلى أن ألوت به المنيّة. وقد اعترف له الناس بالرأي والسياسة.

كُتَابِهِ: واستكتب عدة كتاب كابن مَدُور، وابن أَرْزَق، وابن واجب، وغيرهم.

وصوله إلى غرناطة: وصل غرناطة صُحْبَةَ الأمير المُرْتَضَى الآتي ذكره، وكان ممن انهزم بانهزامه. وذكروا أنه مرَّ بسليمان بن مُود، وهو مُثَبَّتٌ للإفرنج الذين كانوا في المحلّة لا يريم موقفه^(٦)، فصاح به النجاة: يا ابن الفاعلة، فلستُ أقف عليك، فقال له سليمان: جئت والله بها صلماً، وقصّحت أهل الأندلس، ثم انقلع وراءه.

(١) في الديوان: «فَمَمَرْتُ بِالْإِقْبَالِ».

(٢) في أعمال الأعلام: «يا من تَكْرُمُ بالتَّكْرُمِ».

(٣) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨١) وأعمال الأعلام (ص ١٩٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٤) في الذخيرة والبيان المغرب: «عظماء الإفرنج»، وفي أعمال الأعلام: «عظماء الفرنجة».

(٥) أجرى منلر مصاهرة بين ريموند الجليقي وشانجه القشتالي، حيث تزوج شانجه بابنة ريموند، حسيما جاء في الذخيرة.

(٦) لا يريم موقفه: لا يبرحه.

وفاته: وكانت^(١) على يدني رجل من أبناء عمه يدعى عبد الله بن حَكَم، كان مُقَدِّمًا في قُوَّاده، أضمر غَدْرَه، فدخل عليه، وهو غافل في غِلالة، ليس عنده إلا نَفَرٌ من خواص خَدَمه الصُّقْلُب، قد أكبَّ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسِكِّين أجهز به عليه. وأجفل الخدم إلا شَهْمَ منهم أكبَّ عليه فمات معه. ومَلَك سَرَقُسطه، وتمسك بها أيامًا، ثم قرَّ عنها، ومَلَكها ابن هُود. وكان الإيقاع به غرة ذي حجة سنة ثلاثين وأربعمائة، رحمة الله عليه.

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يَغْمَراسين بن زَيَّان^(٢)

الأمير بيلمسان، يكنى أبا حَمُو.

أوليته: أوليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مُجمَع على خَزَمه، وضَمَّه لأطراف مُلكه، واضطلعه بأعباء مُلك وطنه، وصَبْرَه لدولة قومه، وطلَّوعه بسعادة قَبِيلَه. عاقل، حازم، حصيف، ثابت الجأش، وقور مهيب، جماعة للمال، مباشر للأمور، هاجر للذات، يَقِظ، مُتَشَمِّر. قام بالأمر غُرَّة ربيع الأول في عام ستين^(٣)، مُزتاش الجَنَاح بالأخلاف من عَرَبِ القَبِيلَة، معولًا عليهم عند قَضْد غَدُوِّه، وحَلَب ضِرع الجَبَاية، فأثرى بيتَ ماله، وتَبَّهت دولته، واتَّقته جِيرَتُه، فهو اليوم ممن يُشار إليه بالسُّداد.

أدبه وشعره: ووجَّه لهذا العهد في جُملة هدايا وُدِّيَّة، ومقاصد سِنِّيَّة، نسخة من كتابه المسمى بـ«وِاسِطَة السُّلوك»، في سياسة الملوك^(٤)، افتتحه بقوله:

«الحمد لله الذي جعل نِعْمَتَه على الخَلْق، بما أَلْفَهم عليه من الحقِّ، شاملة شائعة، ويسر طوائف من عِباده لِلْيُسْرَى فأتَتْ إليها مُساعدة مُسارعة، وحضُّهم على الأخذ بالحُسنى ولا أحسن من نفوس أُرْشِدَتْ فأقبلت لِإِزْئِها طالبة ولربُّها طائعة، ولا أسمى من هِمِّ نَظَرَتْ بِحُسْنِ السِّيَاسة في تدبير الرِّياسَة التي هي لأشْئَاتِ الملك

(١) قارن بالذخيرة (ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٨).

(٢) ترجمة أبي حَمُو موسى بن يوسف الزياتي في التعريف بابن خلدون (ص ٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣٨، ٢٤٤) ونفع الطيب (ج ٩ ص ٢١٤، ٣٤٢) وهدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٣٢٨) والأعلام (ج ٧ ص ٣٣١).

(٣) أي سنة سبعمئة وستين.

(٤) هذا الكتاب مطبوع، وجاء في هدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) أن له كتابًا اسمه «قلائد الدرر في سياسة الملك».

جامعة، ولأسباب الملك مانعة، وأظهرت من معانها دُرَّ الحِكم وعَزَّرَ الكَلِمَ لائحةً لامعة، فاجتلت أقمارها طالعة، واجتثت أزهارها يانعة. وصلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البينات ساطية ساطعة، والمُعْجَزَاتِ الْمُعْجِمَاتِ قاصمةً لظهور الجاحدين قاطعة، الذي رُوِيَ له الأرضُ فتدانت أفكارها وهي نايبة شاسعة، واشتقت له المياه فَبَرَزَتْ بين أصابعه يانعة، وامتثل السحاب أمره فسحَّ باستسقاءه دُرًّا هاميةً هامة، وحنَّ الجذع له وكان حنينه لهذه الآيات الثلاث آيةً رابعة، إلى ما لا يحصى مما أثبت به متواترات الأخبار وصنجات الآثار ناصرةً لنبوته ساطعة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعترته التي أجابت داعي الله خاشية خاشعة، وأدعنت لأوامر رسول الله ﷺ فكانت من الاستياد خالية وللأنداد خالعة، صلاة ديمتها دائمة متتابعة، وسلم كثيرًا.

جَمَعَ فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخصَّ به ولده ولبيَّ عهده، فجاء مجموعًا يُستظَرَفُ من مثله، ويدلُّ على مكانه من الأدب ومحلّه.

وَبَيَّتَ فيه الكثير من شعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبائل، وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سلك جماعته، وهي:

[الطويل]

وما قد مضى من عهدها المُتَقَادِمِ
بصَبْرٍ مُنَافٍ أو بشوقٍ مُلَازِمِ
وَأَيُّ فُؤَادٍ يَغْدَهُمْ غَيْرُ هَائِمِ؟
وما حبُّ سَلَمَى لِمَفْتَى بِمُسَالِمِ
ولا تَقْلِي فِي تَذْكَارِ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
ولا يَسْتَنْبِي إِلَّا الضَّعِيفَ الْعَزَائِمِ
قَرِيبٌ مِنَ الثَّقَوَى بَعِيدُ الْمَائِمِ
يُسَاقُ بِخُلُقِ الشَّهْدِ مُرُّ الْعَلَاقِمِ
بِحَارِ الرَّدَى فِي لُجْجِهَا الْمُتَلَاحِمِ
وَتَنْتَرُّ دُرًّا^(٢) مِنْ دَمَوِجِ سَوَاجِمِ؟
مَقَالَةٌ بِأَكْ أَوْ مَلَاقَةٌ لَائِمِ
لَنَجْتَنِبَ الْلُومَ اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ؟

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرَّبُوعِ الطَّوَاسِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَغْدٍ بَعْدَ أُنَيْسَهَا^(١)
تَهِيمٌ بِمَغْنَاهُمْ وَتَثَدُّبٌ رَبْعُهُمْ
تَحِنْ إِلَى سَلَمَى وَمَنْ سَكَنَ الْجَمَى
فَلَا تَثْدِيبِ الْأَطْلَالَ وَاسْلُ عَنْ الْهَوَى
فَإِنَّ الْهَوَى لَا يَسْتَفِيزُ ذَوِي النُّهَى
صَبُورٌ عَلَى الْبَلَوَى طُهُورٌ مِنَ الْهَوَى
وَمَنْ يَبْنِ دَرْكَ الْمَغْلَوَاتِ وَتَبْلُهَا
وَلَائِمَةٌ لِمَا رَكِبْنَا إِلَى الْعَلَا
تَقُولُ بِإِشْفَاقٍ: أَتُنْسِي هَوَى الدِّمَا
إِلَيْكَ فَإِنَّا لَا يَرُدُّ اعْتِرَاقُنَا
أَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْلُومَ لَوَمٌ وَأَنَّنَا

(١) في الأصل: «أُنَيْسَهَا» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «دُرًّا»، وكذا ينكسر الوزن.

إذا هام قوم بالحسان النواعم
أحب إلينا من بروق المباسم
فأشجى لدينا من غناء^(٢) الحمام
قدود العوالي أو خدود الصوارم
إلى غمدها إلا بجر الغلاصم^(٣)
بتفريق ما بين الطلى والجماجم
ويزهب منا الحرب كل مسالم
وتقديم إقدام الأسود الضراغم
يعود إلى أوطانه بالغنائم
إذا شيك مظلوم بشوكة ظالم
ويحميه منا كل ليت ضبارم^(٥)
إلى بابنا ينبغي التماس المكارم؟
وكل خليل وُدّه غير دائم
بإخلاص وُدّ واجب غير واجم
فخلّى لذات الخف ذات المناسم
أبث له ما تحت طي الحيازم
تؤدي إلى خير الملوك الأعظم
تخيرها بين القلاص الزواسم
وتشبهه في جیده والقوائم
تخلّثها بعض^(٦) السحاب الزواكم
نزلت كمثل البرق لاح لشائم
فأمسى وفي أكبادها أي جاحم

فما بسوى الغلياء^(١) همتنا جلاله
بروق السيوف المشرفيات والقنا
وأما صميل السابحات لذي الوعى
وأحسن من قد الفتاة وخدّها
إذا نحن جرّدنا الصوارم لم نعد
نواصل بين الهندواني الطلاء^(٤)
فيرغب منا السلم كل محارب
نقود إلى الهيجاء كل مضمر
وما كل من قاد الجيوش إلى العدا
وننصر مظلوماً ونمنع ظالماً
ويأوي إلينا المستجير ويلتجى
ألم تر إذ جاء السبيعي قاصداً
وذلك لما أن جفاه صحابه
وأزّمع إرسالاً إلينا رسالةً
وكان رأى أن المهامه بيننا
وقال ألا سل من عليم مجرب
فيبلغ عنه الآن خير رسالة
على ناقة وجناء كالحرف ضامر
من اللائي يظلمن الظليم إذا عدى
إذا أثلعت فوق السحاب جوابها
وإن منلجت بالسير في وسط مهمه
ولم يامن الحلان بعد اختلالهم

(١) في الأصل: «الغلياء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «غناء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) رواية عجز البيت في الأصل هي:

إلا غمادها الأبحر الغلاصم

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والفند: جفن السيف. والغلاصم: جمع غلصمة وهو

اللحم ما بين الرأس والعنق، والمراد قطع الرقاب.

(٤) في الأصل: «الطلاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «ضبارم»، وكذا لا معنى له. والأسد الضبارم: المجتمع الخلق مؤثقة.

(٦) في الأصل: «تعضى»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

لُبُغْد المَدَى أَوْ خَوْفَ صَيْدِ الحَمَائِمِ
فَقَالُوا: فَحَمَلُهَا أَكْفُ النَوَاسِمِ
لَهَا أَلْسُنٌ مَشْهُورَةٌ بِالنَّمَائِمِ
وَكُلُّ أَمْرٍ لِّلْسَرٌ لِّيسَ بِكَاتِمِ
فَكَانَ لَدَيْنَا خَيْرَ وَاقٍ وَقَادِمِ
يُضِيءُ لَهُ الظُّلُمَاءُ فِي كُلِّ عَاتِمِ
وَيُضْحِبُ مِنْهَا كُلُّ بَاغٍ وَبَاغِمِ
مِنَ الْمُغْرِبَاتِ الصَّافِنَاتِ الصَّلَادِمِ^(٤)
فَتَحْسِبُهُ فِي الْبَيْدِ بَعْضَ الثَّعَائِمِ
حَمَائِمُنَا إِيَّاهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمِ
نَزَلَتْ بِرَخْبٍ فِي عِرَاصِ الْمَكَارِمِ
وَفَاضَ عَلَيْكَ الْجُودُ قَيْضَ الْعَمَائِمِ
جَمَى وَنَدَى يُنْسَى بِهِ جُودُ حَاتِمِ
بُعِثْنَا بِهِ كَاللُّوْلُو الْمُتَنَازِمِ
لَعَمْرُكَ مِنَ التَّيْجَانِ غَيْرِ الْعَمَائِمِ
وَكَمْ دُونَ إِدْرَاكِ الْعُلَا مِنْ مَّلَاحِمِ
وَكَمْ مَكْنَثٌ دَهْرًا بِغَيْرِ دَعَائِمِ
وَكَمْ بَاتَ تَهَبًا شَمْلُهُ دُونَ نَازِمِ
فَذَلَّتْ وَقَدْ كَانَتْ صِعَابَ الشُّكَاكِ
يُذَلُّ لَهَا عِزُّ الْمُلُوكِ الْقِمَاقِمِ
وَيَعْجِزُ عَنْ إِخْصَائِهَا كُلُّ نَازِمِ
وَصَلَّى^(٦) عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
تَضَاحَكَ رَوْضٌ عَنْ بُكَاءِ الْعَمَائِمِ

فَقَالُوا فَحَمَلُهَا الْحَمَائِمِ قَالَ لَا
وَمَا الْقَضْدُ إِلَّا فِي الْوُصُولِ بِسُرْعَةٍ
فَقَالَ: لِنَعْمِ الْمُرْسَلَاتِ وَإِنَّمَا
فَلَمْ يَلَفْ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعًا
فَحِينَئِذٍ وَافَى إِلَيْنَا بِنَفْسِهِ
يَجُوبُ إِلَى^(١) الْبَيْدَاءِ قَضْدًا وَيُشْرُنَا
طِلَابُ الْعَلَا تَسْرِي مَعَ الْوَحْشِ فِي الْفَلَا
عَلَى سَلْهَبٍ^(٢) ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعَمٍ^(٣)
إِذَا شَاءَ أَيُّ الْوَحْشِ أَذْرَكَهُ بِهِ
وَيُقْدِمُهُ طَوْعًا إِلَيْنَا رَجَاؤُهُ
أَلَا أَيُّهَا الْآتِي لِيُظَلِّ خَنَانِنَا
وَقُوِيْلَتْ مِنَّا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
كَذَا دَأْبُنَا لِلْقَادِمِينَ مَحَلَّنَا
وَهَذَا جَوَابٌ عَنْ نِظَامِكَ إِنَّنَا
وَنَحْنُ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ آلِ جَمِيرِ
بِهَمِّتِنَا الْعُلَا سَمَوْنَا إِلَى الْعُلَا
شَدَدْنَا لَهَا أَزْرًا وَشَدَدْنَا بِنَاءَهَا
نَظَمْنَا شَتِيَّتَ الْمَجْدِ بَعْدَ افْتِرَاقِهِ
وَرَضْنَا جِيَادَ الْمُلْكِ بَعْدَ جِمَاحِهَا
مَنَاقِبَ زَيْنَانِيَّةٍ^(٥) مُوسَوِيَّةٍ
يُقْصَرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ مُبْتَنٍ
فَلِلَّهِ مِنَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ دَائِمًا
وَنَخْتَصُّكُمْ مِنَّا السَّلَامُ الْأَثِيرَ مَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «إِلَيْنَا»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) الْفَرْسُ السَّلْهَبُ: الطَوِيلُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعَمٍ» وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٤) الصَّافِنَاتُ: الْخَيْلُ الْقَائِمَةُ عَلَى ثَلَاثٍ. وَالصَّلَادِمُ: جَمْعُ صِلْدِمٍ وَهُوَ الصَّلْبُ الشَّدِيدُ.

(٥) نِسْبَةٌ إِلَى زَيْنَانَ الَّذِي يَتَنَحَّى إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو حَتْمٍ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ زَيْنَانَ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى...»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

قلت: ولما تعرّفتُ كَلَفَهُ بالأدب والإلمام بمُجَاوَرَتِهِ، عَزَمْتُ على لقائه، وتشوّقْتُ عند العَزْمِ على الرّحْلة الحجازية، إلى زيارته، ولذلك كنتُ أخاطبه بكلمة منها: [الطويل]

على قَدَرٍ قد جِثَّتْ قَوْمَكَ يا موسى فَجَلَّتْ بِكَ التُّغْمَى وزالَتْ بِكَ البُوسَى
فحالَتْ دون ذلك الأحوال، وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، وفقه الله، وسائر مَنْ تولى أمراً من أمور المسلمين.

وجرى ذكره في رجز الدول^(١) من نظمي: [الرجز]

بَادَرَهَا الْمُقَدِّي الهَمَامُ موسى فَأَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنْهَا البُوسَى
جَدَّدَ فِيهَا الْمُلْكَ لَمَّا أَخْلَقَا وَبَعَثَ السُّعْدَ وَقَدْ كَانَ لِقَا
وَرْتَبَ الرُّتَبَ والرُّسُومَا وَأَظْلَعَ الشُّمُوسَ والنُّجُومَا
وَاخْتَجَجْنَ الْمَالَ بِهَا والعُدَّة وَهُوَ بِهَا بَاقٍ لِهَذِي المُدَّة

ولادته: ولد بمدينة غرناطة حسبما وَقَعَتْ عليه بخط الثقة من ناسه، في أول عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة^(٢).

مُبارك ومُظَفَّرُ الأميران مَوْلِيَا المنصور بن أَبِي عامر^(٣)

حَالَهُمَا: قال أبو مروان^(٤): تَرَقَّيَا إلى تَمَلُّكِ بَلَنَسِيَّةٍ من وكالة السَّاقِيَّةِ، وظَهِرَ من سياستهما وتعاوُضِهِمَا^(٥) صَحَّةُ الألفَةِ طَوْلَ حَيَاتِهِمَا، ما فاتا به في معنَاهُمَا^(٦) أَشْيَاءُ الأُخُوَّةِ وَعُشَّاقِ الأَحِبَّةِ، إِذْ نَزَلَا مَعًا بِقَصْرِ الإِمَارَةِ مُخْتَلِطَيْنِ، تَجَمَّعُهُمَا مَائِدَةٌ وَاحِدَةٌ من غير تَمَيِّزٍ في شيء، إِلَّا الحَرَمَ خَاصَّةً. وكان التَّقَدُّمُ لمُباركٍ في المُخَاطَبَةِ، وحفظ رسوم الإِمَارَةِ، أَفْضَلُ صِرَامةً وَذِكْرًا، قَصَرَ عَنْهُمَا مُظَفَّرٌ، لَدِمَاثَةِ خُلُقِهِ، وَانْحِطَاطِهِ

(١) رجز الدول: هو نفسه كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٢) قُتِلَ أَبُو حَمُو فِي مَعْرَكَةِ دَبْرَهَا ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْإِتِّفَاقِ مَعَ بَنِي مَرِينٍ، وَذَلِكَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «الغيران» يَبْعَدُ نِصْفَ يَوْمٍ عَنِ تَلْسَانَ، فِي ٤ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٧٩١ هـ.

(٣) أَخْبَارُ مُبَارَكٍ وَمُظَفَّرٍ فِي أَعْمَالِ الْأَعْمَالِ الْقِسْمِ الثَّانِي ص ٢٢٢) وَالدُّخِيرَةُ (ق ٣ ص ١٤) وَالْمَغْرِبُ (ج ٢ ص ٢٩٩) وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبُ (ج ٣ ص ١٥٨).

(٤) قَارَنَ بِالدُّخِيرَةِ (ق ٣ ص ١٤ - ١٥، ١٨) وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبُ (ج ٣ ص ١٥٨ - ١٥٩) وَأَعْمَالُ الْأَعْلَامِ (القسم الثاني ص ٢٢٢).

(٥) فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «وَتَقَارُضُهُمَا».

(٦) فِي الْأَصْلِ: «مَعْنَاهَا» وَالتَّصَوُّبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

لصاحبه في سائر أمره، على نخلته^(١) بكتابة ساذجة وفروسة^(٢)، قَبَلَعَا الغَايَةَ من اقْتِنَاءِ الأسلحة والآلات الملوكية، والخَيْلِ الْمُغْرِيَاتِ، ونَفِيسِ الحلي والحُلَلِ، وإشَادَةِ البناء للقصور. واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، وَمَنْ تَعَلَّقَ بهما من وُزرائيهما وكُتَّابهما، ولم يَغْرِضْ لهما عارضُ إنفاق^(٣) بتلك الآفاق، فأنْغَمَسَا في التَّعِيمِ إلى قِمَمِ رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال^(٤): وكان موث مبارك أنه ركب يوماً من قصر بلنسية، وقد تعرَّض أهلها مُسْتَغِيثِينَ من مالٍ افْتَرَضَهُ عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يَعمُ المسلمون نَفْعُهُ فلا تُؤَخِّرْ عقوبتي يومي هذا. وركب إثر ذلك، فلما أتى القنطرة، وكانت من خشب، خرَّجت رجلٌ قَرَمِيه من حَدَّها فرمى به أسفلها، واعترضته خَشَبَةً نَائِثَةً^(٥) شَرَخَتْ وجهه، وسَقَطَ الفَرَسُ عليه، ففاضت نفسه، وكفاهم الله أمره يومئذ.

وفي مبارك ومظفر يقول أبو عمرو بن دراج القسطلي، رحمه الله^(٦): [الطويل]

أَنُورِكَ أم أَوْقَذْتَ بِاللَّيْلِ نَارَكَ
لِبَاغِ قِرَاكِ أَوْ لِبَاغِ جَوَارِكَ؟
وَرَيَاكِ أم عَزَفَ الْمَجَامِيرُ أَشْعَلْتَ
بِغُودِ الْكِبَاءِ وَالْأَلْوَةِ^(٧) نَارَكَ؟
وَمُبْسِمُكَ الْوَضَاحُ أم ضَوْءُ بَارِقِ
خَدَاهُ دُعَائِي أَنِ يَجُودَ دِيَارَكَ؟
وَحَلْخَالِكَ اسْتَنْصَيْتِ أم قَمَرٌ بَدَا؟
وَشَمْسٌ تَبَدَّتْ أم أَلْخَبَتْ سِوَارَكَ؟

(١) في أعمال الأعلام: «على تحليه». (٢) في المصادر: «وفروسية».

(٣) في أعمال الأعلام: «إنفاق».

(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ٢٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٣) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٥).

(٥) في الذخيرة: «نايبة شدخت». وفي أعمال الأعلام: «ثانية شدخت».

(٦) ديوان ابن دراج القسطلي (ص ١٠١ - ١٠٨). وورد منها في الذخيرة (ق ٣ ص ١١ - ١٢) فقط خمسة أبيات. وفي المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) بيت واحد. وورد معظمها في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٣ - ٢٢٥) ولكن بروي مختلف، فجاء بكاف مفتوحة تتبعها ألف، أي باستعمال ضمير المخاطب المذكور، هكذا: (جواركا).

(٧) الكباء: ضرب من العود يتبخَّر به. وكذلك الألوة.

وَطَرَّةٌ صُبِحَ أَمِ جَبِيئُكَ سَافِرًا
 أَعَزَّتِ الصَّبَاحُ نُورَهُ أَمْ أَعَارَكَ؟
 وَأَنْتِ هَجَرْتِ^(١) اللَّيْلَ إِذْ هَرَمَ الضُّحَى
 كَتَائِبُهُ وَالصُّبْحَ لَمَّا اسْتَجَارَكَ
 فَلِلصُّبْحِ فِيمَا بَيْنَ قِرْطَيْنِكَ مَطْلَعٌ
 وَقَدْ سَكَنَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ خِمَارَكَ
 فَيَا لِنَهَارٍ لَا يَغِيضُ^(٢) ظِلَامُهُ
 وَيَا لِظْلَامٍ لَا يُغِيضُ^(٣) نَهَارَكَ
 وَنَجَسُ الثُّرَيَّا أَمْ لَالٍ تَقَسَّصَتْ
 بِمِئْنِكَ إِذْ ضَمَخَتْهَا أَمْ يَسَارَكَ؟
 لِسُلْطَانٍ^(٤) حُشِنَ فِي بَدِيعِ مُحَايِنٍ
 يَصِيدُ الْقُلُوبَ التَّافِرَاتِ يَفَارَكَ
 وَجُنْدٍ غَرَامٍ فِي دُرُوعٍ^(٥) صَبَابَةٍ
 تَقْلُذْنَ أَقْدَارَ الْهَوَى وَاقْتَدَارَكَ
 هُوَ الْمُلْكُ لَا يَلْقَيْسُ أَذْرَكَ شَأْوَهَا
 مَدَاكِ وَلَا الزُّنَاءُ شَقَّتْ غُبَارَكَ
 وَقَادِحَةٌ^(٦) الْجَوَازِ رَاعِيَتْ مَوْهِنَا
 بِحَرِّ هَوَاكِ أَمْ تَرَسَّمْتُ^(٧) دَارَكَ؟
 وَطَنُكَ أَسْرَى فَاسْتَنَارَ تَشْوُوقِي
 إِلَى الْعَهْدِ أَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتَنَارَكَ؟
 وَمَوْقِدُ^(٨) أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتَطَارَنِي
 أَمْ الرُّوحُ لَمَّا رُدَّ فِي اسْتَطَارَكَ؟
 فَكَمْ جُزَّتِ مِنْ بَحْرِ إِلَيَّ وَمَهْمَةٍ
 بِكَأَذْيَتِّي الْمُسْتَهَامِ أَذْكَارَكَ

(١) في الديوان وأعمال الأعلام: «أَجَزَّتِ». (٢) في أعمال الأعلام: «بسلطان». (٣) في الديوان وأعمال الأعلام: «وقادحة». (٤) في الديوان وأعمال الأعلام: «ومؤتد». (٥) في أعمال الأعلام: «لا يغيظ». (٦) في أعمال الأعلام: «اضلوع». (٧) في أعمال الأعلام: «توسمت».

أَدُو^(١) الْحَظَّ مَنْ عِلِمَ الْكِتَابَ حَدَاكَ^(٢) لِي؟
 أَمْ الْفَلَكُ الدَّوَارُ نَحْوِي أَدَارَكَ^(٣)؟
 وَكَيْفَ كَتَمْتَ اللَّيْلَ وَجْهَكَ مُظْلِمًا
 أَشْغَرَكَ أَغْشَيْتَ^(٤) السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ؟
 وَكَيْفَ اعْتَسَفْتَ^(٥) إِلَيْدَ لَا فِي ظُعَائِنِ
 وَلَا شَجَرُ الْخَطِي خَفَّ شِجَارَكَ^(٦)؟
 وَلَا أَذَنَ الْحَيِّ الْجَمِيعُ بِرُخْلَةٍ
 أَرَاخَ لَهَا رَاعِي الْمَخَاضِ عِشَارَكَ^(٧)؟
 وَلَا أَزْرَمْتَ^(٨) خُوصَ الْمَهَارِي مُجِيبَةً
 صَهِيلَ جِيَادٍ يَكْتَنِفُنَ قِطَارَكَ^(٩)؟
 وَلَا أَذَكَّتِ الرُّكْبَانُ عَنْكَ عِيُونَهَا^(١٠)
 جِذَازَ عِيُونٍ لَا يَتَمَنَّيَنَّ جِذَازَكَ
 وَكَيْفَ رَضِيتَ اللَّيْلَ مَلْبَسَ طَارِقٍ
 وَمَا دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إِلَّا اسْتِنَارَكَ؟
 وَكَمْ دُونَ رَحْلِي مِنْ بَرُوجٍ^(١١) مَشِيدَةٍ
 تُحَرِّمُ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ مَزَارَكَ
 وَقَدْ زَارَتْ حَوْلِي أَسْوَدُ تَهَامَسَتْ
 لَهَا الْأَسَدُ أَنْ كُفِّي عَنِ السُّنْعِ زَارَكَ
 وَأَرْضِي سَيُولُ مِنْ خُبُولٍ مُظْفَرٍ
 وَلَيْلِي^(١٢) تُجُومُ مِنْ سَمَاءٍ^(١٣) مُبَارَكَ

(١) في أعمال الأعلام: «إذا».

(٢) في أعمال الأعلام: «يحمي أذكارك».

(٣) في الديوان وأعمال الأعلام «أغشيت» بالغين المعجمة.

(٤) في أعمال الأعلام: «عسفت».

(٥) الشجار، يفتح الشين وكسرهما: هو خشب هودج النساء.

(٦) العشار من الإبل: الحوامل التي مضت عليها عشرة أشهر.

(٧) في أعمال الأعلام: «أزحت».

(٨) القطار: هو أن تشد الإبل على نسقٍ واحدًا خلف واحد.

(٩) إذكاء العيون: هو إرسال الطلائع.

(١٠) في الديوان: «قصوري».

(١١) في أعمال الأعلام: «وليل».

(١٢) في الذخيرة: «رماح». وفي أعمال الأعلام: «سيوف».

بِحَيْثُ وَجَدْتُ الْأَمْنَ يَهْتَفُ بِالْمُنَى
 هَلُمِّي إِلَى عَيْنَيْنِ^(١) جَادَا سَرَارِكِ^(٢)
 هَلُمِّي إِلَى بَخْرَيْنِ قَدْ مَرَجَ التُّدَى
 عُبابَيْنِهِمَا لَا يَسْأَمَانِ انْتِظَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى سَيْفَيْنِ وَالْحَدُّ وَاحِدٌ
 يُجِيرَانِ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ جَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى طَرْفَيْنِ رِهَانٍ تَقْدُماً
 إِلَى الْأَمْدِ الْجَالِي عَلَيْكَ اخْتِيَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى قُطْبِي نَجُومِ كِتَابِي
 تَنَادِي نَجُومَ الشَّمْسِ غُورِي مَغَارَكَ^(٣)
 وَحَيِّي عَلَى دَوْخَيْنِ جَادَا^(٤) نَدَاهُمَا
 ظِلَالُكَ وَاسْتَنْذَى إِلَيْكَ^(٥) إِمَارَكَ
 وَبُشْرَاكَ قَدْ قَارَتْ قِدَاخُكَ بِالْعُلَا^(٦)
 وَأَغْطَيْتِ مَنْ هَذَا الْأَنَامِ خِيَارَكَ
 شَرِيكَانِ فِي صِدْقِ الْمُئْتَى وَكِلَاهُمَا
 إِذَا قَارَنَ^(٧) الْأَقْرَانُ غَيْرُ مُشَارَكَ
 هُمَا سَمِيعَا دَعْوَاكَ يَا دَعْوَةَ الْهَدَى
 وَقَدْ أَوْثَقَ الدَّهْرُ الْخَوْوُنَ إِسَارَكَ
 وَسَلَا سَيُوقَا لَمْ تَزَلْ تَلْتَضِي أَسَى^(٨)
 بِثَأْرِكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ لَكَ ثَارَكَ
 وَيَهْنِيكَ يَا دَارَ الْخِلَافَةِ مِنْهُمَا
 هِلَالَانِ لَاحَا يَرْفَعَانِ مِنْارَكَ
 كِلَا الْقَمَرَيْنِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ
 أَنْارَتْ^(٩) كُسُوفِيكَ وَجَلَّتْ سِرَارَكَ

- (١) في أعمال الأعلام: «عَيْنَيْنِ». (٢) سرار الأرض: أوسطها وأكزَمُها.
 (٣) هذا البيت ساقط في الديوان. (٤) في أعمال الأعلام: «مَدَّ». (٥) في الديوان «إِلَيَّ». (٦) في الديوان وأعمال الأعلام: «بِالْمُنَى». (٧) في الديوان «بَارَزَ». وفي أعمال الأعلام: «بَارَزَا». (٨) في أعمال الأعلام: «أَذَى فَتَارَكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ فَتَارَكَ». (٩) في الأصل: «أَنَارَتْ» والتصويب من الديوان.

فَقَادَ إِلَيْكَ الْخَيْلَ شُغْفًا شَوَازِيَا
يُلَبِّينَ بِالنُّضُرِ الْعَزِيزِ انْتِصَارَكَ
سَوَابِقَ هَيْجَاءٍ كَأَنَّ صَهِيلَهَا
يُجَاوِبُ تَحْتَ الْخَافِقَاتِ شِعَارَكَ
بِكُلِّ سَرِيٍّ الْعِثْقِ سَرَى عَنْ الْهُدَى
وَكُلِّ حَمِيٍّ الْأَنْفِ أَخْمَى ذِمَارَكَ
تَحَلُّوا مِنَ الْمَنْصُورِ نَضْرًا وَعِزَّةً
فَأَبْلَوْكَ فِي يَوْمِ الْبَلَاءِ اخْتِيَارَكَ
إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمَ الطُّعَانِ لِعَامِرٍ
فَعُمُرُكَ يَا هَامَ الْعِمْدَى لَا عَمَارَكَ!
يَقُودُهُمْ مِنْهُمْ سِرَاجًا كِتَائِبِ
يَقُولَانِ لِلدُّنْيَا: أَجْذَى افْتِخَارَكَ
إِذَا افْتُرَّتِ الرِّيَاضُ عَنْ غُرَّتَيْهِمَا
فِيَا لِلْعِدَى أَضَلَّتْ مِنْهُمْ فِرَارَكَ
وَإِنْ أَشْرَقَ الثَّادِي بِنُورِ سَنَاوَمَا
فَبُشِّرِ الْأَمَانِي: عَيْنُكَ^(١) لَا ضِمَارَكَ^(٢)
وَكَمْ كَشَفَا^(٣) مِنْ كُزْبَةٍ بَعْدَ كُزْبَةٍ
نَقُولُ لَهَا النِّيرَانُ: كُفِّي أَوَارَكَ
وَكَمْ لَبِيَا مِنْ دَعْوَةٍ وَتَدَارُكَا
شَفَى رَمَقٍ مَا كَانَ بِالْمُتَدَارَكَ
وَيَا نَفْسَ غَاوٍ، كَمْ أَقْرَا نَفَارَكَ
وَيَا رَجُلَ هَاوٍ، كَمْ أَقَالَا عَثَارَكَ
وَلَسْتُ بِبِذْعٍ حِينَ قُلْتُ لِيَهْمَتِي
أَقُولِي لِإِعْتَابِ الزُّمَانِ انْتِظَارَكَ

(١) كذا في الأصل وفي الديوان، ولكي يستقيم الوزن ينبغي أن ننطق هذه الكلمة بإشباع كسرة الكاف هكذا: «عَيْنُكِي».

(٢) الضمار: خلاف العيان.

(٣) في الأصل: «كشفتا» ونعتقد أنه خطأ في الطبع.

فلله صِدْقُ الْعَزْمِ آيَةٌ^(١) غِرَّةٌ
 إِذَا لَمْ تُطِيعِي فِي «لَعْل» اغْتِرَارَكَ
 فَإِنَّ غَالَتِ الْبَيْدُ اصْطِبَارَكَ وَالسُّرَى
 فَمَا غَالَ ضَنْمُ الْكَاشِحِينَ اصْطِبَارَكَ
 وَيَا خُلَّةَ التَّنْوِيفِ، قُومِي فَأَغْدِفِي^(٢)
 قِنَاعَكَ مِنْ دُونِي وَشُدِّي إِزَارَكَ
 وَحَسْبُكَ بِي يَا خُلَّةَ النَّاي خَاطِرِي
 بِنَفْسِي إِلَى الْحِظِّ النَّفِيسِ حِطَارَكَ
 فَقَدْ آنَ إِعْطَاءُ التَّوَى صَفْقَةُ الْهَوَى
 وَقَوْلُكَ لِلْأَيَّامِ: جُورِي مَجَارَكَ^(٣)
 وَيَا سُتْرَ الْبَيْضِ التَّوَاعِمِ، أَغْلِنِي^(٤)
 إِلَى الْيَغَمَلَاتِ وَالرَّحَالِ بَدَارَكَ^(٥)
 نَوَاجِي وَاسْتَوْدَعْتُهِنَّ نَوَاجِيَا
 جِفَاظَكَ يَا هَذِي بِذِي وَازِدِهَارَكَ^(٦)
 وَدُوْنَكَ أَنْفِلَادَ الْفَوَادِ قَشْمُرِي
 وَدُوْنَكَ يَا عَيْنَ الْبَيْبِ اعْتِبَارَكَ
 صَرَفْتُ الْكَرَى عَنْهَا بِمُقْتَبَقِ السُّرَى
 وَقَلْتُ: أَدِيرِي وَالنَّجْوَمَ عُقَارَكَ
 فَإِنَّ وَجَبَتْ لِلْمُفْرَيْنِ جُثُوبُهَا^(٧)
 فِدَاوِي بِرَقْرَاقِ السُّرَابِ خُمَارَكَ
 فَأُورِي^(٨) بِرَزْنَدَنِي سُدْقَةَ وَدُجْنَةِ
 إِذَا كَانَتْ لِي مَرْخُكِ وَعَفَارَكَ^(٩)

(١) في أعمال الأعلام: «آية».

(٢) في الأصل: «فأغدقي» والتصويب من المصدرين. وأغْدَفَ القناع: أرسله.

(٣) في الديوان: «حوري محارك» بالحاء المهملة.

(٤) في أعمال الأعلام: «اعلمي».

(٥) في الديوان: «يرارك».

(٦) الازدهار بالشيء: الاحتفاظ به.

(٧) في أعمال الأعلام: «وجوبها».

(٨) في الديوان: «وأوري».

(٩) المَرْخُ والعَفَار: ضربان من الشجر، ذكرهما الشاعر؛ لأن النار تقدح من أغصانهما، ولهذا فالعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. ونلاحظ هنا أن «مرخك» ينبغي أن تنطق بإشباع كسرة الكاف حتى يستقيم الوزن.

وإن خَلَعَ السَّيْلُ الْأَصَائِلَ فَاخْلَعِي
إِلَى الْمَلِكَيْنِ الْأَكْرَمَيْنِ عِذَارَكَ
بَلَثْسِيَّةً مَثْوَى الْأَمَانِي فَاظْلُبِي
كُتُورَكَ فِي أَقْطَارِهَا^(١) وَاذْخَارَكَ
سَيْثِيكَ زَجْرِي عَنْ بَلَاءِ نَسِيئَتِهِ
إِذَا أَضْبَحْتَ تِلْكَ الْقُصُورُ قُصَارَكَ
وَأَظْفِرَ سَغْيِي بِالرُّضَا مِنْ مُظْفَرٍ
وَيُورِكَ لِي فِي حُسْنِ رَأْيِي مُبَارَكَ^(٢)
قَصِي^(٣) الْمُنَى قَدْ شَامَ بَارِقَةُ الْحَيَا
وَأَنْشَقَّتْ يَا ظِلُّرَ الرُّجَاءِ حُورَكَ^(٤)
وَحَمْدًا يَمِينِي قَدْ تَمَلَّاتِ بِالْمُنَى
وَشُكْرًا يَسَارِي قَدْ حَوَّيْتَ يَسَارَكَ
وَقُلْ لِسَمَاءِ الْمُزْنِ: إِنْ شِئْتَ أَقْلَعِي
وَيَا أَرْضَهَا^(٥) إِنْ شِئْتَ غِيضِي بِحَارَكَ
وَلَا تُوجِشِي يَا دَوْلَةَ الْعِزِّ وَالْمُنَى^(٦)
مَسَاءَكَ مِنْ نُورِنَهُمَا وَابْتِكَارَكَ

وصولهما إلى غرناطة: وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المرتضى،
وكان من انهزام الجميع بظاھرھا، وإيقاع الصناهجة^(٧) بهم ما هو معلوم حسبما مرَّ
ويأتي بحول الله.

(١) في أعمال الأعلام: «أعطانها».

(٢) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد في المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) وجاءت فيه رواية صدر البيت هكذا:

وَأَظْفَرْتُ أَمَالِي بِقَصْدٍ مُظْفَرٍ

(٣) في الديوان: «نُظْمٌ».

(٤) الظفر: المرضعة، والخوار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم. وأنشق الدابة ولدها: قرّبه إليها حتى تشمه.

(٥) في الديوان: «ويا أرضاً».

(٦) في الديوان وأعمال الأعلام: الندى.

(٧) أي الإيقاع بجند صنهاجة.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
يكنى أبا علي.

أوليته: معروفة، قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه.

حاله: كان، رحمه الله، فتى القوم، لسيّئاً، مُفَوِّهاً، مُذَرِّكاً، متعاطياً للأدب والتاريخ، مُخَالَطاً لِلْبُلَاءِ، مُتَسَوِّراً خُلُقَ الْعُلَمَاءِ، غَزْلاً، كَلَفًا بالدُعابة، طُرْفَةً من طُرْف أهل بيته، قويّ الشكيمة، جواداً بما في وسعه، مُتَنَاهِياً في البدانة. دخل غرناطة في الجُمْلَةِ من إخوانه وبني عمّه، مُغَرِّبين عن مَقَرِّ الملوك بالمغرب، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمئة. وزكّب البحر في الخامس والعشرين منه، عندما لَحِقَ أخوه عبد الحكيم بالمغرب. وبأيعه الناس، ولاخّث له بارقة لم تكّد تُقَدّ حتى خَبَثَتْ، فبادر إلى مَظَاهِرَتِهِ في جَفْنٍ غَزَوِيٍّ^(١) من أسطول الأندلس، وصَحِّبَهُ قَوْمٌ مِمَّنْ يَخْطُبُ الْخُطَطَ، وَيَبْتَدِرُ رَمَقَ الدُّوَلِ، وهال عليهم البحر، فطَرَحَ الْجَفْنَ بِأَخْوَازِ غَسَّاسَةٍ، وقد عادتْهَا مُلْكَةٌ عَدُوُّهُمْ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ، وأدخل مدينة فاس في الثاني لربيع الآخر من العام، مشهور المَزْكِبِ على الظُّهْرِ، يُضْرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبْلٌ لِلشُّهْرَةِ، وناقورُ الْمُثَلَّةِ، وأجلس بين يدي السلطان، فأبْلَى بما راق الحاضرين من بيانه من العُذْرِ للخروج بالاستيمالة حتى لُرْجِي خِلاصُهُ، واستقرَّ مُتَقَفًّا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَرَاغِيفُ، ويحوم حول مَطْرَحَةِ الْإِخْتِبَارِ إِلَى حِينِ وفاته.

شعره: أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطْبَةَ من شعره، وكان صاحبه في الرِّحْلَةِ، ومُزَامِلُهُ فِي أَسْطُولِ الْمُنْحَسَةِ، وذلك قوله: [مخلع البسيط]

سوف ننالُ المُنَى ونَرْقَى	مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْمَعَالِي
إذا حَطَطْنَا بِأَرْضِ فَاسٍ	وَحُكِّمَتْ فِي الْعِدَى الْعَوَالِي
فَأَنْتَ عِنْدِي بِهَا حَقِيقٌ	يَا حَائِزَ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ

(١) الْجَفْنُ وَالْجَفْنَةُ: واحدة الأجفان، وهو سفينة حربية دائرية شبيهة بالقصعة، من سفن الغزو والحرب، اهتمّ بها المغرب الإسلامي وكثر استعماله لها. وإذا أضيفت لفظة «جفن» هنا إلى صفة «غزوي» فإنها تضاف أيضاً إلى «بحري» و«حربي»، فيقال: جفن بحري، وجفن حربي. كذلك استعمل الجفن إلى جانب الحروب، في نقل المتاجر. راجع السفن الإسلامية على حروف المعجم (ص ٢٣ - ٢٧) وتكملة المعاجم العربية (ج ٢ ص ٢٣١).

وفاته: في وسط جمادى الأولى من العام^(١)، دخل عليه في بيت مُتَعَقِلَه فقتل، ودُفِن ببعض مدافنهم، رحمة الله عليه.

مُقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب، وقال فيه أبو القاسم الغافقي: من أهل غرناطة، ويُلقَّب بذي الوزارتين، ويعرف بالرُّيه^(٢) لَحْمَرَةٍ كانت في وجهه.

حاله: كان من الفُرسان الشجعان، لا يُضْطَلَى بناره، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال. وولاه الأمير عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس مدينة أَلْيَسَانَة^(٣)، والتقى به ابن عباد وأخذ بِمُخْتَقِهَا، وكان عبد الله يَحْذَرُه. وعندما تحقَّق حركة اللمتونيين^(٤) إليه، صَرَفَه عن جهته، فقلَّ لذلك ناصِرُه، وأسرع ذهاب أمره.

شجاعته: قال: وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلْقَيْن، أمير غرناطة، وقِيعَة الثَّيْبِل في صدر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وجُرح وجهه، ومُزِق دِرْعُه بالطَّغْن والضَّرْب. وذكر من حضرها ونجا منها، قال: كنت قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر، وحَمَلْتُ الترس ولم أعلم به، وحَمَلَنِي الله إلى طريق مَنجاة فَرَكِبْتُهَا، مرَّةً أقع ومرَّةً أقوم، فأدرَكْتُ فارسًا على فرس أذهم ورُمَحُه على عاتقه، ودَرَقْتُهُ على فَخْذِه، ودرعه مُهْشِكَة بالطَّغْن، وبه جُرح في وجهه يُغْيب دَمًا تحت مِغْفَرِه، وهو مع ذلك ينهض على رَسْلِه، فرجعت إلى نفسي فوجدتُ ثِقْلًا، فتذكرت الترس، فأخرجتُ جِمَالَتِه عن عَاتِقِي، وأَلْقَيْتُهُ عَنِي، فوجدتُ خِفَّةً، وعدتُ إلى العَدُوِّ، فصاح ذلك الفارس: خُذ الترس، قلت: لا حاجة لي به، فقال: خُذْه، فتركته وولَّيتُ مسرعًا، فهمز فَرَسُه ووضع سِنان رُمَحِه بين كَتِفَيَّ، وقال: خذ الترس، وإلَّا أخرجتُه بين كتفك في صَدْرِك، فرأيت الموت الذي فررت منه، ورجعت إلى الترس فأخذته، وأنا أدعو عليه، وأسرعَت عَدُوًّا، فقال لي: «على ما كنتَ فليكن عدوك»، فاستَعَدْتُ

(١) أي عام ٧٦٣ هـ.

(٢) هذه الكلمة إسبانية El Rojo، ومعناها الأحمر.

(٣) أَلْيَسَانَة أو أَلْيَسَانَة: بالإسبانية Lucena، وهي إحدى مدن غرناطة، وتسمى مدينة اليهود؛ لأن اليهود كانوا يسكنون بجوفها ولا يداخلهم فيها مسلم ألبنة، وكان لها رِيش يسكنه المسلمون وبعض اليهود. راجع مملكة غرناطة (ص ٦٣).

(٤) اللمتونيون: هم المرابطون، إذ تحرَّكوا إلى غرناطة سنة ٤٨٣ هـ لمقاتلة أميرها عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس بن حبوس الزيري. راجع مملكة غرناطة (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

وقلت: ما بعثه الله إلا لهلاكه، وإذا قطعة من خَيْلِ الروم قد بصرت به، فوقع في نفسه أنه يُسرع الجري فَيَسلم وأُقتل، فلَمَّا ضاق الطُّلُق ما بينه وبين أَقْرَبِهِمْ منه، عَطَفَ عليه كالْعُقَاب، وطعنه ففطره، وتخلَّص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، ومال على الثالث فانهزم منه، فرجع إلَيَّ، وقد بهت من فعله، ورشاش دم الجرح يتطاير من قناع البَغْفَر لشدَّة نفسه، وقال لي: يا فاعل، يا صانع، أثَلَيَّ الرُّمَحَ ومعك مقاتل الرُّه؟

انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة

* * *

ومن السُّفر التاسع من ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي

من البيرة.

حاله: كان شيخًا مَضْعُوفًا يَغْلِبُ عليه البَلَه، من أهل التَّعِين والحَسَب والأصالة، عريقًا في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. وَلِيَ قضاء البيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رَفَعَتْ إليه امرأة كتابَ صَدَاقِها، فقال: الصَّدَاقُ مَفْسُوخٌ، وأنتما على حَرَام، فافترقا، فَرَّقَ الله بينكما. ثم رمى بالصَّدَاقِ إلى مَنْ حوله، وقال: عَجَبًا لمن يَدَّعي فِقْهًا ولا يعلمه، أو يزعم أنه يُوثَّق ولا يُثَقَّن، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصَّدَاق، وهو مفسوخ، ما أحقُّه أن يُعْرَمَ ما فيه. فدار الصَّدَاق على يَدَيَّ كل مَنْ حضر، وكل يقول: ما أرى موضعَ قَسْخ، فقال: أنتم أجهلُ من كاتبه، لكنني أَعْذُرُكُمْ؛ لأن كل واحد منكم يَسْتُرُ على صاحبه خطأه، انظروا وأمنحكم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئًا يوجب قَسْخًا. فدنا منه محمد بن قُطَيْس الفقيه، فقال: أصلح الله القاضي، إن الله مَنَحَكَ من العلم والفهم ما نحن مُقِرُّون بالعجز عنه، فَأَفِذْنَا هذه الفائدة، فقال: اذْنُ، فدنا منه، فقال: أوليس في الصَّدَاق: «ولا يمنعها زيارة ذوي محارمها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ ولولا معرفتي بمحبَّتِكَ ما أعلَنْتُكَ. فشكره الشيخ، وأخذ بطَرْفٍ لحيته يجره إليه حتى قَبَّلَهَا، وكان عظيم اللحية طوبلَهَا، شيمة أهل هذه الطَّبَقَة. قال ابن قُطَيْس: أنا المخصوص بالفائدة، ولا أعْرِفُ بها إلا مَنْ تَأَذَّن بتعريفه إياها، فتبسَّم القاضي معجبًا بما رأى،

وَشَفَعُوا إِلَيْهِ أَنْ لَا يَفْسخَ الصَّدَاقُ، وَقِيلَ لِلزَّوْجَيْنِ: لَا تَطْلُبَا بِهِ عِنْدَهُ شَيْئًا. وَوُلِّيَ قَضَاءَ جَيَّانَ.

ومن الطارئين والغرباء

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل ألمرية، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس وأفصحهم، ومن أهل التَّعَيُّنِ والعناية التامة، واستُقْضيَ بالمَريَّة.

مُشِيخته: سمع من أبي محمد الإصبهاني، ورحل وروى عن أبي ذرٍّ الهَرَوِي.

توَالِيقه: ألف كتابًا في «شرح البخاري»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وقيل سنة...^(١).

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج^(٢)

المُزَلُّ بُوادي الحِجَارَةِ بمدينة الفَرَجِ المنسوبة إليه الآن.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لي بخطه بِسَبْتَةَ، وهو مصمودي ثم شَضَادِي مولى بني مخزوم، مَالَقِي، سكن سَبْتَةَ طَوِيلًا ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سَبْتَةَ مرة أخرى، وبآخرة فاس، يكنى أبا الحكم وأبا المجد، والأولى أشهر، ويعرف بابن المُرَحَّل، وَصَفَ جَرَى عَلَى جَدِّهِ عَلِيَّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَمَّا رَحَلَ مِنْ شَتْمَرِيَّة^(٣)، حين إسلامها للروم عام خمسة وستين وخمسمائة.

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة مالك بن عبد الرحمن بن الفرج، المعروف بابن المرحل، في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨٤) وجدوة الاقتباس (ص ٢٢٣) وهدية العارفين (ج ١ ص ١).

(٣) شتَمَرِيَّة: بالإسبانية Santa María de Algarve، وتسمى أيضًا: شتَمَرِيَّة الشرق، وهي من مدن أكشونية، ومن حصون بنبلونة، على ضفة نهر أرغون. الروض المعطار (ص ٣٤٧).

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعرٌ رقيقٌ مطبوعٌ، متقدّمٌ، سريعٌ البديهة، رشيقٌ الأغراض، ذاكرٌ للأدب واللغة. تحرّف مدّةً بصناعة التوثيق ببلده، وولّي القضاء مراتٍ بجهات غرناطة وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعر أغلب عليه. وذكره ابن خلد، وابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يستوف له ما استوفى لغيره، وأما ابن خلد، فقصر به، إذ قال: كانت نشأته بمالقة بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميز بحسب، ولم يتقدّم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوضه بالظهور من الحمول نظمه ونثره، فطلع في جبين زمانه غرةً منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه ذرةً خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيه بإدراك كل معنى وسيم. والإنصاف فيه ما ثبت لي في بعض التقييدات، وهو الشيخ الميسن المغمّر الفقيه، شاعرٌ المغرب، وأديب ضفّعه، وحامل الزاية، المعلم بالشهرة، المثل في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وأثقياد القريحة، واسترسال الطبع، والتفاد في الأغراض. استعان على ذلك بالعلم، بالمقاصد اللسانية لغةً وبياناً وعربيةً وعروضاً، وحفظاً واضطلاحاً، إلى نفوذ الذهن، وشدة الإدراك، وقوة العارضة، والتبريز في ميدان اللوذية، والقحة والمجانة، المؤيد ذلك بخفة الروح، وذكاء الطبع، وحرارة النادرة، وحلاوة الدعابة، يقوم على الأغربة والأخبار، ويشارك في الفقه، ويتقدّم في حفظ اللغة، ويقوم على الفرائض. وتولّى القضاء وكتب عن الأمراء، وحذم واستزفد، وكان مقصوداً من رواة العلم والشعر، وطلاب المُلح، ومُلتمسي الفوائد، لسعة الذرع وانفساح المعرفة، وعلو السن، وطيب المجالسة، مهيباً مخطوب السلامة، مرهوباً على الأغراض، في شدقه شفرته وناره، فلا يتعرض إليه أحد يتقد، أو أشار إلى قناته بغمز، إلا وناط به أبدة، تركته في المثلثات، ولذلك يخس وزنه، واقتحم جماء، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسبع على أبي جعفر بن علي الفخار^(١)، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره. وصحب وجالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الإستجي، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد^(٢)، وانتفع بهم في الطريقة، وبفاس أبا زيد اليرناسني الفقيه. ولقي بإشبيلية أبا

(١) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): المقرئ أبو جعفر الفحام.

(٢) رضوان بن خالد المخزومي من مالقة، كان أديباً شاعراً مجيداً، توفي سنة ٦٤٢ هـ. ترجمته في التكملة (ج ١ ص ٢٥٩) واختصار القدر المعلى (ص ١٨٥).

الحسن بن الدبّاع، وأبا عليّ الشّلوّيين، وأبا القاسم بن بقي، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك، وجماعة.

دخوله غرناطة: قال ابن الزبير^(١): تكرر قدومه علينا بغرناطة، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمئة. وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا: أنشد السلطان الغالب بالله، بمجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. وقال غيره: أقام بغرناطة، وعقد بها الشروط مدة. وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيّاب: وُلّي القضاء بجهات من البشارات^(٢)، وشكى للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر^(٣)، يا مَثْشُو^(٤)، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكّل، فقال أبو الحكم، رحمه الله، عند وقوفه عليه: قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» وهي من المقاصد النبيلة.

تواليقه: وهي كثيرة متعدّدة، منها شعره، والذي دُون منه أنواع، فمنه مختاره، وسماه بالجلولات، ومنه الصدور والمطالع. وله العشريّات والتبويّات على حروف المّعجم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الرّوي، وسماها، «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى». وعشريّاته الزّهدية، وأرجوزته المسماة «سلك المُتخلّ، لمالك بن المُرحّل» نظم فيها مُنخل أبي القاسم بن المغرّبي، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة، والأرجوزة المسماة «اللؤلؤ والمرجان» والمُوطأة لمالك. والأرجوزة في العروض. وكتابه في كان ماذا، المسمّى «بالرّمي بالحصا»، إلى ما يشق إحصاءه، من الأغراض النبيلة، والمقاصد الأدبية.

شعره: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: كان مُكثرًا من النّظم، مُجيدًا، سريع البديهة، مُستغرق الفكرة في قرضه، لا يفتّر عنه حينًا من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، وأخبرني أنّه دأبه، وأنه لا يقدر على صرّفه من خاطره، وإخلاءً به من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المُزمنة. واشتهر نظمه، وذاع شعره، فكُلِّفت به السنة الخاصّة والعامة، وصار رأس مال المُستمعين

(١) قارن بالذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧).

(٢) في الذيل والتكملة: «وُلّي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها». والبشارات أو البُشرات، Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفع الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

(٣) أشكر، بالإسبانية Huescar؛ وهو حصن يقع شمال شرقي غرناطة.

(٤) في الأصل: «تشر» وهو تحريف. ومَثْشُو: كلمة إسبانية: Macho وتعني: التيس.

والمُعْتَنِينَ، وهَجِيرَ الصَّادِرِينَ والوَارِدِينَ، ووسيلة المُكِدِّينَ، وطرَّاز أورداد المؤدِّنين وبطائفة البطالين، ونحن نجتزئ منه بنبد من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء الله. فمن ذلك في غرض النسيب: [الكامل]

دَنَيْفٌ تَسْتُرُ بِالْغَرَامِ طَوِيلًا
بُيْطُ الْوِصَالِ فَمَا تَمْكُنْ جَالِسًا
يَا سَادَتِي، مَاذَا الْجَزَاءُ^(١) قَدِيتُكُمْ
قَالُوا تَعَاظَى الصَّبْرُ عَنْ أَحِبَابِهِ
مَا ذَاقَ إِلَّا شَرْبَةً مِنْ هَجْرِنَا
أَيَقُولُ: عِشْتُ وَقَدْ تَمَلَّكَ الْهَوَى؟
خَلَفَ الْغَرَامُ بِحُبِّنَا وَجَمَالِنَا
إِنَّ الْجُفُونَ هِيَ السُّيُوفُ وَإِنَّمَا
قُلْ لِلْحَبِيبِ وَلَا أَصْرُحْ بِاسْمِهِ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ
وَلَكُمْ شَرِبْتُ صَفَاءً^(٢) وَذَكَ خَالِصًا
يَا^(٣) غُضْنَ بَايَ بَايَ عَنِّي ظِلُّهُ
اغْطِفْ عَلَى الْمُضْنَى الَّذِي أَخْرَفْتَهُ
فَارْقُتْهُ فَتَقَطَّعَتْ أَفْلَادُهُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ التَّغْيِيرُ لَمْ يَسَلْ
يَا رَاخِلًا عَنِّي بِقَلْبٍ مُغْضَبٍ
قُلْ لِلصَّبَا: هَيْجَتِ أَشْجَانُ الصَّبَا
هَلْ لِي رَسُولٌ فِي الرِّيحِ؟ فَإِذَا^(٤) مَنْ
يَا لَيْتَ شِغْرِي، أَيْنَ قَرَّ قَرَارُهُ؟
إِنْ لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الْوِصَالَ كَعَهْدِنَا

وَقَالَ نَسِيًّا وَمَدَحًا: [الكامل]

أَعْدَى عَلَيَّ هَوَاهُ خَضَمَ جَفُونَهُ
مَا لِي بِهِ قَبَلٌ وَلَا بِفَنُونِهِ

(١) في الأصل: «الجزء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «صفاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «فيا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «فاز»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

إن لم تُجِرْني منه رحمة قلبه
 صاب من الأتراك أصبى مُهْجتي
 مُتَمَكِّنٌ في الحُسن نون صِدْغِه
 تُسَابِ عَقْرَبُ صِدْغِه في جَنَّة
 وَلَوْ ضَفِيرَتُهُ فَوَلَّى مُذِيرًا
 قد أَطْمَعَنِي فيه رَقَّةُ خَدِّه
 وَرَجَوْتُ لِيَنَّ قِوامه لو لم يكن
 شاكي السَّلاح وما الذي في جَفْنِه
 نادَيْتُهُ لَمَّا نَدَّتْ لِي سِيئَتُهُ
 رُخْمَاكَ في دَنِيفِ عَدَا وَحِيائَتُهُ
 إِنْ لَمْ تَمُنْ عَلَيَّ مِثْلَ راحِمِ
 وَلِذَا أَبَيْتُ سِوى سِمَاتِ عَدُوِّهِ
 سَتُنِيخُهَا في بابِ أروَعِ ماجِدِ
 حيث المعارف والعوارف والعلَا
 بَذَرُ وفي الحُسن بن أحمد التَّقَتِ
 تَبْغِي مُنَاهَا في مِناها عنده
 فرَع من الأصل اليماني طيِّبُ
 يُبْدي البشاشة في أَسِرَّةِ وَجْهِهِ
 بَسَطَتْ شَمَائِلُهُ الزَّمانَ^(١) كَمِثْلِ ما
 يُثْنِي عليه كلُّ فِعْلٍ سائر

ومن التَّسبب قوله: [البسيط]

هو الحبيب قضى بالجور أم عَدَلَا
 تالله ما قَصُرَ العَدَالُ في عَدَلِي
 أما السُّلُو فَنَشِيءٌ لست أعرفه
 جُفُونٌ غَيْرِي أَضَحَّتْ بَعْدَ ما قَطُرَتْ
 وَغَضَنَ بَانَ تَثْنَى من معاطفه

لَبَّى الخِيار وأما في هِواه فلا
 لَكُنْ أَبَتْ أَذْنِي أن تسمعَ العَدَلَا
 كَفَى بِخَلْكَ عَدْرًا أن يُقال سِلا
 وَقَلْبٌ غَيْرِي صَحَا من بعد ما ثَجَلَا
 سَقَيْتُهُ الدَّمْعَ حَتَّى أَلَمَرَ العَدَلَا

(١) في الأصل: «للزمان»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «الغناء».

آثَرْتُهُ^(١) ونَسِيمَ الشُّغْرِ آوَنَةً
 أَمَلْتُ وَالْهَيْمَةَ الْعَلِيَاءَ طَامِحَةً
 وَقَالَ: إِيهَا طُفَيْلِي وَمُقْتَرَحُ
 يَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي
 تَيَبَّطُ خَذْيَ خَوْفِ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ
 تُقَبِّلُ الْأَرْضَ أَعْضَائِي وَتُخْدِمُهُ
 يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ
 وَمِنْ نَظْمِهِ فِي غُرُوضٍ يَخْرُجُ مِنْ دَوْبِيَّتِي مَجْزُوءًا، مُقْصِرًا قَوْلَهُ وَمُلْحَهُ فِي اخْتِرَاعِ
 الْأَعَارِضِ كَثِيرَةٍ:

الصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَائِلٌ
 وَالذَّمُّ لِسَائِلِي جَوَابٌ
 وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَإِلِ
 لَوْ سَاعِدَ مَنْ أُجِبْتُ سَعْدٌ
 يَا عَاذِلِي، إِلَيْكَ عُنِّي لَا
 مَا نَاذِلْنِي كَمَثَلِ ظَنِّي
 مَا بَيْنَ دَفُونِهِ حُسَامٌ
 وَالسِّيفُ يَبِيتُ ثُمَّ يَنْبُورُ
 وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطِي
 مَهْلًا قَدِمِي لَهُ حَلَالٌ
 إِنَّ صَدْنِي فَذَاكَ قَضْدِي
 يَا حُسْنَ طُلُوعِهِ عَلَيْنَا
 ظِمَانٌ مُحَقَّفُ الْأَعَالِي
 قَدْ نَمَّ بِهِ شَذَا الْغَوَالِي
 وَالطَّيِّبُ مِنْبُةٌ عَلَيْهِ
 وَالْعَنْجُ مُحْرَكٌ إِلَيْهِ
 وَالسُّخْرُ رَسُولٌ مُقْلَتِيهِ
 وَالْحُبُّ لَصَدَقِهِ دَلَائِلُ
 إِنَّ رُوجَ سَائِلٍ بِسَائِلِ
 وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ
 مَا حَالَ مِنَ الْحَبِيبِ حَائِلُ
 تُقَرَّبُ سَاحَتِي الْعَوَاذِلُ
 يَشْفِي بِلَحْظَةِ الْمُنَازِلِ
 مَخَارِقُهُ لَهُ حِمَائِلُ
 وَاللَّحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلُ
 وَاللَّحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ
 مَا أَقْبَلُ فِيهِ قَوْلَ قَاتِلِ
 أَوْ جَدَّلْنِي فَلَا أَجَادِلُ
 وَالسُّكْرُ بِمَعْطَفِيهِ مَائِلُ
 رِيَانٌ مُثْقَلُ الْأَسَافِلِ
 إِذْ هَبَّ وَنَمَّتِ الْعَلَائِلُ
 مَنْ كَانَ عَنِ الْعِيَانِ غَافِلُ
 مَنْ كَانَ مُسَكِّنُ الْبِلَابِلِ
 مَا أَقْرَبَ عَهْدِهِ بِبَابِلِ!

(١) في الأصل: «آثره نسيم»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

والروض يعير وَجَنَّتِيهِ
واللين يَهْزُ مِنْطَفِيهِ
والكأس تلوح في يديه
يُسْقِيكَ بِرِيقِهِ مُدَامَا
يُسْبِيكَ بِرَقَّةِ الحواشي
ما أحسن ما وَجَدْتُ خُذَا

ومن مستحسن نزعاته: [البسيط]

يا راحلين وبني مِنْ قُرْبِهِمْ أَمَلُ
سِرْتُمْ وسار اشتياقي بَعْدَكُمْ مَثَلًا
وظلُّ يَغْدِلُنِي فِي حَبُّكُمْ نَفَرُ
عَطْفًا عَلَيْنَا وَلَا تَبْغُوا بِنَا بَدَلًا
قَدْ دُقْتُ قَضْلَكُمْ دَفْرًا فَلَا أَبِي
وقد هَرِمْتُ أَسَى مِنْ هَجْرِكُمْ وَجَوَى
غَدَرْتُمْ أَوْ مَلَلْتُمْ يَا ذَوِي ثِقَتِي
قالوا: كَبِرْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ كَذَا غَزَلًا
لم أَنَسْ يَوْمَ تَنَادَا^(١) لِلرَّحِيلِ ضَحَى
وَأَشْرَقَتْ بِهَوَادِيهِمْ هَوَادِجُهُمْ
وودَّعُونِي بِأَجْفَانٍ مُمَرَّضَةٍ
كم عَفَرُوا بَيْنَ أَيْدِي الْعَيْسِ مِنْ بَطْلٍ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْحُبِّ مُشْرَعَةً
وآخرين اشْتَفَوْا مِنْهُمْ بِضُمِّهِمْ
كأنما الرُّوضُ مِنْهُمْ رَوْضَةٌ أَنْفُ
مَنْ مُسْتَرْقٍ^(٥) الرَّوَابِي وَالْوَهَادِ بِهِمْ

لَوْ أَغْنَيْتِ الْجَلِيَّتَيْنِ الْقَوْلُ^(١) وَالْعَمَلُ
مِنْ دُونِهِ السَّامِرَانِ الشَّعْرُ وَالْمَثَلُ
لَا كَانَتْ الْمِخْلَتَانِ الْحُبُّ وَالْعَدْلُ
فَمَا اسْتَوَى الثَّابِعَانِ الْعُطْفُ وَالْعَمَلُ
مَا طَابَ لِي الْأَحْمَرَانِ الْخَمْرُ وَالْعَسَلُ
وَشَبَّ مِنِّي اثْنَتَانِ الْجِرْصُ وَالْأَمَلُ
لَبَثْتُكُمْ^(٢) الْخَضْلَتَانِ الْعَذْرُ وَالْمَثَلُ
أَزْرَى بِكَ الْفَاضِحَانِ الشَّيْبُ وَالْعَزَلُ
وَقُرْبُ الْمَرْكَبَانِ الطَّرْفُ وَالْجَمَلُ
وَلَا حِتَّ الزَّيْنَتَانِ الْحَلِيَّ وَالْحُلُّ
تَغْضُّهَا الرَّقَبَتَانِ الْخَوْفُ وَالْحَجَلُ
أَصَابَهُ الْمُضْنِيَانِ الْغَنَجُ وَالْكَحْلُ
وَمَا أَبِي^(٤) الْمُسْكِرَانِ الْخَمْرُ وَالْمُقْلُ
يَا حَبَّذَا الشَّافِيَانِ الضَّمُّ وَالْقُبْلُ
يُزْهِمِي بِهِمَا الْمُثْبِتَانِ السَّهْلُ وَالْجَبْلُ
مَا رَاقَهُ الْمُعْجِبَانِ الْخَضِرُ وَالْكَفْلُ

(١) في الأصل: «لي القول...» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «ليست» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «مانادوا»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٤) في الأصل: «وأبا» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «المسترق» وكذا ينكسر الوزن.

يا حادي العيس خُذني مأخذًا حسنًا لا يستوي الضاديان^(١) الرئيث^(٢) والعجل
لم يبق لي غير ذكر أو بُكا طلل لو ينفع الباقيان الذكر والطلل
يا ليت شعري ولا أنس ولا جدل هل يُزفع الطيبان الأنس والجذل؟

ومن قوله على لسان ألثغ ينطق بالسّين ثاءً ويقرأ بالزويين: [مخلع البسيط]

عَمَزْتُ رُبْعَ الهوى بقلبٍ لقوة الحب غير ناكس ث
لبثت فيه أجر ذيل النـ حول أخيب به للإبس ث
إن يث شوقًا فلي غرام نبأته بالسقام وإبس ث
أما حديث الهوى فحق يصرف بلواه كل حابس ث
تعبت بالشوق في حبيب أنا به ما حبيت يائس ث
يختال كالغضن ماس فيه طرّف فأزرى بكل^(٣) مائس ث
دنيا تبذت لكل وأي فهو لدنياه أي حارس ث
يلعب بالماشقين طرّا والكل راضون وهو عابس ث

ومن شعره في الزهد يصف الدنيا بالغرور والكذب^(٤) والزور: [الكامل]

يا خاطب الدنيا، طلبت غرورا وقيلت من تلك المحاسن زورا
دنياك إما فتنّة أو مخنة وأراك في كلتيهما مقهورا
وأرى السنين تمرّ عنك سريعة حتى لأحسبهنّ صرّون شهورا
بيننا تُريك أهلة في أنفها أبصرتها في إثر ذاك بدورا
كانت قسيّا ثم صرّون دوائر لا بد أن تزمي الورى وتدورا
يأتي الظلام فما يسود زفعة حتى ترى مسطورها منشورا
فلذا الصباح أتى ومدّ رداءه نقض المساء رداءه المنشورا
يتعاقبان عليك، هذا ناشر منكّا وهذا ناشر كافورا
ما المسك والكافور إلا أن ترى من فغلك الإمساك والتكبيرا
أمسى على فؤدّيك من لونيها سمة تسوم كآبة ويسورا

(١) في الأصل: «الضدان» وكذا لا يستقيم الوزن، والضادي: اسم فاعل ضادى؛ يقال ضاده أي ضاده.

(٢) الرئيث: الإبطاء، وهو ضد العجل.

(٣) في الأصل: «كل» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «والحذايح» وهو ما لا معنى له.

حتى متى لا تزعوي وإلى متى؟
أخشى عليك من الذنوب فربما
فانظر لنفسك إنني لك ناصح
من قبل ضجعتك التي تلقى لها
والهول ثم الهول في اليوم الذي
أو ما لقيت من المشيب نذيرا؟
تلقى الصغير من الذنوب كبيرا
واستغفر المولى تجده غفورا
خذ الصغار على التراب حقيرا
تجد الذي قدمنته منسطورا

وقال في المعنى^(١) المذكور: [الوافر]

وأشفي^(٢) الوجده ما أبكى العيونا
فيا ابن الأربعين ازكب سفينا
وئح إن كنت من أصحاب نوح
بدا للشيب^(٣) في قوديك رقم
لأنتم أهل كهف قد صرنا
رأيت الشيب يجري في سواد
وقد يجري السواد على بياض
فهذا العكس يؤذن بانعكاس
نبات حاج ثم يرى خطاما
نذير جاءكم عريان يعدو
أخي، فالى^(٤) متى هذا التصابي؟
هي الدنيا وإن وصلت ويزت
فلا تخذعك^(٥) أيام تليها
فذاك إذا نظرت سلاح دنيا
وبين يديك يوم أي يوم
فلما دار عز ليس يفتنى
فطوبى في غد للمتقين

وأشفي الدمع ما نكأ الجفونا
من الثقوى فقد عمزت حيننا
لكي تنجو نجاة الأربعينا
فيا أهل الرقيم، اتسمعوننا؟
على آذانهم فيه سنيينا
بياضا لا كعقل الكاتبينا
فكان^(٤) الحسن فيه مستبينا
وقد أشعرتكم لو تشعرونا
وهذا اللحظ قد شمل العيونا
وأنتم تضحكون وتلعبوننا
جئنت بهذه الدنيا جئوننا
فكم قطعتم وكم تركتم بنينا!
ليالٍ وأخسها بيضا وجونا
تعيد حراك ساكنها سكونا
يديك فيه رب الناس دينا
ولما دار موزن لن يهونا
وويل في غد للمجرميننا

(١) في الأصل: «المنى» وكذا لا معنى له. (٢) في الأصل: «إشف» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «الشيب»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «فكان»، وكذا لا يستقيم الوزن.

(٥) في الأصل: «إلى»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «تخذعك»، وكذا ينكسر الوزن.

وَأَهْ ثَمَّ آهْ ثَمَّ آهْ على نفسي أكرّرها مئينا
أَخِي، سَمِعْتَ هَذَا الْوَعظَ أَمْ لَا؟ أَلَا يَا (١) لَيْتَنِي فِي السَّامِعِينَ
إِذَا مَا الْوَعظُ لَمْ يُورَدْ بِصَدَق فَلَا خُسْرَ كَخُسْرِ الْوَاعِظِينَ

وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام، ويمدح رسول الله ﷺ: [البسيط]

شوق كما رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ تَشِبُّ بَيْنَ فُرُوعِ الضُّلَّالِ وَالسُّلَمِ
أَلْفِهِ بَضْلُوعِي وَهُوَ يُخْرِقُهَا حَتَّى يَرَانِي بَرِيًّا لَيْسَ بِالْقَلَمِ
مَنْ يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى وَيَمْلِكُنِي عَبْدًا إِذَا نَظَرْتَ عَيْنِي إِلَى الْحَرَمِ؟
دَغٌ لِلْحَبِيبِ ذِمَامِي وَاخْتِمَلَنْ رَمَقِي فَلَيْسَ ذَا قَدَمٍ مِنْ لَيْسَ ذَا قَدَمٍ
يَا أَهْلَ طَبِيبَةٍ، طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ جَاوَزْتُمْ خَيْرَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأَمَمِ
عَايَنْتُمْ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِنْ كَثَبٍ فِي مَهَبِطِ الْوَحْيِ وَالْآيَاتِ وَالْحَكَمِ
لَتَشْرُكَنَّ بِهَا الْأَوْطَانُ خَالِيَةً وَتَسْلُكَنَّ لَهَا الْبَيْدَاءَ فِي الظُّلَمِ
رِكَابُنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مُثْقَلَةً إِلَى مُحِطٍ خَطَايَا الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
ذُنُوبِنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَثُرَتْ وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فَاسْتَغْفِرْ لِمَجْتَرَمِ
ذَنْبٍ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّارِهِ نَدَمٌ فَقَدْ مَضَى الْعُمْرُ فِي ذَنْبٍ وَفِي نَدَمٍ
نَبْكِي فَتُشْغِلُنَا الدُّنْيَا فَتُضْحِكُنَا وَلَوْ صَدَقْنَا الْبِكَا شَبْنَا دَمًا بِدَمٍ
يَا رُكْبَ مِضْرَى، رُوبِدَا يَلْتَحِقْ بِكُمْ قَوْمٌ مِفَارِبَةُ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ
فِيهِمْ عَبِيدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زُفْرَتَهُ لَمْ يَلْقَ مَوْلَاهُ قَدْ نَادَاهُ فِي النَّسَمِ
يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعًا لَا تُظْهِرُ لَهُ فِي الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَاءِ وَالْكَرَمِ
ذَاكَ الْحَبِيبَ الَّذِي تُزْجِي شَفَاعَتُهُ مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عِلْمِ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، وهي نقطة من قطر، وبلاطة من
بخر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، وقد كلف بذلك غيره من الشعراء بسببته،
فلما رآها أخفى كل منظومه، وزعم أنه لم يأت بشيء، وهو المخترع المُرْقِص:
[البسيط]

جماله كرياض جاورث نهرا فَأَتَبَتَّ شَجَرًا رَاقَتْ أَزَاهِرُهَا
كحياة الماءِ عامت فيه وانصرفت فغاب أولها فيه وآخرها

(١) كلمة: «يا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

وقوله، وقد تناول الرئيس ابن خلاص^(١) بيده مِقْصُصًا فأذمى يده فأنشده:

[الوافر]

عداوةٌ لا لكفك من قَدْ نَمَّ^(٢) فلا تَغْجِبْ لِقَرَّاضٍ لثيمٍ
لئن أذماك فهو لها شبيهة وقد يسطو اللثيم على الكريم

وقوله في الخضاب: [الطويل]

سَتَرْتُ مَشِيبِي بِالْخِضَابِ تَعَلَّلًا فلم يَحْظَ شَيْبِي^(٣) وراب خضابي
كأني وقد رَوَّزْتُ لَوْنًا على الصُّبَا أَغْنُونُ طِرْسًا ليس فيه كتابي
غُرَابُ خِضَابٍ لم يقف من جذاره وَأَغْرَبُ شَيْءٍ فِي الْجِذَارِ غُرَابِي

وقوله وهو من البديع المخترع: [الكامل]

لا بُدَّ من مَيْلٍ إلى جهة فلا تُنْكِزُ على الرجل الكريم مميلًا
إنَّ الفؤاد وإن تَوَسَّطَ في الحشا ليميلَ في جهة الشَّمال قليلا

وقوله وهو معنى قد قيل فيه: [الكامل]

لا تعجبوا للمرء يَجْهَلُ قُدْرَهُ أَبَدًا ويعرفُ غيره فَيَضْبِرُ
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ غَيْرَهَا مع بُغْدِهِ لَكِنْ بُوَيَّوْا نَفْسَهَا لا تُبْصِرُ^(٤)

وقوله: [الوافر]

أرى المتعلمين عليك أَعْدَا^(٥) إذا أَعْلَمْتَهُمْ مِنْ كُلِّ عَادٍ
فما عند الصُّغِيرِ سَوَى عُقُوقٍ ولا عند الكَبِيرِ سَوَى عِنَادٍ

وقوله في وصفه ذي الجاه: [الخفيف]

يضع الناس صاحب الجاه فيهم كل يوم في كَفَّةِ المِيزَانِ

(١) هو أبو علي الحسن بن أبي جعفر بن خلاص، تولى ستة سنة سنة ٦٣٧ هـ، ثم ثار فيها في عهد السعيد أبي الحسن المعتضد بالله الموحد سنة ٦٤١ هـ، وبايع للأمير أبي زكريا الحفصي، صاحب تونس. توفي سنة ٦٤٦ هـ. البيان المغرب، قسم الموحدين (ص ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٨).

(٢) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فشيبت» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) رواية عجز البيت في الأصل هي: «ولكن نَفْسَهَا لا تَبْصِرُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) أصل القول: «أعداء»، وكذا ينكسر الوزن.

إن رآوه يوماً تَرَجَّحَ وَزَّنَا ضاعفوا البرُّ فهو ذو رُجْحَان
أو رَأَوْا مِنْهُ نَقْصَ حَبَّةٍ وَزَنَ مَا كَسَوْهُ فِي حَبَّةِ الْجُلْجُلَانِ

وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين: [السريع]

يا أيها الشيخ الذي عُمِرُهُ قَدْ زَادَ عَشْرًا بَعْدَ سَبْعِينَا
سَكِرَتْ مِنْ أَكُوسِ خَمْرِ الصُّبَا فَحَدِّكَ الدُّهْرُ ثَمَانِينَا

وقال: هيهات! ما أظنّه يكملها، وقال في الكبرة: [الكامل]

يا من لشيخ قد أَسَنُ وَقَدْ عَفَا مَذْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ أَضْحَى مُدْنَفَا
خَانَتْهُ بَعْدَ وَفَائِهَا أَعْضَاؤُهُ فَعَدَا قَعِيدًا لَا يُطِيقُ تَصْرُفَا
هَرِمًا غَرِيبًا مَا لَدَيْهِ مُؤَانَسَ إِلَّا حَدِيثَ مُحَمَّدٍ وَالْمُصْطَفَى

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعة: [السريع]

يا سيدي، شَاكِرُكُمْ مَالِكٌ قَدْ صَيَّرْتُ مَيْمَ اسْمِهِ هَاءَ
وَمِنْ يَعْشُ خَمْسًا وَتَسْعِينَ قَدْ أَتَهَتْ^(١) التَّعْمِيرَ إِنِّهَاءَ

ومن نظمه في عَزْسٍ صَنَعَهَا بِسَبْتَةٍ عَلَى طَرِيقِهِ فِي الْمَجَانَةِ: [الكامل]

الله أَكْبَرُ فِي مَنَارِ الْجَامِعِ مِنْ سَبْتَةٍ تَأْذِينُ عَبْدٍ خَاشِعِ
الله أَكْبَرُ لِلصَّلَاةِ أَقِيمُهَا بَيْنَ الصُّفُوفِ مِنَ الْبَلَاطِ الْوَاسِعِ
الله أَكْبَرُ مُخْرِمًا وَمُوجِّهًا دِبري^(٢) إِلَى رَبِّي بِقَلْبٍ خَاضِعِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ آمِينَ لَا تَفْتَحْ لِكُلِّ مَخَادِعِ
إِنَّ النِّسَاءَ حَدَّغْتَنِي وَمَكَّنْ بِي وَمَلَأَنَ مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ مَسَامِعِي
حَتَّى وَقَعْتُ وَمَا وَقَعْتُ بِجَانِبِ لَكِنْ عَلَى رَأْسٍ لِأَمْرِ وَقَعَ
وَالله مَا كَانَتْ إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ لَكِنْ أَمَرَ اللهُ دُونَ مُدَافِعِ
فَخَطَبَنِي لِي فِي بَيْتِ حُسْنٍ قُلْنِ لِي وَكَذَّبَنِي لِي فِي بَيْتِ قُبْحٍ شَانِعِ
يَكْرًا زَعَمَنَ صَغِيرَةً فِي سَنِّهَا حَسَنَاءَ تُسْفِرُ عَنْ جَمَالِ بَارِعِ
خَوْدًا لَهَا شَعْرٌ أَثْبِتَ حَالِكَ كَاللَّيْلِ تُجْلَى عَنْ صَبَاحِ سَاطِعِ

(١) في الأصل: «قد أنهى في التعمير» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ودبرية» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

خَوْرَاء يَرْتَع الغزال إذا رَنَتْ
تتلو الكتاب بَغْنَةً وفصاحة
بَسَامَةً عن لَوْلُو متناسق
أنفاسها كالزَّاح فضَّ ختامها
شُمَاء دون تَفَاوَت عَرَبِيَّة
غَيْدَاء كالغصن الرُّطِيب إذا مَشَتْ
تخطو على رِجْلَيْ حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ
وَوَصَفَن لي من حسننها وجمالها
فَدَنُوْتُ واستأْمَنْتُ بعد تَوْخُشِي
فَحَمَلَنْتَنِي نحو الوليِّ وَجِثْنِي
ويعرفه من نافع لتعادل
فَشَرَطَن أَشْرَاطًا عَلَيَّ كَثِيرَةً
ثم انفصلتُ وقد علِمْتُ^(٢) بأنني
وَتَرَكْتَنِي يومًا وَعُذَن وقلن لي
واصنع لها عُرْسًا ولا تحوج إلى
وَقَرَعْتُ سِئْتِي عند ذاك ندامةً
ولزِمْتَنِي حتى انفصلتُ بموعِد
قَلَوُ أَنَّنِي طَلَعْتُ كنت موفِّقًا
لكن طمَعْتُ بأن أرى الحُسن الذي
فَنظَرْتُ في أمر البناءِ مُعَجَّلًا
وطمَعْتُ أن^(٤) تُجَلِّي وَيُبَصِّرَ وَجْهَهَا
وظننتُ ذاك كما دُكِرَنَ ولم يكن
وَحَمَلَنْتَنِي لِيلاً إلى دار لها
دارٌ خرابٌ في مكانٍ تَوْخُشٍ
فَقَعَدْتُ في بيت صغير مظلم

بُجُفُون خَشْفٍ^(١) في الخمائل رافع
فيميل نحو الذِّكْر قَلْبُ السامع
في ثغرها في نظمه مُتَتَابِع
من بعد ما حُتِمَتْ بِمَسْكِ رَائِع
ببِسَالَةٍ وشجاعة وَمَنَازِع
نَاءَتْ بِرَدْفٍ لِلتَّعَجُّل مانع
مَخْضُوبَةٌ تُسَبِّي فؤاد السامع
ما البعض منه يُقِيم عُذْر الخالغ
وأطاع قَلْبٌ لم يكن بمطاولع
بالشَّاهِدِينَ وَجِلْدٌ كَبِشٍ واسع
والله عَزَّ وَجَلَّ ليس بِنافع
ما كنت في حَمَلِي لها بمطاولع
أَوْثَقْتُ في عُنْقِي لها بجوامع
خُذْتُ في البِنَاءِ ولكن بمرفاع
قاضٍ عليك ولا وكيلٍ رافع
ما كنت لولا أن^(٣) خُدِغْتُ بِقَارِع
بعد اليمين إلى النهار الرابع
وَنَقَضْتُ من ذاك النكاح أصابعي
رَوَّزَن لي فَذَمَنْتُ سوءَ مطامعي
وصنَعْتُ عُرْسًا يا لها من صانع!
وَتَقَرَّرَ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّالِع
وَحَصَلْتُ أَيْضًا في مقام الفازع
في موضع عن كل خير سامع
ما بين آثارٍ هناك بِلَاقِع
ولا شيء فيه سوى حَصِيرِ الجامع

(١) الخَشْف: ولد الظني.

(٢) الخَشْف: ولد الظني.

(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «بأن»، وكذا ينكسر الوزن.

فسمعتُ جِسًا عن شمالي مُنكَرًا
فأردتُ أن أنجو بنفسي هاربًا
فَلَقِيْتُهُنَّ وقد أَتَيْنَ بِجَدْوَةٍ
ودخلن بي في البيت واستجلستني
وأشزن لي نحو السَّماء^(١) وقلن لي
هذي خَلِيلُكَ التي رَوَّجَتْهَا
بِشْنَا مِنْ^(٢) التُّعْمَى التي خُولَتْهَا
فَنظَرْتُ نحو خَلِيلَتِي متأملاً
وَأَتَيْتُهَا وأردتُ نَزَعَ جِمَارِهَا
فَوَجَلْتُهَا في صدرها وحذوته
فوجدتُهَا قَرْعَاءَ تحسب أَنَّهَا
حَوْلَاءَ تنظر فوقها في ساقها
فَطَسَاءَ تحسبُ أَنَّ رَوْثَةَ أَنْفِهَا
صَمَاءَ تُدْعَى بالبَرِّيح وتارة
بِكُمَاءَ إن رَامَتْ كَلَامًا صَوَّتَتْ
فَقُمَاءَ إن مَا^(٣) تَلْتَقِي أَشْنَائُهَا
عَرَجَاءَ إن قامَتْ تعالج مَشْيَها
فَلَقِيْتُهَا وجعلتُ أَبْصُقُ نحوها
حيرانُ أَغْدُو في الزُّفَاقِ كأنني
حتى إذا لاح الصُّبْحُ وفتحوا
والله ما لي بعد ذاك بأمرها

وتنخنخنا يحكي نقيق ضفادع
ووثبت عند الباب وثبة جازع
فردذنتني وحبستني بمجامع
فجلستُ كالْمُضْرُورِ يوم رَعازع
هذي زَوْبَعَةٌ وبنتُ زوابع
فاجلس هنا معها ليوم سابع
فلقد خَصَلْتُ على رياض يانع
فَوَجَدْتُهَا محجوبةً ببراقع
فَعَدْتُ تُدافعني بجدٍّ وازع
وكشفتُ هامَتَهَا بغيظ صارع
مَقْرُوعَةٍ في رأسها بمقارع
فتخالها مَبْهُوتَةً في الشارع
قُطِعَتْ فلا شُلْتُ يمين القاطع
بالطُّبْلِ أو يُؤْتَى لها بمقامع
تصويت مِغْزَى نحو جَذِي راضع
تَفْسُو إذا نَطَقَتْ فساء الشابع
أَبْصَرْتُ مِشْيَةَ ضَالِعٍ أو خامع
وأفرُ نحو دُجَى وغيثٍ هَامِعٍ
لصُّ أَجْسُ بَطَالِبٍ أو تابع
باب المدينة كنت أول كاسع
علم ولا بأمرٍ بِنْتِي الضَّائِع

نثره: وفضل الناس نظمه على نثره، ونحن نُسَلِّم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. وهذه الرسالة مُغْلَمَةٌ بالشهادة بحول الله.

كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر بن يوسف بن الفخار، وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري:

(١) في الأصل: «السما».

(٢) في الأصل: «ويتا النعمى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

«الله دُرُكُما خَلِيفِي صفاء، واليَفي وفاء، يَتَنازَعان كَأَس المودَّة تَنازُع الأَكفاء، ويتَهاديان رِيحان التَحِيَّة تَهادِي الظُّرفاء. قَسِيَمِي نَسَب، وقَرِيعِي حَسَب، يَتَجَاوِزان بِمَطْبُوع من الأدب ومُكْتَسَب، ويتَوَارِدان على عِلْم من الظُّرف ونَسَب، رَضِيعِي لِيان، ذَرِيعِي لُبَّان، يَخْرُزان مِيراث قُسِّ وَسَخْبَان، وَيُبرِزان من الذِّكاء ما بَانَ على أَبان، قَسِيَمِي مَجال، قَصِيجِي رِوَّة وارْتِجال، يَتَرعان في أَشْطان البِلاغة سَجالًا بَعْد سَجال، وَيَضُرعان في مِيدان الفِصاحَة رَجالًا على رَجال. ما بِالْكَما؟ لا حُرِمت حَبالُكُما ولا قُصِمت نَبالُكُما، لَم تَسْمَحْ لي من عُقُودِكُما بِدُرَّة، وَلَمْ تُرْشِحْني من نُفُودِكُما بِدُرَّة، وَلَمْ تَفْسَحْ لي بِخُلُوة ولا مُرَّة. لَقَدْ ابْتَلَيْتُ من أدبِكُما بَنَهر أَقْرَبُه ولا أَشْرَبُه، وما أُرَدُه ولا أَتَبَرَدُه. ولو كُنت من أَصْحاب طالُوت لا قُسِحت لي عُرْفَة، وأُتِيحَتْ لي ثُرْفَة. بَل لو كُنت من الإِبِل ذِوات الأَظْماء، ما جُلِيت بَعْد الظُّمأ على المِاء، ولا دَخَلْتُ بالإِشفاق مَدخل العِجْماء. كِيف وأنا ولا فخر في صِورة إنسان، ناطق بِلِسان، أَفَرَّق بين الإِساءة والإِحسان. وإن قُلت إنَّ باعِي في التَّظْم قَصر، وما لي على النُّثر وَلِي ولا نَصير، وَصَنَعَة النُّحو عَني بِمَنْزِل، وَمَنْزِل الفَقِيه لَيس لي بِمَنْزِل، وَلَمْ أَقْدِم على العِلْم القَدِيم، ولا اسْتَأثَرْتُ من أَهلِه بَنديم. فانا وَالْحَمْد لله غَنِي بِصَنَعَة الجَفَر، وأَقْتَنِي البِرَّاع كَأَنَّها شَبابِيك الثَّبَر، وأُبْري البَرِيَّة التي^(١) تَنيف على الشُّبَر، وَأَزِين حُدُود الأَسْطار المُسْتَوِيَّة، بِعقارب الأَلامات المُلتَوِيَّة، ولا أَقول كَأَنَّها، فلا يَنكُر السَيِّدان عَزَّهما اللهُ أَنَّها نَعَم يَعود أَزاعِم، وَيُمثِل شَكْسي تُخَضَّر المِلاحِم. فَمَ هذا الازدراء والاجتراء في هذا الأمر مَرَّ المَواقير. تالِه لَقَدْ ظَلَمْتُماني على عِلْم، واسْتَدْتُماني إلى غير جِلْم، أَمَّا رَهْبَتُما شَبابِي، أَمَّا رَغِبَتُما في حِسابِي، أَمَّا رَفَعَتُما بين نَفْح صَبابِي، وَلَفْح صَبابِي. لَعَمري لَقَدْ رَكِبْتُمَا خَطَرًا، وَهَجَرْتُمَا الأَسَد بَطَرًا، وَأَبَحْتُمَا جِمِّي مُخْتَضَرًا، وَلَمْ تَمعَنا في هذا الأمر نَظَرًا: [الطويل]

أَعِدْ نَظَرًا يا عَبدَ قَيس لَعَلَّما أَضاءَتْ لَكَ النُّار الحِمار المَقْتِدا

ونَفْسي عَينُ الحِمار، في هذا المَضْمار، لا أَعْرِف قَبيلًا من ذَبِير، ولا أَفَرِّق بِجَسْمي بين صَغير وكَبير، ولا أَعْهَد أنَّ حِصاة الرُّمِي أَخَفُّ من نُبِير، أَلِيس في ذِوي كَيد رُطْبَة أَجْر، وفي مَعامِلَة أَهل الثَّقوى والمَغْفرة تَجَر؟ وإِذا حَوَّلْتُماني نِعمَة أو نَقْلْتُماني نَقْلًا، فَالْيَدُ العُلْيا خَير من اليَدِ السُفلى، وما نَقْص مال من صَدَقَة، ولا جِمالٌ من لَنَح حَدَقَة، والعِلْم يَزِيد بِالإِنفاق، وَكَثْمُه حَرَامٌ بِاتِّفاق، فَإِنْ قُلْتُمَا لي إِنَّ فَهْمَك سَقِيم، وَعِرْجَك على الرِّياضَة لا يَسْتَقِيم، فَلَعَلَّ الَّذِي نَصَب قَامَتِي، يَمُنُّ

(١) في الأصل: «المغا».

بأَسْتَقَامَتِي، وَعَسَى الَّذِي يَشْقُ سَمْعِي وَيَصْرِي، أَنْ يَزِيلَ عِيِّي وَخَصْرِي، فَأَعْيِي مَا تَقْصَان، وَأَجْتَلِي مَا تَنْصَان، وَأَجْنِي ثَمَارَ تِلْكَ الْأَغْصَان، فَقَدْ شَاهَدْتُمَا كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوَان، يُتَاغَى فَيَتَعَلَّم، وَيُلْقَن فَيَتَكَلَّم. هَذَا وَالْجِنْسُ غَيْرُ الْجِنْسِ، فَكَيْفَ الْمُشَارِكُ فِي تَوْعِيَةِ الْإِنْسِ؟ فَإِنْ قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ يَشْقُ، فَأَيْنَ الْحَقُّ الَّذِي يَحِقُّ، وَالْمَشَقَّةُ أُخْتُ الْمَرْوَةِ، وَيَنْعَكِسُ مَسَاقُ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ، فَيَقَالُ الْمَرْوَةُ أُخْتُ الْمَشَقَّةِ، وَالْحَجِيجُ يَصْبِرُ عَلَى بُغْدِ الشَّقَّةِ، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ كَثُرَ السَّادَةُ، وَقَلَّتِ الْخَسَادَةُ، فَمَا ضَرَكُمَا أَيُّهَا السَّيِّدَانِ أَنْ تَخْشِيَا تَحْوِيَجِي، وَتَكْتَسِبَا الْأَجْرَ فِي تَذْرِيجِي؟ فَإِنَكُمَا إِنْ فَعَلْتُمَا ذَلِكَ تُسَبِّتَ إِلَى وَلَائِكُمَا، كَمَا حُصِبَتْ عَلَى عِلَائِكُمَا، وَأُضِفْتُ إِلَى نَدْيِكُمَا، كَمَا عُرِفَتْ بِمَثْنَدَاكُمَا. أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَرْءَ يُغْرِفُ بِخَلِيلِهِ، وَيُقَاسُ بِهِ فِي كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ؟ وَلَعَلِّي أُمْتَحَنُ فِي مَرَامٍ، وَيَنْجِمُ عَوْدِي رَامٍ، فَيَقُولُ هَذَا الْعُودُ مِنْ تِلْكَ الْأَغْوَادِ، وَمَا فِي الْخَلْبَةِ مِنْ جَوَادٍ، فَأَكْسُوْكُمَا عَارًا، وَأَكُونُ عَلَيْكُمَا شِعَارًا. عَلَى أَنِّي إِذَا دُعِيتُ بِاسْمِكُمَا اسْتَرْبِئْتُ مِنَ الْإِدْعَاءِ، فَلَا أَسْتَجِيبُ لِهَذَا الدُّعَاءِ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ عَرَفَ الْإِدَارَةَ، وَأَنْكَرَ الْإِمَارَةَ، نَعَمْ أَخَوْتِي أَصَحَّ، وَأَنْهَا بِهَا أَشَحَّ، إِلَّا أَنَّ غَيْرِي تُنْظَمُ فِي السَّلَكِ، وَأَنْسَهُمْ فِي الْمُلْكِ، وَأَنَا بَيْنَكُمَا كَالْمَحْجُوبِ بَيْنَ طُلَّابٍ، يَشَارِكُهُمْ فِي الْبُكََا لَا فِي الثَّرَابِ^(١)، إِنْ حَضَرْتَ فَكُنْتُمْ فِي الْإِقْحَامِ، أَوْ لِمَقْعِدٍ فِي زَحَامٍ، وَإِنْ غَبِثَ فَيُقْضَى الْأَمْرُ، وَقَدْ سَطَرَ زَيْدٌ وَعَمَرُو. نَاشِدْتُكُمَا اللَّهُ فِي الْإِنْصَافِ أَنْ تَرْبِعَا بَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشُّخْرِ، فِي نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ الشُّغْرِ بَلِ الشُّخْرِ، حَيْثُ تَنْدَرُجُ الْأَنْهَارُ، وَتَتَأَرَّجُ الْأَزْهَارُ، وَيَتَبَرَّجُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَيَقْرَأُ الطَّيْرُ صُحُفًا مُنْتَثِرَةً، وَيَجْلُو النُّورُ ثُغُورًا مُؤَشِّرَةً، وَيُغَازِلُ عَيُونَ التَّرْجَسِ الْوَجِلَ، خَذُودُ الْوَرْدِ الْخَجِلَ، وَتَتَمَائِلُ أَعْطَافُ الْبَانَ، عَلَى أَزْدَافِ الْكُثْبَانِ، فَيَرْقُدُ النَّسِيمُ الْعَلِيلُ، فِي جَنْجَرِ الرُّوضِ وَهُوَ بَلِيلُ، وَتَبْرُزُ هَوَادِجُ الرِّاحِ، عَلَى الرِّاحِ، وَقَدْ هُدِيتُ بِأَقْمَارٍ، وَخُدِيتُ بِأَزْهَارٍ وَمِزْمَارٍ، وَرَكِبْتُهَا الصُّبَا وَالْكَمِيتَ فِي ذَلِكَ الْإِضْمَارِ، وَلَمْ تَزَلَا فِي طَيْبٍ، وَعَيْشَ رَطِيبٍ، مِنْ قَبَابٍ وَخُدُورٍ، وَشَمُوسٍ وَيُدُورٍ، تَصِلَانِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ أَعْجَازًا بِصُدُورٍ، وَأَنَا الطَّرِيدُ مِنْبُودٌ بِالْعَرَاءِ، مَوْقُودٌ فِي جِهَةِ الْوَرَاءِ، لَا يُذْنِي مَحَلِّي، وَلَا يُعْتَنَى بِعَفْدِي وَلَا حَلِّي، وَلَا أُدْرَجُ مِنَ الْخُرُورِ إِلَى الظَّلِّ، وَلَا أُخْرَجُ مِنَ الْحَرَامِ إِلَى الْجِلِّ، وَلَا يُنْبَعَثُ إِلَيَّ مِنَ التَّسِيمِ هَبَّةٌ، وَلَا يُتَاحَ لِي مِنَ الْآتِي عَبَةٌ. قَدْ هَلَكْتَ لِفُؤَاءٍ، وَلَمْ تُقِيمَا لِي صَفُوءًا، وَمِثُّ كَمَدًا، وَلَمْ تَبْعَثَا لِبَعْثِي أَمْدًا. أَنْتَاهُ خَلَفْتُمَانِي جَرَضًا، وَالْقَيْثُمَانِي حَرَضًا؟ كَمْ أَسْتَسْقِي فَلَا أَسْقَى، وَأَسْتَرْقِي فَلَا أَرْقَى، لَا مَاءَ أَشْرَبُهُ، وَلَا عَمَلَ فِي وَضْلِكُمَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْتَرَاث».

أَدْرِيهِ . لم يبق لي حيلة إلا الدعاء المجاب، فعسى الكرب أن يَنجِبَ . اللهم كما أَمَدَدْتَ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ جَمَالُ ، وَسَدَّدْتَهُمَا إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ ، وَجَمَعْتَ فِيهِمَا الْفَضَائِلَ وَالْمَكَارِمَ ، وَخَتَمْتَ بِهِمَا الْأَفْضَلَ وَالْمَكَارِمَ ، وَجَعَلْتَ الْأَدَبَ الصَّرِيحَ أَقْلُ خِصَالِهِمَا ، وَالنَّظَرَ الصَّحِيحَ أَقْلُ نِصَالِهِمَا ، فَاجْعَلْ اللَّهُمَّ لِي فِي قُلُوبِهِمَا رَحْمَةً وَحَنَانًا ، وَابْسُطْ لِي مِنْهُمَا وَجْهًا وَاشْرَحْ لِي جَنَانًا ، وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِمَّنْ اقْتَدَى بِهِمَا ، وَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِمَا ، وَكَانَ دَأْبُهُ فِي الصَّالِحَاتِ كَدَأْبِهِمَا ، حَتَّى أَكُونَ بِهِمَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ فِي الْآيَاتِ ، وَثَالِثَ الْعُمَرَيْنِ فِي عَمَلِ الْبِرِّ وَطَوْلِ الْحَيَاةِ ، اللَّهُمَّ آمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَيِّدِي عَزَّمَا اللَّهُ إِذَا وَقَفَا عَلَى هَذَا الْخُطَابِ ، وَنَظَرَا إِلَى هَذَا الْاِحْتِطَابِ ، كَيْفَ يُدِيرَانِ زَمْرًا ، وَيَسِيرَانِ غَمْرًا ؟ وَيَقَالُ : اسْتَنْبَ الْفِصَالُ ، وَتَعَاطَى الْبَيْدُ مَا تَفْعَلُ النَّصَالُ ، وَحَنُ جَذَعُ لَيْسَ مِنْهَا^(١) ، وَخُذْ عَجْفَاءَكَ وَسَمْنَهَا ، فَأَقُولُ وَطَرْفِي غَضْبِيضُ ، وَمَحَلِّي الْحَضْبِيضُ ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي الْبُرُوجِ ، وَمَا تَقَاسَ الْأَكْفُ بِالْشُرُوجِ ، فَأَضْرِبَا عَنِّي أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ ، مَا أَنَا مِمَّنْ تُنَاضِلَانِ ، وَالسَّلَامُ .

مولده: قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله ابن القاضي الْمُتَبَخَّرِ الْعَالِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ فَأَنْشَدَنِي: [الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْلَدِي كَيْ أذْكُرَهُ وَلِدْتُ يَوْمَ سَبْعَةٍ وَعَشْرَةٍ
مِنَ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحُ أَرْبَعٍ مِنْ بَعْدِ سِتْمِائَةِ مُفْسِرَةٍ

وفاته: في التاسع^(٢) عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستمائة، ودفن بمقبرة فاس، وأمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

رُزْ غَرِيبًا بِمَقَرِهِ نَازَحًا مَالَهُ وَلِي^(٣)
تَرَكَوهُ مُوَسَّدًا بَيْنَ ثَرْبٍ وَجَنَدِلٍ
وَلْتَقُلْ عِنْدَ قَبْرِهِ بِلِسَانِ التَّدْلِيلِ
يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ مَالِكُ بْنُ الْمُرْخَلِ

(١) في الأصل: «منهما».

(٢) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): «كانت وفاته بمدينة فاس في الثامن عشر لرجب

الفرد من سنة تسع وتسعين وستمائة». وفي هدية العارفين: توفي سنة ٦٧٢ هـ.

(٣) في الأصل: «ول» بدون ياء.

ومن طارئي المقرئين والعلماء منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا، يكنى أبا علي.

حاله: هذا الرجل طُرِفَ في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصُّون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثر للاقتصاد، مُنْقَبِض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مُشْتَغِل بِشأنه، عاكف على ما يَغْنِيهِ، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، مُنْصِيف في المذاكرة، مُوجِبٌ لحقَّ الخُصْم، حريصٌ على الإفادة والاستفادة، مثابرٌ على تعلُّم العلم وتعليمه، غير أنْفٍ عن حَمْلِهِ عَمَّنْ دُونَهُ، جُمْلَةٌ من جُمل السُّدَاجَةِ والرُّجُولَةِ وحسن المعاملة، صَدَرَ من صدور الطُّلَبَةِ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والثقلية، وإطلاَعٌ وتقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعِلْمُ الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشُّغْرَ فلا يعدو الإجابة والسُّداد.

قَدِمَ الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقِيَ رَحْبًا، وعُرف قَدْرُهُ، فتقدم مُقرِّناً بالمدرسة^(١) تحت جِراية نبيهة، وخلق للناس متكلمًا على الفروع الفقهية والتفسير، وتصدَّر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جَرَّبَتْهُ وَصَحِبَتْهُ، فَبَلَوْتُ مِنْهُ دِينًا وَنَصَفَةً، وحسن عشرة.

محتته: امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية، لِمُتَوَقَّف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والثبوة، وشك في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولَطَّخَهُ بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم، فأجَلَّتْ الحال عن صَرْفِهِ عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعمائة.

مشيخته: طلبتُ منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه:

«يَتَفَضَّلُ سَيِّدِي الْأَعْلَى الَّذِي أَهْتَدِي بِمُضْبَاحِهِ، وَأَغْشُو إِلَى غُرَرِهِ وَأَوْضَاحِهِ، جَامِعُ أَشْثَاتِ الْعُلُومِ، وَفَاتِقُ رَتْقِ الْفُهُومِ، حَامِلُ رَايَةِ الْبَدِيعِ، وَصَاحِبُ آيَاتِ التَّوْرَةِ فِيهِ

(١) هي المدرسة العجبية التي بُنِيَتْ في عهد سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، الذي حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ، وقد عدّها ابن الخطيب بكر المدارس في حضرته غرناطة. اللوحة البدوية (ص ١٠٩).

والتزصيع، نُخبة البلغاء، وفخر الجهابذة العلماء، قائد جِياد البلاغة من نواصبيها، وسائق شوارد الحكَم من أقاصيها، أبو عبد الله بن الخطيب أبقاه الله للقرىض يَقطِف زُهره، وَيَجْتَنِي غُرره، وللبديع يُطلع قَمَره، وينظم دُرره، وللدأب يَحُوك حُلله، ويجمع تَفاصيله وَجَمَله، وللمعاني يَجُوس بجيوش البراعة خِلالها، ويفتتح بعوامل البراعة أَقفالها، وللأشجاع يَقرُطُ الأسماع بفرائدها، ويَحلي النحور بقلائدها، ولللنظم يُورد جِياده أخلَى الموارد، ويُجِيلها في مِضمار البلاغة من غير مُعاند، وللشعر يَفُتِر أَبكاره، ويودعها أسرارَه، ولسائر العلوم يَصوغها في مَفَرَق الآداب تاجًا، وَيَضَعُها في أسطر الطُروس سراجًا، ولا زال ذا القلم الأعلى، وبذر الوزارة الأوضح الأجلَى، ببقاء هذه الدولة المولوية والإمامة المحمدية كعبةً لملوك الإسلام، ومَقْصِدًا للعلماء الأعلام، ورضى عنهم خَلْقًا وسَلَفًا، وبُورِكَ لنا فيهم سَطًا وطَرَفًا، ولا زالت آمالنا بعلائهم منوطة، وفي جَاههم العريض منسُوبة، بقبول ما نَبه عليه، من كُتُب شيوخي المشاهير إليه، فها أنا أذكر ما تيسر لي من ذلك بالاختصار، إذ لا تفي بذكرهم وتحلاهم المجلدات الكِبار.

فمنهم مولاي الوالد علي بن عبد الله لقاءه الله الروح والريحان، وأوسع الرضا والغفران. قرأت عليه القرآن وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط. ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام عَلم العلماء، وقُطب الفقهاء، قُدوة النظار، وإمام الأنصار، منصور بن أحمد المشدالي، رحمه الله وقُدس روحه، فوجدته قد بلغ السَّنُ به غاية أَوْجبت جلوسه في داره، إلّا أنه يُفيد بفوائده بعض زُواره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب^(١) عليه لإشارة والدي بذلك إليه، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين وسبعمائة. واشتد الحصار ببجاية لسماعنا أَنَّ السلطان العَبْد الوادي^(٢) ينزل علينا بنفسه، فأمرني بالخروج، رحمه الله، فعاقني عائق عن الرجوع إليه؛ لأتِمَّ قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه الله، عام أحد وثلاثين وسبعمائة، فحَصَّ مصابه البلاد وعمِّ، ولفَّ سائر الطلبة وضَمَّ، إلّا أنه ملا ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم العقلية والعقلية فصار من طلبته شيخنا المعظم، ومفيدنا المُقَدِّم، أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمُقَسِّر، رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، والكتابة الشرعية والأدبية، مع فضل السَّن وتقرير حَسَن، إلى معارف تحلاها،

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن يونس المصري، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ. له مختصر في الفقه المالكي يستقى المختصر الفقهي، والفرعي، والجامع بين الأمهات. حن المحاضرة (ج ١ ص ٢١٥) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٩) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٢٦).

(٢) نسبة إلى بني عبد الواد، أصحاب تلمسان بالمغرب الأوسط.

ومحاسن اشتمل حُلاها. واستمرّ في ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام السُّبُح، وتقرير الحُلّي، فأجاد، وتجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأقرّده بقراءة الإرشاد؛ والأستاذ أبا علي بن حسن البجلي، وقرأ عليه جملة من الحاصل، وجملة من المعالم الدينية والفقهية، والكتب المنطقية، كالخونجي، والآيات البينات؛ والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف، قاضي الجماعة ببجاية؛ وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي البانيولي. قال: ثم ثنيت العُنان بتوجيهي إلى تلمسان، راغبًا في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية، فأول مَنْ لقيت شيخنا الذي عَلِمْتُ في الدنيا جلالته وإمامته، وعُرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته، وذكر رئيس الكُتّاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي، والمحدث البقيّة أبا العباس بن يربوع، والقاضي أبا إسحاق بن أبي يحيى، وقرأ شيئًا من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرُندي. ولقي بالأندلس جُلّة؛ فمُنَّ قراء عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالبيري، ولازمه إلى حين وفاته، وكتب له بالإجازة والإذن له في التّحليق بموضع قُعوده من المدرسة بعده. وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، نسيجٌ وحده، ولازمه، وأخذ عنه تواليفه، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك، وقَيّد عليه، وروى عن شيخنا إمام البقيّة أبي البركات ابن الحاج، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، وهو الآن بالحال الموصوفة. أعانه الله وأمتع به.

شعره: زُرنا مَنّا والشيخ القاضي المتفتّن أبو عبد الله المُقرىء، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب^(١). واستنشدتُ القاضي، وكتب لي يومئذ بخطّه: استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب، أطال الله بقاءه كما أطال ثناه، وحفظ مَهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسِي: [البسيط]

لَمّا رأيناك بعد الشَّيب يا رَجُلٌ لا تستقيم وأمر النفس تمثُلُ
زُذنا يقينًا بما كُنا نُصدِّقه عند المشيب يثبُّ الجِرْصُ والأملُ

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول: منصور بن علي الزّواوي، في رابطة العقاب في كذا، أَجَزْتُ صاحبنا

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب كانت تخصّص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٢٩) حاشية رقم ١، من تعليق المحقق محمد عبد الله عنان.

الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمداً، وعلياً، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعني روايته، وأنشدته قولي أخطب بعض أصحابنا: [الطويل]

يُحْيِيكَ عَنْ بَعْضِ الْمَنَازِلِ صَاحِبٌ صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدِي إِلَيْكَ رَسَائِلُهُ
مُقَدِّمَةٌ جَفَظَ الْوُدَادَ وَسِيلَةٌ وَلَا وَدَّ أَنْ تُصِحَّ وَسَائِلُهُ
يُسَائِلُ عَنْكَ الدَّارِسِينَ^(١) وَلَمْ يَكُنْ تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَائِلُهُ

وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة: [المجثث]

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظًا حَقِيقَةً فِي الْمَعَالِي
مُقَدِّمَاتٌ عُلَاكُمْ أَنْتَجَنَ كُلَّ كَمَالٍ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَامٌ خَلَوْتَ مِنْهُ فَخَالٍ

وهو من لذن أزعج عن الأندلس، كما تقدّم ذكره، مقيم بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء والتدريس.

مسلم بن سعيد التّملي^(٢)

حاله: كان غَيْرَ نَبِيهِ الْأَبَوَةِ. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر^(٣)، بمزيد كفاية، فقلّده خُطَّةَ الْحِفَازَةِ، وهي تعميم النظر في المجابي، وضَمَّ الْأَمْوَالِ، وإيقاع التّكير في محلّ التّقصير، ومطاب الرّيب، فتَمَّتْ حاله، وعَظُمَ جَاهُهُ، وَرُهِبَتْ سَطْوَتُهُ، وَخِيفَ إِيقَاعُهُ، وَقَرُبَتْ مِنَ السُّلْطَانِ وَسِيلَتُهُ، فَتَقَدَّمَ الْخُدَامُ، وَاسْتَوْعَبَ أَطْرَافَ الْحُظُوتِ، وَاکْتَسَبَ الْعَقَارَ، وصاهر في نَبِيهِ البيوتات، وأورث عنه أخبارًا تشهد له بِالْجُودِ وَعِلْوِ الْهِمَّةِ، وشرف النفس، إلى أن قَضَى عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ.

ذكروا أن شخصًا جلب سِلْعَةً نَفِيسَةً مِمَّا يُطْمَعُ فِي إِخْفَائِهَا، حَيَدَةً عَنْ وَظِيفَةِ الْمُتَرَمِّمِ الْبَاهِظَةِ فِي مِثْلِ جِنْسِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَرُومُ الْمَحَاوَلَةَ، إِذْ بَصُرَ بِنَبِيِّهِ الْمَرْكَبِ وَالْبِزَةِ،

(١) في الأصل: «الدّارين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) نسبة إلى تين ملل، سرير ملك بني عبد المؤمن الموحيدي، بها كان أول خروج المهدي محمد بن تومرت، الذي أقام بالدولة، ومات فصارت لعبد المؤمن ثم لولده. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

يَنْقَضُ فِي زَوَايا الْمَخْصِصِ عَنْ مِثْلِ مُضْطَبْنِهِ، فَظَنَّهُ رَئِيسًا مِنْ رُؤَسَاءِ الْجَنْدِ، فَقَصَدَهُ وَرَغِبَ مِنْهُ إِجَازَةَ خَبِيثَتِهِ بِبَابِ الْمَدِينَةِ، وَقَرَّرَ لَتَخَوُّفِهِ مِنْ ظُلْمِ الْحَافِزِ الْكَذَّاءِ مُسْلِمًا، فَأَخَذَهَا مِنْهُ وَخَبَّأَهَا تَحْتَ ثِيَابِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ. وَلَمْ يَذْهَبِ الْمَسْكِينُ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى سَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ الَّذِي فَرَّ عَنْهُ، فَسَقَطَ فِي يَدِهِ. ثُمَّ تَحَامَلَ، فَأَلْفَاهُ يَنْظُرُهُ فِي دَاخِلِ السُّورِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ، وَقَالَ: سِرَّ فِي حِفْظِ اللَّهِ، فَقَدْ عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ. فَخَجَلَ الرَّجُلُ، وَانْصَرَفَ مُتَعَجِّبًا. وَأَخْبَارُهُ فِي السُّرَاوَةِ وَنُجْحِ الْوَسِيلَةِ كَثِيرَةٌ.

وفاته: توفي في عام ثمانية وتسعين وستمائة، وشهد أميره دفنه، وكان قد أسف ولي العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده، فكان يتلَّمَّظُ لنكبتِه، ونصب لثاته لأكله، فعاجله الجِمام قبل إيقاع نَقْمَتِهِ بِهِ. وَلَمَّا تَصَيَّرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، نَبَشَ قَبْرَهُ، وَأَخْرَجَ شِئْلُوهُ، فَأَحْرَقَ بِالنَّارِ، إِغْرَاقًا فِي شَهْوَةِ التَّشْفِي، رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ.

ومن العمال الأثراء

مؤمل، مولى باديس بن حَبُوس

حاله ومحتته: قال ابن الصِّيرَفِيِّ: وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْقَيْنَ، حَفِيدَ بَادِيسَ، وَاسْتِشَارَتَهُ عَنْ أَمْرِهِ، لَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَةُ يَوْسُفَ بْنِ تَاشُفَيْنَ إِلَى خَلْعِهِ. وَكَانَ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ أَحِبَّائِهِ، رَجُلٌ مِنْ عَبِيدِ جَدِّهِ اسْمُهُ مُؤْمَلٌ، وَلَهُ سِرٌّ، وَعِنْدَهُ دِهَاءٌ وَفِطْنَةٌ، وَرَأْيٌ وَنَظَرٌ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَلَمْ يَكُنْ فِي وَزَرَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَأَخْبَارِ دَوْلَتِهِ، أَصِيلَ الرَّأْيِ، جَزَلَ الْكَلِمَةِ، إِلَّا ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ^(١) مِنْ كَتَبَتِهِ، وَمُؤْمَلٌ مِنْ عَبِيدِ جَدِّهِ، وَجَعَفَرٌ مِنْ فُتَيَّانِهِ. رَجَعَ، قَالَ: فَأَلْطَفَ لَهُ مُؤْمَلٌ فِي الْقَوْلِ، وَأَعْلَمَهُ بِرَفَقٍ، وَحَسَنَ أَدَبٍ، أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَوَابٍ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا قُرُبَ، وَالتَّطَارُحِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا تُمْكِنُهُ مُدَافَعَتُهُ، وَلَا تُطَاقُ حَرْبُهُ، وَالْاِسْتِجْدَاءُ لَهُ أَحْمَدُ عَاقِبَةٍ وَأَيْمَنُ مَغَبَّةٍ. وَتَابِعَهُ عَلَى ذَلِكَ نَظَرَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنِّ وَالْحُنُكَةِ، وَدَافَعَ فِي صَدِّ رَأْيِهِ الْغِلْمَةُ وَالْأَعْمَارُ، فَاسْتِشَاطَ غِيظًا عَلَى مُؤْمَلٍ وَمِنْ نَحَا نَحْوِهِ، وَهَمَّ بِهِمْ، فَخَرَجُوا،

(١) أغلب الظن أنه أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، المعروف بابن أبي خيثمة، الذي ذكره ابن خير مُصَنِّفًا لكتاب تاريخ هام. فهرسة ابن خير (ص ٢٥١ - ٢٥٢). راجع أيضًا مذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٨) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٢٢).

وقد سلَّ بهم فرَقًا منه. فلَمَّا جَنَّهُم الليل فرُّوا إلى لَوْشَة، وبها من أبناء عَبيد باديس قائدُها، فملكوها وثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. وبادر مؤمل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور وقد كان سَفَر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلاً ونُبلاً، فاهتمَّ إليه، وكان أقوى الأسباب على حَرَكَته. وبادر حفيد باديس الأمر، فأشخَص الجيش لنظر صِهره، فتغلب عليهم، وبسِق مؤمل ومن كان معه شرُّ سَوق في الحديد، وأزكَبوا على دواب هجن، وكشفت رؤوسهم، وأزيف وراء كلِّ رجل من يَضْفَعُه. وتقدَّم الأمر في نَضْب الجُدوع وإحضار الرِّماة. وتلطَّف جعفر في أمرهم، وقال للأمير عبد الله: إن قَتَلْتَهُم الآن، أَطْفَأْتَ غضبك، وأَذْهَبْتَ مُلْكَكَ، فاستخرج المال، وأنت من وراء الانتقام، فَتَقَفُّهُمْ، وأطْمَعُوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، وأنفَذَ إليه يوسف بن تاشفين في حلِّ اعتقالهم، فلم تَسْغُه مخالفته وأطلقهم. ولَمَّا ملك غرناطة على تَفِيئة تلك الحال، قدَّم مؤملاً على مُسْتَخْلَصِه^(١) وجعل بيده مفاتيح قَصْره، فقال ما شاء من مال وحُظرة، واقتنى ما أراد من صامت وذخيرة. ونُسبت إليه بغرناطة آثار، منها السَّقاية بباب الفُخارين، والحَوَز المعروف بحوز مؤمل^(٢)، أَدْرَكْتُهَا وهي بحالها.

وفاته: قال ابن الصِّيرفي: وفي ربيع الأول من هذا العام، وهو عام اثنين وتسعين وأربعمائة، توفي بغرناطة مؤمل مولى باديس بن حَبُوس، عبد أمير المسلمين، وجابي مُسْتَخْلَصِه، وكان له دهاء وصبر، ولم يكن بقارىء ولا كاتب. رَزَقَه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلةً لطيفة ودرجة رفيعة. ولَمَّا أشرف على المَنيَّة، أحضر ما كان عنده من مال المُسْتَخْلَصِ، وأشهد الحاضرين على دَفْعه إلى مَنْ اسْتَوْتَقَه على حَمْلِه، ثم أَبْرَأَ جميع عماله وكُتَّابِه. وأنفَذَ رجلاً من صنائعه إلى أمير المسلمين بِجُمْلَةٍ من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكْتَسَبَه في دولته، أيام خِدْمَتِه، وأن يَبْتَ المال أولى به، ورغب في سَتْر أهله وولده، فلَمَّا وصل إليه، أظهر الأسف عليه، وأمضى تقديم صَنِيعَتِه. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من مُحتَاجَتِه، وشقاء من خَلِيفَه بسببه، وعدَّد مَالاً وذخيرة.

(١) المستخلص: أملاك السلطان وأمواله.

(٢) حوز مؤمل أو حوز مؤمل: كان من أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها، سمي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خدام ملك غرناطة باديس بن حبوس، ولاحتوائه على سطر من شجر الحوز. مملكة غرناطة (ص ٣٥).

حرف التون الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد
ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري^(١)

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجده وأخيه، يُكنى أبا الجيوش، وقد تقدم من أوليّة هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طُرُقَة العصر في أخبار الملوك من بني نصر» من تَصْنِيفِنا، قال: كان فتى يملأ^(٢) العيون حُسْنًا وتَمَامَ صورة، دَمِثَ الأخلاق، لَيِّنَ العريكة، عَفِيقًا، مَجْبُولًا على طلب الهدنة وحبِّ الخير، مُعَمَّدَ السيف، قَلِيلَ الشر، نَافِرًا لِلْبَطَرِ وإِرافَةَ الدماء، مُحِبًّا في العلم وأهله، آخِذًا من صناعة التَّعْدِيلِ^(٣) بِحِظٍّ رَغِيبٍ، يَخْطُ التقاويم^(٤) الصَّحِيحَةَ، وَيَصْنَعُ الآلاتِ الطَّرِيفَةَ^(٥) بِيَدِهِ، اخْتَصَصَ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرُّقَام، وَحِيدَ عصره، فَجاءَ واحدَ دهره ظَرْفًا وإِحْكامًا. وَكانَ حَسَنَ العهد، كَثِيرَ الوفاء. حَمَلَهُ الوفاءُ على اللُّجَاجِ في أمر^(٦) وزيره المطلوب بِعَزْلِهِ، على الاستهداف لِلخَلْعِ.

تَقَدَّمَ يوم خَلَعَ أخيه، وَهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعِمائة، وَسُئِلَهُ ثلاثَ وعشرون سنة، فَكانَ من تَمَامِ الخُلُقِ، وَجَمالِ الصُّورة، والثَّانِقِ في^(٧) ملوكي اللِّباس، آيةً من آياتِ الله خالِقِهِ. واقتدى^(٨) بِرِسومِ أبيه وأخيه، وَأَجْرَى الألقاب والعَوائِدَ لأولِ دولته. وَكانت أيامه، كما شاءَ الله، أيامَ نَحْسٍ مُستَمِرٍّ، شَمِلَتِ المسلمين فيها الأَزمَةُ، وأحاطَ بِهِمُ الدُّعْرُ، وَكَلَبَ العدوُّ. وَسِمِرَ من ذلك ما فيه كَفَايَةُ^(٩). وَكانَ فتى أيُّ فتى، لو ساعده الجَدُّ، والأَمْرُ لله من قَبْلُ ومن بَعْدُ.

(١) هذه الترجمة الكاملة لأبي الجيوش نصر وردت في اللوحة البدرية (ص ٧٠ - ٧٧) كما هنا.

(٢) في اللوحة البدرية (ص ٧٠): «ملا». (٣) صناعة التعديل: علم الفلك.

(٤) في اللوحة: «التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الظرفية، ويصنع...».

(٥) في اللوحة: «العجيبة».

(٦) كلمة «أمر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللوحة البدرية، (ص ٧٠).

(٧) في اللوحة: «في رفيع اللباس وملوكي البزة آية...».

(٨) في اللوحة: «واحتذى مرسوم». (٩) في اللوحة: «الكفاية».

وزراء دولته: وزر له مُقيّم أمره ومُحكّم التدبير على أخيه، أبو^(١) بكر عتيق بن محمد بن المؤل. وييت بني مؤل بقرطبة بيت^(٢) له ذكر وأصالة. ولما تغلب عليها^(٣) ابن هود اختفى بها أبوه أياماً عدة^(٤). ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة، خرج إليه وصحبه إلى غرناطة، فاتصلت قرياه بعقده على بنت للرئيس أبي جعفر المعروف^(٥) بالعُجْلَب ابن عم السلطان. واشتدَّ عَضْدُهُ، ثم تأكدت القرى بعقد مؤل أخي هذا الوزير على بنت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد، مُنْجِب هؤلاء الملوك الكرام، فقام^(٦) بأمره، واضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلب أهل الدولة عليه، وإخافة سلطانه منه، ما أوجب صرّفه إلى المغرب في غرض الرسالة، وأشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صرّفاً حسناً. وتولّى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج، المُسَيَّر^(٧) لخلّعه، واجتثاث أصله وفرّعه، وكان خبياً داهية، أعلم الناس بأخبار الرّوم وسيرهم وآثارهم. فحدثت بين السلطان وبين أهل^(٨) حضّرتة الوحشة بسببه.

قضاته: أقرّ على خطة القضاء بحضّرتة قاضي أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشي المُنبز بابن فركون، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله^(٩).

كتّابه: شيخنا^(١٠) الصدر الوجيه، نسيج وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته.

من كان على عهده من الملوك: بالمغرب^(١١)، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تصيّر الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأخواز طنججة، في صفر عام ثمانية وسبعمئة. وكان^(١٢) مشكوراً، مُبْنِخت الولاية. وفي دولته عادت سبّنة إلى الإيالة المريثية. ثم توفي بتازى^(١٣) في مستهل رجب^(١٤) من عام عشرة وسبعمئة. وتولّى الملك بعده عم

(١) في اللّمة: «الوزير القائد أبو...».

(٢) في اللّمة (ص ٧١): «بيت أصالة».

(٣) كلمة «عليها» ساقطة في اللّمة.

(٤) كلمة «عدة» ساقطة في اللّمة.

(٥) في اللّمة: «المنز بالعُجْلَب».

(٦) في اللّمة: «قام».

(٧) في اللّمة: «المُسَيَّر».

(٨) في اللّمة: «وأهل».

(٩) في اللّمة: «وقد تقدّم ذكره».

(١٠) في اللّمة البدرية: «شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب نسيج وحده إلى آخر مدته».

(١١) في اللّمة البدرية (ص ٧٢): «بالمغرب من ذلك: كان على عهده بالمغرب السلطان...».

(١٢) في اللّمة: «وكان مشكور الولاية».

(١٣) في اللّمة: «بتازى».

(١٤) في اللّمة: «شهر رجب».

أبيه السلطان الجليل الكبير، خذن العافية، وولي السلامة، وممهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثيراً^(١) من أيام من بعده. وقد تقدم ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

وبتلمسان، الأمير أبو حمز موسى بن عثمان بن يغمرايين، [سلطان بني عبد الواد، مذل الصقع]^(٢)، والمثل^(٣) السائر في الحزم والتبقيظ، وصلابة الوجه، زعموا، وإحكام القحة، والإغراب في حُبث^(٤) السيرة. واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين.

وبتونس، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق^(٥) يحيى بن المستنصر محمد^(٦) بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص^(٧). ثم توفي في ربيع^(٨) الآخر عام تسعة^(٩) وسبعمائة. فولي الأمر قريبه الأمير أبو بكر^(١٠) عبد الرحمن بن الأمير أبي يحيى^(١١) زكريا ابن الأمير [أبي إسحق بن الأمير]^(١٢) أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص. ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا يحيى^(١٣) بن عبد الواحد بن أبي حفص، فالتقى^(١٤) بأرض تونس، فهزم أبو بكر^(١٥)، ونجا بنفسه، فدخل بستاناً لبعض أهل الخدمة، مختفياً فيه، فسعى به إلى أبي البقاء، فجيء به إليه، فأمر بعض القرابة بقتله صبراً، نفعه الله^(١٦). وتم الأمر لأبي البقاء في ربيع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد^(١٧) الشيخ المعظم^(١٨) أبو يحيى زكريا الشهير^(١٩)

(١) في اللوحة: «وكثير».

(٢) في اللوحة: «المثل».

(٣) كلمة «الواثق» ساقطة في اللوحة.

(٤) في اللوحة: «حفص بن عبد الواحد».

(٥) في اللوحة: «شهر ربيع الآخر من عام...».

(٦) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي.

(٧) في الأصل: «أبو بكر بن عبد الرحمن» والتصويب من اللوحة.

(٨) كلمة «يحيى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللوحة البدرية.

(٩) في اللوحة: «والتقى».

(١٠) جملة «نفعه الله» ساقطة في اللوحة (ص ٧٣).

(١١) في اللوحة: «وصل».

(١٢) كلمة «المعظم» ساقطة في اللوحة.

(١٣) في اللوحة: «المعروف باللحياني من المشرق».

باللُخَياني، قافلًا من بلاد المشرق، وهو كبير آل أبي حَفْص نَسَبًا^(١) وَقَدَرًا، فأقام بإطرابلس، وأنقذ إلى تونس خاصَّته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المَزْدُورِي^(٢) محاربًا لأبي البقاء، وطالبًا للأمر. فتمَّ الأمر^(٣)، وخُلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة. وتمَّ الأمير للشيخ أبي يحيى. واعتُقل أبو البقاء، فلم يزل مُعْتَقَلًا إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ودفن بالجبانة المعروفة لهم^(٤) بالزَّلَاج، فَضْرِيحُه^(٥) فيما نَعْرِفُنا بإزاء ضريح قَتِيلِه^(٦) المظلوم أبي بكر، لا فاصل بينهما. وعند الله تجتمع الخصوم.

وأتَّصَلت أيام الأمير أبي يحيى، إلى أن انقضت مدَّة الأمير أبي الجيوش. وقد تضمَّن الإلماعُ بذلك^(٧) الرَّجَزُ المسمَّى بـ«قُطْع السُّلُوكِ»^(٨) من نظمي. فمن^(٩) ذلك فيما يختصُّ بملوك^(١٠) المغرب قولِي في ذكر السلطان أبي يعقوب: [الرجز]

ثم تقضى مُعْظَمُ الزمانِ	مواصلًا حَضَرَ بنِي زِيانِ
حتى أتى أهلَ تِلْمَسَانَ الفَرَجِ	وَنَشَقُّوا من جانب اللُّطْفِ الأَرَجِ
لما ترقى دَرَجُ السُّعْدِ دَرَجُ	فانفضَّ ضيقُ الحِصْرِ عنها وانفَرَجِ
وابنُ ابنِه وهو المسمَّى عامرا	أصبح بَعْدُ ناهيَا وآمرا
وكان لَيْثًا داميَ المَخالِبِ	تَغْلِبُ ^(١١) الأمرَ بجِدِّ غَالِبِ
أباح بالسَّيفِ نفوسًا عِدَّةَ	فلم تَطُلْ في المُلْكِ منه المُدَّةُ
ومات حَتَفَ أنفه واخْترما	ثم سليمانُ عليها قُدُما
أبو الربيع دَهْرُه ربيعُ	يُثْنِي على سِيرَتِه الجَمِيعِ
حتى إذا المُلْكُ سليمانُ قضى	تصيرُ المُلْكِ ^(١٢) لعثمانَ الرُّضا
فلاح نور السُّعْدِ فيها وأضا	ونَسِيَ ^(١٣) العَهْدَ الذي كان مضى

(١) في اللوحة: «حفص إذ ذاك سنا وقدرًا». (٢) في اللوحة: «المزدوري».

(٣) في اللوحة: «له الأمر». (٤) في اللوحة: «عندهم».

(٥) في اللوحة: «بضريحه». (٦) كلمة «قتيله» ساقطة في اللوحة.

(٧) في اللوحة: «بعض ذلك الرجز من نظمنا».

(٨) هو كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٩) في اللوحة: «أفمنه».

(١٠) في اللوحة: «بذكر ملوك في ذكر السلطان...».

(١١) في اللوحة: «يَغْلِبُ». (١٢) في اللوحة: «الأمر».

(١٣) في الأصل: «وسنى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللوحة البدرية (ص ٧٤).

وفيما يختص ببني زيان، بعد ذكر أبي زيان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمان سَعْدِهِ قام أبو حَمَو بها مِنْ بَعْدِهِ
وهو الذي سَطَا عليه وَلَدُهُ حتى انتهى على يَدَيْهِ أَمَدُهُ^(١)

وفيما يختص بأل أبي خَفَص بعد ذكر جملة^(٢) منهم: [الرجز]

ثم الشهيد^(٣) والأمير^(٤) خالد هيهات ما في الدهر حَيَّ خالد
وزكرياء^(٥) بها بَعْدُ نَوَى ثم نَوَى الرُّحْلَةَ عنها والنَّوَى
وَحَلَّ^(٦) بالشرق وبالشرق نَوَى وربما فاز امرؤ بما نَوَى

ومن ملوك التصاري بَقَشْتَالَه: هرانده بن شانجه بن ألهنشه^(٧) بن هرانده بن شانجه. ونازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم أقلع عنها عن ضَرْبَةٍ^(٨) وشروط، ثم نازل في أخريات أمره^(٩) حِصْن القَبْدَاق، وأدركه أَلَم الموت بظاهره، فاخْتَمَلَ من المحلَّة^(١٠) إلى جِيَان، وبقيت المحلَّة مُنِيخَةً على الحصن، إلى أن تَمَلَّكَ بعد موت الطَّاغِيَةِ بأيام^(١١) ثلاثة، كَتَمُوا فيها مَوْتَهُ. ولَسَبَّ^(١٢) هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طَرْفَةُ العصر، في تاريخ دولة بني نصر». وقام بعده بأمر النصرانية ولده ألهنشه، واستمرت أيامه إلى^(١٣) عام خمسين وسبعمائة.

بعض الأحداث في أيامه: نازل على أول أمره طاغية قُشْتَالَةَ الجزيرة الخضراء في الحادي والعشرين من^(١٤) عام تسعة وسبعمائة، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، وأقلع^(١٥) عنها بعد ظهوره على الجَبَل^(١٦) وفوز قِدَاحِهِ بِهِ. ونازل

(١) بعد هذا البيت جاء في اللوحة البدرية البيت الآتي:

وأخذ الله له بالشار وكلّ نظم فللى انتشار

(٢) في اللوحة: «جملة في نسق». (٣) في اللوحة: «ثم الأمير والشهيد».

(٤) في الأصل: «الأمير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللوحة.

(٥) في الأصل: «وزكرياء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللوحة.

(٦) في الأصل: «رحل» والتصويب من اللوحة. (٧) في اللوحة: «ألفونشة».

(٨) في اللوحة: «عن شروط وضريبة». (٩) في اللوحة: «أيامه».

(١٠) المحلَّة هنا بمعنى: المعسكر. (١١) في اللوحة: «بعد أيام ثلاثة إذ كتم موته».

(١٢) في اللوحة: «ولموته حكاية غريبة تضمنها كتاب طرفة العصر من تأليفنا».

(١٣) في اللوحة: «إلى عاشوراء من عام...».

(١٤) في اللوحة البدرية (ص ٧٥): «لصفر من...».

(١٥) في اللوحة: «ثم أقلع».

(١٦) في اللوحة: «على جبل الفتح»، وهو جبل طارق.

صاحبُ بَرْجلونة مدينةَ ألمريّة غرةَ ربيع الأول من هذا العام، وأخذ بمُخَتَفِها، وتفرّقت
الظبا على الخراش^(١)، ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقية^(٢) كبيرة،
واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونفس الله الحضر، وفرّج الكرب. وما كاد
أهل الأندلس يستنشقون^(٣) ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة^(٤)، ونشأت ريحُ
الخلاف، واستنفسد وزيرُ الدولة ضمائر أهلها، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصارى
والصاغية إلى العدو، وأظهر الرئيس^(٥) ابن عم الأب صاحب مألقة أبو سعيد
فرج^(٦) بن إسماعيل، صنو الغالب بالله^(٧) ابن نصر، الامتسك بما كان بيده، والدعاء
لنفسه، وقدم ولده الدائل إلى طلب الملك. وثار أهل غرناطة، يوم الخامس والعشرين
لرمضان^(٨) من العام، وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، وخبطوا
العشواء^(٩)، ونزل الحشم، فلاذ الناس منهم بديارهم، وبرز السلطان إلى باب القلعة،
متقدماً بالعفة عن الناس، وفرّ الحاسرون عن القناع، فلاحقوا بالسلطان أبي الوليد
بمالقة، فاستنهضوه^(١٠) إلى الحركة، وقصد الحضرة، فأجابهم وتحرك، فأطاعته
الحصون بطريقه، واحتلّ خارج^(١١) غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين
لشوال منه^(١٢)، فابتدره الناس من صائح ومشير بثوبه، ومُتطارح بنفسه، فدخل البلد
من ناحية رُبض البيّازين، واستقر بالقصبة^(١٣)، كما تقدم في اسمه. وفي ظهر يوم
السبت التاسع والعشرين من الشهر، نزل^(١٤) الحمراء دار الملك، وانفصل السلطان
المُترجم به، موئى له شرط عقده من انتقاله إلى وادي آش، مستبداً بها، وتغيين مالٍ
مخصوص، وغير ذلك. ورَحَل ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. واستمرت
الحال، بين حرب ومهادنة^(١٥)، وجرت بسبب ذلك أمور صَغبة إلى حين وفاته.

رحمه الله.

-
- (١) في اللمحة: «خداش».
- (٢) في اللمحة: «وقعة».
- (٣) في اللمحة: «ينشقون».
- (٤) في اللمحة: «نجم شهاب الفتنة».
- (٥) في الأصل: «الرئيس» والتصويب من اللمحة.
- (٦) كلمة «فرج» ساقطة في اللمحة.
- (٧) في اللمحة: «بالله تعالى الامتسك بما في يده...».
- (٨) في اللمحة: «من رمضان هذا العام».
- (٩) في اللمحة: «عشواء».
- (١٠) في اللمحة: «واستنهضوه».
- (١١) في اللمحة: «خارجها».
- (١٢) في اللمحة: «من العام».
- (١٣) في اللمحة (ص ٧٦): «بالقصبة القُذما تجاه الحمراء. وفي ظهر...».
- (١٤) في اللمحة: «كان دخوله دار...».
- (١٥) في اللمحة: «ومهادنة إلى حين وفاته».

مولده: وُلد^(١) في رمضان عام ستة وثمانين وستمائة. وكانت سته سناً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهراً واحداً، ومقامه بوادي آش تسعة أعوام وثلاثة أيام.

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة بوادي آش، ودفن بجامع القصبه منها، ثم نقل في أوائل^(٢) ذي الحجة منه إلى الحضرة، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، وبرز إليه السلطان، والجمع الكثير من الناس، ووضع^(٣) سريره بالمصلّى العيدي، وصلى عليه إثر صلاة العصر، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة، وكان يوماً من الأيام المشهودة، وعلى قبره مكتوب في الرخام:

«هذا قبر السلطان المرفّع^(٤) المقدار، الكريم البيت العظيم النجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصريح النسب في صميم الأنصار^(٥)، الملك الأوخد الذي له السلف العالي المنار، في الملك المنيع الدمار، رابع ملوك بني نصر أنصار دين المصطفى^(٦) المختار، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرائم الأموال ونفائس الأعمار، المعظم المقدس المرحوم أبي الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأخمى، الملك العادل، الطاهر الشمانل، ناصر دين الإسلام، ومبید عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدس، المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله ابن السلطان الجليل^(٧)، الملك الشهير، مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان، وحافظ كلمة الإسلام وناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل الله، المقدس المرحوم، أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر، تغمده الله برحمته وغفراته، وبوأه منازل إحسانه، وكتبه في أهل رضوانه، وكان^(٨) مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين وستمائة. وبويع يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي، رحمه الله^(٩)، ليلة يوم الأربعاء

(١) هذا النص عن مولده ساقط في اللوحة البدرية.

(٢) في اللوحة: «في أول ذي حجة».

(٣) في اللوحة: «وصلى على سريره بالمصلّى العيدي إثر صلاة العصر من يوم الخميس السادس من الشهر، ووري بترية جذه من مقبرة السبيكة، وكان يومه من الأيام المشهودة وعلى قبره...».

(٤) في اللوحة: «الرفيع».

(٥) في اللوحة: «المدني».

(٦) في اللوحة البدرية (ص ٧٧): «السلطان الملك الجليل الشهير».

(٧) في اللوحة: «كان».

(٨) جملة «رحمه الله» ساقطة في اللوحة البدرية.

السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فسبحان المَلِكِ الحق المبين، وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. وفي جهة^(١): [الكامل]

يا قبر، جاد ثراك ^(٢) صوب غمام	يَهْجِي عليك برحمة وسلام
بُورِكَتْ لَحْدًا فِيهِ أَيُّ وَدِيعَةٍ	مَلِكٌ كَرِيمٌ مِنْ نِجَارِ كَرَامِ
مَا شِئْتُ مِنْ حِلْمٍ وَمِنْ خَلْقٍ رَضَى	وَزَكَاءِ أَعْرَاقٍ وَمَنْجِدِ سَامِ
فَاسْعِدْ بِنَصْرِ رَابِعِ الْأَمْلَاقِ مِنْ	أَبْنَاءِ نَصْرِ نَاصِرِي الْإِسْلَامِ
مَنْ خَزَزَجَ الْفَخْرَ الَّذِينَ مَقَامُهُمْ	فِي نَضْرٍ خَيْرِ الْخَلْقِ خَيْرُ مَقَامِ
يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُؤَسَّسُ بَيْتِهِ	فِي مَعْدَنِ الْأَحْسَابِ وَالْأَحْلَامِ
مَا لِلْمَنِيَّةِ وَالشَّبَابِ مُسَاعِدٌ	قَدْ أَقْصَدْتُكَ بِصَانِيَاتِ سِيَهَامِ
عَجِلْتُ عَلَى ذَاكَ الْجَمَالِ فَغَادَرْتُ	رَبْعَ الْمَحَاسَنِ طَائِمِ الْأَعْلَامِ
فَمَحَى الرَّدَى مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ آيَةً	نَحْوُ ^(٣) النَّهَارِ لِسَدْفَةِ الْإِظْلَامِ
مَا كُنْتُ إِلَّا بَذْرَ تَمٍّ بَاهِرًا	أَخْتَى الْخُسُوفِ عَلَيْكَ عِنْدَ تَمَامِ
فَعَلَى ضَرِيحِ أَبِي الْجِيُوشِ تَحِيَّةٌ	كَالْمِسْكِ عَرْقًا عِنْدَ قُضْ خَتَامِ
وَتَغَمَّدَتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي	تَرْضِيهِ مِنْ عَذَنِ بَدَارِ مُقَامِ

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حصن أزيول من عمل مرسية، ولهم في الدولة النصرية مزية خُصُّوا لها بأعظم رُتَب القيادة، واستعمل بعضهم في ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شيرين، قال: وفي السادس عشر لذي قعدة منه، يعني عام عشرة وسبعمائة، توفي بغرناطة القائد المبارك أبو الفتح، أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى، أولي النزاهة والوفاء.

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهري

يكنى أبا الفتح، حفيد المذكور معه في هذا الباب.

(١) قوله: «وفي جهة» ساقط في اللمعة البدرية.

(٢) في اللمعة: «ثراك جاد» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في اللمعة: «محو».

حاله: من كتاب «طرفة العصور»: نسيجُ وحده في الخير والعفاف، ولين العريكة، ودماثة الأخلاق، إلى بُغْد الهمة، وجمال الأبهة، وضخامة التَّجُنُّد، واستجادة المَرْكَب والغُدَّة، وارتباط العبادة. استعان على ذلك بالثُّعْمَة المريضة بين مُنادية إليه بميراث، ومُكْتَسَبٍ من جرَّاء المُتَغَلَّب على الدولة صِهْرِهِ ابن المحروق معيشة لُبْنَتِهِ. وَنَمَت حال هذا الشَّهْم التَّجْد، وَشَمَخَتْ رُثْبَتُهُ حتى حُطِبَ للوزارة في أخريات أيامه، وعاق عن تمام المُراد به إلحاح السَّقْم على بدنه وملازمة الضُّنا لجُثْمَانِهِ، فمضى لسبيله، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة، ذائع الثَّنَاء، نقي العِرْض، صدرًا في الوَلَاة، وعَلَمًا في القَوَادِ الحُماة.

وفاته: توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال، رَكِبَ إليها السلطان، ووقف بإزاء لَحْدِهِ، إلى أن وُورِي، تنوِيهاً بِقُدْرِهِ، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه. وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته.

ومن الكتاب والشعراء

نزهون بنت القليعي^(١)

قال ابن الأثير^(٢): وهو فيما أَحْسَبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، غرناطية^(٣).

حالتها: كانت^(٤) أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودُعاة. وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزْمان^(٥)، والمخزومي الأعمى^(٦)، وأبي بكر بن سعيد^(٧).

(١) ترجمة نزهون في المغرب (ج ٢ ص ١٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣) والتكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) وبغية الملتبس (ص ٥٤٦) ورايات المبرزين (ص ١٥٩) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٢) التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨). وانظر أيضًا: الذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٣) في التكملة: «من أهل غرناطة».

(٤) النص في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٥) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٦) هو أبو بكر المخزومي الموروري، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

(٧) أغلب الظن أنه أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد، وقد ترجم له ابن الخطيب في هذا الجزء.

شعرها: دخل^(١) الأديب أبو بكر الكتندي^(٢) الشاعر، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى، فلما نظر إليها، قال: أجز يا أستاذ: [الكامل]

لو كنت تُبَصِّرُ من تكلُّمه^(٣)

فأفحم المخزومي زامعاً، فقالت: [الكامل]

لَعَدَوْتُ أَخْرَسَ مِنْ خِلَاجِهِ

ثم زادت:

الْبَذْرُ يَطْلُعُ مِنْ أَرْزَرِهِ وَالْقُضْنُ يَمْرَحُ فِي غَلَائِلِهِ

ولا خفاء ببراعة هذه الإجازة ورفاعة هذا الأدب.

وكتب إليها أبو بكر بن سعيد، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من الأدباء الأعيان^(٤):

[المجتث]

يا من له ألفٌ خِل^(٥) من عاشقي وعَشِيقِي^(٦)

أراكِ خَلِيتَ لَنَا سِ سَدُّ ذَاكَ الطَّرِيقِ^(٧)

فأجابته بقولها: [الطويل]

حَلَلْتُ أبا بكرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سِوَاكَ، وهل غيرُ الرفيع^(٨) له صَدْرِي؟

وإن كان لي كم من حبيب فلانما يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِّ فَضْلُ^(٩) أَبِي بَكْرٍ

وهذه غاية في الحُسن بعيدة. ومحاسنها شهيرة، وكانت من عُرَزِ المفاجِرِ

الغُرْناطية.

(١) الحكاية والشعر في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ورايات المبرزين (ص ١٥٩ - ١٦٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٢١) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٧١ - ٧٢) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الكتندي، وله ترجمة في رايات المبرزين (ص ١٥٧).

(٣) في التكملة: «من نجالسه». وفي الذيل والتكملة والنفع: «من تجالسه».

(٤) شعر أبي بكر بن سعيد وجواب نزهون في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٥) في المقتضب ورايات المبرزين: «شخص». (٦) في النفع: «وصديق».

(٧) في المصدر نفسه: «... للناس منزلاً في الطريق».

(٨) في المصادر الثلاثة: «الحبيب». (٩) في النفع: «حُب».

حرف الصاد من الأعيان والوزراء

الصُمَيْل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذي الجوشن
الضَّبَابِي الكَلْبِي^(١)

وهو من أشرف عَرَب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخَزَائِنِي»: جَدُّهُ^(٢) أَحَدُ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ بن علي والذي قَدِمَ برأسه على يزيد بن معاوية، فَلَمَّا قام المختار^(٣) نَائِرًا بِالْحُسَيْنِ قَرَّ عَنْهُ شَمِرٌ وَلَحِقَ بِالشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا فِي عَزٍّ وَمَنَعَةٍ. وَلَمَّا خَرَجَ كُثُومٌ بن عِيَّاضَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ، كَانَ الصُّمَيْلُ مِمَّنْ ضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ. وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ فِي طَالِعَةِ بَلَجٍ بن بشر القُشَيْرِيِّ، فَشَرُفَ بِبَيْدِهِ إِلَى شَرِيفٍ تَقَدَّمَ لَهُ، وَرَدَّ ابْنَ حَيَّانَ هَذَا. وَقَالَ فِي كِتَابِ «بَهْجَةِ الْأَنْفُسِ»، وَرَوْضَةِ الْأَنْسِ: كَانَ الصُّمَيْلُ بن حَاتِمٍ هَذَا جَدُّهُ شَمِرٌ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَتَلَهُ، تَمَكَّنَ مِنْهُ الْمُخْتَارُ فَقَتَلَهُ، وَهَدَمَ دَارَهُ، فَارْتَحَلَ وَلَدُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَرَأَسَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَفَاقَ أَقْرَانَهُ بِالنَّجْدَةِ وَالسُّخَاءِ.

حاله: قال^(٤): كَانَ شَجَاعًا، نَجْدًا، جَوَادًا، كَرِيمًا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَكَانَ^(٥) لَهُ فِي قَلْبِ الدُّوَلِ وَتَدْبِيرِ الْحُرُوبِ، أَخْبَارٌ مَشْهُورَةٌ.

من أخباره: حَكَى ابْنُ الْقُوطَيْبَةِ، قَالَ^(٦): مَرَّ الصُّمَيْلُ بِمَعْلَمٍ يَتْلُو: ﴿وَرَوَّلَكَ الْأَيْتَامُ نَدَاؤُهُمَا بَيْنَ الْثَّائِلِينَ﴾^(٧)، فَوَقَّفَ يَسْمَعُ، وَنَادَى بِالْمَعْلَمِ: يَا هُنَاهُ، كَذَا نَزَلَتْ

(١) توفي الصُمَيْلُ بن حَاتِمٍ سَنَةَ ١٤٢ هـ، وَتَرَجَمَتْهُ فِي الْحِلَّةِ السِّيَرَاءِ (ج ١ ص ٦٧) وَتَارِيخِ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ (ص ٤٤ - ٤٦، ٥١، ٥٩ - ٦١).

(٢) النَّصُّ فِي الْحِلَّةِ السِّيَرَاءِ (ج ١ ص ٦٧) بِتَصْرِفٍ، وَجَاءَ فِيهِ أَنَّ جَدَّهُ هُوَ: شَمِرُ بن ذِي الْجَوْشَنِ.

(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُخْتَارُ بن أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٧ هـ؛ مِنْ زَعَمَاءِ الثَّائِرِينَ عَلَى بَنِي أُمِيَّةٍ، كَانَ هَمُّهُ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ قَاتَلُوا الْحُسَيْنَ بن عَلِيٍّ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. الْأَعْلَامُ (ج ٧ ص ١٩٢) وَفِيهِ ثَبَتَ بِأَسْمَاءِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَرَجَمَتْ لَهُ.

(٤) قَارَنَ بِالْحِلَّةِ السِّيَرَاءِ (ج ١ ص ٦٨). (٥) فِي الْحِلَّةِ السِّيَرَاءِ: «وَكَانَتْ».

(٦) النَّصُّ فِي تَارِيخِ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ (ص ٦٠) وَالْحِلَّةِ السِّيَرَاءِ (ج ١ ص ٦٨) بِتَصْرِفٍ.

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣، آيَةُ ١٤٠.

هذه الآية؟ فقال: نعم، فقال: أرى والله أن سيُشْرِكنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة.

خبره في الجود: قال: كان أبو الأجرى الشاعر^(١) وقفاً على أمداح الصُمَيْل، وهو القائل: [الوافر]

بَنَى لَكَ حَاتِمٌ بَيْتًا رَفِيعًا رَأَيْنَاهُ عَلَى عُمْدٍ طَوَالٍ
وَقَدْ كَانَ ابْنَتِي شَمِرٌ وَعَمْرُو بَيوتًا غَيْرَ ضَاحِيَةِ الظَّلَالِ
فَأَنْتَ ابْنُ الْأَكَاكِمِ مِنْ مَعْدٍ تَغْلُجُ لِلْأَبَاطِحِ^(٢) وَالرَّمَالِ

وقارضه بإجزاله لعطائه وإتيائه في ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه بأن لا يراه إلا أعطاه ما حضره، فكان أبو الأجرى قد اعتمد اجتنابه في اللقاء حياة منه وإبقاء على ماله، فكان لا يزوره إلا في العيدين قاضيًا لحقه. وقد لقيه يومًا مواجهةً ببعض الطريق، والصُمَيْل راكب، ومعه ابنه، فلم يحضره ما يعطيه، فأزجل أحد ابنيه، وأعطاه دابته، فضرب في صنعه، وفيه يقول من قصيدة: [الكامل]

دُونِ الصُّمَيْلِ شَرِيعَةٌ مَوْزُودَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْعَدُوُّ وَرُودًا
فُتُّ الْوَرَى وَجَمَعَتْ أَشْتَاتُ الْعَلَا وَخَوِيتَ مَجْدًا لَا يُنَالُ وَجُودًا
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تَحْمِلَ فَارِسٌ سَيْفًا وَلَا حَمَلَ النِّسَاءِ وَلِيدًا

وكان صاحب أمره ولأه الأندلس قبل الأمويين؛ لهم الأسماء وله مغنى الإمرة، وكان مظفر الحروب، سديد الرأي، شهير الموقف، عظيم الصبر. وأوقع باليمانية وقائع كثيرة، منها وقعة شقنذة، ولم يكن بالأندلس مثلها، أثنى فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: وكان أبيًا للضيم، مُحاميًا عن العشيرة، كَلِمَ أبا الخطار الأمير في رجل من قومه انتصر به، فافجمه، وردَّ عليه، فأمر به، فَتَغَتَّعَ ومالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير: يا أبا الجوشن، ما باب عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لي قومٌ فسَيُقيِّمونها، وخرج من ليلته، فأفسد ملكه.

(١) أبو الأجرى هو جفونة بن الضمة الكلابي، من قدماء شعراء الأندلس، وترجمته في جنوة المقتبس (ص ١٨٩) وبغية الملتبس (ص ٢٦١) والمغرب (ج ١ ص ١٣١).

(٢) في الأصل: «تغلج الأباطح...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. وتغلج الرجل: يشتد.

وفاؤه: وخبر وفاته مشهور، فيما كان من جوابه لرَسُولِي عبد الرحمن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره يوسف بن عبد الرحمن الفهري، والتسّر مع ذلك عليهما، فليُنظر في كتاب «المُقْتَبَس».

دخوله غرناطة: ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية، صقر بني أمية، وقهر الأمير يوسف الفهري ووزيره الصميل، إذ عزّله الناس، ورجع معه يوسف الفهري والصميل إلى قرطبة، ولم يلبثا أن نكثا، ولحقا فحضر غرناطة، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خبر طويل، واستنزلهما عن عهد، وعاد الجميع إلى قرطبة، وكان يوسف والصميل يزكبان إلى القصر كل جمعة إلى أن مضيا لسيبلهما. وكان عبد الرحمن بن معاوية يسترجع ويقول: ما رأيت مثله رجلاً. لقد صجبتني من البيرة إلى قرطبة، فما مسّت رُكبتني رُكبتة، ولا خرجت دابته عن دابتي.

ومن الكتاب والشعراء

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى

ابن إدريس التُّجِيبِي (١)

من أهل مُزسية، يُكنى أبا بجر (٢).

حاله: كان (٣) أديباً، حبيباً جليلاً، أصيلاً، مُنتعماً من الطَّرَف، ريان من الأدب، حافظاً، حسن الخط، سريع البديهة، ترف الشّاة، على تصاؤن وعفاف، جميلاً سرياً، سَمحاً ذكياً، مليح العشرة، طيب النفس، مَن تساوى حفظه في النظم والنثر، على تباين الناس في ذلك.

مشيخته: روى عن أبيه وخاله، ابن عمّ أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس، وأبي بكر بن مُغاوَر، وأبي الحسن بن القاسم، وأبي رجال بن غلبون، وأبي عبد الله بن حُميد، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمد الحنجري، وابن حَوط الله، وأبي الوليد بن رُشد، وأجاز له أبو القاسم بن بشْكوَال.

(١) ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة (ج ٢ ص ٢٢٤) والمغرب (ج ٢ ص ٢٦٠) ورايات المبرزين (ص ٢٠١) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١١٧) والوافي بالوفيات (ج ١٦ ص ٣٢١) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٥٥، ٢٠٦) والذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٥٧).

(٢) في النفع: «أبو بجر».

(٣) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) والنفع (ج ٧ ص ٥٧ - ٥٨).

مَنْ روى عنه: أبو إسحق اليائري، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن أبي البقاء، وأبو عمرو بن سالم، ومحمد بن محمد بن عيشون.

توالياً له: له توالييف أدبية منها، «زاد المسافر»، وكتاب «الرحلة»، وكتاب «العجالة» سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدباً لا كفاء له. وانفرد من تأبين الحسين، رضي الله عنه، وبكاء أهل البيت، بما ظهرت عليه بركته في^(١) حكايات كثيرة.

شعره: ثبت من ذلك في العجالة قوله^(٢): [الكامل]

جاءَ الزمانُ بأئمةِ الجَزَعاءِ تَوْقانٍ مِنْ دَمْعِي وَغَيْثِ سماءِ^(٣)
فالدُّمْعُ يَقْضِي عِنْدَها حَقَّ الهوى والغَيْثُ حَقَّ البانَةِ الغَيناءِ^(٤)
خَلَّتِ الصُّدُورُ مِنَ القُلُوبِ كما خَلَّتْ تلكَ المَقاصِرُ مِنْ مَها وَظَباءِ
ولقد أَقولُ لصاحبِي وإنما دُخِرَ الصُّديقُ لأمجد^(٥) الأشياءِ
يا صاحِبِي، ولا أَقلُّ إذا أنا ناديتُ مِنْ أَنْ تُصَفِّيا لندائي^(٦)
عُوجاً بحارِ^(٧) الغَيمِ في سَفْيِ الجِما حتى ترى^(٨) كيف انسكابُ الماءِ
وَتَسُنَّ في سَفْيِ المَنازلِ سُنَّةً تُمضي بِها حُكْمًا على الظُّرفاءِ
يا مَنْزِلًا تُشَطِّطُ إِلَيهِ عَبرَتِي حتى تَبَسُّمَ زَهْرُهُ لِبِكاثِي^(٩)
ما كُنْتُ قَبْلَ مَزارِ رَبِّكَ عالِماً أَنْ المَدامِغَ أَصْدَقُ الأنواءِ
يا لَيْتَ شِعْري والزَّمانُ ثَقُلَ والدَّهْرُ ناسِخٌ شَدِيدٌ بِرِخاءِ
هل نلتَقِي في رَوْضَةٍ مَوْشِيَةٍ خَفَاقَةِ الأغْصانِ والأَقْباءِ؟
وننالُ فيها مِنْ تَأَلُّفِنا ولو ما فِيهِ سُخْمةٌ^(١٠) أَعْيُنَ الرُّقْباءِ؟
في حَيْثُ أَتَلَعَتِ العُصُونُ سِوالِفاً قد قُسلَدَتْ بِسِلالِىءِ الأَنْداءِ
وَجَرَتْ^(١١) ثَغُورُ الياسمينِ فَقَبِّلَتْ عَنِّي^(١٢) عِذارَ الآسَةِ المَمْنِساءِ

(١) في النفع: «من».

(٢) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٩٠ - ٣٩١).

(٣) رواية البيت في النفع هي:

جاءَ الرُّبى مِنْ بانَةِ الجَزَعاءِ

(٤) في النفع: «المَناء».

(٥) في الأصل: «النداء» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «يرى».

(٧) في النفع: «سُخْمة».

(٨) في الأصل: «عَني» والتصويب من النفع.

تَوْءانٍ مِنْ دَمْعِي وَغَيْمِ سماءِ

(٩) في النفع: «لأكد».

(١٠) في النفع: «تُجاري».

(١١) في الأصل: «لبكاء» والتصويب من النفع.

(١٢) في النفع: «ويَدَتْ».

والورد في شط الخليج كائنه
وكان غصن^(١) الزهر في خضر الزبي
وكانما جاء النسيم مبشرا
فكساه خلعة طيبه ورمى له
وكانما احتقر الصنيع فبادرت
والغصن يرقص في حلى أوراقه
وافتر شجر الأقحوان بما رأى
أنديه من أنس تصرم فانقضى
لم يبق منه غير ذكر أو منى
أو رقة من صاحب هي تخفة
كبطاقة الرسمى^(٢) إذ حيا بها

وهي طويلة^(٣). وقال مراجعا عن كتاب أيضا: [الوافر]

ألا سمح الزمان به كتابا
فلا أدري أكانا تحت وغد
وقد ظفرت يدي بالغنم منه
فلو لم استفيد شيئا سواه
إذا أحرزت هذا في اغترابي
رجعت بأئسه شيطان همي
رشفته به رصاب الود عذبا
وكذت أجرا أذيالي نشاطا
فضضت ختامه عني كاني
فكذت أبث في جفن عيني
وكنت أضونه في القلب لكن
ولو أن الليالي سامحتني

ذرى بوروده ألسي قبابا
دعا بهما ليژني فاستجابا؟
فليت الدهر سئى لي إيابا
فنبعث بمثله علقا لبابا
فدعني أقطع العمر اغترابا
فهل وجهك طرنا أم شهابا؟
يذكّرني شمائلك العذابا
ولكن خلعت قولهم تصابا
فتحت بفضه للروض بابا
لكي استودع الزهر السحابا
خشيت عليه أن يفتى التهابا
لكثت على كتابكم الجوابا

(٢) في النسخ: «اللمدر».

(٤) في النسخ: «الخطاء».

(١) في النسخ: «غصن».

(٣) في النسخ: «الوشقي».

(٥) أورد منها المقرئ ستة وأربعين بيتا.

فأبلي عندكم بالشكر عذراً
ولكن الليالي قيّدني
فما تلقائي الأحباب إلا
لأمر ما يقص الدهر ريشي
وعاذلة تقول ولست أضغي
تخوفني الدواهي وهي عندي
إذا طرقت أعد لها قراها
وما مثلي يخوف بالدواهي
تعاتبني فلا يرتد طرفي
ولو أن العتاب يفيد شيئاً
وقد وصيتها بالصمت عني
تعتقني على تركي بلاذا
تقول: وهل يفل السيف إلا
فقلت: وهل يضر السيف قل
بخوض الهول تكتسب المعالي
فليت الغاب يفترس الأناسي
ولو كان انقضاظ الطير سهلاً
دعيني والنهار أسير فيه
أغازل من غزالته فتاة
إذا شئت مواصلي تجلّت
وأشري الليل لا ألوي عنانا
أطاح من كواكبه كماما
وأزكب أشهباً^(٣) غبراً كباعي
وأخذ من بنات الدهر حقي
ولست أذيل بالمدح القوافي

وأجزل من ثنائكم الثواب
وقيّد عذتي^(١) إلا الخطاب
سلاماً أو مناماً أو كتاباً
لأن السهم مهما ريش صاباً
ولو أضغيت لم أرفع جواباً
أقل من أن أضيق بها جناباً
وقاراً واحتساباً واضطباراً
عرين الليث لا يخشى الذباب
وهل تستر قص الرياح الهضاب؟
ملأت مسامع الدنيا عتاباً
فما صمتت ولا قالت صراباً
عهذت بها القرارة والشباب
إذا ما فارق السيف القربا
إذا قط الجماجم والرقابا؟
يجل السهل من ركب الصعابا
وليث البنت يفترس الذبابا
لكانت كل طائفة عقابا
أسير عزائم تفري الصلابا
تبئض فودها هزماً وشابا
وإن ملكت توارث لي احتجابا
ولو نيل الأمانى ما^(٢) أصابا
وأزجر من دجئ غرابا
وخضراً مثل خاطري أنسيابا
جهاز البيت استلب استلابا
ولا أرضى بخطيها اكتسابا

(١) في الأصل: «وقيدت عرضي»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «لما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «شهباً»، وكذا لا يستقيم الوزن.

أمدح من به أفجو مديحي
سأخزنها عن الأسماع حتى
فلست بمادح ما عشت إلا
أبا موسى، وإني ذو^(١) وداد
ولكن دون ذلك مهممة لو
أخي، بر المودة كل بر
بعشت إليك من نظمي بدر
عداني الدهر أن يلقاك شخصي
إذا طيبت بالكلام
أرد الصمت بينهما جبابا
سيوقا أو جيادا أو صحابا
أناجي لو سمعت إذا أجابا
طوته الريح لم تزج الإيابا
إذا بر الأشقا^(٢) الانتسابا
شقت عليه من فكري عبابا
فاغنى الشجر عن شخصي ونابا

وقال في الغرض الذي نظم فيه الرصافي^(٣) من وصف بلده، وذكر إخوانه ومعاهده، مساجلا في العروض والرؤي، عقب رسالة سماها «رسالة طراد الجياد في الميدان، وتنازع اللدان والإخوان، في تنفيق مزية على غيرها من البلدان»^(٤):
[الطويل]

لعل^(٥) رسول البرق يغتنم الأجر
معاملة أزيو^(٦) بها غير مذنب
ليستقي^(٨) من تدمير قطرا محببا
ويقرضه ذوب اللجين وإنما
وما ذاك تقصيرا بها غير أنه
خليلي، قوما فأخيسا طروق الضبا
فلإن الضبا ربح علي كريمة
فينثر^(٦) عني ماء عبرته نثرا
فأقضي به دمع العين من نقطة بخرا
يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
توقيه عيني من مدامعها تبرا
سجينة ماء البحر أن يذوي الزهرا
مخافة أن تخمي^(٩) بزفرتي الحرى
بأية ما تشري من الجنة الصغرى

(١) في الأصل: «أخي»، وكذا ينكر الوزن.

(٢) في الأصل: «الأشقة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تقدمت قصيدة الرصافي الرائية في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة محمد بن غالب الرصافي ومطلعا: [الطويل]

خليلي، ما للبيد قد عيقت نثرا وما لرؤوس الزكب قد رجحت سكر

(٤) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٥٨ - ٦١).

(٥) في الأصل: «هل رسول...» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «فينثر»، والتصويب من النفع. (٧) في النفع: «أزيو».

(٨) في الأصل: «ليستقي» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «يحمي».

ولولا توخّي الصّدق سَمَيْتُهَا الْكُبْرَى
 نواسمُ آدَابِي مُعْطَرَةٌ نَشْرَا
 فُجِغْتُ بِرِيَشِ الْعَزْمِ كِي أَلْزَمَ الْوَكْرَا
 مَجَرَّتُهَا نَهْرًا وَأَنْجُمُهَا زُهْرَا
 وَقَدْ قَضَحْتُ أَزْهَارَ سَاحَتِهَا الزُّهْرَا
 وَمَا كُنْتُ أَعْتَدُ الصَّبَا قَبْلَهَا خَمْرَا
 وَزَهْرَ الرُّبَى وَلَذْتُ آدَابِي الْغُرَا
 تَعَلَّمُ نِظَامَ النُّثْرِ مِنْ هُنَا شِغْرَا
 تَعَلَّمْتُ حِلَّ الشَّغَرِ أُنْشِكُهُ نَشْرَا
 وَلَمْ أَرِ رَوْضًا غَيْرَهُ يُقْرِئُ السُّخْرَا
 فَتَمَلَّأُ فَاهُ مِنْ أَزَاهِرِهَا دُرَا^(١)
 مِنَ الْجُرُفِ الْأَعْلَى إِلَى السُّكَّةِ الْغُرَا؟
 أُعْيِرُ إِذْ غَاوَلْتُهَا أَخَشَهَا الْأُخْرَى
 وَقَدْتُ لَهَا أَوْرَاقَهَا حُلًّا خَضْرَا
 وَمَا عَادَةُ الْحَسَنَاءِ أَنْ تَنْقُدَ الْمَهْرَا
 أَغَارِيدُهَا تَسْتَرْقِصُ الْغُصْنَ النُّضْرَا
 وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا قَصْرَا^(٢)
 كَصَفْحَةِ سَيْفٍ وَسَمُهَا قُبْعَةٌ صَفْرَا
 بِسَطْرِ^(٣) لَجِينِ ضَمٍّ مِنْ ذَهَبٍ عَشْرَا
 لِنَهْرِ^(٤) يَوْذُ الْأَفْقِ لَوْ زَارَهُ فَجْرَا
 وَقَدْ بَكِيَا مِنْ رُقَّةٍ ذَلِكَ النُّهْرَا
 مِنَ الْأَنْسِ مَا فِيهِ سَوَى أَنَّهُ مَرَا

خَلِيلِي، أَغْنِي أَرْضَ مُرْسِيَةِ الْمُنَى
 مَحَلِّي بِلِ جَوِّي الَّذِي عَبَقْتُ بِهِ
 وَوَكْرِي الَّذِي مِنْهُ دَرَجْتُ فَلَيْتَنِي
 وَمَا رَوْضَةُ الْخَضْرَاءِ قَدْ مَثَلَتْ بِهَا
 بِأَبْهَجٍ مِنْهَا وَالْخَلِيجُ مَجْرَةٌ
 وَقَدْ أَسْكَرَتْ أَزْهَارُ^(١) أَغْصَانِهَا الصَّبَا
 هُنَاكَ بَيْنَ الْغُصْنِ وَالْقَطْرِ وَالصَّبَا
 إِذَا نَظَّمُ الْغُصْنُ الْحَيَا قَالَ خَاطِرِي
 وَإِنْ تَشَرَّتْ رِيحُ الصَّبَا زَهَرَ الرُّبَى
 فَوَائِدُ أَشْحَارٍ هُنَاكَ اقْتَبَسْتُهَا
 كَأَنَّ هَزِيرَ الرِّيحِ يَمْدَحُ رَوْضَهَا
 أَيَا زَنْقَاتِ^(٢) الْحُسْنِ، هَلْ فِيكَ نَظْرَةٌ
 فَأَنْظُرَ مِنْ هَذِي لَتَلِكِ كَأَنَّمَا
 هِيَ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ تُمَمُ حُسْنَهَا
 إِذَا خُطِبَتْ أَغَطَّتْ دِرَاهِمَ زَهْرَهَا
 وَقَامَتْ بِمُغْرَسِ الْأَنْسِ قَبْنَةً أَيْكَةً^(٣)
 فَقُلْ فِي خَلِيجٍ يَلْبَسُ الْخُوتِ دِرْعَهُ
 إِذَا مَا بَدَا فِيهَا الْهَلَالُ رَأَيْتَهُ
 وَإِنْ لَاحَ فِيهَا الْبَدْرُ شَبَّهَتْ مَثْنَهُ
 وَفِي جُرْقِي رَوْضٍ هُنَاكَ تَجَافِيَا
 كَأَنَّهُمَا خِلًّا صَفَاءٍ تَعَاتِبَا
 وَكَمْ لِي بِالْبَابِ الْجَدِيدِ^(٤) عَشِيَّةً

(١) في النفع: «أعطاف».

(٢) رواية عجز البيت في النفع هي:

تَمَلَّأُ فَاهَا مِنْ أَزَاهِرِهَا دُرَا

(٣) في الأصل: «زَنْقَات» بالراء غير المعجمة، والتصويب من النفع. وزَنْقَاتُ الْحُسْنِ: من متزهات مرسية.

(٤) في المصدر نفسه: «نصرًا».

(٤) في النفع: «أَيْكَةً».

(٧) في النفع: «بنهر».

(٦) في المصدر نفسه: «بشط».

(٨) في النفع: «وكم لي بآيات الحديد...».

عشايا^(١) كأن الدهر غص^(٢) بحسنها
عليهن أجري خيل دمعى بوجنتي
أعهدى بالغرس المنعم دوحه
فكم فيك من يوم أغرّ مُحجِّل
على مُدَّئِب كالنحر^(٣) من قزط حسنه
سقت أدمعى والقطرُ أيهما انبرى
وإخوان صدق لو قضيت حقوقهم
ولو كنت أقضي حق نفسي ولم أكن
وما اخترت هذا البغد إلا ضرورة
قضى الله أن ينأى^(٤) بي الدهر عنهم
والله لو نلت المنى ما حمدتها
أيانس بالذات قلبي ودونهم
ويصحب هادي الليل راء وحرقه
فدئثهم بانوا وضئوا بكثيهم
ولولا علا همتهم لعتبتهم
ضربت غبار البید في مَهْرَق السرى
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة
كان زمانى حاسب متعسف
فكم عارف بي وهو يخسب^(٥) رتبتي

فأجلت سياط^(٦) البرق أفراسها الشقرا^(٧)
إذا ركبت حُمْرًا مياديتها الصفرا
سقتك دموعي إنها مُزنة شكري^(٨)
تَقْصُصْت أمانيه فَخَلَذْتُهَا ذِكْرا
تودُّ الثريا أن تكون^(٩) له نخرا
نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
لما بئ استحلي فراقهم المُرّا
وهل تستجير العين أن تفقد الشقرا^(١٠)
أراد بذلك الله أن أغترب الدهرا
وما عادة المشغوف أن يخمد الهجرا
مرام يجدُّ الركب^(١١) في طيها شهرا؟
وصاذا ونونا قد تقوس^(١٢) واصفرا
فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
بحيث جعلت الليل في ضربه جبرا
وطرحا وتجميلا فأخرج لي صفرا
يطارحني كسرا، أما يُخسِنُ الجبرا؟
فيمدحني سيرا وَيَشْتِمَنِي جَهْرا

(١) في الأصل: «عشايا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «غص».

(٣) في النفع: «شقرا».

(٤) يقال: عين شكري: أي ملأى من الدمع، ويقال: دوة شكري: أي ملأى من اللبن؛ والمُزنة الشكري: الكثيرة المطر. محيط المحيط (شكر).

(٥) في النفع: «كالبحر».

(٦) الشقرا: بضم الشين وسكون الفاء: أصل منبت الشعر في طرف العين. لسان العرب (شقر).

(٧) في النفع: «أن تنأى بي الدار...».

(٨) في النفع: «يخسب».

(٩) في النفع: «يكون».

(١٠) في النفع: «الركب».

(١١) في النفع: «يقدر».

لذلك ما أَعْطَيْتُ نَفْسِي حَقَّهَا
فَمَا بَرِحْتُ فِكْرِي عَذَارَى قِصَائِدِي
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِآيسٍ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ^(٤): [السريع]

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ أَضْلَعِي
وَرَبَّمَا اسْتَوْقَدَ نَارَ الْهَوَى
مَلِكْتَنِي فِي^(٦) دَوْلَةٍ مِنْ صَبَا
عِنْدِي مِنْ حُبِّكَ^(٨) مَا لَوْ مَرَّتْ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا^(٩): [الكامل]

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ فَلَمَّا فَارَقُوا
وَجَرَتْ مَحَابِّ بِالْدموعِ^(١٠) فَأَوْقَدَتْ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ فَيَضُ مَدَامِي
وَشَعْرَةُ الرُّمْلِ وَالْقَطْرُ كَثْرَةً، فَلَنخْتَمِ لَهُ
قَالُوا وَقَدْ طَالَ بِي مَدَى خَطْنِي
أَعْدَدْتُ شَيْئًا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ؟

نثره: كتب يهني^(١٤) قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي من رسالة^(١٥): لأن^(١٦)
قدره^(١٧) دام عُمره، وامْتِثِلْ نَهْيَهُ الشَّرْعِي وَأَمْرَهُ، أَعْلَى رَتْبَةٍ وَأَكْرَمَ مَحَلًّا، مِنْ أَنْ

- (١) في الأصل: «لا تَهْمُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
- (٢) في النفع: «الذكر».
- (٣) في النفع: «السر».
- (٤) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).
- (٥) في المصدرين: «فيها».
- (٦) في معجم الأدباء: «يشرك».
- (٨) في الأصل: «نُحْيِكَ»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من المصدرين.
- (٩) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).
- (١٠) في المصدرين: «للدموع».
- (١١) في المعجم: «مئة يمرُّ وفي...».
- (١٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢ - ٦٣).
- (١٣) في الأصل: «ساه» والتصويب من النفع.
- (١٤) النص في الدليل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٣ - ٦٤).
- (١٥) في النفع: «برسالة منها».
- (١٦) في الأصل: «لأن» والتصويب من النفع والدليل والتكملة.
- (١٧) في النفع: «محلّه».

يَتَحَلَّى بِخُطَّةٍ هِيَ بِهِ تَتَحَلَّى. كَيْفَ يَهْنَأُ بِالْقَعُودِ لِسَمَاعِ دَعْوَةٍ^(١) الْبَاطِلِ، وَلِمَعَانَةِ^(٢) الْإِنْصَافِ الْمَمْطُولِ مِنَ الْمَاطِلِ، وَالتَّعَبِ فِي الْمَعَادِلَةِ، بَيْنَ ذَوِي الْمَجَادِلَةِ. أَمَّا لَوْ عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ^(٣) إِلَى خُطَّةِ الْأَحْكَامِ، الْمُسْتَشْفِرُونَ إِلَى مَا لَهَا مِنَ التَّبَسُّطِ وَالِاحْتِكَامِ، مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الْوُجُوبِ، وَالشُّرُوطِ الْجَوَازِمِ، كِبَسُّطِ الْكَتْفِ، وَرَفْعِ الْجَنْفِ، وَالْمَسَاوَةِ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَذِي الذَّنْبِ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ، وَتَقْدِيمِ ابْنِ السَّبِيلِ، عَلَى ذِي الرُّحِمِ وَالْقَبِيلِ، وَإِثَارِ الْقَرِيبِ، عَلَى الْقَرِيبِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْأَخْلَاقِ، حَتَّى لَيْمَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَلْقٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَلِمُ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَحْصَاهُ، وَاسْتَعْمَلَ لَخْلُقِهِ^(٤) الْفَاضِلِ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ، لَجَعَلُوا خُمُولَهُمْ مَأْمُولَهُمْ، وَأَضْرَبُوا عَنْ ظُهُورِهِمْ^(٥)، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ^(٦)، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ أَوْتِي بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَرَسَا طَوْدًا فِي سَاحَةِ الْجِلْمِ، وَتَسَاوَى مِيزَانُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ، وَكَانَ كَقَاضِي الْجَمَاعَةِ^(٧)، فِي الْمِمَاثِلَةِ بَيْنَ أَجْنَاسِ النَّاسِ، فَقَصَّارَاهُ أَنْ يَتَقَلَّدَ الْأَحْكَامَ لِلْأَجْرِ، لَا لِلتَّعَسُّفِ^(٨) وَالزُّجْرِ، وَيَتَوَلَّاهَا لِلثَّوَابِ، لَا لِلغِلْظَةِ فِي رَدِّ الْجَوَابِ، وَيَأْخُذَهَا لِحُسْنِ الْجَزَاءِ، لَا لِقُبْحِ^(٩) الْإِسْتِهْزَاءِ، وَيَلْتَزِمُهَا لَجَزِيلِ الذُّخْرِ، لَا لِلإِزْرَاءِ وَالسُّخْرِ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَسَلَكَ الْمُتَوَلِّيَ هَذَا السَّالِكَ^(١٠)، وَكَانَ كَقَاضِي^(١١) الْجَمَاعَةِ وَلَا يُمِثِّلُ لَهُ، وَنَفَعَ الْحَقُّ بِهِ عِلْلَهُ، وَنَقَعَ غُلْلَهُ، فَيَوْمُئِذٍ تَهْنَأُ^(١٢) بِهِ خُطَّةُ الْقَضَاءِ، وَيَعْرِفُ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِ^(١٣) مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ.

ومحاسنه في النثر أيضًا جمّة.

وَمِنْ أَخْبَارِهِ^(١٤) أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَرَآئِشٍ مُتَسَبِّبًا^(١٥) فِي جِهَازٍ بِثَبْتٍ بَلَغَتْ التَّزْوِيجَ، وَقَصَدَ دَارَ الْإِمَارَةِ مَادِحًا، فَمَا تيسَّرَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ أَمَلِهِ، فَفَكَّرَ فِي خِيَةِ قَصْدِهِ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ تَأْمَلْتُ^(١٦) جِهَةَ اللَّهِ، وَمَدَحْتُ الْمُصْطَفَى^(١٧) ﷺ، وَآلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، لَبَلَّغْتُ أَمَلِي بِمَحْمُودِ عَمَلِي. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ^(١٨) فِي تَوَجُّهِهِ الْأَوَّلِ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ عَلَى غَيْرِ

-
- (١) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «دَعَاوِي».
- (٢) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «الْمَعَانَاةُ لِإِنْصَافٍ».
- (٣) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «الْمُتَشَوِّقُونَ».
- (٤) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «خُلُقُهُ».
- (٥) الظُّهُورُ: مَصْدَرٌ ظَهَرَ أَيُّ بَدَأَ.
- (٦) الظُّهُورُ: جَمْعُ ظَهَرَ.
- (٧) فِي النَّفْحِ: «وَكَانَ كَمَوْلَانَا».
- (٨) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «لَا لِلتَّعَسُّفِ».
- (٩) فِي النَّفْحِ: «لِقُبْحِ».
- (١٠) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «هَذِهِ الْمَسَالِكُ».
- (١١) فِي الذَّيْلِ: «مِثْلُ قَاضِي».
- (١٢) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «تَهْنَأُ».
- (١٣) فِي الذَّيْلِ: «وَتَعْرِفُ بِمَا لِلَّهِ عَلَيْهِ...».
- (١٤) النَّصُّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٧ ص ٦٤).
- (١٥) كَلِمَةٌ «مُتَسَبِّبًا» سَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ.
- (١٦) فِي النَّفْحِ: «أَمَلْتُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ».
- (١٧) فِي النَّفْحِ: «نَبِيَّهُ».
- (١٨) فِي النَّفْحِ: «اللَّهُ مِنْ اعْتِمَادِهِ فِي...».

الثاني من ^(١) مُعَوَّل، فلم يكن إلا أن صَوَّب نحو هذا القصد سَهْمَهُ، وأمضى فيه عَزْمَهُ، وإذا به قد وُجَّه عنه، وأدخل ^(٢) على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصَّحًا به، فأنقذه وزاده عليه، وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله ﷺ، في النوم يأمره ^(٣) بقضاء حاجته. فانفصل مُوقَى الأغراض، واستمرَّ في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك ^(٤).

وفاته: سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسنه دون الأربعين سنة، وصلى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدِّين ^(٥) والفضل، رحمة الله عليه، وتلقيت من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيان، حسبما يظهر من عُجالاته، من غير تحقيق لذلك.

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النفزي ^(٦)

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا الطَّيِّب.

حاله: قال ابن الزُّبَيْر: شاعر مُجِيدٌ في المدح والقرَل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرائض. نظم في ذلك. وله توالييف أدبية، وقصائد زُهدية، وجزء على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدودًا في أهل الخير، وذوي الفضل والدِّين. تكرر لقائي إياه، وقد أقام بمالقة أشهرًا، أيام إقرائي. وكان لا يفارق مجالس إقرائي، وأنشدني كثيرًا من شعره.

وقال ابن عبد الملك ^(٧): كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف في مَنظُوم الكلام ومَنثورَه، فقيهاً حافظاً، فَرَضِيًّا، متفَنًّا في معارف شتى ^(٨)، نبيل المقاصد ^(٩)، متواضعًا، مقتصدًا في أحواله. وله مقامات بديعة في أغراض شتى، وكلامه، نظمًا ونثرًا، مُدَوَّن.

(١) كلمة «من» ساقطة من النفع.

(٢) في النفع: «فأدخل».

(٣) في النفع: «يأمر».

(٤) في النفع: «من الفضل والدين».

(٦) ترجمة صالح بن يزيد النفزي في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٦) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٤٣).

(٧) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧).

(٨) في الذيل والتكملة: «جليلة».

(٩) في المصدر نفسه: «المنافع».

مشيخته: روى^(١) عن آباء الحسن: أبيه، والدباج، وابن الفخار الشريشي، وابن قطرال، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي القاسم ابن الجد^(٢).

تواليقه: ألف جزءا على حديث جبريل، وتضمنيا في الفرائض وأعمالها، وآخر في العروض، وآخر في صنعة الشعر سماه «الوافي»^(٣)، في علم القوافي. وله كتاب كبير سماه «روضة الأئس»، ونزهة النفس.

دخوله غرناطة: وكان كثير الوفادة على غرناطة، والتردد إليها، يسترفد ملوكها، ويُنشِد أمراءها، والقصيدة التي أولها: «أواصليتي يوما وهاجرتي ألفا»^(٤)، أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللوشي أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه الله، وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين المُلْك حتى يُكملها في معارضة محمد بن هاني الإلبيري.

شعره: وهو كثير، سهل المأخذ، عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه الله، في غرض المدح من السلطانيات^(٥): [الوافر]

سرى والحبُّ أمرٌ لا يُرامُ	وقد أغرى به الشوقُ الغرامُ ^(٦)
وأغفى أهلها إلا وشاة	إذا نام الحوادثُ لا تنامُ
وما أخفاه ^(٧) بين القوم إلا	ضئى ولربما ^(٨) نفع السقامُ
فنال بها على قذرٍ مناه	وبين القبض والبسط القوام
وأشهى الوصل ما كان اختلاسا	وخيّر الحب ما فيه اختتام
وما أخلّى الوصال لو أن شينا	من الدنيا للدته دوامُ
بكيث من الفراق بغير أرضي	وقد يبكي القريبُ المستهامُ
أعاذلتي، وقد فارقتُ إلفي	أمثلي في صبايته يُلام؟
أأنقذه فلا أبكي عليه؟	يكون أرق من قلبي الحمام
أأنساه فأخسبه كصبري	وهل يُنسى لمحبوب ذمام؟

(١) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧). (٢) في الذيل والتكملة: «ابن الجد التونسي».

(٣) في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧): «الكافي».

(٤) سيرد من هذه القصيدة بعد قليل ستة أبيات.

(٥) بعض أبيات هذه القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٦) في الأصل: «والغرام»، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «أخفا» وكذا ينكسر الوزن. (٨) في الأصل: «وربما»، وكذا ينكسر الوزن.

رَوَيْدًا، إِنَّ بَعْضَ الْكُومِ لَوْمٌ
 وَيَوْمَ نَوَى وَضَعْتُ الْكَفَّ فِيهِ
 وَلَوْلَا أَنْ سَفَخْتُ بِهِ جَفُونَا
 وَلَيْلِ بَيْتِهِ^(٢) كَالذَّهْرِ طَوْلًا
 كَأَنَّ سَمَاءَهُ^(٣) زَهْرٌ^(٤) تَجَلَّى
 كَأَنَّ الْبَذَرَ تَحْتَ الْعَيْنِ وَجْهٌ
 كَأَنَّ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ كَأْسٌ
 كَأَنَّ سُطُورَ أَقْلَاكِ الدَّرَارِي
 كَأَنَّ مَدَارَ قُطْبِ بَنَاتِ نَعَشٍ
 كَأَنَّ بَنَاتِهِ الْكُبْرَى جَوَارٍ
 كَأَنَّ بَنَاتِهِ الصُّغْرَى جُحْمَانٌ
 كُوكَبٌ يَثُ أَرْعَاهُنَّ حَتَّى
 إِلَى أَنْ مَزَقَتْ كَفَّ الثُّرَيَّا
 فَمَا خِلْتُ أَنْصِدَاعَ الْفَجْرِ إِلَّا
 وَمَا شَبَّهْتُ وَجْهَ الشَّمْسِ إِلَّا
 وَإِنْ شَبَّهْتُ بِالْبَذْرِ يَوْمًا
 تَهْلُلَ مِنْهُ حُسْنُ الدَّهْرِ حَتَّى
 وَعَرَفَ مَا تَنْكَرُ مِنْ مَعَالٍ
 وَمَلَأَ الْعَيْنَ مِنْكَ جَلَالَ مَوْلَى
 إِذَا مَا قِيلَ فِي يَدِهِ غَمَامٌ
 وَخَشَوْ الدُّزْعَ أَرْوَعَ غَالِيٍّ
 إِذَا مَا سَلَ سَيْفُ الْعِزْمِ يَوْمًا
 وَمِثْلِي لَا يَنْتَهِيهِ الْمَلَامُ
 عَلَى قَلْبٍ يَطِيرُ بِهِ الْهِيَامُ
 تَفِيضُ دَمًا لِأَخْرَقَهَا الضَّرَامُ^(١)
 تَنْكَرَ لِي وَعَرَفَهُ الثَّمَامُ
 بِزَهْرِ الزُّهْرِ وَالشُّقْ^(٥) الْكِامُ
 عَلَيْهِ مِنْ مَلَاَحَتِهِ لِثَامُ
 وَقَدْ رَقَّ الزُّجَاجَةُ وَالْمُدَامُ
 قِسِيَّ وَالرُّجُومُ لَهَا سِيَهَامُ
 نَدِيٍّ وَالنَّسْجُومُ بِهِ نِدَامُ
 جَوَارٍ وَالسُّهَى فِيهَا غُلَامُ
 عَلَى لَبَاتِهَا مِنْهَا^(٦) نِظَامُ
 كَأَنِّي عَاشِقٌ وَهِيَ الذُّمَامُ
 جِيُوبُ الْأَفْقِ وَانْجَابُ الظَّلَامُ
 قِرَابًا يُنْتَضَى مِنْهُ حُسَامُ
 لَوْجْهَكَ^(٧) أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ
 فَلِلْبَذْرِ الْمَلَاَحَةُ وَالْثَّمَامُ
 كَأَنَّكَ فِي مُحْيَاهِ ابْتِسَامُ
 كَأَنَّكَ لَأَسْمِيهَا أَلْفَ وَلامُ
 صَنَائِعُهُ كَغُرَّتِهِ وَسَامُ
 فَقَدْ بَخَسَتْ وَقَدْ خُدَعُ الْغَمَامُ
 يُرَاعُ بِذِكْرِهِ الْجَيْشُ اللَّهَامُ
 عَلَى أَمْرِ فَسَلَّمْ يَا سَلَامُ

(١) الأبيات التي تلي هذا البيت وعددها ثلاثة عشر، في الدليل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٢) في الدليل والتكملة: «صباية».

(٣) في الأصل: «سماء»، وكذا يتكرر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.

(٤) في الدليل والتكملة: «روض».

(٥) في الأصل: «والشوق» والتصويب من الدليل والتكملة.

(٦) في الدليل والتكملة: «منه».

(٧) في الأصل: «بوجهك» والتصويب من الدليل والتكملة.

تَنَاهَى مَجْدُهُ كَرَمًا وَيَأْسًا
تَمَثُّهُ لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
هُمُ الْأَنْصَارُ هُمْ نَصَرُوا وَأَوُوا
وَهُمُ قَادُوا الْجِيُوشَ لِكُلِّ فَتْحٍ
وَهُمُ مَنَحُوا الْجَزِيرَةَ مِنْ جِمَاهِمُ
فَمَنْ حَزَبٍ تَشِيبُ لَهُ الثَّوَاصِي
بِسَعْدِكَ، يَا مُحَمَّدُ، عَزُّ دِينٍ
وِيَاسْمِكَ تَمُّ لِلْإِسْلَامِ سَلَمٌ
وَكَانَ مَرَامُهُ صَغْبًا وَلَكِنْ
أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَكَ مِنْ أَمِيرٍ
وَأَنْتَ الْعُزْوَةُ الْوُثْقَى تَمَامًا
وَرُوحُ أَنْتَ وَالْجِسْمُ الْمَعَالِي
إِذَا مَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِحُرٍّ

ومن شعره أيضًا: [الطويل]

أَوَاصِلَتِي يَوْمًا وَهَاجِرَتِي أَلْفًا
وَمِنْ عَجَبٍ لِلطَّيْفِ أَنْ جَاءَ وَاهْتَدَى
فِيَا سَائِرًا، لَوْلَا التَّخِيلُ مَا سَرَى
الْمَ فَأَحْيَانِي وَوَلَّى فِرَاعَنِي
بَعَيْنِي شَكَاوِي لِلْعَرَامِ وَتَبِيهِهِ
فَعَانَقْتُهُ شَوْقًا وَقَبَّلْتُهُ هَوًى

ومن نزعاته العجيبة قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره: [البسيط]

يَا طَلَعَةَ الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهُ قَمَرٌ
كَيْفَ التَّخْلُصُ مِنْ عَيْنَيْكَ لِي وَمَتَى
وَكَيْفَ يُسْلِي فَوَادِي عَنْ صَبَابَتِهِ
أَنْتَ الْمُئْنَى وَالْمُنَايَا فَيْكَ قَدْ جُمِعَتْ

أَمَّا هَوَاكَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
وَفِيهِمَا الْقَاتِلَانِ الْعَنْجُ وَالْحَوَرُ
وَلَوْ نَهَى الثَّاهِيَانِ الشَّيْبَ وَالْكِبَرُ
وَعِنْدَكَ الْحَالَتَانِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ

(١) في الأصل: «بعده»، وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٢) في الأصل: «وللفظ»، وكذا لا يتقيم الوزن، ولا معنى له.

ولي من الشوق ما لا دواء له
وفي وصالك ما أبقي به رَمَقِي
وكان طَيِّفُ خِيَالِ مِنْكَ يُقْنَعُنِي
يا نَابِيَا، لم يكن إلّا لِيَمْلِكْنِي
ما غِبْتَ إلّا وغاب الجِئْسُ أَجْمَعُ
بما تُكِنُّ ضُلُوعِي فِي هَوَاكَ بِمَنْ
أَدْرَكَ بِقِيَّةِ نَفْسٍ لَسْتُ مُدْرِكُهَا
وَدُلُّ خَيْرَةَ مَهْجُورٍ بِلَا سَبَبٍ
وإنْ أَبَيْتَ فلي من ليس يُسَلِمْنِي
مؤَيِّدًا لِمَلِكٍ بِالْأَرَاءِ يُخَكِّمُهَا
من كالأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ الإِلَهِ إِذَا مَا
الوَاهِبِ الْخَيْلِ آلَافًا وَفَارَسُهَا
والمُشَبِّهِ اللَّيْثِ فِي بَاسٍ وَفِي خَطَرٍ
تَأْمَنُ النَّاسَ فِي أَيَّامِهِ وَمَشَرُوا
وَزَالَ مَا كَانَ مِنْ خَوْفٍ وَمَنْ حَذِرٍ
رَأَيْتُ مِنْهُ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ
مَا شَتَّ مِنْ شَيْمٍ عَلِيَا وَمَنْ شِيمٍ
وَمَا أَرَدْتُ مِنْ إِحْسَانٍ وَمَنْ كَرَمٍ
وَعُرَّةٍ يَتَلَأَلُ مِنْ سَمَاحَتِهَا
إِيَّاهُ، فَلَوْلَا دَوَاعٍ مِنْ مَحَبَّتِهِ
نَأَيْتُ عَنْهُ اضْطِرَازًا ثُمَّ عُدْتُ لَهُ
فإنْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَقْضِي بِهِ أَمْلِي
وَلَسْتُ أَبْعُدُ إِذْ وَالْحَالِ مُتَّسِعٍ
ومن شعره في أغراض متعددة، قال في الليل والسهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلي الكَمَدُ
ومما أظُنُّ أَنَّهُ
يا نَائِمًا عَنْ لَوْعَتِي
أَزُقُّدُ هَنِيئًا إِنَّنِي
لَوَاعِجٍ مَا تُنْطَفِي
فَالدَّهْرُ عِنْدِي سَرْمَدُ
لَيْلَةِ الْهَجْرِ غَدُ
عُوفِيَتْ مِمَّا أَجِدُ
لَا أَسْتَطِيعُ أَزُقُّدُ
وَأَذْمَعُ تَضْطَرْدُ

وكبدي كَبِدَ السهوى وأين مَنَى الكبد؟
ولا تَسَلْ عن جَلدي والله مَالِي جَلْد

ومن شعره أيضًا في المقطوعات: [السريع]

وليلة قُصِرَ من طولها بزوردة من رثا نافر
استوفر الدهرُ بها غالطًا فأذغم الأول والآخر

وقال من قصيدة مُغربة في الإحسان^(١): [السريع]

وليلة نُبِهَتْ أجفانها والفجرُ قد فَجَرَ نَهْرَ النهار
والليلُ كالمهزوم يوم^(٢) الوغا والشهبُ مثلُ الشَّهْبِ^(٣) عند الفراز
كأنما استَخَفَى الشها خيفةً وطولِبَ النُّجْمُ بِثَأْرِ فِئاز
لذاك ما شابت نواصي الدُّجى وطارَحَ التُّسْرُ أخاه فطاز
وفي الثُّرَيَّا قمرٌ سافر عن غُرَّةٍ غَيْرَ منها الشِّفَارِ^(٤)
كَأَنَّ عَنقودًا بها مائلٌ^(٥) إذ صار كالعُرْجُونِ عند السَّرَارِ
كأنها تُسَبِّكُ دِينارَه وَكُفُّهَا تَفْتَلُ منه سوارِ^(٦)
كأنما الظُّلُمَاءُ مظلومةٌ تَحْكِمُ الفَجْرُ عليها فجاز
كأنما الصُّبْحُ لمشتاقِه إقبالُ دُنْيَا^(٧) بَعْدَ دُلِّ افْتِقَارِ
كأنما الشمسُ وقد أشرقَتْ وَجْهَ أَبِي عبدِ الإلهِ استَنَازِ

وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك: [البسيط]

البحر أعظمُ مما أنت تَحْسِبُه من لم ير البحرَ يومًا ما رأى عجبا
طامٍ له حَبَلٌ طافٍ على زُورِقِ مثلُ السماءِ إذا ما ملئت شُهْبَا
وقال في وصف نهر: [الطويل]

وأزرقَ مَحْفوفٍ يزهرُ كأنه نجومٌ بأكنافِ المجرةِ تَزْهَرُ
يسيل على مثل الجُمانِ مُسَلْسَلَا كما سُلَّ عن غَمْدِ حُسامٍ مُجَوَّهَرُ

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٤٦).

(٢) في الأصل: «في يوم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) الشهب: جمع أشهب وهو الجواد الذي يخالط بياضه سواد. لسان العرب (شهب).

(٤) في النفع: «السفار». (٥) في النفع: «... عتقودًا تَتَّى به».

(٦) في النفع: «السوار». (٧) في النفع: «عِزُّ غِنَى من بعد...».

وقد صافح الأدواح من صفحاته
فما كان في غطف الخليج فلامه
وفي العقل والتغرب: [السريع]

ما أحسن العقل وآثاره
يضمون بالعقل الفتى نفسه
لا سيما إن كان في غربة

ومن وصفه الجيش والسلاح: [الكامل]

وكتيبة بالدارعين كثيفة
روض المنايا بينها القُضْب التي
فيها الكُماة بنو الكُماة كأنهم
متهلِّلين لدى اللقاء كأنهم
من كل ليث فوق بزق خاطف
من كل ماضٍ قد ثقلد مثله
لبسوا القلوب على الدروع وأسرعوا
وتقدموا ولهم على أعدائهم
فارتاع ناقوس بخلع لسانه
ثم انثنوا عنه وعن عباده و
وفي السيف: [البسيط]

وأبيض صيغ من ماءٍ ومن لهب
ماضي الغرار يهاب العنبر صولته
أبهى من الوضل بعد الهجر منظره
وأسمر ظن أن^(١) ما كل سايغة
هام الكُماة به حبا ولا عجب
إذا الطعين تلقاه وأزعفه

على اعتدال فلم يخمد ولم يسيل
كأنما هو مطبوع من الأجل
حسنا وأقطع من دين على مثل^(٢)
فخاص كالأيام يستشفي من الكهل
من لوعة بمليح القد معتدل
حبيبته عاشقا يبكي على طلل

(١) في الأصل: «حتى»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «مال».

(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

ومن ذلك قوله في وصف قوس: [الوافر]

تَنَكَّبَهَا كحاجبه وسوى بأهداب الجفون لها نبالا
فلم أر قبلةً بذراً منيراً تحمّل فوق عاتقه هلالا

ومن ذلك في وصف قلم: [المقارب]

وأضقَرَ كالصَّبِّ في رَؤُنق تظنُّ به الحُبُّ ممن نَحَلْ
بديع الصفات حديد السُّبَات يطُول الرُّمَاح وإن لم يَطُلْ
يُعَبِّرُ عَمَّا وراء الضمير ويفعل فِعْلٌ^(١) الطُّبَا والذُّبَلْ

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السيفُ فيما قيل والقَلَمُ والقَضَلُ بينهما لا شك مُنْقَهُمُ
كلاهما شَرَفٌ لله^(٢) دَرُهُمَا وَحَبْدُ الخُطَّتَانِ الحُكْمُ والحَكْمُ

ومن ذلك قوله في سكين الدواة: [الخفيف]

أنا صَنَصَمَةُ الكتابة ما لي من شَبِيهِ في المُرْهَفَاتِ الرِّقَاقِ
فكأنِّي في الحُسْنِ يومِ وصال وكأنِّي في القَطْعِ يومِ فِرَاقِ

ومن ذلك قوله في المِقْصَص: [الوافر]

وَمُعْتَنِقِينَ ما اشتَهرَا بِعِشْقِي وَإِنْ وُصِفَا بِضَمٍّ واعتِنَاقِ
لَعَمْرُ أَيْبِكَ ما اعتَنَقَا لِمَعْنَى سوى معنى القَطِيعَةِ والفِرَاقِ

ومن ذلك قوله في الوزد: [مخلع البسيط]

الوزدُ سلطان كلِّ زَهْرٍ لو أَّثَه دائم السُّورودِ
بعد خدود المِلاح شيء ما أَشَبَّه الورد بالخُودِ

ومن ذلك قوله في الخَيْرِي: [السريع]

وأزرق كمثل السماءِ فيه لمن ينظر سِرٌّ عجيب
شخَّ مع الصُّبْحِ بأنفاسِهِ كأنما الصُّبْحُ عليه رقيب
وياح بالليل بأسراره لما رأى الليل نهارَ الأريب

(١) في الأصل: «ما قَتَلَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «شَرَفَ الله» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن ذلك قوله في الرِّيحان: [الوافر]

واخضرَ فُسْتُقِي اللونِ غَضْرُ
أغار على الثُّرُنَجِ وقد حكاها
يرزوق بحسن مَنظَره العُيونا
وزاد على اسمه ألقا ونونا

وقال من جملة قصائده المَطُولات التي تفتن فيها، رحمه الله: [الطويل]

وغانية يُغني عن العود صوتُها
بحيث يجرُّ النهر ذيل مجرَّة
وقد هزَّت الأرواح خضر كتائب
رمى قُرَح نبالا إليها فَجُرِدَتْ
وهبت صبا تجدِ فَجَرَتْ غلائلا
كأن بصفح الرّوض وشي صحيفة
كأن به الأتْحوان خواتِمَا
كأن به الثُّرجس الغَضْ أغيا
كأن شذا الحَيرِي زُورَة عاشقٍ
وجارية تَسْقِي وساقية تُجْري
يرفُ على حافاتها الزُّهر كالزُّهر
بالْوِية بيضٍ على أسلِ سُمُر
سيوفٍ سواقِها على دارع الثُّهر
تُجَفِّفُ دَمْعَ الطَّلِّ عن وَجْنة الزُّهر
وكالآلِفات القُضْب والطَّرَسُ كالثُّبر
مُقَضَّضَةً فيها فُصُوصٌ من الثُّبر
تُرْفِرُق في أجفانها أَدْمُعُ القَطَر
يَرى أن جُنَحَ اللَّيْلِ أَكْثَمُ لِلسُّرِّ

وقال في وصف الرُّمان: [البسيط]

لله رُمانةٌ قد راق مَنظَرُها
القَشْرُ حَقٌّ لها قد ضَمَّ داخله
فَمِثْلُها ببديع الحسن مَنعُوثُ
والشُّخْمُ قُطْنُ لها^(١) والحَبُّ ياقوتُ

ومن ذلك قوله في الجزر: [البسيط]

انظر إلى جَزَرٍ^(٢) في اللون مختلفٍ
إن قلت: قَضْبٌ قُفْلٌ: قَضْبٌ بلا زهرٍ
البعض من سَبَجٍ والبعض من ذهبٍ
أو قلت: شَمْعٌ قُفْلٌ: شَمْعٌ بلا لَهَبٍ

وفي الاغتراب وما يتعلّق به مما يقرب من المطولات: [الوافر]

غريبٌ كلِّما يَلْقَى غريبٌ
تَذَكَّرَ أَصْلَهُ فبكى اشتياقا
فلا وطنٌ لديه ولا حبيبٌ
وليس غريبا أن يبكي غريبٌ
ومما هاج أشواقِي حديثٌ
جَرى فجرى له الدَّمْعُ السُّكُوبُ

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معا.

(٢) في الأصل: «جَذَر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ذَكَرْتُ بِهِ الشَّبَابَ فَشَقَّ قَلْبِي
 عَلَى زَمَنِ الصُّبَا فَلَيْبِكَ مِثْلِي
 جَهَلْتُ سَبِيبَتِي حَتَّى تَوَلَّيْتُ
 أَلَا ذَكَرَ الْإِلَهَ بِكُلِّ خَيْرٍ
 بِلَادَ مَاؤَهَا عَذْبَ زُلَالٍ
 بِهَا قَلْبِي الَّذِي قَلْبِي الْمَعْنَى
 رَزَقْتُ الصَّبْرَ بِلَيْنِ أَبِي وَأُمِّي
 أَلَا فَتَوَخَّ بَعْدِي مَنْ أَوْاخِي
 وَلَا تَحْكُمْ بِأَوَّلِ مَا تَرَاهُ
 أَلَا إِنَّا خُلِقْنَا فِي زَمَانٍ
 وَقَدْ لَدَّ الْحِمَامُ وَطَابَ عِنْدِي
 لَحَى اللَّهِ الضَّرُورَةُ فَهَيَّ بَلَوَى
 رَأَيْتَ الْمَالَ يَنْشُرُ كُلَّ غَنِيٍّ
 وَفَقْدُ الْمَالَ فِي التَّحْقِيقِ عِنْدِي
 وَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي فِي اجْتِهَادٍ
 وَقَدْ تَجَرَّي الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسٍ
 كَأَنَّ الْعَقْلَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ
 إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْإِنْسَانُ بِخَيْرٍ

وَمِنْ نَسِيهِ قَوْلُهُ فِي بَادِرَةِ مِنْ حَمَامٍ: [الكامل]

عَنْ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُثَاثِ
 كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابٍ
 طَلَعْتُ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابٍ

مَا زَادَهَا شَيْئًا سِوَى الْإِشْفَاقِ
 كَثُرَتْ عَلَيْهِ مَسَائِلُ الْعُشَاقِ

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَمُسْتَيْمٍ لَوْ كَانَ صَوْرَ نَفْسِهِ
 مَا كَانَ يَرْضَى بِالصُّدُودِ وَإِنَّمَا

وَقَالَ: [مخلع البسيط]

وَافِي وَقَدْ زَانَهُ جَمَالٌ
 فِيهِ لِعُشَاقِهِ اعْتِذَارٌ

ثلاثة ما لها مثال: الوجه والخد والعذار
فمن رآه رأى رياضاً: الورد والآس والبهار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء: [الكامل]

ليس الأخوة^(١) باللسان أخوة فإذا تُراد أخوتي لا تُنفَع
لا أنت في الدنيا تُفرِّج كَرْبَهُ عني ولا يوم القيامة تُشَفِّع
وقال كذلك: [الكامل]

ولقد عرفتُ الدهرَ حينَ خَبَرْتُهُ وبَلَوْتُ بالحاجاتِ أهلَ زمانٍ
فإذا الأخوة باللسان كثيرة وإذا الدُّرَاهِمُ مَنَلَقَ الإخوانِ

ومن ذلك قوله في ثقل: [المقارب]

تزلزلت الأرض زلزالها فقلتُ لسكانها: ما لها؟
فقالوا: أنا أبو عامر فأخرجت الأرض أثقالها

ومن ذلك قوله في الصبر: [السريع]

الدهر لا يُبقي على حالة لكنه يُقبل أو يُذيرُ
فإن تَلَفَّاكَ بمكروهه فاضِرُ فإنَّ الدهرَ لا يصبرُ

ومن ذلك قوله في الموت: [السريع]

الموت سرُّ الله في خَلْقِهِ وجُكْمُهُ ذَلَّتْ على قَهْرِهِ
ما أَضْعَبَ الموتُ وما بَعْدَهُ لو فُكَّرَ الإنسانُ في أمرِهِ
أيام طاعات الفتى وحدها هي التي تُخسب من عُمرِهِ
لا تُلهِكَ الدنيا ولذاتها عن نَهْيِ مولاك ولا أمرِهِ
وانظُرْ إلى من مَلَكَ الأرضُ هل صَحَّ له منها سوى قَبْرِهِ؟

نشره: قال في كتاب «روضة الأنس» ما نصّه:

«ويتعلّق بهذا الباب ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرذعي، من أهل بلدنا، أعزّه الله: أخبرك بعُجاب، إذ لا سرُّ دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدّم إليك أن لا تعجل باللوم إليّ، قبل عِلْمِ ما لديّ، فإنَّ الدهر أخذع من كُفّة الحابل،

(١) في الأصل: «الإخوة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَقَلْبُ الْإِنْسَانِ لِلآفَاتِ قَابِلٌ. مَشَيْتُ يَوْمًا إِلَى سَوَاقِ الرَّقِيقِ، لِأَخْذِ حَقِّ فَوَادِ عَتِيقٍ، فَرَأَيْتُ بِهَا جَارِيَةَ عَسْجَدِيَّةِ اللَّوْنِ، حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِالصُّوْنِ، مَتَمَايِلَةَ الْقَدِّ، قَائِمَةَ التُّهْدِ، بَلَخَظَ قَدْ أَوْتَيْتُ مِنَ السُّخْرِ أَوْفَرَ حَظٍّ، وَقَمَّ كَشْرَطَةُ رُشَحَتِ يَدَمٍ، دَاخِلَهُ مِمْطَانٌ لَوْلَاهُمَا مَا عُرِفَ التُّظْمُ، وَلَا حُكْمٌ عَلَى الدَّرِّ لِلْعُظْمِ، فِي صَدْغِهَا لِأَمَانٍ مَا خَطَّ شَكْلَهُمَا قَلَمٌ، وَلَا قَصْرٌ مِثْلَهُمَا حِلْمٌ. لَهَا جَيِّدٌ تَتَمَنَّاهُ الْغِيدُ، وَخَضِرٌ هُوَ قَبْضَةُ الْكَفِّ فِي الْحَضَرِ، وَرِدْفٌ يَظْلِمُهُ مَنْ يُشَبِّهُ بِهِ بِالْحِجْفِ، وَيَدَانِ خُلِقَا لِلرُّشِيِّ، وَقَدَمَانِ أَهْلَتَا لِلثَّمِّ لَا لِلْمَشِيِّ، فَتَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ، وَبُذِلَتْ فِيهَا الْأَعْلَاقُ، وَالْمِيَاسِيرُ عَلَيْهَا مُغْرَمٌ فِي الْقَوْمِ، وَتَسْوَمُ أَهْلُ السُّومِ، وَكُلٌّ فِيهَا يَزِيدُ، لِيَلْبِغَ مَا يَرِيدُ، إِلَى أَنْ جَاءَ فَتَى صَادِقٌ فِي حُبِّهِ، لَا يِبَالِي بِفَسَادِ مَالِهِ فِي صَلَاحِ قَلْبِهِ، فَعَدَّ الْمَالَ عَدًّا، وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ بُدًّا. فَلَمَّا فَاتَنَتْنِي، تَرَكْتُ الْأَشْوَاقَ وَأَتَنَتْنِي، وَانْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِي فَمَا أَتَنَتْنِي، فَاللَّهُ اللَّهُ، تَدَارَكُ أَخَاكَ سَرِيعًا، قَبْلَ أَنْ تُثْلِفِيهِ مِنَ الْوَجْدِ صَرِيعًا، وَاسْتَزَلَّهُ خَادِمًا، قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ عَلَيْهِ نَادِمًا، وَلَنْ أَحْتَاجَ أَنْ أَصْفِيهَا إِلَيْكَ، مَعَ مَا قَصَصْتَهُ عَلَيْكَ، وَقَدْ أَهْدَيْتَهَا دُرَّرًا، فَخَذَّاهَا عَلَى جِهَةِ الْفَكَاهَةِ وَالِدُّعَابَةِ [الوافر]

وَلَا تُظْلِغِ أَخَا جَهْلٍ عَلَيْهَا فَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ

فَأَجَبْتُهُ: نَعَمْ نَعَمْ، أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْكَ، وَسَنَى آمَالَكَ، أَنَا بِحَوْلِ اللَّهِ أُرْتَادُ لَكَ مِنْ نَحْوِ هَاتِيكَ، مَا يُسْلِكُ وَيَوَاتِيكَ، وَإِلَّا فَيِضًا كَاللُّجَيْنِ، هَلِ الْقَلْبُ وَالْعَيْنُ، زَهْرَةٌ غُضُنُ فِي رَوْضَةٍ حُسْنٍ، ذَاتَ ذَوَائِبٍ، كَأَنَّهَا اللَّيْلُ عَلَى نَهَارٍ، أَوْ بِنْفَسِجٍ فِي بَهَارٍ. لَهَا وَجْهٌ أَبْهَى مِنَ الْغِنَا، وَأَشْهَى مِنْ ثِيَلِ الْمَنَى، فِيهِ حَاجِبَانِ كَأَنَّهُمَا قَوْسٌ صُنْعَتِ مِنَ السَّبِجِ، وَرُضِعَتْ بَعَاجُ مِنَ الْبَلَحِ، عَلَى عَيْنَيْنِ سَاحِرَتَيْنِ، بِالْعَقْلِ سَاحِرَتَيْنِ، بِهِمَا تُصَابُ الْكُبُودُ، وَتُشَقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ، إِلَى فَمٍ كَأَنَّهُ خِتَامُ مِسْكَ، عَلَى نِظَامِ سَيْلِكَ، سَقَاهُ الْحُسْنُ رَجِيقَهُ، فَأَنْبَتَتْ دُرَّرَهُ وَعَقِيقَهُ، وَجَيِّدٌ فِي الْحُسْنِ وَحِيدٌ عَلَى صَدْرٍ كَأَنَّهُ مِنْ مَرْمَرٍ، فِيهِ حُقَّتَا عَاجٌ طَوْقَتَا بَعْبُرٍ، قَدْ خُلِقَتَا لِلْعَضِّ، فِي جِسْمٍ غَضٍّ، لَهُ خَضِرٌ مُذْمَجٌّ، وَرِدْفُهُ يَتَمَوَّجُ، وَأَطْرَافُ كَالْعَسَمِ، رُقِمَتْ رَقَمَ الْقَلَمِ، مِنَ اللَّائِنِيِّ شَهْدَنُ ابْنِ الْمُؤَمِّلِ، وَقَالَ فِي مِثْلِهَا الْأَوَّلِ، إِنْ هِيَ تَاهَتْ فَمِثْلُهَا تَاهَا، أَوْ هِيَ بَاهَتْ فَمِثْلُهَا بَاهَا، مِنْ أَيْنَ لِلْغُضْنِ مِثْلُ قَامَتِهَا أَوْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ مِثْلُ مَرَّآهَا، مَا فَعَلْتَ فِي الْعُقُولِ صَابِيَةً مَا فَعَلْتَ فِي الْعُقُولِ عَيْنَاهَا، تَمْلِكُنِي بِالْهَوَى وَأَمْلِكُهَا، فَهَئَانَا عَبْدُهَا وَمَوْلَاهَا، فَأَيُّهُمَا لَسْتُ بِذَلِكَ فِيهِ الْجُهْدُ، وَأَرْقَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالرُّدَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَنَا فِيمَا عَرَضَ لِسَيِّدِي، حَفِظَهُ اللَّهُ، عَلَى مَا يُحِبُّ، أَعِزُّهُ وَلَا أَعِزِّلُهُ، وَأَنْصُرُهُ وَلَا أَخْذِلُهُ، لَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَلْبُهُ رَقِيقٌ، أَنْ يَدْخُلَ سَوَاقَ الرَّقِيقِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَالِ، وَالْجَمَالِ يَتَنَافَسُ فِي الْعَالِي،

ويسترخض بالثمن الغالي، ولا يُيالي بما قال الأئمة، إذا وجد من يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاع المُحِبِّ بالمال إذ^(١) لم يتوصَّل به لوصول الحبيب
إنما ينبغي بحكم الهوى أن يُنقَّ المالُ في صلاح القلوب
والسلام على سيدي، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، والمداعبة من شيم
الظُرفاء، ورحمة الله وبركاته.

مولده: ولد في محرم سنة إحدى وستمئة.

وفاته: توفي في عام أربعة وثمانين وستمئة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال: أنشدني
الشيخ الراوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان
المنتشافري، قال: أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن
الحُقالة، قال: أنشدني الأديب أبو الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن
شريف الرندي لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليلي، بالود الذي بيننا اجعلا إذا مث قبري عُزْصَةً للثرُحِمِ
عسى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فلاني محتاج لدَعْوَةِ مُسلم

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي

الرئيس أبو محمد بن إسقيلولة

أوليته: قد مرَّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه.

حاله: كان أميراً شهماً، مضطرباً بالقضية، شهير المواقف، أبي النفس، عالي
العمة. انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله^(٢)، وكان أملاك لما بيده من مدينة
وادي آش وما إليها، مُعزِّراً بأخيه الرئيس أبي الحسن مُظاهره في الأمر، ومُشاركه في

(١) في الأصل: «إذا» وكذا يتكرر الوزن.

(٢) الغالب بالله: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة؛ حكم غرناطة
من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البيرية (ص ٤٢).

السلطان. واستمرت الحال مدة حياة خاله السلطان، ولما صار الأمر إلى مخيفه ولي العهد^(١)، استشرى الداء، وأغضل الأمر، وعمت الفتنة، وزاحمه السلطان بالمنكب؛ انفجهم، واعتوره بالحيلة، حتى تحيف أطرافه، وكان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(٢) البحر إلى الجهاد، ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى التقاطع، وتصيرت مאלقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

وفي أخريات هذه الأحوال، أخكم السلطان مع طاغية الروم السلم، وصرف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد، صاحب وادي آش، فالبجاه الحال إلى أن صرف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شعاره، فأقعد عنه. ووقعت مراسلات أجلت عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى المغرب، معوضاً عن مدينة وادي آش بقصر كتامة^(٣)، وذلك في عام تسعة وثمانين وستمائة.

وفاته: دخلت قصر كتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي قعدة عام خمسة وخمسين وسبعمائة في غرض الرسالة، وزرت مقبرة الرؤساء بني إشقيلولة بظاهرها، وفي قببة ضخمة البناء رحيبة الفناء، نسيجة وحدها بذلك البلد بين منازل البلى وديار الفناء، وبها قبر الرئيس أبي محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه وبين جدار القبلة قبر، وسنامه رخام مكتوب عليه: [المجث].

قبر عزيز علينا لو أن من فيه يُفدى
أمكنت قرّة عيني وقطعة القلب لخدا
ما زال حُكمًا عليه وما القضاء تعدى
فالصنبر^(٤) أحسن ثوب به العزيز تردى

وعند رأس السنام الرخامي، مهّد مائل من الرخام فيه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، وسلم تسليمًا. هذا قبر الرئيس الجليل، الأعلى الهمام، الأوحد،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثاني سلاطين غرناطة، وقد حكم من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

(٢) هو المنصور يعقوب بن عبد الحق المريني، سيد بني مرين بالمغرب، توفي سنة ٦٨٥ هـ. الأعلام (ج ٨ ص ١٩٩) وفيه ثبت بأسماء مصادر ترجمته.

(٣) قصر كتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٦٢).

(٤) في الأصل: «فلصبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الأُسعد، المبارك، الأُسنى، الأُسَمَى، الأخفَل، الأَكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبي محمد عبد الله، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحد، الأُسعد، المبارك، الأُمَضَى، الأُسنى، الأُسَمَى، المعظم، المرفَع، المجاهد، الأُرَضَى، المقدس، المرحوم أبي إسحق إبراهيم بن إسحاق، رحمه الله وعفا عنه وأسكنه جَنَّتَه. ظهر، عفا الله عنه، بوادي آش، أَمْنها الله، قاعدة من قواعد الأندلس، وتَسَلَطَنَ، ونُشِرت علامات سلطنته، وضُربت الطبول. وجاهد منها العدو، قَصَمه الله، وظهر على خاله سلطان الأندلس، وأقام في سلطنته نحوًا من ثلاث وعشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله أبي يعقوب، أَيْده الله بنصره، وأَمَدَه بمعونته وُسْرَه، وأَمَرَه، أَيْده الله، أن يتخلى عن وادي آش المذكورة، ويَصِل للمغرب، فتَنَحَّى عن الأندلس للمغرب، أَنسَهُ الله، في جمادى الأولى من عام ستة وثمانين وستمائة، فأعطاه، أَيْده الله، قصر عبد الكريم، أَمْنه الله، وأنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، وجاز منه إلى الأندلس، أَمْنها الله، وجاهد بها مرّتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، وتوفي، شَرَف الله روحه الطيبة المجاهدة، عَشِي يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستمائة^١.

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حُبُوس بن ماكسَن ابن زيري بن مَناد الصَّنْهَاجِي^(١)

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرَّ من ذلك في اسم جدّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المُظَفَّر بالله، الناصر لدين الله. وُلِي بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، وَصَّحِبَه سِمَاجَة الصَّنْهَاجِي تسع سنين. قال الغافقي: وكان قد حاز حظًا وافراً من البلاغة والمعرفة، شاعراً جيّد الشعر، مَطْبُوعَه، حسن الخط. كانت بغرناطة رِبْعَة مُصَحَف بخطّه في نهاية الصُّنعة والإتقان. ووصفه ابن الصِّيرفي

(١) ترجمة عبد الله بن بلقين في الأنيس المطرب (ص ٩٩) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) وتتمّة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢٣، ١٢٨) والحلل الموشية (ص ٣٤) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(م ٦ ص ٣٧٠) وصيغ الأعيان (ج ٥ ص ٢٤٢) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٢٠٥). وهناك دراسة مستفيضة عنه للدكتورة مريم قاسم طويل في كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٧١ - ٢٣٩).

فقال^(١): كان جبانًا مُعْغَمَدًا^(٢) السيف، قلقًا، لا يَثْبُتُ على الظَّهَر، عِزْهَاءَ^(٣) لا أَرَبَ له في النساء^(٤)، هَيَّابَةً، مُفْرَطَ الْجَرْعِ، يَخْلُدُ إلى الرَّاحَاتِ، وَيَسْتَوِزِرُ الْأَغْمارَ.

خلعه: قال: ^(٥) وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، تحرَّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، ويمم قرطبة، وتواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يُغَيِّظُهُ ويُحْقِدُهُ، حسبما تقدم في اسم مؤمِّل مولى باديس. وقَدَّم إلى غرناطة أربع محلَّات، فنزلت بمقرية منها، ولم تمتدَّ يدُ إلى شيء يوجد، فسُرَّ الناس واستبشروا، وأمنت البادية، وتمايل أهل الحاضرة إلى القوي. وأسرع حفيد باديس في المال، وألحق السُّوقَ والحائكة^(٦)، واستكثر من اللِّفِيفِ، وألحَّ بالكُتُبِ على أذقونش بما يُطِمِعُهُ. وتحقَّق يوسف بن تاشفين استيْشَراف الحاضرة إلى مَقْدَمِهِ، فتحرك. وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوَّفوه من عاقبة التربُّص، وحَمَلُوهُ على الخروج إليه، فركب وركبت أمه وتركما القصر على حاله، ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجَّل، وسأله العَفْو، فعفا عنه، ووقف عليه، وأمره بالركوب، فركب، وأقبل حتى نَزَلَ بـ«المشايع» من خارج الحاضرة. واضطربت المحلَّات، وأمر مؤمِّلًا بثقافه في القصر، فتولَّى ذلك، وخرج الجُمُّ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقَّيهم، وأنسهم، وسكَّن جاشهم، فاطمأنوا. وسهَّل مؤمِّل إليه دخول الأعيان، فأمر بكتِّب الصُّكوك، ورفَّع أنواع القَبالات والخراج، إلَّا زكاة العَيْن، وصَدَقَةَ الماشية، وعُشْر الزُّرْع. واستقصي ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، ويرُوع الخاطر، من الأغلاق والذُّخيرة، والحُلَى، ونفيس الجَوْهر، وأحجار الياقوت، وقَصَب الزُّمرد، وآنية الذهب والفضة، وأطباق البلُّور المُحكَّم، والجرداذنات، والعراقِيَّات، والثَّياب الرُّفِيعَة، والأَتِماط، والكِلل، والسُّتائر، وأوْطِية الدِّيباج، مما كان في اذخار باديس واكتِسابه. وأقبلت دوابُّ الظَّهَر من المُكْتَبِ

(١) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٥).

(٢) في أعمال الأعلام: «مُعْغَمَد».

(٣) عِزْهَاءَ: عازف عن اللهو والنساء. محيط المحيط (عزه).

(٤) في أعمال الأعلام: «زاهدًا في النساء».

(٥) قارن بملذكات الأمير عبد الله (ص ١٥٤ وما بعدها) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٦) الحائكة: أصحاب الشَّر. وهذا الجمع لم نلاحظه في كتب اللغة؛ فقد جاء فيها أن «الحُكَّك» جمع «حاك»، وهو صاحب الشَّر.

بأحمال السبيك والمُسبوك، واختلفت أم عبد الله لاستخراج ما أُودِعَ بطن الأرض، حتى لم يبق إلا الخَزْنَى والثقل والسَّقْط. وزَع ذلك الأمير على قَواده، ولم يستأثر منه بشيء. قال^(١): وَرَغِبَ إليه مؤمِّل في دخول القصر، فركب إليه، وكثر استحسانه إياه، وأمر بحِفْظِهِ. وَتَقَدَّ أوضاعه وأفنيته. وَنُقِلَ عبد الله إلى مَرَاكش، وسُنَّه يوم خُلِعَ، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، فاستقرَّ بها هو وأخوه تميم، وحُلَّ اعتقالهما، ورُفِّعَ عنهما، وأُجْري المرتب والمُساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فَقَضِيَت مآربه، وَأُسْعِفَت رَغباته، وَخَفَّ على الدولة، واستراح واشتريح منه، وَرُزِقَ الولد في الخُمُول، فعاش له ابنان وَبَنَتْ، جَمَعَ لهم المال. فلَمَّا تُوَفِّي ترك مَالًا جَمًّا.

مولده: ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

عبد الله بن علي بن محمد التَّجِيبِي، الرئيس أبو محمد ابن إِشْقِيلُولَة

حاله: كان رئيسًا شجاعًا، بُهْمَةً، حازمًا، أَيْدًا، جَلْدًا. تولى مدينة مالقة عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر، صِنُو أمير المسلمين، الغالب بالله، في أوائل عام خمسة وخمسين وستمائة. وكان صِهر السلطان على إحدى بناته، وله منه محلٌ كبير، ومكان قريب، وله من مُلكه حظٌ رَغِيب. واستمرَّت حاله إلى عام أربعة وستين وستمائة، وَقَسِد ما بينه وبين وليِّ العهد، الأمير أبي عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله، إذ وَغَرَّ له صدره، ولا بني أخيه الرئيسين، أبي محمد وأبي الحسن، ابني الرئيس أبي إسحاق بن إِشْقِيلُولَة المتأمرين بوادي آش، فضايقهم وأخافهم بما أذاهم إلى الامتناع والدعاء لأنفسهم والاستيفساك بما بأيديهم. وَعَمَّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانْتَزَى هذا الرئيس بمدينة مالقة، وكان أَمْلَكَ لما بيده، واستعان بالتُّصْرِي، وشَمَّر عن ساعد الجِدِّ، فأباد الكثير من أعيان البلدة في باب تَوَسُّم التهم وتَطَرُّق السعايات، واستولى على أموالهم. واستمرت الحال بين حرب أخلت فيها غَلَبَة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش التُّصْرِي، ونازل مالقة أربعين يومًا، وشَعَث الكثير بظواهرها، وتسمَّى بعَلَم الأمير عند أهل مالقة، وما بين سلَم ومُهادنة. وفي عام

(١) راجع المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) والأنيس المطرب (ص ١٠٠) وتمة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) والاستقصا (ج ٢ ص ٥٣).

ستين وستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرَه، وأغيا عليه أمرُ مالقة، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، وضَبَطَ مَنْ لِنَظَرِه، واستَتمَّسَاكَ بِعُرْوَةِ حَزْمِه.

وفي بعض الأيام ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفياً، كاتماً غرضه، وقعد بباب المدينة، فلَمَّا بَصُرَ به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، وأذهشتهم الهيبة، فأفرجوا له، مُؤَقِّرِينَ لجلاله، آنسين لقلَّة أتباعه، فدخل، وقصد القَصْبَةَ، وقد نُذِرَ به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجلاً، مُتَبَدِّلاً، مُهَزَّوْلاً، حافياً. ولَمَّا دنا منه ترامى على رجليه يُقْبِلُهُمَا، إظهاراً لحقُّ أبوتِه، وتعظيماً لِقُدْرِه، ودخل معه إلى بَيْتِه وخَفَذَتِه، فترامى الجميع على أطرافه يُلْثِمُونَهَا، وَيَتَعَلَّقُونَ بِأذياله وأذرانه، وهو يبكي إظهاراً للشَّفَقَةِ والمودَّة وتكَلُّم الجميل. وأقام معهم بياض يومه، ثم انصرف إلى محلَّته، وأتبعه الرئيس، فأمرَه بالاستمساك بِقَصْبَتِه وملازمة محلِّ إِمْرَتِه، وما لبث أن شرع في الارتحال عن الطَّافِ ومُهادات، وتقدير جِرايات، وإحكام هَدْيَةٍ، وتقرير إمارة، إلى أن توفي السلطان، رحمه الله، فعادت الفتنة جَزَعَةً، ووالى ولده أمير المسلمين بعده الضرب على مالقة، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، واستقرَّ بالأُمُور ولده المذكور في المحمَّدين، وكان من الأمر ما يَنْظُرُه في مكانه مَنْ أراد استيفاءه، بحول الله.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرَفِي

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشَّهير، صاحب الأمر والرئاسة والإمارة بسببَتِه، نيابة عن أخيه الرئيس الصَّالح أبي حاتم، بِحُكْم الاستقلال في ذلك، والاستبِّداد الثَّام، من غير مُطالعة لأخيه ولا رُجوع إليه في شيءٍ من الأمور، ولا تَشَوُّفٍ من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتَّة عنه، وإيثاره العُزلة، واشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية. وكان من أهل الجلالة والصَّيانة، وطهارة النَّشْأَةِ، حافظاً للحديث، ملازماً لِتِلَاوَةِ كتاب الله، عارفاً بالتاريخ، عظيم الهيئَةِ، كبير القَدْر والصَّيت، عالي الهِمَّة، شديد البَأْو، معظماً عند الملوك، جميل الشَّارة، مُمْتَثِل الإشارة لديهم، عجيب السَّكينة والوقار، بعيد المزمى، شديد الانقباض، مُطاع السُّلطان بموضعه، مَرْهُوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، ولا هُتْك حُرمة، محافظاً على إقامة الرُّسوم الجِسْبِيَّة والدِّينِيَّة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره.

نكبته: تَغَلَّبَ على بلده أيام إمارته، وثار أهلُه إليه في السَّلاح والعُدَّة؛ لِيُحِيطُوا بِمَنْ فِي القَصْبَةِ، فخرج إليهم، وشكر مساعيهم، وقال: قال رسول الله ﷺ: كُنْ

عبد الله المقتول، ولا تَكُنْ عبدَ الله القاتل، فانصرفوا، ودخل منزله مُلقِيًا بيده، ومُسَلِّمًا لقضاء الله سبحانه في كِشْره، إلى أن قُبِضَ عليه وعلى سائر بنيهِ وقَوْمه، عند ارتفاع النهار وانتشار المُتَغَلِّبين على القصة، فَتَقَفُوا متحرّجين من دمائ المسلمين، وصُرفوا إلى الأندلس، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة وسبعمئة، بعد انقضاء خمسة عشر يومًا من تملك بلدهم، فاستقرّ بغرناطة تحت سِتر واحترام وجِراية فيها كُفّاف. ثم لما خرجت سَبَيْة عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القَوْم إلى فاس، فتوفي بها.

وفاته: في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعمئة.

عبد الله بن الجبّير بن عثمان بن عيسى بن الجبّير اليحصبي^(١)

من أهل لَوْشَة، وهو مخُسوب من الغرناطيين. قال الأستاذ^(٢): من أعيانها ذوي الشرف والجلالة. قلت: يُنسب إليه بها معاهد تدلّ على قَدَم وأصالة.

حاله: قال أبو القاسم الملاحى^(٣): كان أدبًا بارع الأدب، كاتبًا، بليغًا، شاعرًا مَطْبُوعًا، لَسِنًا مَفُوقًا، عارِفًا بالنحو والأدب واللغات، وقد مال في عُنفوان شبّيته إلى الجُنْدِيَّة لشهامته وعِزَّة نفسه، فكان في عَسْكر المأمون بن عباد^(٤)، واشتَمَل عليه المأمون، وكان من أظرف الناس، وأملَحهم شبّية^(٥)، وأحسنهم شارةً، وأتمهم معرفة.

مشيخته: أخذ^(٦) عن أشياخ بلده غرناطة، وأخذ بمالقة عن غانم الأديب، وبقرطبة عن ابن سراج.

شعره: وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْب، فمن ذلك قوله^(٧):

[البسيط]

يا هاجرين، أضلّ الله سَعْيَكُمُ كم تهجرون مُجَبِّيَكُم بلا سبب

(١) يكنى عبد الله بن الجبّير أبا محمد، وكانت وفاته في سنة ٥١٨ هـ، وترجمته في بغية الملتبس (ص ٣٤٨) وفيه أنه عبد الله بن عثمان بن الجبّير، والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٢) وبغية الوعاة (ص ٢٧٩) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩).

(٢) الأستاذ هو ابن الزبير، وقوله هنا ورد في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٣) قارن بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٤) هو المأمون بن المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية في عصر ملوك الطوائف.

(٥) في الأصل: «شبة» والتصويب من بغية الوعاة.

(٦) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩). (٧) الأبيات في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

ويا مُسِيرِينَ للإخوان غائلةً ومُظْهِرِينَ وجوه البرِّ والرَّحْبِ
 ما كان ضَرْكُكُمْ الإخلاصَ لو طُبِعَتْ تلك النفوس على غِلْيَاءٍ أو أدب
 أَشْبَهَتْهُمُ الدُّهْرَ لَمَّا كان والدُكُمْ فأنْتُمْ شَرُّ أبنَاءٍ لَشَرٍّ^(١) أب

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد
 ابن علي السِّلْماني^(٢)

والد المؤلف، رضي الله عنه، يُكنى أبا محمد، غرناطي الولادة والاستيطان،
 لُوشِي الأصل، ثم طُلَيْطِلِيَّة، ثم قُرْطَبِيَّة.

أوليته: كان سَلَفُهُ يعرفون بقرطبة ببني وزير، وهم بها أهلُ نباهة، ويَتَّهِمُ بيت
 فقهِ وخَيْرِيَّة ومالِيَّة، ونجارهم نجارُ فرسان يَمَانِيَّة. ولَمَّا حَدَّثَ على الحَكَم بن هشام
 الوَقِيعَةَ الرُّبُضِيَّة، وكان له الفُلُج، وبأهل الرُّبُض الدُّبْرَة، كان أعلامُ هذا البيت من
 الجالِيَّة أمام الحكم، حسبما امْتَحَن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه
 طالوت، ويحيى بن يحيى، وغيرهما^(٣)، ولِحَقُّوا بطُلَيْطِلِيَّة، فاستقرُّوا بها، ونَبَا بهم
 وطنهم، ثم حَوَمُوا على سُكْنَى المَوْسَطَة، وآبَ إلى قرطبة قَبْلَهُم بعد عهد مُتَقَادِم،
 ومنهم خَلَفَ وعبد الرحمن، وقد مرَّ له ذِكْرٌ في هذا الكتاب. ووُلِّيَ القضاء
 بالكُورَة. ومنهم قوم من قَرَابَتِهِم تَمَلَّكُوا مُنْتَفَرِيد^(٤)، الحصن المعروف الآن بالمَنْعَة
 والخَضْب، وتمدَّن فيهم، وبُنِيَتْ به القلعة السَّامِيَّة، ونُسِبَ إليه ذلك المجد، فهم
 يُعرفون ببلدنا ببني المُنْتَفَرِيدِين. واستقرَّ منهم جَدُّنا الأعلى بلُوشَة خطيبًا وقاضيًا
 بالصُّقْع ومُشاوَرًا^(٥)، وهو المُضَاف إلى اسمه التَّشْوِيد بلُوشَة عُزْفًا كأنه اسمُ مُرَكَّب،
 فلا يقول أحد منهم في القديم إلَّا سَيِّدِي سعيد. كذا تعرَّفْنَا من المشيخة، وإليه
 النُّسْبَة اليوم، وبه يُعرف خَلَفُهُ ببني الخطيب، وكان صالحًا فاضلًا، من أهل العلم
 والعمل. حدَّثَنِي الشَّيْخُ المُسَنُّ أبو الحكم المنتفريدي، وقد وَفَّقَنِي على جِدَار بُرْج
 ببعض أَمْلَأكُنَا بها، على الطَّرِيق الآتِيَة من غرناطة إلى لُوشَة، ثم إلى غيرها،
 كإِسْبِيلِيَّة وسواها، فقال: كان جَدُّكَ يسكن بهذا البُرج كذا من فصول العام، ويتلو
 القرآن ليلاً، فلا يَتَمَالِك المَارُون على الطَّرِيق، أن يقرَّبوا إضغَاءً لِحُسْنِ تِلَاوَتِهِ

(١) في البغية: «كَشَر».

(٢) ترجمة عبد الله بن سعيد السلماني في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٣).

(٣) في الأصل: «وغيرهم».

(٤) اسمه بالإسبانية: Montefrío، ويعني الجبل البارِد.

(٥) المشاور: هو من كان يتقلد خطة الشورى، التابعة للقضاء.

وَحُشُوعًا. وكان ولده عبد الله بعده، على وَتيرة حسنة من الخير والنباهة وطيب الطعمة، ثم جدّه الأقرب سعيد على سُنَّته، مُرَبٍّ عليه بمزيد المعرفة، وحُسن الحَظِّ. ولما وقع بلوشة بِلْدِهِ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطَّنْجالي، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجمات من الشَّاجر، فرَّ عنهم خيفةً على نفسه، وعلى ذلك فنالَه اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عُذْرُه، وبُرِّتْ ساحتُه، واستظهر به السلطان، وأقام بغرناطة، مُكْرِّمًا، مُؤَثِّرًا، مُؤْتَمِّنًا، وصاهر في أشرف بيوتاتها، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العلى أضْحى بن أضْحى الهمداني، وتوفيت تحته، فأُنْجِزَ له بسببها الحَظُّ في الحمام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم. ثم تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجَعْدَالَة السُّلَمي، أم الأب المُترجم به، ولها إلى السلطان ثاني ملوك بني نصر وعظيهم^(١) مَتَاتٌ بَيِّنَةٌ الخُوْلة من جهة القوَاد الأَصْلَاء القرطبيين بني دحون، فَوَضَّحَ القصد، وتأكدت الحُظُوة. وقد وَقَعَتْ الإشارة إلى ذلك كله في محلّه. ثم رَسَخَتْ لولده أبي، القِدَمُ في الخِدمة والعناية، حسبما يَتَقَرَّرُ في موضعه.

حاله: كان، رحمه الله، فذاً في حُسن الشكل والأُبْهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظُّرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثُقُوب الفهم، مُشارًا إليه في الحلاوة وعُدُوْية الفكاهة، واسترسال الانبساط، مُعْنِيًا في ميدان الدُّعابة، جَزَلًا، مَهِيًا، صارمًا، مُتَجَنِّدًا، رائق الخُصْل رَكْضًا وثِقَافَةً، وعُدُوًّا وسِبَاحَةً وشَطْرُنْجًا، حافظًا للمُثل واللُّغة، إخباريًا، مضطلعًا بالتاريخ، ناظمًا نائِرًا، جميل البِزَّة، فارِه المَرْكَب، مليح الشَّيْئَةِ. نشأ بغرناطة تحت تَرْفٍ ونعمة، من جهة أمّه وأبيه، وقرأ على أبي إسحاق بن زُرْقَال، وأبي الحسن البُلُوطي، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزُّبَيْر، ظاهرة عليه مُخَيَّلَة الثَّجَابَة والإدراك. ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّوْب، وانتقل إلى بَلَد سَلَفِهِ، متَحَيِّفًا الكثير من الأصول في باب البَذَل وقرى الضيُوف، ومداومة الضيّد، وإيثار الراحة، مُعْتَمِدًا بالثَّجَلَة، مَقْصُود الحِلَّة، مخطوب المُدَاخلة، من أبناء أشرف الدولة، مُنْتَجِعًا لأولي الكُدِيَة. ولما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، وأمّه بنت السلطان ثاني الملوك من بني نصر، جَزَمَ ما تقدّم من المَتَات والوسيلة، اسْتَنَهَضَه للإعانة على أمرِه، وجعل طريقه على بلدِه، فَحَطَبَ في حَبْلِه، وتمسك بدعوته، واعتمده بنزله وضيافته، وكان أعظم الأسباب في حُصول الأمر بيده، ودخوله

(١) الصواب ثاني سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدوية (ص ٥٠).

في حُكمه، وانتقل إلى حضرة المُلْك بانتقاله، فقال ما شاء من اصطناعه وحُظوته، وجرى له هذا الرُّسم في أيام من خَلِقَه من ولده إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف تاريخ فقده.

وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه^(١): إن طال الكلام، وجمحت الأقالام، كنت كما قيل: مَادَحُ نفسه يُفَرِّكُ السلام، وإن أَحَجَمْتُ، فما أَسَدَيْتُ في الثَّنَاء ولا أَلَحَمْتُ، وَأَضَعْتُ الحقوق، وَخَفْتُ وَمَعَاذَ اللَّهِ العُقُوق. هذا، ولو أَنِّي رَجَزْتُ طَيَّرَ الْبَيَان من أَوْكَارِهِ، وَجِئْتُه^(٢) بعيون الإحسان وأبكاره، لما قَضَيْتُ حَقَّهُ بعد، ولا قُلْتُ إِلَّا الَّتِي عَلِمْتُ سَعْدَ^(٣). فقد كان، رحمه الله، ذَمِيرَ^(٤) عزم، وَرَجَلِ رخاء وأزم، تروق أنوار خِلاله الباهرة، وتُضِيءُ مجالس الملوك من صُورَتَيْهِ الباطنة والظاهرة، ذكاءً يتوقد، وَطَلَاةً يحسد نورها الفَرَقْد. فَقَدَتْهُ^(٥) بكائنة طريف^(٦)، جَبَّرَ الله عِثَارَهَا، وَعَجَّلَ ثَارَهَا.

حَدَّثَ خطيب المسجد الأعظم، وهو ما هو، من وفور العقل، وصحة الثقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكُسرة، وَخُذِلَتْ تلك الأسرة، وقد كبا بأخيك الطَّرَف، وَعَرَضَ عليه الحمام للضَّرَف، والشيخ رحمه الله لم تَزَلْ قَدُمُهُ، ولا راعه الموقف وَعِظْمُهُ. ولما آيس من الخلاص وطُلَّابِهِ، صَرَقَنِي وقال: أنا أولى به، فقضى سعيداً شهيداً، لم يَسْتَقْرِه الهول، ولم يَثْنِهِ ولا رضي عار الفرار عن ابنه.

شعره: قال في «الإكليل»^(٧): وكان^(٨) له في الأدب فريضة، وفي النادرة العذبة منادح عريضة. تكلّمت يوماً بين يديه، في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتاً من شعري^(٩)، وقرأتُ عليه رُقَاعاً من إنشائي، فسُرَّ وتهلَّل، وعَبَّرَ عما أُمِل، وما برح أن

(١) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٤). (٢) في النفع: «وجئت بعمون...».

(٣) أخذه من قول الحطينة [الطويل]:

وتعذّلني أفناء سعيدٍ عليهم ولا قلت إلا بالتي علمت سعد

ديوان الحطينة (ص ٣٢٩).

(٤) الذمير، بفتح الذال وكسر الميم: الشجاع والداهية. لسان العرب (ذمر).

(٥) من هنا حتى قوله: «عار الفرار عن ابنه» ساقط في النفع.

(٦) كائنة طريف أو موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدوية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٧) النص نثرًا وشعرًا في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٤ - ١٥).

(٨) في النفع: «وكانت».

(٩) في النفع: «شعري ورقاعاً من إنشائي فتهلّل وما برح أن ارتجل».

ارتجل قوله رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

الطَّبُّ والشَّعْرُ والكَتَابَةُ سِمَاتُنَا فِي بَنِي النُّجَابَةِ
هُنَّ ثَلَاثٌ مُبْلَغَاتٌ مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحَجَابَةُ
وَوَقَّعَ لِي يَوْمًا بِخَطِّهِ عَلَى ظَهْرِ آيَاتٍ، بَعَثَهَا إِلَيْهِ، أَعْرَضَ عَلَيْهِ نَمَطُهَا: [الكامل]
وَرَدَّتْ كَمَا وَرَدَ النَّسِيمُ بِسَحْرِهِ^(١) عَنْ رَوْضَةٍ جَادَ الْغَمَامُ رُبَاهَا
فَكَأَنَّمَا^(٢) هَارُوثٌ أَوْدَعَ سِخْرَهُ فِيهَا وَأَثَرَهَا بِهِ وَحَبَاهَا
مَصْقُولَةُ الْأَلْفَاظِ يَبْهَرُ حُسْنُهَا فَبِمِثْلِهَا^(٣) افْتَخَرَ الْبَلِيغُ وَبَاهَى
فَقَرَرْتُ عَيْنًا عِنْدَ رُؤْيَا حُسْنِهَا إِنِّي أَبُوكَ وَكُنْتُ أَنْتَ أَبَاهَا
وَمِنْ شَعْرِهِ^(٤) قَوْلُهُ: [الوافر]

وَقَالُوا قَدْ نَأَوَّا^(٥): فَاضِيرٌ سَتُفْنَى فَيَرِيأُ الْهُوَى بُعْدُ الدِّيَارِ
فَقُلْتُ: هَبُوا بِأَنَّ الْحَقَّ هَذَا فَقَلْبِي يَمُومَا فِيمَ اصْطِبَارِي^(٦)؟
وَمِنْ قَوْلِهِ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ^(٧): [السريع]

عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ فَكَمْ نَاطِقٍ كَلَامُهُ أَدَّى إِلَى كَلِمِهِ^(٨)
إِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ أَهْدَى إِلَى غِرَّتِهِ وَاللَّهُ مِنْ خَضَمِهِ
يُرَى صَغِيرَ الْجَزْمِ مُسْتَضْعَفًا وَجُزْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ جَزْمِهِ
وَقَالَ وَهُوَ مِنَ الْمُسْتَحْسِنِ فِي التَّجْنِيسِ^(٩): [الخفيف]

أَنَا بِالذُّهْرِ، يَا بَنِي، خَبِيرٌ فَإِذَا شِئْتُ عِلْمَهُ فَتَعَالَى
كَمْ مَلِكٍ قَدْ أَزْغَى^(١٠) مِنْهُ رَوْضًا لَمْ يَدَافِعْ عَنْهُ الرَّدَى^(١١) مَا ارْتَغَى لَا
كُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ يَفْنَى وَيَبْقَى رَبُّنَا اللَّهُ ذُو الْعِجَالِ تَعَالَى
أُنْشَدَنِي هَاتَيْنِ الْمَقْطُوعَتَيْنِ.

(١) في النفع: «... كما صدر النسيم بسحرة». (٢) في النفع: «وكانما».

(٣) في الأصل: «بمثليها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «ومن نظمه قوله». (٥) في النفع: «قد دنا».

(٦) في النفع: «قلبي يمموا فيم اصطباري». (٧) اكتفى في النفع بقوله: «وقال».

(٨) الكلم، بفتح الكاف وسكون اللام: الجرح. القاموس المحيط (كلم).

(٩) اكتفى المقرئ بالقول: «وقال». (١٠) في النفع: «ارتعى» بالعين غير المعجمة.

(١١) في الأصل: «الرحمن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

مولده: ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستمائة.

وفاته: بعد^(١) يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعماية.

من رثاه: قلت في رثائه من قصيدة أولها^(٢): [الطويل]

وللدهر كف تسترد الذي تُغطي	سهاً المنايا لا تطيش ولا تُخطي
فلا بُد يوماً أن نحلّ على الشط	ولنا وإن كنا على تبج الدنا
ومن أسرع السير الحثيث ومن يُنطي ^(٣)	وسيان ذلّ الفقر أو عزّة الغنى
فلم يُغن ربّ السيف عن ربّة القُرط	تساوى على وزد الردى كلّ وارد

وقال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها^(٤): [الطويل]

إذا قلت أبيتاً حسناً من الشعر؟	إذا أنا لم أرتب الصديق فما عذري
وأجريت دمعي لليراع ^(٥) عن الحبر	ولو كان شعري لم يكن غير نذية
توخّيتها عوّناً على ثوب الدهر	لما كنت أقضي حقّ صُحبته التي
بدهاية ذفياء ^(٦) قاصمة الظهر	رمانى عبد الله يوم وداعه
فإن لم يوفّ دمعي فقد خانني صبري	قطعت رجائي حين صَحّ حديثه
أبت له همّي وأودعه سري؟	وهل مؤنس كابن الخطيب لو خشتي

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي^(٧)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، وقد مرّ ذكر أبيه شيخنا وأخويه، وتقرّرت نباهة بينهم.

(١) في النفع: «وفقد يوم...».

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٥ - ١٦).

(٣) في الأصل: «يبط بالكر، والتصويب من النفع. وترتيب هذا البيت في النفع بعد البيت التالي.

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٦).

(٥) اليراع: القصب، والمراد القلم. محيط المحيط (يرع).

(٦) الدهياء: الشديدة القاسية. لسان العرب (دها).

(٧) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونيل الابتهاج (ص ١٢٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

حاله: هذا^(١) الفاضل قريع بيت نبيه، وسلف شهير، وأبوة خيرة^(٢)، وأخوة بليغة، وخوولة تميزت من السلطات بحظوة. أديب حافظ، قام على فن العربية، مشارك في فنون لسانیة سواه، طرّف^(٣) في الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه ثبل، وظاهره غفلة. قعد للإقراء ببلده غرناطة، مُعَيِّداً ومُسْتَقْلًا، ثم تقدّم للقضاء بجهات نيبهة، على زمن الحداثة، وهو لهذا العهد مخطوب رتبة، وجارٍ إلى غاية وعين من أعيان البلدة.

مشيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير^(٤) أبي القاسم حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه على صغر السن، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للنسائي، وبعض سنن أبي داود، وبعض مؤطاً مالك بن أنس، وبعض الشفاء ليعياض، وبعض الشمائل للترمذي، وبعض الأعلام للميمري، وبعض المشرح السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأحوص، وبعض كتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وبعض كتاب التنبصرة للمكي، وبعض الكافي لابن شريح، وبعض الهداية للمهدي، وبعض التلخيص للطبري، وبعض كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع، وبعض كتاب حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ لابن الكماد، وبعض كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده، وبعض القوانين الفقهية، وبعض كتاب الدعوات والأذكار، وبعض كتاب الثور المبين في قواعد عقائد الدين من تأليفه، وبعض تقريب الوصول إلى علم الأصول، وبعض كتاب الصلاة، وبعض كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية، وبعض كتاب برنامج. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مزيّاته وتوابعه وتقيّداته، إجازة عامة. ولقّنه في صغره جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية.

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بالمريّة حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه بها وبغرناطة عدة من أبعاض كتب، وأجازته عامة، وأنشده من شعره، وشعر غيره. ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، واستفاد منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير من النصف الثاني من كتاب سيبويه، وفي كثير من النصف الثاني من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وفي

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

(٢) في النفع: «خير».

(٣) في النفع: «طرف».

(٤) في النفع: «الشهير الشهيد».

كثير من كتاب التسهيل لابن مالك، وفي القصيدة الخَزَرَجِيَّة في العَرُوض، وسمع من لفظه الرُّبْع الواحد أو نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورَة حازم، وتفقه عليه فيه، وأنشده كثيرًا من شعره وشعر غيره. ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البيهقي، لازمه مدة القراءة عليه، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التسهيل البديع في اختصار التفریع إلا يسيرًا منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفریع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العمدة لابن دَقِيق العید، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، كالمُدَوْنَة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب الثلقين، وكتاب الجمل، وكتاب التسهيل والتنقيح، والشَّاطِبيَّة، وكتاب العمدة في الحديث وغير ذلك. ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بَيْش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد، جميع كتاب الموطأ، وكتاب الشفا إلا يسيرًا منه، وأجازه روايتهما عنه، ورواية جميع مَرْوِيَّاتِه، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. وممن أجازه عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري، والخطيب أبو علي القرشي، والأستاذ أبو محمد بن سَلْمُون، والحاج الراوية أبو جعفر بن جابر، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عتيق الشَّاطِبي الأزدی، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شَبْرين، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصايغ. وممن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيَّان محمد بن يوسف بن حيَّان، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحَضْرَمي، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سَنَى اللّيلةُ العَرَاءَ^(١) وافْتَكَّ بالبُشْرِى وأبْدَى بها^(٢) وَجْهَ القَبولِ لك البُشْرا

(١) في الأصل: «العَرَاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «منها»، وكذا ينكسر الوزن.

وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا^(١) بِغُرَّتِهَا الْغُرَا
لَهَا الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا لَهَا الْعِزَّةُ الْكُبْرَى
فَوَافَى رَيْبَعًا نَاشِرًا ذَلِكَ السَّرَا
فَأَخْسَيْنَ بِهِ فَضْلًا وَأَعْظَمَ بِهِ شَهْرًا
فَأُطْلِعَ مِنْهُ فِي سَمَةِ^(٢) الْهَدَى فَجَرَا
قَضَتْ أَنْ دِينَ الْكُفْرِ قَدْ أَبْطَلَ الْكُفْرَا
وَأَزْجَتْ^(٣) كَمَا اِزْتَجَّ إِيوانه يَكْسِرَى
وَيُخْصِرُ إِنْ رَامَ اللِّسَانُ لَهَا حَضْرَا
وَتَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِكَ مَصْعَدَهُ الشُّعْرَى
شَمَائِلُهُ تُثْلَى وَإِيَّاهُ تُثْرَى
وَفِي الذِّكْرِ آيَاتٌ خَصَّتْ^(٤) لَهُ قَدْرَا
وَحَسْبُكَ مَا قَدْ نَصَّ فِي النُّجْمِ وَالْإِسْرَا
وَشَقَّ عَلَى رَغْمِ الْعُدَاةِ لَهُ الْبَذْرَا
لَطَائِفُ رُبَانِيَّةٍ تَبْهَرُ الْفِكْرَا
وَعَادَ قَلِيلُ الزَّادِ مِنْ يُنْمِنُهُ كَفْرَا
وَكَمْ مُشْتَكٍّ أَشْفَى وَكَمْ مُدْنِفٍ أَبْرَى!
فَكَانَ لَهَا الْفَضْلُ الْمَيِّنُ عَلَى الْآخَرَى
وَلَا حَتَّى الْخَنَسَاءِ إِذْ فَارَقَتْ صَخْرَا
وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْوَصْلِ لَمْ يَخْمَلِ الْهَجْرَا
ضُرُوبًا مِنَ الْأَشْوَاقِ لَوْ تَنَفَّعَ الذِّكْرَى
سَبِيلُ؟ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرَا
أَبَتْ بِهَا شُكْرَى وَأَشْكُو بِهَا وَزْرَا
لِيَمْحُوَ لِي ذَنْبًا وَيُثَبِّتَ لِي أَجْرَا

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْكَوْنِ مِنْ طَرَبٍ بِهَا
لَهَا الْمِنَّةُ الْعَظْمَى بِمِيلَادِ أَحْمَدِ
طَوَى مِرْهُ فِي صَدْرِهِ الدُّهْرُ مُدَّةُ
خَوَى شَهْرَةَ الْفَضْلِ الشَّهِيرِ وَفَضْلُهُ
لَقَدْ كَانَ لَيْلُ الْكُفْرِ فِي اللَّيْلِ قَدْ جَفَا
وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدُ
لَقَدْ أَخْمَدَتْ أَنْوَارَهَا نَارُ فَارَسِ
لَهُ مَعْجَزَاتٌ يُعْجِزُ الْقَلْبَ كَنْهَهَا
مَعَالٍ يَكُلُّ الشَّعْرُ عَنْ نَيْلِ وَصْفِهَا
بِهِ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكَرَامَ وَلَمْ تَزَلْ
فَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى مَنَاقِبُهُ الْعُلَى
لَقَدْ خَصَّهُ مَوْلَاهُ بِالْقُرْبِ وَالرِّضَى
وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا
وَكَانَ لَهُ فِي مَائِهِ وَطْعَامِهِ
غَدَا الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ نَابِعًا
وَكَمْ نَائِلٍ أَوْلَى وَكَمْ سَائِلٍ حَبَا
كَفَى شَاهِدًا أَنْ رَدَّ عَيْنَ قِتَادَةِ
وَحَنُّنٍ إِلَيْهِ الْجِدْعُ عِنْدَ فِرَاقِهِ
وَحَقُّ لَهُ إِذْ بَانَ عَنْهُ حَبِيبُهُ
خَلِيلِي، وَالْدُنْيَا تُجَدِّدُ لِلْفَقْرِ
بِقَيْشِكُمَا هَلْ لِي إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ
مَنْى النَّفْسِ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ رُوزَةٍ
وَتَعْفِيرِ خَذْيٍ فِي عُرُوقِ ثُرَابِهَا

(١) في الأصل: «للدنا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) السَّمَةُ وَالسَّمَةُ: الْأَمْتُ.

(٣) أصل القول: «وَأَزْجَفَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «رُخْصَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «لِلنَّفْسِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تَعَلَّلَنِي نَفْسِي بِإِدْرَاكِهَا الْمُنَى
وَمَنْ كَانَتْ الْأَمَالُ أَقْصَى اجْتِهَادِهِ
وَكَمْ رَجَرَتْهَا وَاعْظَاتُ زَمَانِهَا
وَكُنْتُ لَهَا عَضْرُ الشَّبِيبَةِ عَاذِرًا
وَأَمَّا وَقَدْ وَلْتُ ثَلَاثُونَ حِجَّةً
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ سِوَى النَّفْسِ طَائِعًا
وَلَمْ أَذْخِرْ إِلَّا شَفَاعَةَ أَحْمَدٍ
لَقَدْ عَلَّقْتُ^(١) كَفَّ الرِّجَاءِ بِحِمْلِهِ
هُوَ الْمُرْتَضَى الدَّاعِي إِلَى مَنَهِجِ الرِّضَا
هُوَ الْحَاسِرُ الْمَاحِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
بِأَيِّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْمَرْءُ وَصَفَ مَنْ
خِلَالَ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النُّجْمِ بِاهِرْهَا سَتَى
سَقَى لَيْلَةً حَيْثُ بِهِ وَاكِفَ الْحَيَا
لَقَدْ خَصَّهَا سِنْدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ
أَقَمْتُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا
لَقَدْ مِزْتُ فِيهَا إِذْ أَتَيْتُكَ بِسِرِّهِ
عَرَفْتُ بِهَا حَقَّ الَّذِي عَرِفْتُ بِهِ
وَأَضْحَبْتُهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَالتَّقَى
لَدَى مَصْنَعِ مَلَا^(٢) الْعَيُونَ مُحَاسِنًا
مِنْهَا بَعْدَ آيَاتٍ فِي الْمَدْحِ لِلْإِسْلَامِ:

وَمَا أَجْهَدْتُ عَيْنًا وَلَا مُلْكْتُ قَفْرًا
غَدْتُ كَفُّهُ مِمَّا تَأْمَلُهُ صِفْرًا
فَمَا سَمِعْتُ وَغَطًّا وَلَا قَبِلْتُ رَجْرًا
سَقَاهُ الْحَيَا مَا كَانَ أَقْصَرُهُ عَضْرًا
فَلَسْتُ أَرَى لِلنَّفْسِ مِنْ بَعْدِهَا عُذْرًا
فَلَا بُدَّ بَعْدَ الشُّبِّ مِنْ تَرْكِهِ قَسْرًا
لِتَخْفِيفِ وَزْرِ شَدِّ مَا أَوْثَقَ الظُّهْرَ
لَعَلَّ كَسِيرَ الْقَلْبِ يَغْلِيهِ بِزْرًا
هُوَ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْمُبِيرَ لِلْيُسْرِ
هُوَ الشَّافِعُ الْوَاقِي إِذَا شُهِرَ الْحَشْرُ
مَكَارِمُهُ تَسْتَغْرِقُ النُّظْمَ وَالنُّثْرَا
تَكْرُرُ عَلَى الْأَعْقَابِ خَائِسَةً خَسْرًا
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّؤُوسِ عَاطِرُهَا نَشْرًا
فَتَنْعِمَ أَوْهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرًا
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسُكَّانُهَا طُرًّا
بِأَفْعَالٍ بَرٍّ أَضْحَكْتُ لِلْهُدَى ثَغْرًا
أَقْرُتُ لَهَا عَيْنًا وَسُرْتُ لَهَا صَدْرًا
فَأَحْسَنْتُهَا شُكْرًا وَأَوَّلَيْتُهَا بِزْرًا
وَأَغَقَبْتُهَا الْإِحْسَانَ وَالنَّائِلَ الْغَمْرَا
تَجَسَّمُ فِيهِ السُّحْرُ حَتَّى بَدَأَ قَضْرًا

أَعَادَ لَنَا ذَهَمَ اللَّيَالِي بِهَا غُرًّا
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَصْرًا
لَقِيَتْ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمَعْقِلَ الْوَعْرَا
فَسَلَّ أَحَدًا يُثْبِيكَ عَنْهُمْ وَسَلَّ بَذْرًا

رَوَى عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ غُرَّ شَمَائِلٍ
وَمَنْ كَبَّبَنِي نَصْرَ جَلَالَةِ مَنْصَبٍ
هُمْ مَا هُمْ إِنْ تَلَقَّوهُمْ فِي مَهْمَةٍ
سَلَالَةُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(١) فِي الْأَصْلِ: «عَاقَتْ»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مَلَا»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

ومن شعره في المقطوعات، قال في التورية العروضية^(١): [الوافر]

لقد قَطَعْتَ قَلْبِي يا خليلي بهجر طال منك على العليل
ولكن ما عجيب منك هذا إذ^(٢) التقطيع من شأن الخليل^(٣)

وقال في التورية النحوية^(٤): [الطويل]

لقد كنت موصولاً فأبدل وصلكُم بهجر وما مثلي على الهجر يضبر
فما بالكم غيرتُم عندكم وعهدي بالمحبيب ليس يُغَيَّر^(٥)

وقال في التورية مداعباً بعض المقرئين للعدد وهو بديع^(٤): [الكامل]

يا ناصباً علّم الحساب جباله^(٦) لقناص طَبِي ساحر الألباب
إن كنت ترجو^(٧) بالحساب وصالة فالبدر^(٨) يَرْزُقنا بغير حساب

وقال في التورية العروضية^(٤): [المتقارب]

لقد كَمَلَ الوُدُّ ما^(٩) بيننا ودُّنا على فَرَج شامل
فلن دخل القَطْع في وصلنا فقد يَدْخُلُ القَطْع في الكامل

وقال في تضمين مثل^(٤): [الوافر]

ألا أَكْثُمُ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتَ واضبر فلن الهجر يُخَدِّثُ الكلام
وإن أبداء دَمْعٍ أو نحول فمن بَعْدِ اجتهادي^(١٠) لا تُلَامُ

وقال^(٤): [السريع]

وأشَنَّبِ الثُّغْرَ له وَجَنَّةٌ تَعْدَتِ النُّحْلَ على وزدها
ما ذاك إلا حسد^(١١) إذ رأت رُضابَهُ أَعَذَبَ مِنْ شَهِدِها

(١) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «إنه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) أراد من التقطيع تقطيع قلبه، وورى بالتقطيع الذي يختص بالشعر والذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٤) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٧). (٥) في الكتية: «يتغير».

(٦) في الكتية: «جباله». (٧) في المصدر نفسه: «تَرْزُق».

(٨) في المصدر نفسه: «فاله».

(٩) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتية.

(١٠) في الكتية: «اجتهادك». (١١) في الكتية: «حسدًا».

وقال في الثورية بأسماء كُتِبَ فقهية جوابًا غير مُعَمَّى^(١): [الطويل]

لك الله من خلّ حباني برُقعةٍ حَبَّنِي من أبياتها^(٢) بالنوادر
رسالةً رَمَزَ في الجمال نهاية^(٣) وخيرةً نظمٍ أُتِحِفَتْ بالجواهر

وقال في الثورية أيضًا^(٤): [الطويل]

إلى الله أشكو غَدَرَ آلِ توددي^(٥) إليّ فلما لاح سِرِّي لهم حالوا
لقد خدعونني إذ أروني مودةً ولكنّه لا عَزَوْ أن يُخْدَعَ الآل

وقال يخاطب رجلًا من أصحابه^(٦): [الطويل]

أبا حَسَنِ^(٧) إِنْ شَتَّتَ الدُّهْرُ شَمْلَنَا فليس لودّ في الفؤاد^(٨) شَتَاتُ
وإنْ حُلَّتْ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزل^(٩) لِقَلْبِي على حفظِ العهودِ ثَبَاتُ
وهبني سَرَتْ مني إليك إساءةً أَلَمْ تَتَقَدَّمْ قَبْلَهَا حَسَنَاتُ؟

وقال في التسيب^(١٠): [الطويل]

لئن^(١١) كان بابُ القُربِ قد سُدَّ بيننا ولم يَبْقَ لي في نَيْلِ وَضْلِكَ مَطْمَعُ
وأخْفَرْتُ^(١٢) عهدي دونِ ذَنْبِ جَنِيئَةٍ وأضْبَحَ وُدِّي فيكَ وهو مُضْيِعُ
ولم تَزِدْ لي عَمَّا^(١٣) أُلَاقِي مِنَ الْأَسَى وَصِرْتُ أَنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ
وضاقتْ بي الأحوالُ عن كلِّ وَجْهَةٍ فما^(١٤) أَرْتَجِي من رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْسَعُ

(١) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٧). (٢) في الكتية: «أبائها».

(٣) في الكتية: «في الحجال مهابة ذخيرة نظم...».

(٤) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٩).

(٥) في الأصل: «أشكو غَدْرًا توددًا»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية الكامنة.

(٦) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٩٨)، ووردت في أزهار الرياض (٣ ص ١٩٥) منسوبة إلى محمد بن جزي.

(٧) في الأصل: «أيا حَسَنَ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية الكامنة وأزهار الرياض.

(٨) في أزهار الرياض: «بالفؤاد». (٩) في أزهار الرياض: «أزل».

(١٠) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٩٨).

(١١) في الأصل: «رآن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية.

(١٢) في الكتية: «وأخْفَرْتُ». (١٣) في الكتية: «مما».

(١٤) في الكتية: «لما».

ومما نظمه في التّضمين مخاطبًا بعض المُتّحِلين للشعر قوله^(١): [الطويل]

لقد صرّت في غَضْب القصائد ماهرًا فما أَسْمُ جميع الشعرِ عندك غيرُ لي^(٢)
ولم تُبْقِ شعراً لامرئٍ متقدّم^(٣) ولم تُبْقِ شعراً يا ابن بَشْتِ^(٤) لأول
فشِعْرَ جَرِيرٍ قد غَصَبَتْ ورؤية^(٥) وشعرُ ابن مَرْج الكُخْلِ وابن المَرْحَلِ
وإن دام هذا الأمرُ أَصْبَحْتَ تدعى (قفا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ ومنزل)^(٦)

ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدي الكَوّاب^(٧)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرئ.

حاله: من «الصلة»: كان، رحمه الله، أثقن أهل زمانه في تجويد كتاب الله العزيز، وأبرزهم في ذلك، وأثقفهم للمتعلم، نفع الله به كل من قرأ عليه، وترك بعده جملة يُرجع إليهم في ذلك، ويُعمل على ما عندهم. وكان مع ذلك نبيه الأغراض، في جميع ما يحتاج إليه في علمه، ذاكراً للاختيارات التي تنسب للمقرئين، من يُرجح ويُعلّل، ويختار ويَرُدّ، موفّقاً في ذلك، صابراً على التعليم، دائماً عليه نهاره وليله، ذاكراً لخلاف السبعة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاضتهم وعائهم، وملاً بَلَدَه تجويداً وإتقاناً، وكان مع هذا فاضلاً ورعاً جليلاً. خَطَبَ بجوامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مشيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين^(٨) بن كوثر، وأبي خالد بن رفاعة، وأبي عبد الله بن عَرُوس. ورحل إلى بَيَاسَة فأخذ بها القراءات عن أبي بكر بن حُسُون، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حَكَم، وأبي جعفر بن عبد الرحيم،

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) في الأصل: «غيزل» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الكتيبة: «متأخر». (٤) في الكتيبة: «فغلي».

(٥) في الأصل: «ورؤية» والتصويب من الكتيبة.

(٦) هو صدر مطلع معلقة امرئ القيس، وعجزه:

بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ وَخُورَمِلِ

ديوان امرئ القيس (ص ٨).

(٧) ترجمة عبد الله بن محمد العبدي الكَوّاب في التكملة (ج ٤ ص ٢٩٦) وغاية النهاية (ج ١ ص

٤٤٧ رقم ١٨٦٦).

(٨) في التكملة: «أبي الحسن».

وأبي الحسن الصدفي الفاسي، وسمع عليه كثيرًا من كتاب سيبويه تفقُّها، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبي جَمْرَة مع آخرين ممن أخذوا عنه.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم، منهم ابن أبي الأُخوص، وأبو عبد الله بن إبراهيم المُقَرَّى.

وفاته: توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة^(١)، ودفن بمقبرة باب البيرة.

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه الله، نسيجًا وَخِده، دِينًا وَفَضْلًا، وَتَخَلُّقًا وَدِمَاءَةً، وَلِينِ جَانِبٍ، حَسَنَ اللَّقَاءِ، سَلِيمَ الْبَاطِنِ، مُغْرَقًا فِي الْخَيْرِ، عَظِيمَ الْهَشَّةِ وَالْقَبُولِ، كَرِيمَ الطَّوَيَّةِ، عَظِيمَ الْإِنْقِيَادِ، طَيِّبَ اللَّهْجَةِ، مُتَهَالِكًا فِي التِّمَاسِ الصَّالِحِينَ، يَتَقَلَّبُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَطْلِ وَالْإِصَابَةِ، صَدْرًا فِي أَهْلِ الشُّورَى. قَرَأَ بِلَدِهِ وَسَمِعَ وَأَسْمَعَ وَأَقْرَأَ، وَكُتِبَ الشُّرُوطُ مَدَّةً، مَأْثُورَ الْعَدَالَةِ، مَعْرُوفَ التَّزَاهَةِ، مِثْلًا فِي ذَلِكَ، وَيَقُومُ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَقْهِ، خُصُوصًا بَابَ الْبُيُوعِ، وَيَتَقَدَّمُ السَّبَاقُ فِي مَعْرِفَةِ الْقَرَاءَاتِ، مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ فِي ذَلِكَ، أَشَدُّ النَّاسِ خُفُوفًا فِي الْحَوَائِجِ، وَأَسْرَعُهُمْ إِلَى الْمَشَارِكَةِ.

مَشِيخَتُهُ: قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ بَغْرِنَاطَةَ، وَلاَزَمَهُ، فَانْتَفَعَ بِهِ دِرَايَةً وَرَوَايَةً. وَقَرَأَ عَلَى الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ قُضَيْلَةَ، وَالْمُكْتَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْبُلُوطِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ النَّفْزِيِّ، وَالْخَطِيبِ أَبِي جَعْفَرِ الْكُحَيْلِيِّ. وَبِمَالَقَةِ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ. وَسَبَّغَتْهُ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُقَرَّى رُحْلَةً وَقَتَهُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الطَّيِّبِ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ. وَعَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَاجِ، وَلاَزَمَ مَجْلِسَ إِقْرَائِهِ، وَعَلَى الشَّيْخِ الْمُعَمَّرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطَّارِ الْكَامِيِّ، وَهُوَ أَعْلَى مَنْ لَقِيَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلَّةِ. وَأَخَذَ بِالْإِجَازَةِ عَنِ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثُّوَلِيِّ، وَرَوَايَتَهُ عَالِيَةً. لَقِيَ أَبَا الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ، وَلَقِيَ بِسَبْغَةِ الشَّرِيفِ الرَّوَايَةَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الشَّرَفِ رُبَيْعٍ، وَالْأَدِيبِ الْكَاتِبِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَتِيقِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ رَشِيقٍ. وَبِفَاسِ الْفَقِيهِ أَبَا غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَغِيلِيِّ. وَقَرَأَ عَلَى الْخَطِيبِ الْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ. وَسَمِعَ عَلَى ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ. وَلَقِيَ الْأَدِيبَ الْمُعَمَّرَ مَالِكَ بْنَ الْمَرْحَلِ. وَأَجَازَهُ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ

(١) في التكملة: «وتوفي سنة ٦٣١ وهو ابن خمس وسبعين سنة».

الدَّارِي بِرُندة. وأجازه من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنى بقیة الأشراف بالديار المصرية، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحراني، وجمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وأحمد بن عبد المنعم الصوفي، ومولده عام أحد وستمائة، وأحمد بن سلمان بن أحمد المقدسي، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي، والخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِناني، وأبو عبد الله محمد بن أبي خمسة محمد بن البكري بن أبي بكر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، وابن دقيق العيد تقي الدين، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني. وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب. ولقي بفاس الشيخة الأدبية الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحليّة وأجازته، وألّبت خرقه التصوف.

قال: وأنشدني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث أبا عبد الله بن رشيد، أولها يعني قصيدة ابن رشيد: [السرّيع]

سرى نَسِيمٌ مِنْ جَمَى سارة	عاد به كلُّ نَسِيمٍ عاطرا
وجال أفكار الدنيا ذكرها	فسار فيها مثلاً سائرا
دائرة والمجد قُطِبَ لها	دارث عليه فَلَكَ دائرا

فقال:

وافى قريضٌ مِنْكُمْ مَذْ غدا	لبعض أوصافكم ذاكرا
أُطْلِعَ مِنْ أنفاسه حَجَوا ^(١)	وَمِنْ شَذَاهُ نَفَسًا عاطرا
أعاد مَيِّتَ الفِكر من خاطري	من بَعْدَ دَفْنٍ في الثرى ناشرا
يَبْهَر طَرْفي حُسْنُ مَنْظَره	أخْبِثْ به نَظْمًا غدا باهرا
فقلتُ لَمَّا ^(٢) هالني حُسْنُه	أشاعرا أصبح أم ساحرا؟
أم روضةً هذي التي قد نوى؟	أم بَسْدُرٍ يَمُّ قد بدا زاهرا؟
أم ضَرْبٍ ^(٣) من فمه سائل؟	أم جوهر أضحى لنا نائرا؟

(١) في الأصل: «الحجا»، وكذا يتكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) الضرب، بفتح الضاد والراء: العمل الأبيض.

لله ما أغدبَ ألفاظه وأنورَ الباطنَ والظَّاهرا!
 يا ابنَ رُشيد، بل أبا الرُّشد، مَنْ لم يزل طَيِّ العُلا ناشرا^(١)
 خُذْ ما قَدَتَكَ النُّفْسُ يا سيدي وَكُنْ لِمَنْ نَظَمَهَا عاذِرا
 ما تصل الأثنى بثَقْصيرها لأنَّ ثُباري ذَكَرًا ماهِرا
 لا زِلْتُ تُحْيِي من رُسوم العُلا ما كان منها دارِسا دائِرا

تصانيفه: الكتاب المسمى بـ «الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافى» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين وستمائة.

وفاته: فقد في الواقعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة. حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل، وجُرَّحَ بصدرة يثَغَّب دماء، وهو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبل الله شهادته.

عبد الله بن سهل الغرناطي^(٢)

يكنى أبا محمد، ويُنَبِّزُ^(٣) بوجه^(٤) نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمادة، قال: عُنِيَ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ عناية تامة، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ في حال طفولتي بغرناطة، ثم شهر بعد ذلك بِعِلْمِ الْمَنَطِقِ، وَالْعُلُومِ الرِّيَاضِيَةِ، وَسَائِرِ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ، وَعَظُمَ بِسَبَبِهَا، وَامْتَدَّ صَبِيَّتُهُ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنْ لَيْسَ فِي زَمَانِهِ مِثْلُهُ، وَلَا فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ، وَبَيْنَ هَذِهِ الْمِلَلِ الثَّلَاثَةِ مِنَ التُّحَاسُدِ مَا عُرِفَ. وَكَانَتْ النَّصَارَى تَقْصِدُهُ مِنْ طُلَيْطَلَةٍ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَيَّامَ كَانَ بِبَيَّاسَةَ^(٥)، وَلَهُ مَعَ قَسَائِسِهِمْ مَجَالِسٌ فِي

(١) في الأصل: «يا من لم يزل لِعَلِّي العلى ناشرا»، وكذا ينكر الوزن.

(٢) ولد عبد الله بن سهل بغرناطة سنة ٤٩٠ هـ، وتوفي بمرسية سنة ٥٧١ هـ. ترجمته في التكملة

(ج ٢ ص ٢٧٠) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفى (ص ٢٣٢).

(٣) في التكملة: «ويعرف» وكلاهما بمعنى.

(٤) في الأصل: «بالوجه» والتصويب من المصدرين.

(٥) بياسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر، وفيها الزعفران، تبعد عن جيان عشرين ميلاً. الروض المعطار (ص ١٢١).

التناظر، حاز فيها قَصَب السُّبُق. قال: ثم خرج عن بَيَّاسة، وسار إلى نظر ابن هَمَشَك^(١) عند خروج النصارى عن بَيَّاسة. وله تواليف. وهو الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة.

عبد الله بن أيوب الأنصاري^(٢)

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن خدوج^(٣)، من أهل قلعة أيوب^(٤).

حاله: فقيه حافظ لمذهب مالك. استوطن غرناطة وسكنها.

توالمفه: ألف في الفقه كتابًا مفيدًا سماه «المنوطة على مذهب مالك»، في ثمانية أسفار^(٥)، أثقن فيها كل الإتقان.

وفاته: توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وقد قارب المائة.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى

ابن عبد الله الأنصاري^(٦)

مالقي، قرطبي الأصل، يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي، وقرأ بغرناطة.

حاله: كان^(٧) في وقته ببلده كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجودين^(٨)، رئيس المحدثين وإمامهم، واسع المعرفة، مُكْتَبِرًا، ثقة، عدلًا، أمينًا، مَكِين الرِّوَاية^(٩)، رائق الحطّ، نبيل التقييد والضبط، ناقدًا، ذاكراً أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جَزَج وتَغْدِيل، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النظر^(١٠)،

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن هَمَشَك، وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة.

(٢) ترجمة عبد الله بن أيوب الأنصاري في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٤).

(٣) في الأصل: «خروج» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) قلعة أيوب: بالإسبانية Calatyud، وهي مدينة أندلسية بقرب مدينة سالم. الروض المعطار (ص ٤٦٩).

(٥) في الذيل والتكملة: «ثمانية مجلدات».

(٦) ترجمة عبد الله بن الحسن الأنصاري في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩١) وبغية الرعاة (ص ٢٨٠) وشنرات الذهب (ج ٥ ص ٤٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٣٨).

(ج ٤ ص ١٩٩).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٨) في الذيل والتكملة: «المجودين» أي بدون واو العطف.

(٩) في المصدر نفسه: «الدراية».

(١٠) في الذيل والتكملة: «النظير».

متيقظًا، متوقد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دميًا، متواضعًا، حسن الخلق، مُحِبًّا إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقورًا، مُعَظَّمًا عند الخاصة والعامة، دنيًا، زاهدًا، ورعًا، فاضلاً، نَحْوِيًّا ماهراً، رِيَّان من الأدب، قَائِلًا الجيد من الشعر، مَقْصِدًا ومَقْطَعًا. وكان له بجامع مآلقة الأعظم مجلس عام، سوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسنادًا ومَثَنًا، بطريقة عجز^(١) عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. وتصدَّر للإقراء ابن عشرين سنة^(٢).

من أخباره في العلم والذكاء: قالوا: قُرئ^(٣) عليه يومًا باب الابتداء بالكلم التي يُلفظ بها في^(٤) إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قيامًا عليه، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين مَنْ أَحْسَنَ^(٥) صناعته، فجاذبه الكلام^(٦)، وضايقه في^(٧) المباحثة، حتى أحسَّ الأستاذ من نفسه التَّقْصِيرَ، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض، فكفَّ عن الخَوْضِ في المسألة، وانصرف إلى منزله، وعكف سائر اليوم^(٨) على تَصْفُحِ عِلْمِ العروض حتى فهم أغراضه، وحصل تواليقه^(٩)، وصنّف فيه مختصرًا نبيلًا لخص في صدره ضروبه^(١٠)، وأبدع فيه بنظم مثله، وجاء به من القَدِّ، مُعْجَزًا من رآه أو سمع به، فبُهِتَ الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه، ونفوذ فهمه، وسموّ همّته.

ومن أخباره في الدين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي، تلميذه الأخصُّ به: بَثُّ معه ليلة في دُونِرتِه التي كانت له بجبل فازه^(١١) للإقراء والمطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظانًا^(١٢)، وهو ضاحك مسرور، يَشُدُّ يده كأنه ظفر بشيء نفيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حُشِرُوا في العَرَضِ على الله، وأُتِيَ بالمحدثين، وكنت أرى أبا عبد الله الثميري يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى،

(١) في الذيل والتكملة: «عجز». (٢) في الذيل والتكملة: «سنة أو نحوها».

(٣) النص في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٦). (٤) في الذيل والتكملة: «من».

(٥) في الذيل والتكملة: «أَحْكَمُ صناعة العروض».

(٦) في الذيل والتكملة: «الكلام في المسألة».

(٧) كلمة «في» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يومه». (٩) في المصدر السابق: «قوانينه».

(١٠) في المصدر السابق: «قُرْشُهُ».

(١١) جبل فازه: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزعة المشتاق (ص ٥٧٠).

(١٢) الصواب نحويًا: «يقظانًا»؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

فيعطي براءته من الثَّار، ثم يُؤْتَى بي، فَأَوْقَفْتُ بين يدي ربي، فأعطاني براءتي من الثَّار، فاستيقظت، وأنا أشدُّ عليها يدي اغتباطاً بها وفرحاً، والحمد لله.

مشيخته: تلا^(١) بمالقة على أبيه، وأبي زيد السُّهيلي، والقاسم بن دُخمان، وروى عنهم، وعن أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفَخَّار، وابن نوح، وابن اليَتيم، وابن كامل، وابن جابر، وابن بُونة. وبالمَنكَب عن عبد الوهاب الصَّدفي. وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول. وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجدد، وابن صاف، وأبي جعفر بن مضاء، وأبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، وأبي عبد الله بن رَزَقُون، وأبي القاسم بن عبد الرازق، وأبي محمد بن جُهمور. وبغُرناطة عن أبوي جعفر بن حَكَم الحَضار، وابن شُراحيل، وأبي عبد الله بن عروس، وأبوي محمد عبد الحق الثَّوالشي، وعبد المنعم بن الفَرَس. وبمرسية عن أبي عبد الله بن حُميد، وأبي القاسم بن حُبَيْش. وبسبته عن أبي محمد الجُجري. وأجاز له من الأندلس ابن مُحرز، وابن حُسُون، وابن خِيرة، والأزكُشي، وابن حفص، وابن سعادة، ويحيى المَجريطي، وابن بَشْكُوال، وابن قُزَمان. ومن أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره وتصانيفه: أَلَفَ في العروض مجموعات نبيلة، وفي قراءة نافع. ولُخِصَ أسانيد المَوْطَأ. وله المُبْدِي، لخطِ الرُّندي. ودخل يوماً بمجلس أقرأ به أبو الفضل عياض، وكان أفتى منه، غير أَنَّ الشَّيْب جَارَ عليه، وتأخَّر شَيْبُ الأستاذ، فقال: يا أستاذ، شَيْبنا وما شَيْبُهم، قال: فأنشده ارتجالاً^(٢): [الطويل]

وهل نافع^(٣) أَن أخطأ الشَّيْبُ مَفْرَقِي وقد شاب أترابي وشاب لِدَاتِي؟

لئن كان خَطْبُ الشَّيْب يُوجَدُ جِسْهُ^(٤) يَتَرَبَّى فمعناه يقوم بذاتي

ومن شعره في التَّجْنِيس^(٥): [الطويل]

لَعَمْرُكَ، ما الدُّنيا وسرعة^(٦) سَيْرِها بَسْكَانِها إِلَّا طَرِيقُ مَجَازِ

حَقِيقَتُها أَنَّ المَقَامَ بغيرِها ولكنهم قد أُولِعُوا بمَجَازِ

(١) قارن بالتكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٢).

(٢) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠). (٣) في الذيل والتكملة: «نافعي».

(٤) في المصدر نفسه: «عَيْتُهُ».

(٥) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٠).

(٦) في الأصل: «بسرعة» والتصويب من المصدرين.

ومما يؤثر أيضًا من شعره قوله^(١): [الخفيف]

سَهَرَتْ أَغْيُنٌ وَنَامَتْ عَيُونٌ لَأُمُورٍ^(٢) تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
فَاطْرُدِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الثَّقَفِ سِ قَجَمَلَاتِكَ الْهَمُومَ جَنُودُ
إِنَّ رَبًّا كِفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَانَ سَيَكْفِيكَ^(٣) فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

مولده: ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة عام ستة وخمسين وخمسمائة.

وفاته: سحر ليلة السبت أو سحر يومها، ودفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة^(٤) وستمئة.

من رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسون البرجي من قصيدة حسنة طويلة^(٥): [الطويل]

خَلِيلِي، هُبَا سَاعِدَانِي بِعَبْرَةٍ وَقُولَا لِمَنْ بِالرِّي: وَيَحْكُمُ هُبُوا
نُبِّكَ^(٦) الْعِلَا وَالْمَجْدَ وَالْعِلْمَ وَالثَّقَى فَمَاتُمْ أَحْزَانِي نَوَائِحُهُ الصُّخْبُ
فَقَدْ سَلِبَ الدِّينُ الْحَنِيفِي رُوحَهُ فَفِي كُلِّ سِرٍّ^(٧) مِنْ نِبَاهَتِهِ نَهَبُ
وَقَدْ طَمِسَتْ أَنْوَارُ سُئَةِ أَحْمَدَ وَقَدْ خَلَّتِ الدُّنْيَا وَقَدْ ظَعَنَ الرَّكْبُ
مَضَى الْكَوْكَبُ الْوَقَاذُ وَالْمُرْهَفُ الَّذِي يُصْصَحُ^(٨) فِي نَصِّ الْحَدِيثِ فَمَا يَنْبُو^(٩)
تَمْنَى عِلَاهُ النِّيرَانِ وَتُوزَرُ وَقَالَا بِزَعَمٍ: إِنَّهُ لِهَمَا يَزْبُ
أَسْأَلُو وَيَخْرُ الْعِلْمُ غِيَضَتْ مِيَاهُهُ وَمُخِيي رَسُومِ الْعِلْمِ يَخْجِبُهُ التُّزْبُ؟
عَزِيزٌ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ يُودَعَ الثَّرَى مُسَدَّدُهُ الْأَسْرَى^(١٠) وَعَالَمُهُ التُّدْبُ

(١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٤) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠).

(٢) في الذيل والتكملة: «في أمور».

(٣) في الأصل: «سيكفيك»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من بغية الوعاة. وفي الذيل والتكملة: «سيفك».

(٤) في الأصل: «سنة أحد عشر» وهو خطأ نحوي.

(٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٦ - ٢١٧).

(٦) في الأصل: «نبيكي» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٧) في الأصل: «ميزب»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يُضْمَمُ».

(٩) في الأصل: «ينب» والتصويب من الذيل. (١٠) في الذيل والتكملة: «الأهدى».

بكى العالمُ العلويَّ والسَّبْعَ حَسْرَةً
على القرطبيَّ الحَبِيرِ أستاذنا الذي
فقد كان فيما قد^(٢) مَضَى مِنْ زَمَانِهِ
وَيَجْمَعُ سِرْبَ الْأَنْسِ رَوْضَ جَنَابِهِ^(٣)
فُسْخَقًا لِدُنْيَا خَادَعَتْنَا بِمَكْرِهَا
رَكِبْنَا بِهَا^(٤) السَّهْلَ الذَّلُولَ فَقَادَنَا
ونغفل عنها والرّدى يَسْتَفِيزُنَا
أولئك^(١) حِزْبُ اللَّهِ مَا فَوْقَهُمْ حِزْبُ
على أهلِ هذا العصرِ فَضْلُهُ الرَّبُّ
به تَحْسُنُ الدُّنْيَا وَيَلْتَمِمْ الشَّعْبُ
فقد جَفَّ ذاكِ الرُّوضُ وافترق السَّرْبُ
إذا عَاقَدْتَ سِلْمًا فَمَقْصِدُهَا حَزْبُ
إلى كُلِّ مَا فِي طَيْهِ مَزَكَّبُ صَغْبُ
كفى واعظًا بالموت لو كان لي لبُّ

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد
ابن إسماعيل بن سِماك العاملي^(٥)

يكنى أبا محمد، مالقي الأصل.

حاله: كان فقيهاً أديباً، بارع الأدب، شاعراً مطبوعاً، كثير الثادر، حُلُو
الشُمائل، أدرك شيوخاً جِلَّةً، وولّى قضاء غرناطة مدّة.

مشيخته: روى عن جدّه لأُمّه، وابن عمّ أبيه أبي عُمر أحمد بن إسماعيل،
وأبي علي الغساني، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سَمْحُون، والمرساني
الأديب.

شعره: [الكامل]

الروضُ مُخَضَّرُ الرُّبَى مُتَجَمِّلٌ
وكانما بَسَطَتْ هناك سِوارها
وكأنما فَتَقَّتْ هناك نوافِجَ
والطَّيْرُ يَسْجَعُ فِي الْغُصُونِ كأنما
لِلنَّاظِرِينَ بِأَجْمَلِ الْأَلْوَانِ
خُودٌ زَهَتْ بِقَلَائِدِ الْعِيقَانِ
من مِسْكَةٍ عُجِنَتْ بِعَرَفِ الْبَانِ
تقرأ الْقِيَانِ فِيهِ على العِيدَانِ

(١) في الأصل: «أولئك» وكذا ينكر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٢) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٣) في الأصل: «حياته» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) كلمة «بها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٥) ترجمة عبد الله العاملي في بغية الملتبس (ص ٣٣٩) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٨) وتاريخ قضاة
الأندلس (ص ١٤٢)، ضمن ترجمة ابنه محمد بن سِماك العاملي، وجاء فيه أن عبد الله بن
أحمد، المترجم له، ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٧ هـ. ونيل الابتهاج (ص ١٣٢) ونفع الطيب
(ج ٦ ص ٨١).

والماء مُطَرَّد يَسِيلُ عُبَابُهُ كَسَلَسَلٍ مِنْ فِضَّةٍ وَجُحْمَانِ
 بِهِجَاتٍ حُسْنٌ أَكْمِلَتْ فَكَانَهَا حُسْنُ الْيَقِينِ وَبِهَجَّةِ الْإِيمَانِ
 وَكَتَبَ إِلَى الْكَاتِبِ أَبِي نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ^(١) فِي أَثْنَاءِ رِسَالَةٍ^(٢):
 [الوافر]

تَفَقَّحْتَ الْكِتَابَةَ عَنْ نَسِيمِ نَسِيمُ الْمِسْكِ فِي خُلُقِ الْكَرِيمِ^(٣)
 أَبَا نَصْرِ، رَمَمْتَ لَهَا رِسُومًا تُخَالُ رِسُومُهَا وَضَحَ النُّجُومِ
 وَقَدْ كَانَتْ عَقَّتْ فَأَنْزَرْتُ^(٤) مِنْهَا سَرَّاجًا لَاحَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
 فَتَخَّخْتُ مِنَ الصَّنَاعَةِ كُلِّ بَابٍ فَصَارَ^(٥) فِي طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ
 فَكُتِّبَ الزَّمَانُ وَلَسْتُ مِنْهُمْ إِذَا رَامُوا مَرَامَكَ فِي هُمُومِ
 فَمَا قُسْ بِأَبْدَعٍ مِنْكَ لَفْظًا وَلَا سَخْبَانُ مِثْلَكَ فِي الْعُلُومِ^(٦)
 وَفَاتَهُ: فِي السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ
 ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن
 ابن مُنْخَلٍ بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها، يُكنى أبا محمد، ويُنسب إلى غافق بن الشاهد بن
 عك بن عدنان، لا إلى جِضْنِ غافق.

حاله: من «العائد»: كان رجلاً صحيح المذهب، سليم الصدر، قليل المصانعة،
 كثير الحركة والهشة والجدة، ملازم الاجتهاد والعكوف، لا يفتر عن النسخ والتقييد
 والمطالعة، على حال الكثرة، قديم التعيين والأصالة، ولي القضاء عُمره بمواضع
 كثيرة، منها بيرة وزندة ثم مألقة، مضاعفاً إلى الخطابة بها.

(١) هو الفتح بن خاقان، صاحب كتابي «مطمح الأنفس» و«قلائد العقيان».

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٦ ص ٨١ - ٨٢).

(٣) في النفع: «كريم».

(٤) في الأصل: «فأثرت» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «فسارة» والتصويب من النفع.

(٦) قس: هو قس بن ساعدة الإيادي. وسخبان: هو سخبان وائل، وقس وسخبان مضربا المثل في
 الفصاحة.

مشيخته: حجّ في حدود سبعة وثمانين وستمائة، وروى عن جلة من أهل المشرق، كالإمام تقي الدين بن دقيق العيد، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُمياطي، وشمس الدين المصنّف أبي عبد الله بن عبد السلام. وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، والقاضي ابن أبي الأحوص، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة، والأستاذ أبو الحسن ابن الصائغ الإشبيلي، وأبو جعفر الطباع، وغيرهم.

تأليفه: ألف كتاباً سماه بـ«المنهاج»، في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن الحاج.

مولده: ولد بغرناطة في حدود ستين وستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
ابن أبي زَمَنِين المَرْمِي

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيهاً جليلاً، ووُلِّي القضاء ببعض جهات غرناطة.

مشيخته: أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال، وأبي محمد بن سِمَاك القاضي. والعربية عن الخضر بن رضوان العبّدي. والحديث عن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد، والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في ذي قعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى
ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري^(١)

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شرقي الأصل، مُزَبِيه، من بُيُوتاته النّبِيّة، وقد مرّ ذكر أخيه.

(١) ترجمة عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

حاله : كان^(١) على طريقة حسنة من دماء الأخلاق، وسلامة السجية، والتزام الجشمة، والاشتغال بما يعني. وُلِّي القضاء دون العشرين سنة، وتصرّف فيه عُمره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة، ولم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، والتقدّم في عقد الشروط، وصناعة الفرائض، علماً وعملاً، ثاقب الذهن، نافذاً في صنعة العدد.

مشيخته : قرأ^(١) على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا، وله رواية عالية من أعلام من أهل المشرق والمغرب. وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الولي الصالح، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الألباني، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والحاج أبي محمد بن جابر، وأبي بكر القلّوسي. وقرأ العدد وما أشبهه على الأستاذ الثعالبي أبي عبد الله الرّقام، ولازمه، وأجازه طائفة كبيرة. أخبرني ولده الفاضل أبو بكر، قال: وَرَدَ سؤال من تونس مع تاجر وصل في مَرَكَب إلى مدينة المُنَكَّب أيام قضائه بها، في رَجُل فَرَط في إخراج زكاة ماله سنين مُتَعَدِّدة، سُمِّيت في السؤال مع نسبة قُذِر المال، وطلب في السؤال أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبَة، إذ عَمَلُهَا بذلك أصعب من عملها بالجبر والمُقابَلَة، فَعَمَلُهَا وأخرجها بِالْعَمَلَيْنِ، وعُبر عنها بعبارة حسنة، وكتبها في بطاقة بخط جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلا ونسخ منها نسخة واستحسنها.

مولده : ولد يوم الخميس السابع عشر^(٢) لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة.

وفاته : توفي قاضياً بِبَسْطَة في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدي

من أهل مُرَبِّية، تَزِيل غرناطة، يُكنى أبا محمد، وبيته بمُرَبِّية من أعلام بيوتاتها، شهر التَّعْيُن والأصالة، ينكح^(٣) فيه الأمراء.

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠): «مولده منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٤٦٧٥».

(٣) ينكح فيه الأمراء: يريد أن الأمراء كانوا يتزوجون من بناته.

حاله: كان من أعلام وقته فضلاً وعدالة وصلحاء ووقاراً، طاهر النشأة، عفّ الطعمة، كثير الحياء، مليح التخلق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولّى القضاء ببيرة وجهاتها، ثم جاز إلى سبتة، وانعقدت بينه وبين رؤسائها المصاهرة في بعض بناته. ثم آب إلى غرناطة عند رجوع إيالة سبتة إلى أميرها، فتقدّم خطيباً بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الزبيع بن سالم وأمثاله.

وفاته: الغربة المستحسنة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمعُه عند سجوده وتبثله وضراعه إلى الله يقول: اللهم، آمِني مِيتَةً حَسَنَةً، ويكرّر ذلك. فأجاب الله دعاءه، وتوفاه على أنتم وجوه التائب طهارة وخشوعاً وخضوعاً وتأهباً، وزماناً ومكاناً، عندما صعد أول درج من أدراج المنبر، يوم الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبعمائة، فكان يوماً مشهوداً لا عهد بمثله، ما رُئي أكثر باكيًا منه، وأكثر الناس من الشاء عليه.

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان
ابن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي^(١)

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصلة»: قال^(٢): القاضي المحدث الجليل العالم، كان فقيهاً جليلاً أصولياً، نحويًا، كاتبًا، أديبًا، شاعرًا، متفنتًا في العلوم، ورعًا، ذيتًا، حافظًا، ثبّتًا، فاضلاً. وكان يُدرّس كتاب سيبويه، ومُسْتَضْفِي أبي حامد^(٣)، ويميل إلى الاجتهاد في نظره، ويُغلب طريقة الظاهرية^(٤)، مشهورًا بالعقل والفضل، معظّمًا، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية، مُقَدِّمًا في ذلك، بلاغةً وفصاحة إلى أبعد مضمار. ولملوك الموحدين به اعتناء كبير. وهو كان أستاذ الناصر^(٥) وإخوته، وكان له عند المنصور والدهم، بذلك أكرم أثره، مع ما كان مشهورًا به من العلم والدين والفضل. وُلِّي القضاء بإشبيلية وقُزطبة

(١) ترجمة ابن حوط الله في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) وبيغة الوعاة (ص ٢٨٣) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٥٠) والوافي بالوفيات (ج ١٧ ص ٢٠١) والدياج المذهب (ج ١ ص ٤٤٧) ونفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤). (٣) في النفع: «أبي حامد الغزالي».

(٤) أي طريقة ابن حزم الظاهري المذهب.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب، رابع خلفاء الموحدين، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

ومُرسية وسبَّنة وسلا وميورة، فتظاهر بالعدل، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل، وكان من العلماء العاملين، سنيًا، مُجانبًا لأهل البدع والأهواء، بارع الخط، حسن التقييد.

مشيخته: تردّد^(١) في طلب العلم، فسمع ببلنسية وشاطبة ومرسية والمرية وقرطبة وإشبيلية ومالقة، وغيرها من البلاد الأندلسية، وتحصل له سماع جُم لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب^(٢). قرأ القرآن على أبيه، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغساني، وأخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقُّها، وعن غيره، وسمع عن ابن بشكوال، وقرأ أكثر من ستين تأليفًا بين كبار وصغار، وكَمَّل له على أبي محمد بن عبد الله، بين قراءة وسماع، نحو من ستة وثلاثين تأليفًا، منها الصحيحان، وأكثر عن ابن حُبَيْش، والشَّهيلي، وابن الفُخَّار وغيرهم. واستيفاء مشيخته يَشَقُّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدني ابنه أبو القاسم، ونقلت من خطه^(٣): [الوافر]

أَتَذِرِي أَنَّكَ الْخَطَاءُ حَقًّا وَأَنْتَ بِالَّذِي تَذِرِي^(٤) زَهِينُ؟
وَتَغْتَابُ^(٥) الْأَلَى^(٦) فَعَلُوا وَقَالُوا وَذَلِكَ الظَّنُّ وَالْإِفْكُ^(٧) الْمُبِينُ

مولده: في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة^(٨).

وفاته: كان آخر عمره قد أُعيد إلى مُرسية، قَصَّدها من الحضرة، فمات بقرطبة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستمئة، ونُقل منها في تابوته الذي أُلْجِد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة، فدفن بها.

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ربيع.

(١) النصر أيضًا في نفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) في النفح: «الغرب».

(٣) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) ونفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٤) في المصدرين: «ثاني».

(٥) في الأصل: «وتعتب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «الورى». (٧) في المصدر نفسه: «والإثم».

(٨) في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣)؛ ولد سنة ٥٤٩ هـ. وفي النفح: «ومولده

في محرم سنة ٥٤١ هـ.

حاله: كان، رحمه الله، أديباً، كاتباً، شاعراً، نحويّاً، فقيهاً أصولياً، مشاركاً في علوم، مُحِبّاً في القراءة، وطيباً عند المناظرة، مُتَنَاصِفاً، سنياً، أشعري المذهب والنسب، مُصَمِّماً على طريقة الأشعرية، مُلتزماً لمذهب أهل السنة المالكي، من بقايا الناس وعِليّتهم، ومن آخر طلبة الأندلس المشاركين الجِلة، المُصَمِّمين على مذهب أهل السنة، المُنافرين للمذاهب الفلسفية والمُبتدعة، والزَّيغ. ولَّى قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شَرِيش ورُنْدَة ومالقة، وأمَّ وخَطَبَ بجامعها. ثم ولَّى قضاء الجماعة^(١) بحضرة غرناطة، وعَقَدَ بها مجلساً للإقراء، فانتفع به طلبُها، واستمرَّ على ذلك، وكانت ولايته غرناطة نحواً من سبعة أعوام.

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الجفيري، وتلا عليه، وتأدب به، وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بقي، وأبي محمد بن حوط الله، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ، وغيرهم. وأجاز له الشيخ المُسَيَّبُ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشُّقُورِي، وله به علو، وبالأستاذ الخطيب المُسَنِّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم.

وفاته: توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة، ولم يَخْلِفْ بَعْدَهُ مثله، ولا مَنْ يُقَارِبُهُ.

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفي العاصمي

من ولد عاصم بن مُسلم، الداخل في طلبة بلُج الملقَّب بالعربان، أخو الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد.

حاله: كان طبيباً ماهراً، كاتباً شاعراً، ذاكراً للغة، صَنَعَ^(٢) الـيدين، متقدماً في أقرانه نباهة وفصاحة، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام، يحضر الغزوات، فارساً وراجلاً، ولقي بِقُحْص غرناطة^(٣) ليلاً نُصْرَانِيّاً يتجسَّس، فأَسْرَهُ وجَرَّهُ، وأدخله البلد، ولم يلتفت إلى ثَمَنِهِ اسْتِكْتَاماً لتلك الفعلة.

(١) قاضي الجماعة في الأندلس، هو منصب قاضي القضاة بالمشرق.

(٢) صَنَعَ الـيدين وصَنَعَ الـيدين: حاذق في الصنعة. لسان العرب (صنع).

(٣) فحص غرناطة: مَرَج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفح وبسيط شاسع أخضر خصب وغطوة فيحاء مترامية الأطراف، يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada. يقع غربي غرناطة ويمتد غرباً حتى مدينة لوشة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

مشيخته: أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مَسْتَقُور، وروى عن أبي يحيى بن عبد الرحيم، وأبي الوليد العطار، وأبي القاسم بن ربيع، وأبي الخطار بن خليل، وأخذ عن أبي عمر بن حَوْطِ الله بمالقة، وابن أبي ريحانة. وبَسَبَتَه على أبي بكر بن مشليون. وأجاز له أبو بكر بن مُحَرَّز، وأبو الحسن الشَّارِي. وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِنَانِي.

مولده: وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بها سحر أول يوم من ذي قعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حمَّاد الصُّنْهَاجِي

يكنى أبا يحيى.

حاله: طالب نبيل فاضل، ورع زاهد، مؤثر في الدنيا بما تملَّكه، تالٍ لكتاب الله في جميع الأوقات.

أخباره في الإيثار: وَجَّه له السيد أبو إسحق ابن الخليفة أبي يعقوب^(١) خمسمائة دُئِيرٍ لِيُصْلَحَ بها من شأنه، فَصَرَفَ جميعها على أهل السُّتْرِ في أقلِّ من شهر. ومَرَّ بفتى في إشبيلية، وأعوان القاضي يحملونه إلى السُّجْن، وهو يبكي، فسأله، فقال: أنا غريب، وطَوَلَيْتُ بخمسين دُئِيرًا، ويدي عقود، وطولبت بضامن فلم أجده، فقال: له الله، قال: نعم، قال: قدفع له خمسين دُئِيرًا، قال: أشهد لك بها، فَضَجِرَ وقال: إن الله إذا أعطى عبده شيئًا لم يُشْهَد به عليه، وتركه وانصرف لشأنه، وكانت عنده معرفة وأدب.

مولده: بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطارىء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي^(٢)

من أهل بَلَش، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن المُرَّاب.

(١) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن الموحدى، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٨٣).

(٢) ترجمة عبد الله الأزدي في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٠) و(ج ٨ ص ٢٣٦، ٢٩٢).

حاله: من نُبهاء أدباء البادية، حَثِين الظاهر، مُنْطَوٍ على لَوْدَعِيَّةٍ مُتَوَارِيَةٍ في مظهر جَفْوَةٍ، كثير الانطباع عند الخُبْرَةِ، قادر على النظم والنثر، متوسط الطَّبَقَةِ فيهما، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر، سَيَالُ القريحة، مَزْهُوبُ الهجاء، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخِدم المَحْزَنِيَّةِ، بين خَارِصٍ وشاهد، وجدَّ بذلك وقته، يوسُطُ رَقَاعَتَهُ، فتنجح الوسيلة، ويتمشَّى له بين الرُّضا والسُّخط الغرض.

وجرى ذكره في «التاج» بما نصه^(١): «طويل القوادم والخوافي، كَلِفَ على كبر سنّه بعقائل القوافي، شَابَ في الأدب وَشَبَّ، وَنَشِقَ رِيحُ البَيَانِ لَمَّا هَبَّ، فحاول رَفِيعَهُ^(٢) وَجَزَلَهُ، وأجاد جَدَّهُ وأحكم هَزْلَهُ. فَإِنَّ مَدَحَ صَدَحَ، وَإِنْ وَصَفَ أَتَصَفَ، وَإِنْ عَصَفَ قَصَفَ، وَإِنْ أَنشَأَ وَدُونَ، وَتَقَلَّبَ فِي أَفَانِينَ البَلَاغَةِ وَتَلَوْنَ، أَفْسَدَ مَا شَاءَ الله وَكَوْنَ، فهو شَيْخُ الطَّرِيقَةِ الأدْبِيَّةِ وَقَتَاهَا، وَخَطِيبُ حَقْلِهَا كُلَّمَا أَتَاهَا، لَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا غَرَضٌ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ مِنْهَا مُفْتَرَضٌ. وَلَمْ تَزَلْ بُرُوقُهُ تَتَأَلَّقُ، وَمَعَانِيهِ بِأَذْيَالِ الإِحْسَانِ تَتَعَلَّقُ، حَتَّى بَرَزَ فِي أَبْطَالِ الْكَلَامِ وَفُرْسَانِهِ، وَدَعَرَتِ الْقُلُوبُ لِسَطْوَةِ^(٣) لِسَانِهِ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الصَّنَاعَةُ زِمَامَهَا، وَوَقَّعَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامَهَا. وَعَبَّرَ الْبَحْرَ مُتَنَجِّعًا بِسَفَرِهِ^(٤)، وَمُتَنَفِّحًا فِي سَوَاقِ الْكَسَادِ مِنْ شَعْرِهِ^(٥)، فَأَبْرَقَ وَأَزْعَدَ، وَخَذَرَ وَتَوَعَّدَ^(٦)، وَبَلَغَ جَهْدَ إِمْكَانِهِ، فِي التَّعْرِيفِ بِمَكَانِهِ، فَمَا حَرَّكَ وَلَا هَزَّ، وَذَلَّ فِي طَلَبِ الرُّفْدِ وَقَدْ عَزَّ، وَمَا بَرِحَ أَنْ رَجَعَ إِلَى وَطْنِهِ الَّذِي اعْتَادَهُ، رَجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قَتَادِهِ.

شعره: قال في «التاج»: وقد أثبت من نزعاته، وبعض مخترعاته، ما يدل على سعة باعه، ونهضة ذراعه. فمن النسيب قوله^(٧): [البسيط]

ما لِلْمُحِبِّ دَوَاءٌ يُذْهِبُ الْأَلْمَا عنه سَوَى لَمَسٍ فِيهِ ارْتِشَافٌ لَمَى
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ نَوْمٌ مُقْلَتُهُ إِلَّا الدُّنُوْءُ إِلَى مَنْ شَفَهُ سَقَمَا
يَا حَاكِمَا وَالهَوَى فِينَا يُؤْيِدُهُ هَوَاكَ فَيُيِّ بِمَا تَرْضَاهُ قَدْ حَكَمَا
أَشْغَلْتَنِي بِكَ شُغْلًا شَاغِلًا فَلِمَ^(٨) تَنَاسَى، قَدَيْتِكَ، عَنِّي بَعْدَ ذَاكَ لِمَا؟

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٩٢ - ٣٩٣).

(٢) في النفع: «رقيقه».

(٣) في النفع: «بسطوة».

(٤) في النفع: «بشعره».

(٥) في النفع: «وأزعد».

(٦) ورد في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣) فقط الأبيات الأول والثاني والثالث.

(٨) في الأصل: «فلما»، وكذا ينكسر الوزن.

مَلَكَتْ رُوحِي فَأَزْفِقَ قَدْ عَلِمْتُ بِمَا
يَلْقَى وَلَا حِجَّةَ تَبْقَى لِمَنْ عَلِمَا
مَا غَبَتْ عَنِّي إِلَّا غَابَ عَنِ بَصْرِي
بَذَرًا إِذَا لَاحَ يُجْلِي نَوْرَهُ الظُّلُمَا
مَا لُحِثَ لِي فَدَنَا طَرْفِي لَغَيْرِكَ يَا
مَوْلَى لِحَا فِيهِ جَفَنِي النُّومَ قَدْ حُرَمَا
طَوَّعًا لَطِيعَكَ لَا أَعْصِيكَ فَاغْضُ بِمَا
تَرْضَاهُ أَرْضَى بِمَا تَرْضَى وَلَا جَرَمَا
إِنَّ الْهَوَى يَقْتَضِي ذُلًّا لَغَيْرِكَ لَوْ
أَفَادَنِي فِيكَ قُرْبًا يُبَرِّدُ الْأَلْمَا
سَلِمْتُ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ يَا مُحَمَّدُ لَا
كَنْ قَلْبُ صَبْكُ مِنْ عَيْنِكَ مَا سَلِمَا

ومن مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع من ولده:
[الطويل]

مُمَالِيكُمْ قَدْ زَادَ فِيكُمْ مُرَابِعُ
مِنْ الْأَفْقِ الْكَوْنِي بِالْيُمْنِ طَالِعُ
بَأَنْوَارِكُمْ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَى
وَيَسْمُو لِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَطَالِعُ
فَوَاسُوهُ مِنْكُمْ بِالْذُّعَاءِ فَإِنَّهُ
مُجَابِبُ بِفَضْلِ اللَّهِ لِلخَلْقِ نَافِعُ
أَفَاضَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِكُمْ
وَأَبْقَاكُمْ ذُو الْعَرْشِ مَا جَنُّ سَاجِعُ

فَوَقَّعَ لَهُ الشَّيْخُ الْمُخَاطَبُ بِهَا، أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِمَا نَصَّهُ:
[الطويل]

عَسَى اللَّهُ يُوْتِيهِ مِنَ الْعِلْمِ حِصَّةُ
تُصَوِّبُ عَلَى الْأَبَابِ مِنْهَا يَنَابِغُ
وَيَجْعَلُهُ طَرَفًا لِكُلِّ سَجِيَّةُ
مُطَهَّرَةً لِلنَّاسِ فِيهَا مَنَافِعُ
وَيُلْجِئُهُ فِي الصَّالِحَاتِ بِجَدِّهِ
فَيْثَنِي عَلَيْهِ الْكُلُّ دَانٍ وَشَاسِعُ
وَذُو الْعَرْشِ بَجَلٍ أَسْمَا عَمِيمَ نَوَالِهِ
وَحَيْرِ الْوَرَى فِي نَصِّ مَا قَلَّتْ شَافِعُ
فَمَا أَنْتَ دُونِي يَا أَبَاهُ مُهْنًا
بِهِ فَالْسُرُورُ الْكُلُّ بِابْنِكَ جَامِعُ
وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى الْبَاكُورِ: [الوافر]

بَسْدَارٍ بَسْدَارٍ قَدْ آنَ الْبَسْدَارُ
إِلَى أَكْوَاسِ بَاكُورٍ تُدَارُ
تَبَدُّثُ رَاقِلَاتٍ فِي مُسْوَحِ
لَهُ لَوْنُ الدِّيَابِجِي مُسْتَعَارُ
وَقَدْ رَقَمْتَ بَيَاضًا فِي سَوَادِ
كَأَنَّ اللَّيْلَ خَالَطَهُ النَّهَارُ
وَقَدْ تَضَيَّجَتْ وَمَا طَبِخَتْ بِنَارِ
وَهَلْ يُحْتَاجُ لِلْبَاكُورِ نَارُ؟
وَلَا تَحْتَاجُ مَضْغَا لَا وَلَيْسَ
عَجِيبٌ لَا يُشْقُ لَهُ غُبَارُ
فَقُلْ لِلْخَلْقِ قُلْ لِلضَّرْسِ دَغْنِي
فَفِي الْبَلْعِ اكْتِفَاءً وَاقْتِصَارُ

ومما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة وهي^(١): [المقارب]

رَعَى الله عَهْدًا حَوَى ما حَوَى	لأهل الودادِ وأهل الهوى
أَرَاهُمْ أُمُورًا خَلَا وَرَزَدَهَا	وأعطاهم السؤلَ كيف نوى ^(٢)
ولَمَّا خَلَا الوصلُ صَالُوا له	ورأوه مأوى وماء روى ^(٣)
وأوردتهم سر أسرارهم	وردٌ إلى كلِّ داءٍ دوا ^(٤)
وما أَمَلْ طَالَ إِلَّا وَهَى	ولا أَمَلْ ^(٥) صَالَ إِلَّا هَوَى

وقال يَزْثِي ديكًا فَقَدَهُ، ويصف الوجد الذي وَجَدَهُ، ويبكي من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مُسْتَطَرَف شأنه^(٦): [البسيط]

أودى به الحُثْفُ لَمَّا جاءه الأَجَلُ	ديكًا فلا عَوْضُ منه ولا بَدَلُ
قد كان لي أَمَلٌ في أن يعيَشَ فلم	يَثْبُثْ مع الحُثْفِ في بُغْيَا لها ^(٧) أَمَلُ
فَقَدْتُهُ فَلَعَنَمُري إنها عِظَّةٌ	وبالمواعظ تُذْري دُمْعَهَا المُقْلُ
كَأَن مُطَرَفَ وَشِي فوق ملبسه	عليه من كلِّ حُسنٍ باهرٍ حُلُلُ
كَأَن إكليلَ كِسرى فوق مَفْرِقِهِ	وتأجّه فهو عالي الشُّكلِ مُخْتَفِلُ
مَوْقَتٌ لم يكن يُخْزى ^(٨) له خطأ	فيما يُرْتَب من وِزْدٍ ولا خَطْلُ ^(٩)
كَأَن زَرْقِيل ^(١٠) فيما مرَّ عَلمه	عَلِمَ المواقيت فيما ^(١١) رَتَّب الأولُ

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٢) في النفع: «... السؤلُ كلا سوا».

(٣) في الأصل: «ملوا وما روا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع. والروى: الماء الكثير المروي. لسان العرب (روا).

(٤) رواية البيت في الأصل هي:

وأوردتهم سرًا سرارهم وزودًا إلى الكلِّ ذا دوا

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «أمل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٧) في النفع: «في بُغْيَا لي أمل».

(٨) في الأصل: «بطريق» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «خَلْل».

(١٠) في النفع: «زرقال». وهو إبراهيم بن يحيى النقاش الزرقالي القرطبي، ويعدُّ من أعظم أهل الفلك، وقد وضع جداول فلكية واختراع أجهزة دقيقة كالزرقالية والصفيحة. تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٥١).

(١١) في النفع: «مما».

يُرْخَلُ اللَّيْلَ يُحْيِي بِالصَّرَاحِ فَمَا
رَأَيْتُهُ قَدْ وَهَتْ^(١) مِنْهُ الْقُوَى فَهَوَى
لَوْ يُفْتَدَى بِدِيوكِ الْأَرْضِ قَلٌّ لَهُ
قَالُوا الدَّوَاءَ فَلَمْ يَغْنِ الدَّوَاءُ^(٢) وَلَمْ
أَمْلُتْ فِيهِ ثَوَابًا أَجَرَ مُحْتَسِبٍ
يَصْصُهُ كَلَلٌ عَنْهُ وَلَا مَلَلٌ
لِلْأَرْضِ فَعَلًّا يُرِيهِ الشَّارِبُ الثَّمِلُ
ذَاكَ الْفِدَاءُ^(٣) وَلَكِنْ فَاجَأَ الْأَجَلَ
يَنْفَعُهُ مِنْ ذَاكَ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
إِنْ قُلْتُ^(٤) ذَلِكَ^(٥) صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين في بعض أسفاره، وقد نظر
إلى شلير^(٦)، وتردّى بالثلج وتعمّم، وكَمَل ما أراد من بَزْتِهِ وتَمّم، أن ينظم أبياتاً في
وصفه، فقال بديهة^(٧): [الطويل]

وشَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ
عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السُّنَا
وَطَوْرًا^(٨) تَرَاهُ كُلَّهُ كَأَيْسِيَا بِهِ
وَطَوْرًا تَرَاهُ عَارِيًا لَيْسَ يَشْتَكِي^(٩)
وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى
فَذَاكَ^(١٠) شَلِيرٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ الَّتِي
بِهَا مَلِكٌ سَامِي الْمِرَاقِي أَطَاعَهُ
تَوَلَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بَعْضَمَةٌ
وَمَا عَنْدَهُ عِلْمٌ بِطُولٍ وَلَا قِصَرٍ
وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَحْكَمَتْهُ يَدُ الْبَشَرِ
وَكُسُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ الشُّهَى عِبَرٌ
لِحَرٍّ^(١١) وَلَا بَزْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرٍ
لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذِكْرٌ قَدْ انْتَشَرَ^(١٢)
كِبَارُ مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ
تَقْيِيهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضَرَرَ

نشره: ونشره كثير ما بين مخاطبات، وخُطَب، ومُقَطَّعات، ولعب، ورَزْدِيَّات
شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي أضحية:

-
- (١) في الأصل: «وهت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٢) في الأصل: «الفداء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٣) في الأصل: «الدواء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٤) في النفع: «نَلْتُ».
(٥) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٦) جبل شَلِير، بالإسبانية Sierra Nevada، وهو أحد مشاهير جبال الأرض. راجع مملكة غرناطة
في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣) ففيه دراسة مفصلة عن هذا الجبل.
(٧) الأبيات في نفع الطبيب (ج ٨ ص ٢٣٩ - ٢٤٠).
(٨) في النفع: «قطورا».
(٩) في النفع: «يكسي».
(١٠) في النفع: «بحر».
(١١) في النفع: «وذاك».
(١٢) في النفع: «اشتهر».

يقول شاعر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناسر غرر الغرر للعاكف والبادي، والرائح والغادي، اسمعوا مني حديثاً تلذذه الأسماع، ويستطرفه الاستماع، ويشهد بحسنه الإجماع، ويجب عليه الاجتماع، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا لمثلي، ولا ذكرت عن أحد قبلي، وذلك يا معشر الألياء، والخُلصاء الأجباء، أني دخلت في هذه الأيام داري، في بعض أذواري، لأقضي من أخذ الغداء أوطاري، على حسب أطواري، فقالت لي ربّة البيت: لم جئت، وبما أتيت؟ قلت: جئت لكذا وكذا، فهات الغداء، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم، ولو أودى بك الصوم، حتى تسَل الاستخارة، وتفعل كما فعل زوج الجارة، طيب الله نِجاره، وملاً بالأرزاق وِجاره. قلت: وما فعل قَريني، وأرني من العلامة ما أحببت أن تريني. قالت: إنه فُكر في العيد، ونظر في أسباب التّعيد، وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد، وأنت قد نسيت ذكره ومَحَوته من بالك، ولم تنظر إليه نَظرة بعين اهتبالك، وعيد الأضحى في اليد، والنظر في شراء الأضحية اليوم أَوْفَق من العَد. قلت: صَدَقْتَ، وبالحق تُطَقِّت، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك، فلقد تَبَّهتْ بِغَلِّك لإقامة السّنة، ورفعته عنه من العُقلة مَتّة. والآن أسير لأبحث عما ذكرت، وأنظر في إحضار ما إليه أُشِرْتُ، ويتأتّى ذلك إن شاء الله بِسَعْدِكَ، وتنايلن فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجُد ليس من الهزل، والأضحية للمرأة وللرجل العَزَل. قالت: دَغْنِي من الخرافات، وأخبار الزُّرافات، فإنك حُلُو اللسان، قليل الإحسان، تَخَذْتُ الغُربة صُحبتك إلى ساسان، فتهاونت بالنساء، وأسأت فيمن أساء، وعُودت أكل خُبْزك في غير مُنْذِيل، وإيقاد القَتِيل دون قُنْذِيل، وسُكْنَى الخان، وعدم ارتفاع الدُّخان، فما تقيم مَوْسِمًا، ولا تعرف له مَنِسَمًا، وأخذت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا في طَرْفِي نَقِيض، إلى أن قلت لها: إزارك وردائي، فقد تَفَاقَم بك أمرُ دائي، وما أظنُّك إلا بَغَض أعدائي، قالت: ما لك والإزار، شَطُّ بك المَزَار؟ لعلك تريد إزّهانه في الأضحية والأبزار، اخرج عني يا مَقِيْتُ، لا عَمِرْتُ معك ولا بقيت، أو عَدِمْتُ الدِّين، وأخذ الورق بالعين. يلزمني صوم سَنَة، لا أَغْفِيْتُ معك سِنَة، إلا إن رَجَعْتُ بمثل ما رجع به زوج جارتني، وأرى لك الرِّيح في تجارتي. فقامت عنها وقد لَوَتْ رأسها وولولت، وابتَدَرَتْ وهزولت، وجالت في العِتاب وضُولت، وضُمْتُ بِنَتْها وولدها، وقامت باللَّجج والانتصار بالحُجَج أودها، فلم يسعني إلا أن عدوت أطوف السُّكك والشوارع، وأبادر لما غدوتُ بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق، وأسأل الرُّفاق، وأخترق الأسواق، وأقتحم زُرْبَة بعد زُرْبَة، وأختَبر منها البعيدة والقريبة، فما استَرَخَصْتَه استَنَقَصْتَه، وما استغلّيته استعلّيته، وما وافق غرضي، اغتَرَضْنِي دُونَهُ عَدَم غرضي، حتى انقضى ثلثا يومي، وقد غَيَّيت بدَوْراني وهَوْمِي، وأنا لم أتحصل من

الابتياح على فائدة، ولا عادت عليّ فيه من قضاء الأرب عائدة، فأومأت الإياب، وأنا أجد من خوفها ما يجد صغار الغنم من الذئاب، إلى أن مررت بقضاب يقصب في مَجَزَرِه، قد شدّ في وسطه مئزره، وقَصُرْ أثوابه حتى كشف عن ساقَيْه، وشَمُرْ عن ساعديه حتى أبدى مِرْقَئَيْه، وبين يديه عِزْرٌ قد شدّ يديه في رَقَبَتِه وهو يجذبه فيبرك، ويجزّه فما يتحرك، ويروم سِتْرَه فيرجع القهقري، ويعود إلى وِراء، والقصاب يشدّ على إزاره، خِيفَةً من فراره، وهو يقول: اقْتُلْهُ من جانِ باغ، وشيطان طاغ، ما أشدّه، وما ألذّه وما أصدّه، وما أجده، وما أكثره بشخم، وما أطْيِه بلحم، الطَّلَاق يلزمه إن كان عابن تَيْسًا مثله، أو أَضْحِيَّة تشبهه قبله، أَضْحِيَّة حَفِيلَة، ومِنحة جليلة. هنأ الله من رَزَقَها، وأخلف عليها رِزْقَها. فافتحمت المُرْدَحَم أنظر مع مَنْ نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في التقلب والتخمين، ولا أفِرّق بين العجف والسمين، غير أنني رأيت صورة دون البُغْل وفوق الحمار، وهيكلًا يُخبرك عن صورة العمار، فقلت للقصاب: كم طَلَبك فيه، على أن تُمهّل الثمن حتى أوفيه؟ فقال: ابغني فيه أجيرًا، وكن له الآن من الدُّبُح مُجِيرًا، وخُذْهُ بما يُرضي، لأول التقضي. قلت: استمع الصوت، ولا تَخَفِ القَوْتَ. قال: ابْتَغِ مني نَيْسَةً، وخُذْهُ هَدِيَّةً، قلت: نعم، فشقّ لي الضمير، وعاكسني فيه بالتقير والقُطْمير، قال: تضمن لي فيه عشرين دينارًا، أقبضها منك لانقضاء الحول ذُبِيرًا ذُبِيرًا، قلت: إن هذا لكثير، فاسمع منه بإحاطة اليسير. قال: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبرأ النُسْمَة، لا أنقصك من هذا، وما قلت لك سَمْسِمَة، اللهم إن شئت السَّعة في الأجل، فأقضي لك ذلك دون أجل، فجلبني للابْتِياح منه الإنساء في الأمد، وغلبنى بذلك فلم أَتَقَرَّ منه لرأي والد ولا وَلَد، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد، وقلت: قد اشتريته منك فضّع البركة، ليصحّ النُجج في الحركة. فقال: فقيّة بارك الله فيه قد بَغَتْهُ لك، فاقبض متاعك، وثبّت ابتياعك، وما هو في قَبْضِكَ فاشدّد وثاقه، وهلمّ لنعقد عليك الوثاقة. فأنحذرت معه لكان التوثيق، وابتدرت من السَّعة إلى الضيق، وأوثقني بالشادة تحت عَقْدٍ وثيق، وحَمَلَنِي من ركوب الدّين ولحاق الشّين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تَيْسُكَ فشأنك وإياه، وما أظنّك إلّا تُعْصِياه، وأبّ بحمالين أربعة فإنك لا تقدر أن تَرْفَعَه، ولا يتأتى لك أن يَتَّبِعَكَ ولا أن تَتَّبِعَه، ولم يبق لك من الكُلْفَة إلّا أن يَخْضَلَ في محلّك، فيكْمُل سرورُ أهلك. وانطلقت للحمّال وقلت: هلم إليّ، وقم الآن بين يديّ، حتى انتهينا إلى مَجَزَرَة القصاب، والعِزْرُ يُطلب فلا يُصاب، فقلت: أين التيس، يا أبا أونس؟ قال: إنه قد فَرَّ، ولا أعلم حيث استَقَرَّ. قلت: أنضِيع عليّ مالي، لتُخَيِّب آمالي، والله لا يُخزّنك بالعَصا، كمن عَصا، ولا رَفَعْتُكَ إلى الحُكّام، تُجري عليك منهم الأحكام. قال: ما لي علم به، ولا بمثْقَلِه، لعلّه فَرَّ لأُمّه وأبيه، وصاحبته

وَبَيْنَهُ، فعليك بالبريح. فاتجهت أناذي بالأسواق، وجيران الزقاق، من تُقِف لي تَيْسًا فله البشارة، بعد ما أتى بالأمانة، وإذا بِرَجُلٍ قد خرج من دَهْلِيز، وله هَدِير وهَرِير، وهو يقول: مَنْ صَاحِبُ الْعَنْزِ الْمَشُومِ؟ لا عَدِمَ بِهِ الشُّوم، إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنِي، يَرْفَعُ الْكَلَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي. قلت: أَنَا صَاحِبُهُ فَمَا الَّذِي ذَهَبَ مِنِّي، أَوْ بَلَغَكَ عَنِّي. قَالَ: إِنْ عَنَزَكَ حِينَ شَرَدَ، خَرَجَ مِثْلَ الْأَسَدِ، وَأَوْقَعَ الرَّهَجَ فِي الْبَلَدِ، وَأَضْرَبَ بِكُلِّ أَحَدٍ، وَدَخَلَ فِي دَهْلِيزِ الْفُخَّارَةِ فَقَامَ فِيهِ وَقَعَدَ، وَكَانَ الْعَمَلُ فِيهِ مَطْبُوحًا وَنِيًّا، فَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهُ شَيْئًا، وَمِنْهُ كَانَتْ مَعِيشَتِي، وَبِهِ اسْتَقَامَتْ عَيْشَتِي، وَأَنْتَ ضَامِنٌ مَالِي، فَارْتَفَعَ مَعِيَ إِلَى الْوَالِي، وَالْعَنْزُ مَعَ هَذَا يَدُورُ وَسَطَ الْجُمْهُورِ، وَيَكُرُّ كُرَّةُ الْعِغْرِيتِ الْمَزْجُورِ، وَيَأْتِي بِالْكَسْرِ عَلَى مَا بَقِيَ فِي الدَّهْلِيزِ مِنَ الطَّوَاغِيتِ وَالْقُدُورِ، وَالْخَلْقُ قَدْ انْحَسَرُوا لِلضَّجِيجِ، وَكَثُرَ الْعِيَاظُ وَالْعَجِيجُ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ عَفْرَطَةَ الْبَاعَةِ، وَمَا يَحْوُونَ مِنَ الْوَضَاعَةِ، وَأَنَا أَحَاوِلُ مِنْ أَخْذِهِ مَا اسْتَطِيعُ، وَأُرُومُ الْإِطَاعَةَ مِنْ غَيْرِ مُطِيعٍ، وَالْبَاعَةَ قَدْ أَكْسَبْتَهُ مِنَ الْحِمَاقَةِ، مَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ طَاقَةٌ. وَرَجُلٌ يَقُولُ: الْمُخْتَسِبُ، وَاعْرِفْ مَا تَكْتَسِبُ، وَإِلَى مَنْ تَنْتَسِبُ، فَقَدْ كَثُرَ عِنْدَهُ بِكَ التَّشْكِي، وَصَاحِبُ الدَّهْلِيزِ قُبَالَتِهِ يَبْكِي، وَقَدْ وَجَدَ عِنْدَهُ عَلَيْكَ وَجَدَ الشُّكُورِ، وَأَيُّقِنُ أَنَّكَ تَكْسِرُ الدُّعَا، وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِكَ، وَهُوَ فِي انْتِظَارِكَ، فَشَدَّ وَسَطَكَ، وَاحْفَظْ إِنْطَاقَكَ، وَإِنَّكَ تَقُومُ عَلَى مَنْ فَتَحَ بَاعَهُ لِلْحُكْمِ عَلَى الْبَاعَةِ وَنُصِبَ لَأَرْبَابِ الْبِرَاهِينِ، عَلَى أَرْبَابِ الشُّوَاهِينِ، وَرَفَعَ عَلَى طَبَقَةٍ، لِيَمْلَأَ طَبَقَةً، ثُمَّ أَمْسَكْنِي بِالْيَمِينِ، حَتَّى أَوْضَلَنِي لِلْأَمِينِ، فَقَالَ لِي: أَرْسَلْتُ التَّيْسَ لِلْفُسَادِ، كَأَنَّكَ فِي نِعْمِ اللَّهِ مِنَ الْخُسَادِ. قلت: إِنَّهُ شَرَدَ، وَلَمْ أَذِرْ حَيْثُ وَرَدَ. قَالَ: وَلَمْ لَا أَخَذْتَ مِيثَاقَهُ، وَلَمْ تَشَدَّدْ وَثَاقَهُ، يَا شَرْطِي طَرَّدَهُ، وَاطْرَحَ يَدَكَ فِيهِ وَجَرَّدَهُ. قلت: أَتَجَرَّدُنِي السَّاعَةَ، وَلَسْتُ مِنَ الْبَاعَةِ؟ قَالَ: لَا بَدٌّ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ تَضْمَنُ مَا أَفْسَدَهُ هُنَاكَ؟ قلت: الضَّمَانُ الضَّمَانُ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ. قَالَ: قَدْ أَمُتْتُ، إِنْ ضَمِنتُ، وَعَلَيْكَ الثَّقَافُ، حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ، أَوْ ضَامِنٌ كَافٍ، فَابْتَدَرَ أَحَدُ إِخْوَانِي، وَبَعْضُ جِيرَانِي، فَأَذَى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ، وَأَكَلَتْ الْحَالُ لِلتَّكْدِيرِ. ثُمَّ أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ بِالتَّيْسِ، لَا كَانَ كَيَانَهُ، وَلَا كَوْنُ مَكَانِهِ، وَإِذَا بِالشَّرْطِي قَدْ دَارَ حَوْلِي، وَقَالَ لِي: كُلِّفَ فِعْلِي بِأَدَاءِ جَعْلِي، فَقَدْ عَطَلْتُ مِنْ أَجْلِكَ شَغْلِي، فَلَمْ يَكْ عِنْدِي بِمَا تُكْسِرُ سَوْرَتَهُ، وَلَا بِمَا تُطْفِي جَمْرَتَهُ، فَاسْتَرْهَنَ بِتَرْزِي فِي بَيْتِهِ لِيَأْخُذَ مَايَتَهُ. وَتَوَجَّهْتُ لِدَارِي، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَخْبَارِي، وَقَدِمْتُ بِغُبَارِي، وَتَغَيَّرَ صِغَارِي وَكِبَارِي، وَالتَّيْسُ عَلَى كَاهِلِ الْحِمَالِ يَزْغُو كَالْبَعِيرِ، وَيَزَارُ كَالْأَسَدِ إِذَا فُصِّلَتِ الْبَعِيرُ، فَلَقْتُ لِلْحِمَالِ: أَنْزِلْهُ عَلَى مَهْلٍ، فَهَلَالُ التَّعْيِيدِ قَدْ اسْتَهْلَ، فَحِينَ طَرَحَهُ فِي الْأَسْطُوانِ، كَرُّ إِلَى الْعُدُونِ، وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ، وَهُمْ أَنْ يَقْفِزَ الْجَيْطَانُ، وَعَلَا فَوْقَ الْجِدَارِ، وَأَقَامَ الرُّهْجَةَ فِي الدَّارِ، وَلَمْ تَبْقَ فِي الزَّقَاقِ عَجُوزٌ إِلَّا وَضَلَّتْ لِسْرَاهُ، وَتَسَالَتْ عَمَّا اغْتَرَاهُ، وَتَقُولُ: بِكُمْ اسْتَرَاهُ، وَالْأَوْلَادُ قَدْ دَارَتْ بِهِ

وأرهمهم لهفه، ودخل قلوبهم خوفه، فابتدرت ربة البيت، وقالت: كيت وكيت، لا خل ولا زيت، ولا حي ولا ميت، ولا موسم ولا عيد، ولا قريب ولا بعيد، سقت العفريت إلى المنزل، وزجعت بمغزل، ومن قال لك اشتره، ما لم تره، ومن قال لك سقه، حتى توثقه، ومتى تفرج زوجتك، والعنثر أضجيتك، ومتى تطبخ القدور، وولدتك منه مغدور، وبأي قلب تأكل الشوية، ولم تخلص لك فيه النية، ولقلة سغدها، وأخلف وعدها، والله لو كان العنثر، يخرج الكنثر، ما عمّر لي داراً، ولا قُرب لي جواراً، اخُرج عني يا لكع، فعل الله بك وصنع، وما حبسك عن الكباش السمان، والضأن الرفيعة الأثمان، يا قليل التحصيل، يا من لا يعرف الخياطة ولا التفصيل، أدلك على كبش سمين، واسع الصدر والجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الخطيب، يغبق من أوداكه كل طيب، يغلب شحمه على لحمه، ويسيل الودك من عظمه، قد غلف بالشعير، ودبر عليه أحسن تدبير، لا بالصغير ولا بالكبير، تضلح منه الألوان، ويستطرف شواه في كل أوان، ويستحسن ثريده وقديده في سائر الأحيان، قلت: بيني لي قولك، لاتعرف فعلك، وأين توجد هذه الصفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، وكهفنا ومأوانا، الرئيس الأعلى، الشهاب الأجلى، القمر الزاهر، الملك الظاهر، الذي أعز المسلمين بنعمته، وأذل المشركين بنقمته. واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبت كفاية.

وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بلش في أواخر عام خمسين وسبعمائة، ودفن بها.

عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري^(١) الصنهاجي

الأديب المصنف، يكنى أبا محمد.

حاله وأوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة^(٢)، المصنف للمأمون بن ذي النون^(٣) كتاب «مغنيطاس الأفكار، فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر

(١) عبد الله بن إبراهيم الحجاري، ينسب إلى وادي الحجارة بالأندلس، توفي سنة ٥٢٠ هـ، وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩١) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٤ ص ١١٢، ٢٦٥)، وكشف الظنون (ص ٦٤٦، ١٦٨٥) وهدية العارفين (ج ١ ص ٤٥٧).

(٢) وادي الحجارة: بالإسبانية Guadalajara، وهي مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج، بينها وبين طليطلة ٦٥ ميلاً. الروض المعطار (ص ٦٠٦).

(٣) المأمون بن ذي النون هو يحيى بن إسماعيل، أحد ملوك الطوائف بالأندلس، حكم طليطلة من سنة ٤٣٥ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ. ترجمته في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧). وفي مواطن متفرقة من الذخيرة.

والأخبار». وكان أبو محمد هذا ماهراً، كاتباً، شاعراً، رَحَّالاً. سكن مدينة شِلْب^(١) بعد استيلاء العدو على بلاده بالشَّغَر. وله^(٢) في التَّحْوِل أشعار وأخبار. قَدِمَ غرناطة وقصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلعة^(٣) من بُنْيَاتِهَا، واستأذن عليه في زِيٍّ مَوْجِسٍ، واستَحَفَّ به القاعدون ببابه، إلى أن لطف بعضهم، وسأله أن يُعَرِّفَ به القائد، فلما بُلِّغَ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها^(٤): [الوافر]

عليك أحوالي الذُّكْرُ الجميلُ فجنْتُ ومن ثنائِكَ لي ذليلٌ^(٥)
أتيتُ ولم أقْدَمْ من رسولٍ لأنَّ القَلْبَ كان هوَ الرُّسولِ

منها في وصف زِيِّه البدوي المُستقل وما في طيِّه:

ومَثَّلَنِي بَدَنٌ فيه خمرٌ^(٦) يَخِفُّ بها^(٧) وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلُ

فأكرم نَزْلَه، وأحسن إليه، وأقام عنده سنة، حتى أَلَفَ بالقلعة كتاب «المُسهب»، في غرائب^(٨) المَغْرِب، وفيه التَّثْبِيه على الحُلَى البِلادية والعَبَّادية. وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطَة، بعد أن عَذَلَه عن التَّحْوِل عنه، فقال: النَّفْسُ تَوَاقَة، وما لي بالشَّغْرِب طاقة، ثم أَفَكَّر وقال: [الطويل]

يقولون لي: ماذا الملال تقيم في محلٌّ فعند الأُتس تذهب راحلا
فقلت لهم: مثل الحَمَام إذا شدا على غُصْنٍ أَمْسَى بِآخِرِ نازلا

نكبتَه: قال علي بن موسى بن سعيد^(٩): وَلَمَّا قصد الحِجَارِي رُوطَة، وحلَّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود^(١٠)، وتحرك لَغَزْو مَنْ قَصَدَه من

(١) شِلْب: بالإسبانية Silves، وهي قاعدة كورة أكشونية، بجنوب مدينة باجة. الروض المطار (ص ٣٤٢).

(٢) قارن بالمغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٣) هي قلعة بني سعيد. وتعرف أيضًا بقلعة يَحْصَب، Alcalá la Real أي القلعة الملكية، نسبة إلى قبيلة يَحْصَب، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، وهي إحدى مدن غرناطة في عهد بني زيري البربر. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٤) الأبيات الثلاثة في المغرب (ج ٢ ص ٣٥). وورد في نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٦٦) أربعة أبيات، من ضمنها البيت الأول لا غير.

(٥) رواية عجز البيت في الفتح هي:

فَصَحَّ العَزْمُ واقتضى الرحيلُ

(٦) في المغرب: «سِرٌّ». (٧) في المغرب: «به».

(٨) في المغرب: «فضائل».

(٩) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، هو صاحب كتاب «المغرب» و«رايات المبرزين»، وغيرهما.

(١٠) المستنصر بن هود: هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن هود، آخر ملوك بني هود بسرقسطة، =

البشكنس، فهزم جيشه، كان^(١) الججاري أحد من أسر في تلك الواقعة، فاستقر بسقاية^(٢)، وبقي بها مدة، يحرك ابن هود بالأشعار ويحثه على خلاصه من الإسمار، فلم يجد عنده ذمامة، ولا تحرك له اهتمامه، فخطب عبد الملك بن سعيد بقوله: [السريع]

أضبحْتُ في بسقاية مُسلماً إلى الأعادي لا أرى مُسلماً
مُكلِّفاً ما ليس في طاقتي مصقداً مُتَّهراً مُرغماً
أطلبُ بالخدمة، وأخسرتي وحالتي تُقضي بأن أخدم
فهل كريم يُرتجى للأسير يفكه، أكرم به مُنتمى

وقوله: [الخفيف]

أزئيس الزمان أغفلت أمري وتلذذت تاركاً لي بأسري؟
ما كذا يعمل الكرام ولكن قد جرى على المعود ذفري

فاجتهد في فدائه، ولم يمر شهر إلا وقد تخلص من أسره، واستقر لديه، فكان طليق آل سعيد، وفيهم يقول^(٣):

وجدنا سعيداً مُتجيباً خَيْرَ غُضْبَةٍ هُم في بني أعصارهم^(٤) كالمواسم
مُسْتَفَّةً أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ^(٥) مُسَوَّرَةً أَيْمَانُهُمْ بِالضُّوَارِمِ
فكم لهم في الحرب مِنْ فَضْلٍ نائراً وكم لهم في السُّلْمِ مِنْ فَضْلٍ نَائِظِمِ

توالياقه: وتوالياق الججاري بديعة، منها «الحديقة» في البديع، وهو كتاب مشهور، ومنها «المسهب في غرائب المغرب»، وافتتح خطبته بقوله: «الحمد لله الذي جعل العباد، من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغمام». وهو في ستة مجلدات.

= وقد حكمها سنة ٥١٣ هـ، ومات سنة ٥٣٦ هـ. الأعلام (ج ١ ص ١٦٤) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(١) في الأصل: «وكان».

(٢) بسقاية: بالإسبانية Vizcaya، وهي إحدى ولايات مملكة نبرة.

(٣) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ٣٦). (٤) في المغرب: «أزمانهم».

(٥) في المغرب: «بفضائل».

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله
ابن سعيد بن الخطيب السلماني^(١)

يكنى أبا محمد.

أوليته: تُنظر في اسم جدّه.

حاله: حسن^(٢) الشكل، جيّد الفهم، يُعْطِي منه رماذ السكون جَمْرَةً حركة، مُنْقَبِضٌ عن الناس، قليل البَشاشة، حسن الخطّ، وَسَطُ النُّظم. كَتَبَ عن الأمراء بالمغرب، وأنشدهم، واقتضى^(٣) خَلْعَهُمْ وصكوكهم بالإقطاع والإحسان. ثم لما كانت الفِتنة كتب عن سلطان وطنه، مُعَزِّزُ الخُطّة بالقيادة، وأنشدهم.

مشيخته: قرأ^(٤) على قاضي الجماعة، الشيخ^(٥) الأستاذ الخطيب أبي القاسم الحسيني، والأستاذ^(٦) الخطيب أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي، واستظهر بعض^(٧) المبادئ في العربية، واستجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره^(٨) مُتَرْفَعٌ عن الوَسْطِ إلى الإِجادة، بما يكفله^(٩) عُذْرُ الحَدَاثَةِ. وقد ثَبَتَ في اسم السلطان لهذا العهد، أبي عبد الله بن نصر^(١٠)، أيده الله، ما يدلّ على جودة قريحته، وذكاء طَبْعِهِ. ومما دَوَّنَ الذي ثَبَتَ له حيث ذكر قوله^(١١):

لَمَنْ طَلَّلَ بِالرُّقْمَتَيْنِ مُجِيلٌ عَقَّتْ دِمْنَتَيْنِ شِمَالٌ وَقَبُولٌ^(١٢)
يلوح كباقي الوشم غَيْرُهُ البلى وجادَتْ عليه السُّخْبُ وَهِيَ هُمُولٌ^(١٣)

(١) ترجمة عبد الله بن محمد بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٩) ونفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣) وجاء فيه أنه: «عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني».

(٢) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣).

(٣) في النفع: «وأقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان، واختال في خَلْعِهِمْ. ثم لما...».

(٤) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٥) قوله: «الشيخ الأستاذ» ساقط في النفع.

(٦) في النفع: «والخطيب». (٧) في النفع: «بعض».

(٨) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٩) في النفع: «الإِجادة، يكفله...».

(١٠) هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل. ترجمته في اللوحة البدوية (ص ١١٣، ١٢٩).

(١١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٠ - ٢٨١) وقال إنه قالها في الأغراض السلطانية أيام كتابته عن السلطان ملك المغرب. وهي أيضًا في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٦).

(١٢) المَحِيل: المتغيّر. الدُّمْنَةُ: الموضع القريب من الدار. الشمال: ريح الشمال. القبول: الريح التي تقابل الشمال. لسان العرب (حيل) و(دمن) و(شمال) و(قبل).

(١٣) هُمُولٌ: منهجرة. لسان العرب (همل).

فيا سَعْدُ، مَهْلًا بِالرُّكَّابِ لَعَلَّنَا
 قَبِ الْعَيْسَ تَنْظُرُ نَظْرَةً تُذْهِبُ الْأَسَى
 وَغَرَجَ عَلَى الْوَادِي الْمُقَدَّسِ بِالْجَمَى^(١)
 فَيَا حَبِذَا تِلْكَ الدِّيَارُ وَحَبِذَا
 دَعَوْتُ لَهَا سَفَى الْجَمَى عِنْدَمَا سَرَى^(٢)
 وَأَرْسَلْتُ دَمْعِي لِلْغَمَامِ مُسَاجِلًا
 فَاصْبَحَ ذَاكَ الرُّبْعُ مِنْ بَعْدِ مَخْلِهِ
 لَتُنْ حَالٌ رَسُمَ الدَّارِ عَمَّا عَهْدَتْهُ
 وَمِمَّا شَجَانِي بَعْدَ مَا سَكَنَ الْهَوَى
 تَوَسَّدَنَ قَرْعُ الْبَانِ وَالشَّجَمُ مَائِلُ
 فَيَا صَاحِبِي، دَغْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّهُ
 تَقُولُ اصْطَبَارًا عَنْ مَعَاهِدِكَ الْأَلَى
 فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى وَلِلْأَسَى
 يُطَاوِلُ لَيْلَ الثَّمَمِ مِنْ مَنِ مُسْهَدُ
 فَيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَعُودُنْ مَا مَضَى؟

نشره: أجباني لما خاطبتُ الجملة من الكتاب، والسلطان، رضي الله عنه،
 بالْمُنْكَبِ، في رحلة أعملها بما نصه:

«الله من فذة المعاني، حيث مَشُوق الفؤاد عاني، لما أنارت بها المغانى، غنين
 عن مُطَرِّب الأغاني، يا صاحب الإذعان، أجب بالله من دعاني، إذا صِزَّتْ من كثرة
 الأماني، بالشوق والوجد مثل ماني. وَرَدَتْ سَحَابَاتُ سَيِّدِي الَّتِي أَنْشَأَتْ لَغَمَامَ الرَّحْمَةِ
 عِنْدَ اشْتِدَادِ الْأَزْمَةِ رِيَاخًا، وَمَلَأَتْ الْعَيُونَ مُحَاسِنًا وَالصُّدُورَ انْشِرَاحًا، وَأَصْبَحَ رَحِيبُ
 قِرْطَاسِهَا وَغَمِيمُ فَضْلِهَا وَنَوَالِهَا وَأَيْنَاسُهَا لِفِرْسَانِ الْبَلَاغَةِ مَغْدَى وَمَرَاخًا. فَلَمْ أَذَرِ
 أَصْحِفَةً تُسَخِّتُ مَسْطُورَةً، أَمْ رَوْضَةً تُفْحِتُ مَخْطُورَةً، أَطِيبُ مِنَ الْمِسْكِ مُنْتَشِقًا،
 وَأَخْسَنُ مِنَ السَّلَكِ مُنْشَقًا، فَمَلَكْتُهَا مَقَادَةَ خَاطِرِي، وَأَوْدَعْتُهَا سَوَادَ قَلْبِي وَنَظَائِرِي،
 وَطَلَعْتُ عَلَيَّ طُلُوعَ الصُّبْحِ عَلَى عَقَبِ السُّرَى، وَخَلَصْتُ خُلُوصَ الْخَيَالِ مَعَ سَيِّئَةِ
 الْكَرَى. فَلِلَّهِ مَا جَلَبَتْ مِنْ أُنْسٍ، وَأَذْهَبَتْ لَطَائِفَةَ الشَّيْطَانِ مِنْ مَسٍّ، وَهَاجَتْ مِنْ

(٢) في النسخ: «الحمى وريوغة».

(١) في الكتيبة: «والحمى».

(٣) يحول: يتغير. لسان العرب (حول).

الشوق، الذي شَبَّ عمرُه عن الطوق، والوَجْدُ الذي أصبح واري الزُند. فأقسم بباري التَّسم، وواهب الحظوظ والقَّسم، لو أَعْطَيْتُ لِلنَّفْسِ مَقَادَتَهَا، وَسَوَّغْتُهَا إِرَادَتَهَا، مَا قَنِيتُ بِنِيَابَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْمِدَادِ، عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ، وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَقَبَةَ لِلشَّعِيرِ وَرَأْسَ الْمَزَادِ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ وَزَادَ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ بِادْخِ، وَطَوْدٍ شَامَخِ، قَدْ أَذْكَرْتَ الْعِقَابَ عُقَابَهُ، وَصَافَحْتَ النُّجُومَ هِضَابَهُ، قَدْ طَمَحَ بِطَرْفِهِ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ، وَسَالَ الْوَقَارَ عَلَى عَظْفِهِ: [الكامل]

مَلَكْتُ عِنَانِ الرِّيحِ رَاحَتَهُ فَجِيَاذُهَا مِنْ تَحْتِهِ تَجْرِي

وَأَمَّا الْحَمَلُ الْهَائِجُ، وَالْبَحْرُ الْمُتَمَاجِجُ، وَالطُّلُلُ الْمَائِلُ، وَالذُّنُبُ الشَّائِلُ، فَمُسَاجِلَةُ مَوْلَايَ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ، مِنَ الْمَحَالِ، إِذِ الْعَبْدُ قُصَّارَاهُ أَلْفَاظَ مَرْكَبَةٍ، غَيْرَ مَرْتَبَةٍ: [الخفيف]

هُوَ جَهْدُ الْمُقِيلِ وَافَاكَ مُنِي إِنَّ جُهْدَ الْمُقِيلِ غَيْرُ قَلِيلِ

وَأَقْرَأَ عَلَى مَوْلَايَ، أَبْقَاهُ اللَّهُ، سَلَامًا عَمِيمًا، تَنْسَمُ رَوْضَهُ نَسِيمًا، وَرَفَّ نَظْرَهُ وَعَبَقَ شَمِيمًا، وَالْأَوْفَرُ الْأَذْكَى مِنْهُ عَلَيْهِ مُعَادَا، مَا سَحَّ السُّحَابُ إِرْعَادَا، وَأَبْرَقَ الْغَمَامُ رِعْدَاً وَالْحُسَامُ أَبْعَادَا، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. مِنْ عَبْدِهِ الشَّيْقِ لَوَجْهِهِ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْخَطِيبِ، فِي الْخَامِسِ عَشَرَ لِحِمَادَى الْأُولَى عَامَ تِسْعَةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن سارة البكري^(١)

شَنْتَرِينِي^(٢)، سَكَنَ الْمَرِيَّةَ وَغَرْنَاطَةَ، وَتَرَدَّدَ مَادَحًا وَمُنْتَجِعًا شَرْقًا وَمَغْرِبًا، وَيَضْرِبُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ.

(١) ترجمة ابن سارة أو ابن صارة في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٦) وبغية الملتبس (ص ٣٣٨) وزاد المسافر (ص ٦٦) وقلائد العقيان (ص ٢٥٨) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥١) والمطرب (ص ٧٨، ١٣٨) والمغرب (ج ١ ص ٤١٩) والذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٤) ومسالك الأبصار (ج ١١، الورقة ٣٨٣) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٥٥) ومعجم السفر للسلفي (ص ٢٠٥) وخريدة القصر - قسم المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠) ورايات المبرزين (ص ١٠٦) وبغية الوعاة (ص ٢٨٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٤٣) و(ج ٤ ص ٢٨٤) وصفحات أخرى مفرقة.

(٢) نبة إلى مدينة شنترين البرتغالية Santaren، وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس. وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩).

حاله: كان ذا حظٍّ صالح من النحو واللغة، وحفظ الأشعار، أديبًا ماهرًا، شاعرًا مُجيدًا، مطبوع الاختراع والتوليد. تجوّل في شرق الأندلس وغربها مُعلِّمًا للنحو، ومادحًا ولاتها، وكتبَ عن بعضهم، وتعيّش بالوراقة زمانًا، وكان حسن الخطّ، جيّد النقل والضبط.

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر.

مَن روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، وأبو جعفر بن الباذش، وأبو عثمان بن هارون، وأبو الطاهر الثُمي، وأبو العباس بن علي اللص، وأبو العلاء بن الجئان، وأبو محمد بن يوسف القضاعي، وإبراهيم بن محمد الشُّبّي.

شعره: وشعره كثير جيد شهير. منه في حِرْفة الوراقة قوله^(١): [الكامل]
أما الوراقة فهي إيكَة^(٢) حِرْفة^(٣) أغصانها^(٤) وثمارها الحِرْمانُ
شَبَّهْتُ صاحبها بإبرة^(٥) خائِطٍ يكسو^(٥) العِراة وظَهْرُهُ عِرْيَان
وقال في نَجْم الرّحيم، وهو من التّشبيه العقيم^(٦): [البيسط]

وكوكبٍ أبْصَرَ العِفْريت مُسْتَرْقَا فأنْقَضُ^(٧) يُذْكي^(٨) سَريعًا خَلْفَهُ لَهَبَةً
كفارسٍ حلَّ إحصار^(٩) عمامته فَجَرَّها^(١٠) كُلُّها من خَلْفِهِ عَذْبَةً
وقال منه في المواعظ^(١١): [البيسط]

يا مَنْ يُصْبِحُ إلى داعي السَّفاهِ^(١٢) وقد نادى به الشّاعِيان: الشَّيبُ والكِبَرُ
إن كنتَ لا تسمعُ الذِّكْرَى ففيم ثوى^(١٣) في رأسك الواعِيان: السَّمْعُ والبَصَرُ؟

(١) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٥) والمطرب (ص ٧٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠).

(٢) في الذخيرة والمطرب: «أنكد».

(٣) في الذخيرة: «بصاحب إبرة».

(٤) في الذخيرة والمطرب: «تكسو العراة وجسمها...».

(٥) البيتان في قلاند العقيان (ص ٢٦٨).

(٦) في الأصل: «فأنقضى» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من القلائد.

(٧) في القلائد: «يذكي له في أثره لَهَبَةً».

(٨) في الأصل: «إحصارًا» والتصويب من القلائد.

(٩) في الأصل: «تجرّها» والتصويب من القلائد.

(١٠) الأبيات في قلاند العقيان (ص ٢٦٤) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٩٦).

(١١) في القلائد: «السقاء» والسَّفاه: الجهل.

(١٢) في الأصل: «... الذكر ففيم ترى» والتصويب من المصادر الثلاثة.

ليس الأَصْمُ ولا الأعمى سوى رَجُلٍ
لا الدهرُ يَبْقَى على حال^(١) ولا القَلْكَ الـ
لأَزْحَلْنَ^(٢) عن الدنيا ولو كَرِهَها^(٣)
لم يَهْدِهِ الهاديان: العَيْنُ والآثُرُ
أعلى ولا النُّيران: الشمسُ والقَمَرُ
فراقها الشاويان: البَدْوُ والحَضَرُ

وقال في موت ابنته له^(٤): [الوافر]

ألا يا موت، كُنْتَ بنا رؤوفاً
حَمِدْنَا^(٥) سعيك المشكور لَمَّا
فأنكحنا الضريح بلا صَدَاقٍ
كفَيْتَ^(٦) مؤنةً وسَتَرْتَ عَوْرَةَ
وجهزنا العروس^(٧) بغير شُورَةٍ

وفاته: توفي عبد الله بن سارة سنة تسع عشرة وخمسمائة^(٨).

عبد الله بن محمد الشراط^(١٠)

يكنى أبا محمد، من أهل مالقة.

حاله: طالب جليل، ذكي، مدرك، ظريف، كثير الصِّلَف والخَشْوَانة^(١١)
والإِزْراءِ بمن دونه، حادُّ النَّادرة، مرسلٌ عِنان الدُّعابة، شاعرٌ مُكثِر، يقوم على
الأدب والعربية، وله تقدُّم في الحساب، والبُرْهان على مسائله. استُدعي إلى الكتابة
بالباب السلطاني، واختصَّ بولي العهد، ونيط به من العمل، وظيفٌ نبيه، وكاد ينمو
عُشْبُهُ ويتأشَّب^(١٢) جأهه، لو أن الليالي أمهَلَتْه، فاعتُبطَ لأمدٍ قريب من ظهوره،
وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، إحنةً، تخلَّصه الحمام لأجلها، من
كفِّ انتقامه.

(١) في المصادر الثلاثة: «... يبقى ولا الدنيا ولا...».

(٢) في المصادر الثلاثة: «ليرحلن».

(٣) في المصادر الثلاثة: «إن كَرِهَها» ويقال لغويًا: «إن كَرِهَ فراقها الشاويان».

(٤) الأبيات في قلانة العقيان (ص ٢٦٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٩٦ - ٩٧).

(٥) في المصدرين: «الحياة».

(٦) في المصدرين: «حمادٌ لفعلك المشكور...».

(٧) في القلائد: «كففت».

(٨) في المصدرين: «الفتاة».

(٩) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩): «وكانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة بمدينة ألمرية من

جزيرة الأندلس». وهكذا جاء في التكملة (ج ٢ ص ٢٥٢).

(١٠) ترجمة ابن الشراط في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٥).

(١١) لم نقف على هذه الكلمة في كتب اللغة، وجاء فيها في مادة (ختر): المختَر: أقبح الغدر وأشدّه.

(١٢) يتأشَّب: يتجمّع.

شعره: وشعره كثير، لكنني لم أظفر منه إلا باليسير. نقلت من خط صاحبنا القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، من نظم أبي محمد الشراط، في معنى كان أدباء عصره قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شُعة: [الوافر]

وكنْتُ أَلْفْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِلْقَا
وَكُنَّا مِثْلَ وَضَلِ الْعَهْدِ وَضَلَا
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا صَرْفُ اللَّيَالِي
فَصِيرَتْ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ شَمْعَا
فَدَمَعِي لَا يَتِمُّ أَسَى وَجَسْمِي
ثُمَّ فِي الْمَعْنَى أَيْضًا^(١): [البسيط]

حَالِي وَحَالِكَ أَضَحَّتْ آيَةٌ عَجِبَا
إِذَا دَنَوْتُ فَلَانِي مُشْعَرٌ طَرَبَا
كَذَاكَ الشَّمْعُ لَا تَنْفُكُ^(٢) حَالَتِهِ
وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: [الطويل]

رَحَلْتُمْ وَخَلَقْتُمْ مَشُوفَكُمْ نَسِيَا
فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَاغْتَاصَ مَذْهَبِي
وَمَا بِاخْتِيَارٍ شَتَّتَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
فَذَا أَضْلَعِي لَمْ تَخُبْ مِنْ أَجْلِكُمْ جَوَى
كَأَنَّنِي شَمْعٌ فِي فَوَادٍ وَأَدْمَعُ

وذكر لي أن هذا صدر عنه في مجلس أنس مع الوزير أبي عبد الله بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء.

وفاته: كان حيًا سنة سبعمائة، وتوفي بغرناطة، وهو على حاله من الكتابة، رحمه الله.

(١) الأبيات في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «مغتربا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثر فرائد الجمان.

(٣) في الأصل: «مغتربا» والتصويب من النثر. (٤) في النثر: «لا ينفك».

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان النجاري^(١)

يكنى أبا القاسم، ويعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله: هذا الفاضل نسيجٌ وحده، فهما وانطباعاً، ولودعيّة، مع الدين والصون، مُعِمٌّ، مخول في الخير، مُستولٍ على خصال حميدة، من خط وأدب وحفظ، مشارك في معارف جملة. كتب ببلده عذلاً رضى، وأنشد السلطان عند حلوله ببلده. ورحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني، ثم بان فضله، وبه قدره، ولطف محله، وعاد إلى الأندلس، لما جرت على سلطانه الهزيمة بالقيروان، ولم ينتشله الدهر بعدها مع جملة من خواصه. فلما استأثر الله بالسلطان المذكور، مؤسوم التمحيص، وصير أمره إلى ولده بعده، جئح إليه، ولحق بياه، مُقترن الوفادة، بيمن الطائر، وسعادة النصبة، مظنة الاصطناع، فحصل على الخطوة، وأصبح في الأمد القريب، محلاً للبت وجليسا في الخلوة، ومؤتمناً على خُطة العلامة^(٢)، من رجل ناهض بالكل، جليد على العمل، حذر من الذكر، متقلص ذيل الجاه، مُتهيب، عزيز المشاركة، مطلق في حقوق الدول عند انخفاض الأسعار، جالب لسوق الملك ما ينفق فيها، حارّ الثائرة، مليح التندير، خلو الفكاهة، غزل مع العفة، حافظ للعيون، مُقدّم في باب التحسين والتنقيح، لم ينشب الملك أن أنس منه بهذه الحال، فشدّ عليه يد الغبطة، وأنشب فيه براثن الأثرة، ورمى إليه بمقاليد الخدمة، فسما مكائه، وعلا كعبه، ونما عُشه. وهو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قُطره، ومناقب وطنه، كثر الله مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المقرئ أبي محمد بن أيوب، والمقرئ الصالح أبي عبد الله المهندس، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق. وروى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، والقاضي أبي

(١) ترجمة ابن رضوان النجاري في نيل الابتهاج (ص ١٢٣) والتعريف بابن خلدون (ص ٢٠، ٤١) وجذوة الانتباس (ص ٢٤٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٠) والكتيبة الكامنة (ص ٢٥٤) وفيه: «النجاري» بدل «النجاري». ولم يشر ابن الخطيب هنا إلى سنة وفاته؛ لأنه توفي في سنة ٧٨٣ هـ، أي بعد وفاة ابن الخطيب بسبع سنوات.

(٢) هي العلامة التي كانت توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات، وبعضها كان السلطان يضعه بخطه. التعريف بابن خلدون (ص ٢٠).

بكر بن منظور. وبغرناطة عن جلة؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيَّاب، وقاضي الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسني، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي، والقاضي أبا إسحق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يَزْبُوع السبتي. وبيلمسان عن أبي عبد الله الأيلي، وأبي عبد الله بن الثَّجَار، وغيرهما. ويتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام، وعن جماعة غيرهم.

شعره: ونظمه ونثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجازة. أما شعره، فمُنْتَسَب الوُضْع، سهل المأخذ، ظاهر الرِّوَاء، مُحْكَم الإمرة للتَّنْقِيح. وأما نثره، فطَرِيف السَّجْع، كثير الدَّالَّة، مُطِيع لدعوة البديهة، وربما استعمل الكلام المُزْسَل، فجرى يراعُه في ميدانه مِلَّة عَنَانه.

وجرى ذكره في «التاج» أيام لم يَفْهَق^(١) حوضه، ولا أزهَر روضه، ولا تبايَنت سماؤه ولا أرضه، بما نصه^(٢): أديب أحسن ما شاء، وفتح قلبه^(٣) فملاً الدُّلُور وبِلُّ الرُّشَاء^(٤)، وعانى على حدائنه الشعر والإنشاء، وله ببلده بيتٌ معمور بفضل وأمانة، ومَجْدٍ وديانة. ونشأ هذا الفاضل على أتمِّ العَفَاف والصُّوْن، فما مال إلى فسادٍ بعد الكَوْن. وله خطُّ بارع، وفهم إلى الغوامض مُسَارِع. وقد أثبت من كلامه، ونَفَثَات أَقْلَامه، كلُّ مُحْكَم العقود، زارياً^(٥) بِنْتَ العَنَقُود. فمن ذلك قصيدة^(٦) أنشدها للسلطان أمير المسلمين^(٧)، مهتئاً بهلاك الأسطول الحربي بالزُّفَاق الغربي^(٨)، أجاد أغراضها، وسبَّك المعاني وراضها، وهي قوله^(٩): [الطويل]

لعلكم أن ترعيا لي وسائلا فبالله عوجا بالركابِ وسائل
بأوطانٍ أوطارٍ قفا ومآربي وبالحُبِّ خُصًّا بالسَّلام المئازلا
ألا فانشدا بين القباب من الجمى فؤاد شجٍ أضحى عن الجسم راحلا

(١) فهِق حوضه: امتلأ. لسان العرب (فهِق). (٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤١).

(٣) القلب: البئر. لسان العرب (قلب). (٤) الرُّشَاء: الحبل. لسان العرب (رشا).

(٥) في النفع: «زار بآبنة».

(٦) في النفع: «فمن ذلك قوله» وأورد الشعر مباشرة.

(٧) أمير المسلمين هنا هو السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري،

وقد حكم غرناطة من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. راجع اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

(٨) المقصود بالزُّفَاق الغربي جبل الفتح، أو جبل طارق، الذي نازله ألفونس بن هرانده، فهلك فيه

حُف أنفه عام ٧٥١ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٨).

(٩) ورد في نفع الطيب من هذه القصيدة خمسة أبيات فقط.

وَبُثًّا صَبًّا بات هنالك واشْرَحَا
رعى الله مَثْوَاكُمْ على الْقُرْبِ والتَّوَى
وهل لزمانٍ باللَّوَى قد^(١) سقى اللَّوَى
فَحَظِّي بعيدُ الدَّارِ منه بقُرْبِهِ
لقد جار دهرى أن^(٢) نأى بمطالبي
وحَمَلْنِي من صَرْفِهِ ما يُوَدِّنِي
عَتَبْتُ عليه فَاغْتَدَى لِي عَاتِبًا
أَتَغْتَبِّنِي إذ^(٣) قد أَقْدَنْتُكَ مَوْقِفًا
مَلِيكَ حَبَاهُ الله بِالْحُلِيِّ الرُّضَا
مَلِيكَ علا فوق السُّمَّاكِ قَطْرُهُ
إذا ما دجا ليلُ الخطوبِ فَيُشْرُهُ
نمَاءُ من الأنصارِ غَزَا أَكْبَرُ
تلوا سُورَ التَّعْمَاءِ في جَزْبِهِمْ كما
تَسَامَتْ لَهُمْ في المَغْلُواتِ مراتبُ
عِصَابَةٍ نصر الله طَابَتْ أَوَاخِرُ
لقد كان رَبُّعُ المجدِ مِنْ قَبْلُ خَالِيًا
إذا يُوسُفُ مِنْهُمْ تَلُوحُ يَمِينُهُ
كُتَائِيهِ في الفَتْحِ تَكْتَبُ أُسْطُرَا
عَوَامِلُهُ بِالْحَذْفِ تَحْكُمُ في الْعِدَا
يَبْدُدُ جَمْعَ الْكُفْرِ رُغْبًا وَهَيْبَةً
ومنها في وصفه الأسطول واللقاء:

ولَمَّا اسْتَقَامَتْ بِالزَّرْقَانِ أساطيرُ
رَأَاهَا عَدُوُّ الله فَاَنْفَضَ جَمْعُهُ
ومن دَهَشَ ظَنُّ السَّوَاخِلِ أَبْحُرَا

لَهُمْ مِنْ أَحَادِيثِي عَرِيضًا وَطَائِلًا
ولا زال هامِي السُّحْبِ في الرُّبْعِ هَامِلًا
مَارَبَ فما ألقى مَدَى الدَّهْرِ حَائِلًا؟
ويورِدُ فيه من مُنَاهِ مَنَاهِلَا
وظَلَّ بما أَبْقَى^(٤) من الْقُرْبِ مَاطِلَا
ومَكَّنْ مَنِّي الْخَطُوبَ شِوَاغِلَا
وقال: أَصِيخُ لِي لا تَكُنْ لِي^(٥) عَاذِلَا
لدى أعظمِ الْأَمْلَاكِ جِلْمًا وَنَائِلَا؟
وأَعْلَى له في الْمَكْرَمَاتِ الْمَنَازِلَا
غدا كَهَلَالِ الْأَفْقِ يُبْصِرُنَا علا
صَبَاحَ وَبَذَرُ لا يُرى الدَّهْرُ أَفْلَا
لَهُمْ شِيَمٌ ملءُ الْفَضَاءِ قَضَائِلَا
جَلَلُوا صُورَ الْأَيَّامِ غُرًّا جَلَائِلَا
يُرَى رُحْلُ دُونَ الْمَرَاتِبِ زَاخِلَا
كما قد زَكَّتْ أَضْلًا وَطَابَتْ أَوَائِلَا
ومن آلِ نَصْرِ عَادِ يُبْصِرُ أَهْلَا
تَقُولُ سَحَابُ الْجُودِ وَالْبَأْسُ هَاطِلَا
تَبِينُ من الْأَنْفَالِ فِيهَا الْمَسَائِلَا
كما حَكَمُوا في حَذْفِ جَزْمِ عَوَامِلَا
كما بَدَّدَتْ مِنْهُ الْيَمِينُ الثَّوَائِلَا

لَمْ تَمْ^(٦) اسْتَقَلْتُ لِلشُّعُودِ مُحَافِلَا
وَأَبْصُرُ أَمْوَاجَ الْبَحَارِ أَسَاطِلَا
ومن رُغْبٍ خَالَ الْبَحَارِ سِوَاخِلَا

(١) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٢) في النسخ: «أبغى».

(٣) في النسخ: «إذ».

(٤) في النسخ: «أن».

(٥) في النسخ: «قط».

(٦) في الأصل: «واستقلت»، وكذا يتكرر الوزن.

وَمِنْ جُنْدِكُمْ هَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفٌ
تُفَرِّقُهُمْ أَيْدِي سَبَا وَتَبِيدُهُمْ
وَعَهْدِي بِمَرْ الرِّيحِ لِلنَّارِ مَوْقِدَا
وَكَانَ لَهُمْ بَرْذُ الْعَذَابِ وَلَمْ يَكُنْ
حَدَاهُمْ هَوَاهُمْ لِلْإِسَارِ وَلِلْقَنَا
فَهُمْ بَيْنَ عَانٍ فِي الْقَيْودِ مُصَفِّدٍ
سَتَهْلِكُ مَا بِالْبُرِّ مِنْهُمْ جُنُودَكُمْ
وَقَالَ أَيْضًا يَمْدَحُهُ: [الطويل]

نَشَرْتَ لَوَاءَ النَّصْرِ وَالْيَمْنِ وَالسَّعْدِ
أَعَدْتَ لَنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَلَذَّةً
بِنُورِكُمْ وَاللَّهُ يَكْلَأُ نُورَكُمْ
تَحْلَى لَكُمْ بِالْمَلِكِ نَخْرٌ وَلَبَّةٌ
مَا ثَرَكُمْ قَدْ سَطَرَتْهَا يَدُ الْعُلَا
بِمَذْحِكُمْ الْقُرْآنُ^(١) أَتْنَى مُنَزَّلًا
كَفَاكُمْ فَخَارًا أَنَّهُ لَكُمْ أَبٌ
تَنَاوَكُمْ هَذَا أُمُّ الْمَيْسِكِ نَافِعٌ؟
أَجَلْ ذِكْرُكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقٍ
طَلَعَتْ عَلَى الْآفَاقِ نُورًا وَبِهَجَّةٍ
وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلاكِ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ
وَلَوْ أَنَّنِي فُقْتُ سَخْبَانٍ وَائِلٍ
لَمَا قُنْتُ بِالْمِغْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ

وَقَالَ فِي شَيْخِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مَنْظُورٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: [الطويل]

جَلَالُكَ أَوْلَى بِالْعُلَا لِلْمَخْلُودِ^(٢)
لِمَجْدِكَ كَانَ الْعَزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا
وَذَكَرَكَ أَعْلَى الذُّكْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَأَنَّكَ لِلْأَوْلَى بِأَرْفَعِ سُوْدَدٍ
بِمَقْعَدِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ

(١) في الأصل: «للقرآن»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «المخلد»، وهكذا ينكسر الوزن.

فَهْتَشْتُ بِالْفَخْرِ السَّيْنِيِّ مَحَلَّةُ
 شَهَدْتُ بِمَا أُؤَيِّتُنِي مِنْ عَوَارِفِ
 وَمَا حُزْتُ مِنْ مَجْدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ
 لَقَدْ نَبَأْتُنِي بِالزَّوْاحِ لَعَزَّكُمْ
 تُحَدِّثُنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
 دَلِيلِي بِهَذَا أَتُّكِّى الْمَاجِدِ الَّذِي
 لِيَتَمَحَّرَ أَوَّلُو الْفَخْرِ الْمَنِيفِ بِأَتُّكُمْ
 إِمَامُ عُلُومِ مُخْتَلِي الْقَدَرِ لَمْ يَزَلْ
 وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَلَ أَمْرُهَا
 إِذَا الْحَقُّ أَبَدَى نَوْرَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ
 وَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ
 هَنِيئًا لَنَا بَلٌّ لِلْقَضَاءِ وَفَضْلُهُ
 أَمَاتَ بِهِ الرَّحْمَنُ كُلَّ ضَلَالَةٍ
 وَكَائِنَ تَرَاهُ لَا يَزَالُ مَلَازِمًا
 وَمَا زَالَ قَدَمًا لِلْحَقِيقَةِ حَامِيًا
 وَيَمْنَحُ أَفْضَالَ وَيُؤَلِّي أَيَادِيَا
 يُقَيِّدُ أَحْرَارًا بِمَنْطِقِ جُودِهِ
 نَعَمْ إِنْ يَكُنْ لِلْفَضْلِ شَخْصٌ فَإِنَّمَا
 أَيَا نَائِرًا أَسْنَى الْمَعَارِفِ وَالْغِنَا
 أَلَا أَلِيَّ عَصَا التَّسْيَارِ وَاعْشِ لِنَارِهِ
 وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ قَوْلُهُ^(٥): [الطويل]
 تَبَرَّأْتُ مِنْ خَوْلِي إِلَيْكَ وَإِيقَنْتُ
 فَلَا أَرْهَبُ الْأَيَّامَ إِذْ كُنْتُ مَلْجَأِي^(٦)

وَهْتَشْتُ بِالمَجْدِ الرَّفِيعِ المُجَدِّدِ
 وَخَوَّلْتُ مِنْ نِعْمَى وَأَسَدَيْتُ مِنْ يَدِ
 وَمَا لَكَ مِنْ مَجْدٍ وَرِفْعَةٍ مُخْتَدِ
 مَخَائِلُ إِسْعَادِ تَزْوِجِ وَتَفْتِنِي^(١)
 بَأَنَّ سَوْفَ تَلْقَى كَامِلًا كُلَّ مَقْصِدِ
 تَسَامَى عُلُوقًا فَوْقَ كُلِّ مَمْنَعِ
 لَهُمْ عِلْمٌ أَعْلَى، بِهِ الْكُلُّ مُقْتَدِي
 رَدَاءِ الْمَعَالِي وَالْعَوَارِفِ يَزِيدِي^(٢)
 جَلَالِي^(٣) بِرَأْيِ الْحَقِيقَةِ مُرْشِدِي^(٤)
 رَأَيْتُ لَهُ حُدَّ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ
 سَوَاسِيَةً مَا بَيْنَ دَانٍ وَسَيْدِ
 بِقَاضٍ حَلِيمٍ فِي الْقَضَاءِ مُسَدِّدِ
 وَأَخِيَا بِمَا أَوْلَاهُ شِرْعَةً أَحْمَدِ
 لِأَمْرِ بِعُزْفٍ أَوْ لِإِزَامِ بِمَسْجِدِ
 وَلِلشَّرْعَةِ الْبَيْضَاءِ يُهْدَى وَيَهْتَدِي
 وَإِحْسَانُهُ لِلْمُعْتَفِينَ بِمَرْصَدِ
 فَمَا إِنْ يَنْبِي عَنْ مُطْلَقٍ أَوْ مُقَيَّدِ
 بِشَيْمَتِهِ الْغُرَاءِ فِي الْفَضْلِ يَنْتَدِي
 وَيَا طَارِقًا يَطْوِي السُّرَى كُلَّ قَدْغَدِ
 تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقَدِ

بِرَحْمَاكَ آمَالِي فَصَحَّ^(٦) يَقِينِي
 وَخَسْبِي يَقِينِي بِالْيَقِينِ^(٨) يَقِينِي

(٢) في الأصل: «يرتد» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «مرشد» بدون ياء.

(٥) البيان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٢).

(٧) في النسخ: «ملجأ».

(١) في الأصل: «وتفتد» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لها» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في المصدرين: «أصح».

(٨) في الكتيبة: «فاليقين».

ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطه، قال مما نظمه فلان، يعني نفسه في كتاب الشفا، نفع الله به: [الكامل]

سل بالعلی وسئى المعارف یبهر
وهل المفاخر^(١) غیر ما شهدت به
هُم ما هُم شرقاً ونیل مراتب
ورثوا الهدى عن خیر مبعوث به
وعیاض^(٢) الأعلى قداحاً فی العلی
بشفائه^(٣) تشفی الصدور وإنه
هو للتوالم روح صورتها وقل
أفئت محاسنه المدائح مثل ما
وله الید البیضاء فی تألیفه
هو مورد الهمیم العطاش هفت
فبه نال من الرضى ما تبتغى
انظر إلیه تمیمه من کل ما
لکائنی بک یا عیاض مهناً
لکائنی بک یا عیاض منعماً
لکائنی بک یا عیاض متوجاً
لکائنی بک راویاً من حوضه
فعلى محبته طوینت ضمائرنا
ها إنهن لشرعة الهادی الرضا
فجزاک رب العالمین تحیه
وسقى هزیم الودق مضجعک الذی

هل زانها إلا الأئمة مفسر؟
أي الكتاب وخازنها الأغصن؟
يوم القيام إذا يهول المحشر
فخراً هديهم النعيم^(٤) الأكبر
منهم وحوله الفخر الأظهر
لرشاد نار بالشهاب^(٥) الثيز
هو تاج مفرقها البهي الأنور
لمعيده بعد الثناء الأعطر
عند الجميع ففضلها لا ينكر
بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر
ويكونه فينا نغات وئمطر
تخشى من الخطب المهول وتحذر
بالفوز والملأ العلي مبشر
بجوار أحمد يغتلي بك مظهر
تاج الكرامة عند ربك تخبر
إذ لا صدی ترويه إلا الكوثر
وضحت شواهدا بكتبك تؤثر
صدف يصاب بهن منها جوهر
يهب النعيم سريرها والمنبر
ما زال بالرخمي يوم ويغمر

(١) في الأصل: «للمفاخر» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «مذبيهم للنعيم» وهكذا ينكسر الوزن. والهدي: ما أهدي إلى الحرم من النعم.

(٣) هو الفقيه عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة. ويبدو أن القصيدة في مدح القاضي عياض والترويه بكتابه «الشفا».

(٤) يشير إلى كتاب القاضي عياض وهو «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».

(٥) في الأصل: «به الشهاب» وهكذا ينكسر الوزن.

وقال في محمل الكتب: [الطويل]

أنا الخبر في حمل العلوم وإن ثقل
أقيّد ضروب العلم ما دمت قائما
بأنى حُلّي عن خلاهنّ تغدّل
خدمت يتقوى الله خير خليفة
وإن لم أقم فالعلم عني بمغزل
أبا سالم لا زال في الدهر سالما
فبؤاني من قُربه خير منزل
يُسوّغ من شرب المنى كلّ منهل

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعمئة في النوم، كأنّ الوزير أبا علي بن عمر بن يخلف بن عمران القدودي، يأمره أن يجيب عن كلام من كتّب إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم، ولم يحفظ منها غير هذين البيتين: [المقارب]

وإني لأجزّي بما قد أتاه
بتمكين وُد وإثبات عهد
صديقي احتمالا لفعل الجفاء^(١)
وأجزال حَمْدٍ وَيَذِلّ حياءِ

ومن نظمه في التورية^(٢): [الخفيف]

وبخيل لَمّا دعوه لِسُكْنَى
قال لي مَخْزَنٌ بداريّ فيه
منزل بالجنانِ ضَنٌّ بذلك
لا تُعْرِجْ على الجنان بسُكْنَى
جل^(٣) مالي فلست للدار تارك^(٤)
ولتكن ساكنا بمخزن مالِك^(٥)

ومن ذلك أيضا^(٦): [الكامل]

يا رَبُّ مُنْشَأَةٌ عَجِبْتُ لَشَأْنِهَا
سَكَنْتُ بِجَنَّتَيْهَا^(٧) عَصَابَةٌ شَدَّةُ
وقد احتوت في البحر أعجبَ شأنِ
فتحرّكت بإرادة مَنع أنها
حلّت محلّ الروح في الجثمان
في جنسها^(٨) ليست من الحيوان

(١) في الأصل: «الحرفاء» وهو لا معنى لها، وكذلك ينكر الوزن. والجفاء: البر.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). (٣) في النفح: «كل».

(٤) في الأصل: «شاك» وهكذا بدون معنى، وكذلك ينكر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) تورية بجهنم؛ لأن اسم خازنها من الملائكة مالك.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). وقد قلت في وصف مركب أو سفينة.

(٧) في الأصل: «بجنبتها» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الأصل: «حسنها» والتصويب من المصدرين.

وَجَزَتْ كَمَا قَدْ شَاءَ^(١) مُكَانَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ^(٢)
 وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ^(٣): [الوافر]
 وَذِي خُدَعٍ دَعَا لَاشْتِغَالِ وَمَا عَرَفُوهُ غُثًّا مِنْ سَمِينِ
 فَأَظْهَرَ^(٤) زُفْدَهُ وَغَثَى بِمَالِ وَجَيْشِ الْجِرْصِ مِنْهُ فِي كَمِينِ
 وَأَقْسَمَ لَا فَعَلْتُ^(٥) يَمِينِ^(٦) حَبْ فَيَا عَجَبًا لِحِلَافِ^(٧) مُهِينِ
 يَقْدُ بِسِيرِهِ وَيَمِينِ حِلَافِ^(٨) لِيَأْكُلَ بِالْبِيسَارِ وَبِالْيَمِينِ

شيء من نشره

خَاطَبْتُهُ مِنْ مَدِينَةٍ سَلَا بِمَا نَصَهُ، حَسْبَمَا يَظْهَرُ مِنْ غَرَضِهِ: [الطويل]
 مَرِضْتُ فَأَيَّامِي لَذَاكَ مَرِيضَةٌ وَبَرُّوكَ مَقْرُونٌ بِبُرْئِي اعْتِلَالُهَا
 فَمَا رَاعَ ذَاكَ الذَّاتَ لِلضَّرِّ رَائِعَ وَلَا وَسِمْتَ بِالسُّقْمِ غُرُّ خِلَالِهَا
 وَيَنْظُرُ بَاقِيَ الرِّسَالَةِ فِي خَبَرِ التَّعْرِيفِ بِمَوْثِقِ الْكِتَابِ.

فَرَاغَنِي عَنْ ذَلِكَ بِمَا نَصَهُ: [الطويل]

مَتَى شِئْتَ أَلْقَى مِنْ عِلَالِكَ كُلِّ مَا يُنِيلُ مِنَ الْأَمَالِ خَيْرَ مَنَالِهَا
 كَبِيرَ اعْتِلَالٍ مِنْ دَعَائِكَ زَارِنِي وَعَادَاتِ بَرٍّ لَمْ تُرْمَ عَنْ وَصَالِهَا

أَبْقَى اللَّهُ ذَلِكَ الْجَلَالَ الْأَعْلَى مَتَطَوَّلًا بِتَأْكِيدِ الْبَرِّ، مَتَفَضَّلًا بِمَوْجِبَاتِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ. وَرَدَّدْتَنِي سِيمَاتِ سَيِّدِي الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى مَعْهُودِ تَشْرِيفِهِ، وَفَضْلِهِ الْغَنِيِّ عَنْ تَعْرِيفِهِ، مَتَحَفِّيًا فِي السُّؤَالِ عَنْ شَرْحِ الْحَالِ، وَمُعَلِّيًا مَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ، وَالشُّرْفِ الْعَالِ، وَالْمَعْظَمِ عَلَى مَا يَسُرُّ ذَلِكَ الْجَلَالَ، الْوَزَارِي، الرَّثَاسِي، أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَهُ، كَمَا أَعْلَى فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ يَدُهُ، ذَلِكَ بِبِرْكَةِ دُعَائِهِ الصَّالِحِ، وَحُبِّهِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «شَاءَ» وَهَكَذَا يَنْكُسرُ الْوِزْنَ، وَالتَّصْرِيْبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ.

(٢) أَخَذَهُ مِنَ الْمَثَلِ: «الْشَّانُ فِي السُّكَّانِ لَا فِي الْمَكَانِ». وَهَنَا يُوْرِي بِكَلِمَةِ «السُّكَّانِ» الَّتِي تَعْنِي أَيْضًا الْخَشْبَةَ الَّتِي تَدَارُ بِهَا السَّفِينَةُ، أَيْ دَقَّةُ السَّفِينَةِ.

(٣) الْآيَاتُ فِي الْكِتَابَةِ الْكَامِنَةِ (ص ٤٥٨) وَنَفَحَ الطَّيْبُ (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٤) فِي الْكِتَابَةِ: «فِيظْهَرُ». (٥) فِي الْكِتَابَةِ: «قَبِلْتُ».

(٦) فِي الْأَصْلِ: «بِمَنْ حَبْ» وَهَكَذَا يَنْكُسرُ الْوِزْنَ، وَالتَّصْرِيْبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ. وَالْحَبُّ: الْخُدَاعُ.

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْخِلَافُ»، وَالتَّصْرِيْبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ.

(٨) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «يَغْرِ يَيْسِرُهُ وَيَمِينُ حَنْثٌ».

المُخَيَّم بين الجوانح . والله سبحانه الم محمود على نعمه ، ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه المسؤول أن يسنى لسيدي قرآز الخاطر ، على ما يسره في الباطن والظاهر ، بِمَنْ الله وفضله ، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته . كتبه المعظم الشاكر ، الداعي المحب ، ابن رضوان وفقه الله .

ومما خاطبني به ، وقد جَرَّت بيني وبين المتغلب على دولتهم ، رُقَاع ، فيها سِلْم وإيقاع ، ما نصه :

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وَخَطَرًا ، وسما ذكره في الأندية الحافلة ثناء وشُكْرًا ، وسما فخره في المراتب الدينية والدنيوية حمداً وأجرًا ، أبقاك الله جميل السَّغِي ، أصيل الرأْي ، سديد الرمي ، رشيد الأمر والنهي ، ممدوحًا من بُلْغَاءِ زمانك ، بما يقصر بالتوايغ والعشي ، مفتوحًا لك باب القَبُول ، عند الواحد الحق . وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية ، وللإحسان غاية ، ولإشاهد الحسن تَبْرِيز ، ولثوب الأدب تَطْرِيز ، وفي التقد إِبْرِيز ، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجائبه ، ولا يحيد الفضل كله عن مذهب ، من كل أسلوب طار في الجو إغرابًا وإغرابًا ، ومَلَك من سحر البيان خِطابًا ، وحيد ثناء مُطالًا وحديثًا مُطابًا ، شَأْن من قَصْر عن شَأو البلغاء ، بعد الإغياء ، ووقف دون سباق البديع بعد الإغياء ، فلم يُشَقَّ غُبار ، ولا اقْتَفِيَتْ إِلَّا بِالْوَهْم آثاره ، فله من سيدي إتحاف سَرَّ ما شاء ، وأخكم الإنشاء ، وبرِّ الأكابر والأنشاء ، فما شئت من إفصاح وكتابة ، وبرِّ ورعاية ، وفهم وإفهام ، وتخصيص وإبهام ، وكنج لطرف النفس وقمع ، وخَفَضِ في الجواب ورفع ، وتحرج وتورع ، وترقص وتوسع ، وجماع وأصحاب ، وعَتَبَ وإغتاب ، وإدلال على أخباب ، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض ، والمقاصد السَّالمة جواهرها من الأعراض ، جملةً جمعت المحاسن ، وأمتعت السامع والمُعاین ، وحلَّت من امتِناعها مع السهولة الحَرَم ، إِلَّا من زاد الله تلك المعارف ظهورًا ، وجعلها في شرع المكارم هُدًى ونورًا . وأما شكر الجنب الوزاري ، أَسْمَاء الله ، بحكم الثَّيَابَة عن جلالكم ، فقد أبلغت فيه حمدي ، وبذلت ما عندي ، ووَدِّي لكم وُدِّي ، ووَرَدِي لكم من المُخالصة لكم وِرْدِي ، وكل حالات ذلك الكمال ، مُجْمَع على تفضيله ، مُعْتَمَد من الثناء العاطر بإجماله وتفصيله . وأما مُرَدِّيهِ إليكم أخي وسيدي الفقيه المعظم ، قاضي الحضرة وخطيبها ، أبو الحسن ، أدام الله عزَّته ، وحَفِظ أَخُوْتَهُ ، فقد قرَّر من أوصاف كمالاتكم ، ما لا تفي بتقريره الأمثلة من أولي العلم بتلك السَّجَايا الغُرِّ ، والسَّيِّم الزُّهر ، وما تحلَّيْتُم به من التقوى والبرِّ ، والعدل والفضل ، والصبر والشكر ، ولَحْمَل المتاعب في أمور الجهاد ، وترك الملاذ والدَّعة في مرضاة

ربّ العباد، والإعراض عن الفانية، والإقبال على الباقية، فبها لها من صفات خَلَعَت السعادة عليكم مَطَارِفَهَا، وَأَجَزَلَتْ غَوَارِفَهَا، وجمعت لكم تالدها وطارفها، زَكَّى الله ثوابها وجدّد أثوابها، ووصل بالقبول أسبابها. وذكر لي أيضًا من حسناتكم، المَنْقَبَةِ الكبيرة، والقُرْبَةِ الأثيرة، في إقامة المارستان^(١) بالحضرة، والتَّسْبُب في إنشاء تلك المَكْرَمَةِ المبتكرة، التي هي من مِهْمَات المسلمين بالمحل الأعلى، ومن ضروريات الدين بالمزية الفضلى، وما دَخَرَهُ القَدَرُ لكم من الأجر في ذلك السعي المشكور، والعمل المبرور، فسرتني لتلك المجادة إحراز ذلك الفضل العظيم، والفوز بثوابه الكريم، وفخره العميم. ومعلوم، أبقاكم الله، ما تقدّم من ضياع الغُرباء والضعفاء من المُضِيِّ فيما سلف هنالك، وقَبْل ما قُدِّرَ لهم من المُرْتَفَق العظيم وبذلك، حتى أن مَنْ حَفِظَ قول عمر، رضي الله عنه، والله لو ضاعت نخلة بشاطئ الفرات لَخِفْتُ أَنْ يُسْأَلَ الله عنها عمر. لا شك في أن مَنْ تقدّم من أهل الأمر هُنَالِكُمْ، لا بدّ من سؤاله عَمَّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. والحمد لله على ما خَصَّكُمْ به من مزية قوله ﷺ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِخَلِيفَةٍ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ.

وأما «كتاب المحبة»^(٢)، فقد وقف المَعْظَم على ما وَجَّهْتُمْ منه، وقوفًا ظهر بمزية التأمّل، وعَلِمَ منه ما تَرَكَ للآخر الأول، ولم يشك في أن الفضل للحاكي، وشَتَان بين الباكي والمُتَبَاكِي. حقًا لقد فاق التأليف جَمْعًا وترتيبًا، وذهب في الطُّرُق الصوفية مذهبًا عجيبًا. ولقد بهرت معانيه كالعرائس المجلّوة حسنًا ونضارة، وبرّعت بدائعها وروائعها سئى وإنارة، وألفاظًا مُختارة، وكؤوسًا مُدارة، وغيوثًا من البركات مذرارة، أحسن بما أدته تلك الغُرر السافرة، والأمثال السائرة، والخمائل الناضرة، واللالئ المُفَاخِرَة، والنجوم الزاهرة. أما إنه لكتاب تضمّن زُبْدَ العلوم، وثمرَة الفُهْم، وإن موضوعه للباب اللُّبَاب، وخُلاصة الألباب، وفَذْلُكَ الحساب، وقَشَح الملك الوهاب، سَتَى الله لكم ولنا كماله، وبلغ الجميع منّا آماله، وجعل السعي فيه

(١) هو المارستان الكبير الذي أقامه ابن الخطيب بالحاضرة غرناطة في أثناء توليه الوزارة في عهد الغني بالله السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد تحدّث عنه ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة عند ترجمة الغني بالله في عنوان: «بعض مناقب الدولة لهذا العهد».

(٢) «كتاب المحبة» لابن الخطيب، وله اسم آخر هو «روضة التعريف بالحب الشريف».

خالصاً لوجهه، وكفيلًا بمعرفته بمثله وكرمه، وهو سبحانه يُبقي بركتكم، ويكلاً ذاتكم الكريمة وحوزتكم، بفضلله وطوله وقوته، والسلام الكريم يخصصكم به كثيرًا أثيرًا، مُعَظَّم مقداركم، ومُلتَزم إجلالكم وإكباركم، ابن رضوان، وفقه الله، وكتب في الثامن والعشرين لرجب من عام سبعة وستين وسبع مائة.

وهو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. وله تردّد إلى حضرة غرناطة، واجتياز وإلمام.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد
ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن
ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطي، قلعي^(١) الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع»^(٢): هو المشهور باليربطول^(٣)، زاد على أخيه بخفة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى مالقة، فما زال بها يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقلب طُرُفه مما نال من ولاياتها بين الخيل والخول، حتى أن ابن عسكرو، قاضي مالقة وعالمها، كان من جملة مَنْ مدّحه، وتوسّل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنّف له شجرة الأنساب السعيدية. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يومًا على الوالي بغرناطة، السيد أبي إبراهيم^(٤)، وجعل يساره، وكان مُختَصًّا به، واقتضى ذلك أن ردّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبي الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردّ وجهه إليه، وقال: اغتذِرْ لكم بأمر ضروري، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيدنا، فانقلب المجلس ضحكًا. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمي

(١) نسبة إلى قلعة يُخَصَّب Alcalá la Real أي القلعة الملكية، ويحصب قبيلة، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعيدية، أي قلعة بني سعيد. وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد لابن سعيد الأندلسي، صاحب كتابي المغرب ورايات المبرزين.

(٣) أغلب الظن أنها كلمة إسبانية.

(٤) هو السيد أبو إبراهيم ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي. البيان المغرب - قسم الموحيدين (ص ٣٨٧).

المشهور أيضًا بخفة الروح، وكان مُسلطًا على بني سعيد، فبينما هو واقف، إذ النخاس ينادي على قَرس: قَم يشرب من القادوس، وعَيْنٌ تحصد بالمنجل، فقال له: يا قائد، أبا محمد، سِر بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يُخَفِ عليه أن تلك صورته، فقال: سَل جارتك عنها، فمضى لأُمّه، وأَوْقَعَ بينها وبينه، فحَلَف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: واتفق أن جُرْتُ بدار أُمّ الحضرمي، فرأيتَه إلى ناحية، وهو كئيب مُنكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لي عن أُمّه وعن نفسه: النساءُ يرمين أبناءَ الرّنا صغارًا، وهذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترميني ابن خمسين سنة، فقلت له: وما سبب ذلك؟ فقال: ابن عمك يوسف الجمال، لا أخذ الله له بيد، فما زلتُ حتى أَصْلَحْتُ بينها وبينه.

ومن نوادر أجويته المُسكّنة، أنه كان كثير الخلطة بمراكش لأحد السّادة، لا يفارقه، إلى أن وُلِي ذلك السّيد، وتموّل، واشتغل بدُنياه عنه، فقيل له: نرى السيد فلانًا أضرب عن صُحبتك ومُنادمتك، فقال: كان يحتاج إليّ وقتًا كان يَتَبَخَّر بي، وأما اليوم، فإنه يَتَبَخَّر بالعود والثّدّ والعنبر. وقال له شخص كان يُلقَّب بـ «فَسَيّوات» في مجلس خاص: أي فائدة في «اليربطول»؟ وفيما ذا يُحتاج إليه؟ فقال له: لا تُقَل هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. وتكلّم شخص من المُترفين فقال: أمس يغنا الباذنجان التي بدار خالتي، بعشرين مثقالًا، فقال: لو بعتم الكريز التي فيها لساوى أكثر من مائة.

وأخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن علي بن موسى: وقَعْتُ في رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه، فمنها في رسالة عن السّيد أبي العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة، ويصلكم به إن شاء الله، القائد الأجل الأكرم، الحسيب الأُمجد الأنجد، أبو محمد أدام الله كرامته، وكتب سلامته، وهو الأكيد الحُرمة، القديم الخِدمة، المزعي المائة والدّمة، المُستحقّ البرّ في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عَقِب عُمّار بن ياسر، رضوان الله عليه، وَحَسْبُكُمْ هذا مَجْدًا مؤثّرًا، وشرقًا موصلًا، ومنها تَعَيّن بيته وسَلَفه، واختصاصهم من التّجابه والظهور، بأنّوه الاسم وأشرفه، وكونهم بين مُعْتَكِف على مضجعه، أو مُجاهد بِمُزْهِفِهِ ومُتَقَفِهِ، ومنها سَبَقَهُمْ إلى هذا الأمر العزيز، وتميُزُهُم بأثرة الشُّفوف والتَّمْيِيز، ومنها الانقطاع إلى أخيكُم، مُبَدِّ مُورده ومُضدِّره، وَكَرَمَ مَغْيِبه ومُخَضِّره، وهذه وسائل شتى، وأدْمَةُ قَلِّ ما تتأثّى لغيره.

وفاته: كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حَكَم: شاهدته قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي^(١) أيام ثورته، وهو بشتلية^(٢) مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد
ابن أشعث الرُعيني^(٣)

من^(٤) أهل أَرْجِدونة^(٥) من كورة رِيّه، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أبي المجد.

حاله: كان^(٦) من أعلام الكُور^(٧) سَلَفًا، وترثبًا، وصَلَحًا، وإنَابَةً، ونيّة في الصالحين، مُتَّسِع الذَّرْع للوارد، كثير الإيثار بما تيسر، مليح التخلّق، حسن السُّمت، طيّب النفس، حسن الظنّ، له حظٌّ من الطُّلب، من فقهه وقراءات وفريضة، وخَوْض في طريقة الصوفية، وأدب لا بأس به، قطع عُمره خطيبًا وقاضيًا ببلده، ووزيرًا، وكتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السُّداد.

مشيخته: قرأ^(٨) على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزبير؛ رَحَّل إليه من وطنه عام اثنين وتسعين وستمائة، ولازمه وانتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز والعربية، وسمع عليه الكثير من الحديث، وعلى الخطيب الصوفي المحقّق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري، وعلى الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد، وسمع على الشيخ القاضي الراوية أبي محمد النُّبعدي، والوزير المُعمر

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، عرف بالبياسي نسبة إلى بياسة التي استولى عليها. ولأه العادل الموحدي قرطبة، فخلع دعوة العادل في سنة ٦٢٣ هـ، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم، فقام أهل قرطبة عليه وقتلوه وبعثوا برأسه إلى العادل بمراكش. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٧١ - ٢٧٣).

(٢) شتلية أو شنت ياله: حصن قريب من حصن بلاي، يبعد عن قرطبة ٢٣ ميلًا، ويقع غربي مدينة استجة ويبعد عنها ١٥ ميلًا. نزهة المشتاق (ص ٥٧٢).

(٣) ترجمة الرُعيني في الكتبية الكامنة (ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢) وهو فيه: «عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعث الرُعيني».

(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢).

(٥) أرجدونة أو أرشدونة: بالإسبانية Archidona وهي قاعدة كورة رِيّه، تقع قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٥).

(٦) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢). (٧) في النفح: «الكورة».

المحدث الحسيب أبي محمد عبد المنعم بن سيمك العاملي، والعدل الراوية أبي الحسن بن مستنقور. وقرأ بمالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخار، وأجازه من أهل المشرق طائفة.

شعره: مِمَّا حَدَّثَنِي ابْنُ أُخْتِهِ صَاحِبُنَا أَبُو عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: نَظَمَ الْفَقِيهَ الْقَاضِي الْكَاتِبَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ شُبَيْرٍ بَيْتَ الْكِتَابِ مَأْلُفَ الْجُمْلَةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ^(١): [الطويل]

أَلَا يَا مُجِبَّ الْمَصْطَفَى، زِدْ صَبَابَةً وَضَمِّحْ لِسَانَ الذُّكْرِ مِنْهُ بِطَيْبِهِ
وَلَا تَغْبَأَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنَّمَا عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيَّاب، رحمه الله^(٢): [الطويل]

فَمَنْ يَغْمُرُ الْأَوْقَاتَ طُرًّا بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدَى كَنَصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُغْرَضًا طَوَّلَ ذَهْرُهُ^(٣) فَكَيْفَ يُرَجِّحُهُ شَفِيعَ ذَنْبِهِ؟

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية^(٤): [الطويل]

الَيْسَ الَّذِي جَلَى دُجَى الْجَهْلِ هَذِيهُ بِنُورِ أَقْمَنَّا بَعْدَهُ نَهْتَدِي بِهِ؟
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَابِهِ^(٥) شُكْرُ مُنْعَمٍ فَمَشْهُدُهُ^(٥) فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ

وقال أبو بكر بن أرقم^(٦): [الطويل]

نَبِيٌّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحَيْرَةٍ إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيْبِهِ
فَهَلْ يَذْكُرُ^(٦) الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ وَيَغْمِطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ؟

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيلاً كذلك^(٧): [الطويل]

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا: جِجَابُكَ ذِكْرُهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِيُوبِهِ
وَذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ قَرْضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُجِئٍ قَائِلٌ بِوُجُوبِهِ

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣٠). (٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣١).
(٣) في النفع: «عمره». (٤) في النفع: «من ذاته». (٥) المراد به «مشهده»: شهوده، أي حضوره.
(٦) في النفع: «ينكر».

وقال يوماً شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في اختبار الأذهان^(١): [الخفيف]

جاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَا فَنَيْتَ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلِيَكُنْ حُكْمُكَ^(٢) الْمُسَدَّدُ فِيهَا حُكْمَ سَعْدٍ^(٣) فِي قَتْلِهِ لِلْيَهُودِ

قال: فأجابه أبو محمد بن أبي المجد^(٤): [الخفيف]

أَيُّهَا الْعَارِفُ الْمُعَبِّرُ ذَوْقًا عَنْ مُعَانٍ غَزِيرَةٍ فِي الْوُجُودِ
إِنَّ حَالَ الْقَنَاءِ^(٥) عَنْ كُلِّ غَيْرٍ كَمَقَامٍ^(٦) الْمُرَادِ غَيْرِ الْمُرِيدِ
كَيْفَ لِي بِالْجِهَادِ غَيْرَ مُعَانٍ وَعَدْوِيَّ^(٧) مُظَاهَرَ بَجَنُودٍ؟
وَلَوْ أَتَيْ حَكْمْتُ فِيمَنْ ذَكَرْتُمْ حُكْمَ سَعْدٍ لَكُنْتُ جَدُّ سَعِيدِ
فَأَرَاهَا صَبَابَةً^(٨) بِي قَتَوْنَا وَأَرَانِي فِي حُبِّهَا كَيْزِيدِ
سَوْفَ أَسْلُو بِحِكْمٍ^(٩) عَنْ سَوَاهَا وَلَوْ أَبْذَتْ فَعَلَ الْمُجِبُّ الْوُدُودِ
لَيْسَ شَيْءٌ سِوَى إِلَهِكَ يَبْقَى وَاعْتَبِرْ صِدْقَ ذَا بَقُولٍ لَبِيدٍ^(١٠)

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حال لا يتمالك معها، وربما أَوْحَشَتْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِهَا.

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي، تلمساني، يكنى أبا محمد، وينتمي إلى بني زيَّان من بيت أمرائهم.

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣١). (٢) في النفع: «حكمها».

(٣) هو سعد بن معاذ، سيد الأنصار، حكمه النبي ﷺ، في يهود بني قريظة.

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣١ - ٤٣٢).

(٥) في الأصل: «الفناء» وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «المقام» والتصويب من النفع.

(٧) في الأصل: «وعدوّه»، والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «حباية». (٩) في النفع: «بنصحكم عن هواها».

(١٠) يشير إلى قول لبيد بن ربيعة العامري: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بِأَيْلُ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ، زَائِلُ
ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ١٣٢).

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر...^(١) قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون، وله بأحواله عناية، وله إليه تردّد كثير وزيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، وهو طفل صغير، واستقرّ بقتورية في ديوان غزانها. ولما توفي أبوه سلك مسلكه برهة، ورفض ذلك، وجعل يتردّد بين الولد، وانقطع لشأنه.

حاله: هذا الرجل غريب النّزعة في الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض جبال بني مشرف، واتخذ فيها كهوفًا وبيوتًا من الشجر أزيد من أربعين عامًا، وهلمّ جرًا، منفردًا، لا يُداخل أحدًا، ولا يُلبسه من العرب، ويجعل الحلفاء في عنقه...^(٢) اختلف فيه، فمن ناسب ذلك إلى التّلبّيس وإلى لؤثة تأتبه، وربما أتاب بشيء، ويطلبون دُعاه ومُكالمته، فرما أقهّم، وربما أبهّم.

محبته: ذكروا أنه ورث عن أخ له مالًا غنيًا، وقدم مالقة، وقد سُرق تاجر بها ذهبًا عيّنًا، فأتهم بها، فبجرت عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع، ثم ظهرت براءته، وطلب الحاكم الجائر منه العفو، فعفا عنه، وقال: الله عندي حقوق وذنوب، لعلّ بهذا أكفرها، وصرف عليه المال فأباه، وقال: لا حاجة لي به فهو مال سوء، وتركه وانصرف، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر.

شيء من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى، وتفريج الكربات...^(٣)، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة، وهو عام سبعين وسبعماية.

مولده: بتلمسان عام تسعين وستمائة. ودخل غرناطة غير ما مرة.

عبد الله بن فرج بن عزّلون اليحصبي^(٢)

يعرف بابن العسال، ويكنى أبا محمد، طليطلي الأصل. سكن غرناطة واستوطنها، الصالح المقصود الثّرة، المبرور البقعة، المفرع لأهل المدينة عند الشّدة.

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة ابن العسال في الصلة (ص ٤٣٥) والمغرب (ج ٢ ص ٢١) ورايات المبرزين (ص ١٤٠) وفيهما: «أبو محمد عبد الله العسال». ومعجم السفر (ص ٢٢٣) وفيه أنه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الطليطلي الواعظ، المعروف بابن العسال» ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٨٣، ٢٠٠) (ج ٦ ص ١٢١).

حاله: قال ابن الصيرفي: كان، رحمه الله، فذاً في وقته، غريب الجود، طرُفاً في الخير والزهد والورع، له في كل جو مُتَنَفِّس، يضرب في كل عِلْمٍ بِسَهْمٍ، وله في الوعظ توالييف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيدة الرُّضعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يُحَلِّقُ في الفقه، ويجلس للوعظ. وقال الغافقي^(١): كان فقيهاً جليلاً، زاهداً، مُتَفَنِّتاً، فصيحاً لِسِناً، الأغلْبُ عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظاً، عارفاً بالتفسير، شاعراً مطبوعاً. كان له مجلس، يُقْرَأُ عليه فيه الحِفْظُ والتفسير، ويتكَلَّمُ عليه، ويقصُّ^(٢) من حِفْظِهِ أحاديث. وألَّفَ في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريباً في قوته، فذاً في دهره، عزيز الوجود.

مشيخته: روى^(١) عن أبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو المقرئ الدَّانِي، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، وعن أبيه قَرَج، وعن أبي زيد الحشاء القاضي، وعن القاضي أبي الوليد الباجي.

شعره: وشعره كثير، ومن أمثل ما رُوي منه قوله: [مخلع البسيط]

لست وَجِيهاً لدى إلهي في مبدإ الأمر والمعادِ
لو كنت وَجِيهاً^(٣) لما بَرَّاني في عالم الكون والفسادِ

وفاته: توفي، رحمه الله، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين. ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال. وكان له يوم مشهود، وقد نيف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به.

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد]^(٤)

ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله^(٥)

الخليفة المُمْتَنِع، المَجْدُود، المَظْفَر، البعيد الذكر، الشهير الصيت.

(١) قارن بالصلة (ص ٤٣٥).

(٢) في الصلاة «وينص».

(٣) في الأصل: «وجيهاً» وهكذا ينكر الوزن.

(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصول، وقد أضفناه من المصادر التي ترجمت لعبد الرحمن الناصر.

(٥) ترجمة عبد الرحمن الناصر في تاريخ علماء الأندلس (ص ٣١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني=

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٣/ م ٢٣

حاله: كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمى أمير المؤمنين، ولي الخلافة فعلا جده، وبعد صيته، وتوطأ ملكه، وكان خلافته كانت شمساً نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السن، وجدّة العمر، فجدد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزين الملك، ووطد الدولة، وأجرى الله له من السغد ما يغظم عنه الوصف ويجلّ عن الذكر، وهياً له استئزال الثوار والمنافقين واجتثاث جرائيمهم.

بنوه: أحد عشر^(١)، منهم الحَكَم الخليفة بعده، والمنذر، وعبد الله، وعبد الجبار.

حُجَّابُه: بدر موله، وموسى بن حدير.

قضاياه^(٢): جملة، منهم: أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقي، ومنذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راض».

أُمُّه: أم ولد تسمى مُزَنَة. وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين^(٣).

دخوله إلى البيرة: قال المؤرخ^(٤): أول غزوة غزاها بعد أن استخجّب بدرًا موله، وخرج إليها يوم الخميس رابع^(٥) عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مَقْوَصًا إليه، ومُستدعيًا نصره، واستتلاف الشاردين، وتأمين الخائفين، إلى ناحية كورة جيان، وحصن المُتَلَوْن، فاستنزل منه سعيد بن هذيل، وأتاب إليه مَنْ كان نافراً عن الطاعة، مثل ابن اللَّبَّانة، وابن مَسْرَّة، ودحون الأعمى. وانصرف إلى قرطبة، وقد تجرّول، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان، وبسطة، وناجرة، والبيرة، وبجانة،

= (ص ٢٨) والحلة السيرة (ج ١ ص ١٩٧) وأخبار مجموعة (ص ١٣٥) وجذوة المقتبس (ص ١٢) وبغية الملتبس (ص ١٧) والمعجب (ص ٥٤) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٧٩) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٩٨) والمغرب (ج ١ ص ١٨١) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩٣) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٧) وصفحات متفرقة من نفع الطيب.

(١) أي أحد عشر ذكرًا، كما جاء في الجمهرة. (٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦).

(٣) الصواب مستهل ربيع الأول سنة ثلاثمائة، كما جاء في مصادر ترجمته.

(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦١).

(٥) في البيان المغرب: «يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت...».

والْبَشْرَة، وغيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. وعلى عهده توفي ابن حَفْصُون^(١). وجرت عليه هزيمة الخَنْدُق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة^(٢)، وطال عمره، فملك نيَقًا وخمسين سنة، ووجد بخطه: أيام السُرور التي صَفَتْ لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا، فَعُدَّت، فوجدت أربعة عشر يومًا.

وفاته: في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة^(٣).

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية^(٤)
يكنى أبا المَطْرَف، ويلقب بالْمُرْتَضَى.

حاله وصفته: كان أبيض أشقر أفتى، مخفّف البدن، مدوّر اللحية، خيرًا، فاضلاً، من أهل الصلاح والتقى، قام بدولته خيرًا العامري، بعد أن كثر السؤال عن بني أمية، فلم يجد فيهم أسدى للخلافة منه، بورعه وعفافه ووقاره، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده، فاستجاب الكل إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاء والشيوخ وجعلوها شورى، وانصرفوا يريدون قرطبة، وبدأوا بصنّهاجة بالقتال، فكان نزوله بجبل شقشتر على محجة واط.

وفاته: ^(٥) يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمائة. وكانت الهزيمة على عساكر المُرْتَضَى، فتركوا المحلات وهربوا، وقُسى فيهم القتل، وظفّرت صنّهاجة من المتاع والأموال بما يأخذه الوصف، وقُتل المُرْتَضَى في تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، وقد بلغ سنّه نحو أربعين.

(١) توفي عمر بن حفصون سنة ٣٠٦ هـ.

(٢) جاء في أخبار مجموعة (ص ١٣٧) أن الناصر هزم عام ٣٢٦ هـ في غزاة اسمها القُدرة، أتبع هزيمة، لم تكن له بعدها غزوة بنفسه.

(٣) في الحلة السيرة: توفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ.

(٤) ترجمة المرتضى في جذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتبس (ص ٢٧) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ٥٨) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠١) والمعجب (ص ٩٨) والكمال في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١) وأعمال الأعلام - القسم الثاني (ص ١٣٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٣٧) وفيها اسم جده: «عبد الملك» بدلًا من «عبد الله»، والمغرب (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢١) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٣) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩).

(٥) هنا نقص كلمة وهي تعيين اليوم الذي توفي فيه المرتضى، وعن ذلك قارن: بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٦) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٣١، ١٣٨، ٢٢٩). وجاء في الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١): توفي المرتضى سنة ٤٠٧ هـ.

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس^(١)

يكنى أبا المُطَرِّف، وقيل: أبا زيد، وقيل: أبا سليمان، وهو الداخل إلى الأندلس، والمُجَدِّدُ الخلافة بها لذريته، والملقَّبُ بصُفْرَ بني أمية^(٢).

حاله: قال ابن مفرج: كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذَّ العزم، بريئاً من العجز، مستخفاً للثقل، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يَخْلُدُ إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يَكِلُ الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه. وعلى ذلك فكان شجاعاً، مقداماً، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، بليغاً، مَقْوَّهاً، شاعراً مُحَسِّناً، سَمَحاً، سَخِيّاً، طَلَقَ اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، وَيَغْتَمُّ به ويؤثره. وكان أُعْطِيَ هَيْبَةً من وليه وعدوه لم يُغَطِّها واحد من الملوك في زمانه. وقال غيره: وألقى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغراً مِنْ أُنْأَى الثغور القاصية، غُفْلاً من سَمَةِ المُلْكِ، عاطلاً من جَلِيَةِ الإمامة، فَأَزْهَبَ أهله بالطاعة السلطانية، وحركهم بالسيرة الملوكية، ورفعهم بالآداب الوسطية، فالبسهم عمّا قريب المؤدّة، وأقامهم على الطريقة. وبدأ يدوّن الدواوين، وأقام القوانين، ورفع الأواوين، وقَرَضَ الأعطية، وأنقذ الأفضية، وعقد الألوية، وجنّد الأجناد، ورفع العِماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للمُلْكِ آله، وأخذ للسلطان عُدَّتَه.

نبذة من أوليته: لما ظهر بنو العباس بالمشرق، ونجا فيمن نجا من بني أمية، معروفاً بصفته عندهم، خرج يُؤمُّ المغرب لأمرٍ كان في نفسه، من مُلْكِ الأندلس، اقتضاه جذّان، فسار حتى نزل القَيْرُوان، ومعه بَذْرُ مولاة، ثم سار حتى لحق بأخواله من يَنْفَرَةِ، ثم سار بساحل العُدوة في كنف قوم من زَناتة، وبعث إلى الأندلس بدرّاً، فدخل له بها مَن يُوثق به، وأجاز البحر إلى المُنْكَب، وسأل عنها، فقال: نَكَبُوا عنها، ونزل بشاط من أحوازها، وقدم إليه أولو دعوته، وعقد اللّوا،

(١) ترجمة عبد الرحمن الداخل في أخبار مجموعة (ص ٤٩) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٦) وجذوة المقتبس (ص ٨) وبغية الملتبس (ص ١٢) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٦) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٤٨) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٦٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٤٧) والحلة السيرة (ج ١ ص ٣٥) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٢) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩١) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٤٥) وصفحات أخرى متفرقة.
(٢) لقيه في المصادر التي ترجمت له هو: «صقر قريش».

وقصد قرطبة في خبر يَطُول، وحروب مُبيرة، وهزم يوسف الفهري، واستولى على قرطبة، فبُوع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

دخوله للبيرة: قالوا: ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري، لحق بالبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وأحاط به، فنزل على صلح، وانعقد بينهما عقد، وزهته يوسف ابنته؛ أبا زيد وأبا الأسود، وشهد في الأمان وجُوه العسكر، منهم أمية بن حمزة الفهري، وحبيب بن عبد الملك المرواني، ومالك بن عبد الله القرشي، ويحيى بن يحيى اليحصبي، ورزق بن الثعمان الغسالي، وجدار بن سلامة المذحجي، وعمر بن عبد الحميد العبدري، وثعلبة بن عبيد الجذامي، والحريش بن حوار السلمي، وعثاب بن علقمة اللخمي، وطالوت بن عمر اليحصبي، والجراح بن حبيب الأسدي، وموسى بن خالد، والحُصَيْن بن العقيلي، وعبد الرحمن بن منعم الكلبي، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء ليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة. نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، ووجب ذكره، فاجتزأت بذلك، فرازا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، والإحاطة لله.

بلاغته ونشره وشعره: قال الرّازي: قام بين يديه رجل من جند قنّسرين، يستنجد به، وقال له: يا ابن الخلائف الراشدين والسّادات الأكرمين، إليك فَرَزْنَا، وبك عُذْتُ من زَمَنِ ظُلوم، ودهرٍ غشوم قُلَّ المال، وذهب الحال، وصيّر إليّ بذاك المنال، فأنت وليّ الحمد، وزبى المجد، والمزجو للرفد. فقال له ابن معاوية مسرعا: قد سمعنا مقالتك، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصرّيح المسألة، والإلحاف في الطّلبة، وإذا ألمّ بك خَطْبٌ أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدو ذكيا، تُسَرُّ عليك جِلَّتْكَ، وتكفُّ شماتة العدو بك، بعد رَفَعها إلى مالِكنا ومالِكها عن وجهه، بإخلاص الدّعاء، وحسن النية. وأمر له بجائزة حسنة. وخرج الناس يعجبون من حسن منطقته، وبراعة أدبه.

ومن شعره: قوله، وقد نظر إلى نخلة بمُنية الرُّصافة، مُفَرِّدة، هاجت شَجَنه إلى تذكر بلاد المشرق^(١): [الطويل]

تَبَدُّثْ لَنَا وَسَطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ تناءث بأرض الغَرْبِ عن بلد النُّخْلِ

(١) الأبيات في الحلة السيرة (ج ١ ص ٣٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٦٠) ونفع الطبيب (ج ٤ ص ٤٦).

فقلت: شبيهي في التغرب والثوى وطول الثنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمُنتأى مثلي
سقتك^(١) غواصي المزن من صوبها^(٢) الذي يسح ويستمري^(٣) السماكين بالوبل

وفاته: توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر^(٤) سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو ابن تسعة وخمسين عامًا، وأربعة أشهر، وكانت مدة ملكه ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر^(٥)، وأخباره شهيرة.

وجرى ذكره في الرجز المسمى بقطع السلوك، في ذكر هذين من بني أمية،
قولي في ذكر الداخل: [الرجز]

وغمر الهول كقطع الليل وبفتنة الفهري والصميل
وجلت الفتنة في أندلس فأصبحت فريسة المفترس
فأسرع السير إليها وابتدز وكل شيء بقضاء وقدر
صقر قريش عابد الرحمن وباني المعالي لبني مروان
جدد عهد الخلفاء فيها وأسس الملك لمثرفيها
ثم أجاب داعي الحمام وخلف الأمر إلى هشام
وقام بالأمر الحفيد الناصر والناس مخضوون بها وحاصر
فأقبل السعد وجاء التضر وعادت الأيام في شباب
سطا وأعطى وتغاضى ووفى وأوقع الروم به في الخندق
فاعد من خالف فيها واثري واتصلت من بعد ذا فتوح
فاغتنموا السلم لهذا الحين ووصلت إرسال قنطنطين
وأصبح العدو في تباب وكلمنا أقدره الله عفا
وحارب الكفار دأبا وغزا فانقلب الملك بسغي مخفي
تغدو على مثواه أو تزوح وتغلبت إرسال قنطنطين

(١) في البيان المغرب: «سقاك».

(٢) في النفع: «في المنتأى» بدلًا من: «من صوبها».

(٣) في الأصل: «ويستمرى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

(٤) في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٠٣): «توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة».

(٥) جاء في كتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٩) أن مدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة.

وساعد السَّعْدَ فَنالَ واقتنى
ثم بنى الزُّهْرَا فِيمَا قَدْ بَنَى
حتى إِذَا مَا كَمُلْتَ أَيَّامُهُ
سبحان مَنْ لَا يَنْقُضِي دَوَامُهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَةَ وأعيانها، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحكيم، وجدّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم، وقد تقدم ذكر جُمْلَةٍ من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه الله، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض والعزلة، مجانبًا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعِفَّة، مَرْضِي الحال، معدودًا في أهل الثَّراهة والعدالة، وأفرط في باب الصَّدقة بما انقطع عنه أهل الإثراء من الْمُتَصَدِّقِينَ، ووقفوا دون شَأْوه. ومن شهر ما يُروى من مناقبه في هذا الباب، أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً، وفي ذلك يقول بعض أدبائه عصره:

أعتق بكل عُضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً واعتد ذلك دُخْرًا لِيَوْمِ الْعَقَبَةِ
لا أَجْدُ مَنْقَبَةً مِثْلَ هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ

مُشِيخَتُهُ: روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرَال، وعن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الزهري، وأبي البركات بن مَوْدُود الفارسي، وأبي الحسن الدُّبَّاج، سمع من هؤلاء وأجازوا له. وأجاز له أبو أمية بن سعد السُّعُود بن عُفَيْر، وأبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطَّاب بن خليل، يَطْنُب في الثناء عليه، ووقفت على ما خاطبه به معربًا عن ذلك.

شعره: منقولاً من «طُرْفَةِ العصر» من قصيدة يرَدُّها المؤذنون منها:

[البسيط]

كم ذَا أَعْلَلَ بِالتَّسْوِيفِ وَالْأَمَلِ قلبا تغلَّبَ بَيْنَ الْوَجْدِ وَالْوَجَلِ
وكم أَجْرَدَ أَذْيَالُ الصُّبَا مَرَحًا فِي مَسْرَحِ اللُّهُوِّ وَفِي مَلْعَبِ الْغَرَلِ
وكم أَمَاطِلُ نَفْسِي بِالْمَتَابِ وَلَا عَزَمَ فَيُوضِحُ لِي عَنْ وَاضِحِ السُّبُلِ
ضَلَلْتُ وَالْحَقُّ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ شَتَّانَ بَيْنَ طَرِيقِ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ

وفاته: يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين

وستمائة.

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي^(١)

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن القَرس، ويُلقَّب بالمُهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان^(٢) فقيهاً جليلاً القدر، رفيع الذَّكر، عارفاً بالنحو واللغة والأدب، ماهر^(٣) الكتابة، رائق الشعر، بديع التَّوشيح، سريع البديهة، جارياً على أخلاق الملوك في مَزَكبه وملبسه وزِيَّه. قال ابن مسعدة^(٤): وطىء من درجات العزِّ والمجد أعلاها، وفرع من الأصالة مُنتماها. ثم علت همَّته إلى طلب الرُّئاسة والمُلْك، فارتحل إلى بلاد العُدوة، ودعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخَلْقُ الكثير، والجُمُ الغفير، ودَعُوهُ باسم الخليفة، وحيَّوه بتحية الملك. ثم خائشه الأقدار، والدهر بالإنسان غدار، فأحاطت به جيوش الناصر^(٥) بن المنصور، وهو في جيش عظيم من البربر، فقطَّع رأسه، وهزَم جيشه، وسبق إلى باب الخليفة، فعلق على باب مَرَاكش، في شبكة حديد، وبقي به مدة من عشرين سنة^(٦).

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نبهاء وقته لولا حدة كانت فيه أدت به إلى ما حدثني به بعض شيوخه من صحبه. قال: خرجنا معه يوماً على باب من أبواب مراكش برسم الفُزجة، فلما كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس مُعلَّقة، وتعوذنا بالله من الشرِّ وأهله، وسألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منا، وقال: هذا خَوَرُ طريقة وخَساسة هُمة، والله ما الشرف والهِمة إلَّا في تلك، يعني في طلبِ الملك، وإنَّ أدنى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصِّفة. قال: فما برحت الليالي والأيام، حتى شرع في ذلك، ورام الثورة، وسبق رأسه إلى مراكش، فعلق في جملة تلك الرؤوس، وكتب عليه، أو قيل

(١) ترجمة عبد الرحيم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ٦٠) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧٠) والمغرب (ج ٢ ص ١١١، ١٢٢) وكتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٢) وبغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٢) قارن بغية الوعاة (ص ٣٠٥). (٣) في البقية: «باهر».

(٤) ابن مسعدة: هو أحد شيوخ عبد الرحيم الخزرجي، وقد أخذ عنه النحو. بغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٥) هو الخليفة الموحي محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

(٦) جاء في بغية الوعاة أن رأسه قُطع وعلِّق على باب مراكش في سنة إحدى وستمئة، وهو ابن ست وثلاثين سنة. وجاء في التكملة والحلة السيرة أنه قتل في نحو الستمئة.

فيه : [الطويل]

لقد طَمَح المَهر الجُمُوح لغاية فقطع أعناق الجِياد السَّوابقِ
جَرى وَجَرَتْ رِجْلاه لَكُنْ رأسه أتى سابقًا والجسم ليس بسابقِ
وكانت ثورته ببعض جهات دَزَعَة من بلاد السُّوس .

مُشِيخته : أخذ عن صِهره القاضي أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم ، وعن غيره من أهل بلده ، وتفقه بهم ، وبهر في العَقَلِيَّات والعلوم القديمة ، وقرأ على القاضي المحدث أبي بكر بن أبي زَمَين ، وتلا على الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن عروس ، والأدب والنحو على الأستاذ الوزير أبي يحيى بن مَسْعُدة . وأجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العطار . ومن شعره في الثورة^(١) : [البسيط]

قولوا لأولاد^(٢) عبد المؤمن بن علي تأمبوا لوقوع الحادثِ الجَلَلِ
قد جاء^(٣) فارس^(٤) قَظْطَانٍ وَسَيِّدُهَا^(٥) ووارثُ المُلْكِ^(٦) والعَلَابُ للدولِ

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي : [الكامل]

الله حَسْبِي لا أريد سواه هل في الوجود الحق إلا الله؟
ذات الإله بها تقوم دولتنا^(٧) هل كان يوجد غيره لولاه؟
يا من يَلُود بذاته أنت الذي لا تطمع الأبصار في مَرَاه
لا غرو أنا قد رأيناه بها فالحق يُظْهِرُ ذَاتَهُ وتراه
يا من له وَجِبَ الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقياه
أنت الذي لَمَّا تعالى جدُّه قَصُرَتْ خطا الألباب دون حماه
أنت الذي امتلأ الوجود بحَمْدِه لَمَّا غدا ملآن من نُعماء
أنت الذي اخترع الوجود بأسره ما بين أعلاه إلى أدناه

(١) البيتان ضمن أربعة أبيات، في المغرب (ج ٢ ص ١١١) وجاء فيه أنه يخاطب فيها بني عبد المؤمن. وهي كذلك في كتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٣) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧١).

(٢) في كتاب العبر والحلة السيرة: «الأبناء». (٣) في الحلة السيرة: «أناكم».

(٤) في كتاب العبر والمغرب: «سيد». وفي الحلة السيرة: «خير».

(٥) في المغرب والحلة السيرة: «وعالمها». وفي كتاب العبر: «وعاملها».

(٦) في كتاب العبر والمغرب: «ومتهى القول». وفي الحلة السيرة: «وصاحب الوقت».

(٧) كذا ينكسر الوزن، ولو قال: «دولة» لَصَحَّ الوزن.

أنت الذي خَصُّصْتَنَا بوجودنا أنت الذي عَرَّفْتَنَا معناه
 أنت الذي لو لم تَلُغْ أنواره لم تُعَرِّفِ الأضدادَ والأشباه
 لم أَفْشِ ما أَوْدَعْتَنِيهِ إِنَّهُ ما صان مِرُّ الْحَقِّ مَنْ أَفْشَاهُ
 عَجِزَ الْأَنَامُ عَنْ امْتِداحك إنه تتضاءل الأفكار دون مداه
 مَنْ كان يعلم أنك الحقُّ الذي بَهَرَ العقولَ فَحَسْبُهُ وكفاه
 لم ينقطع أحد إليك محبَّةً إِلَّا وأصبح حامداً عُقْبَاهُ

وهي طويلة.....

(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، ويعرف بابن القصجة.

عديم رواء الحسن، قريب العهد بالنجعة، فارق وطنه وعيصره، واستقبل المغرب... الوفاة، وقدم على الأندلس في أخريات دولة الثاني^(٢) من الملوك النصرين، فمهد جانب البر له، وقرب مجلسه، ورعى وسيلته، وكان على عمل بر من صوم واعتكاف وجهاد.

نبأته: ووقف بي ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رسالة كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثاني الملوك النصرين، رحمهم الله، وعبر فيها عن نفسه: من عبد الله، المؤيد بالله، محمد بن سعد الحرمني، في غرض المواصله والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه الله، من فصولها: «ثم أنكم، رضي الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأويعتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام». وهي طويلة وتحمدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة.

وفاته: توفي شهيداً في الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريخ لإنجاده، ورفع العدو البرجلوني عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة.

(١) مكان البياض عنوان المترجم له، واسمه، كما سيأتي، محمد بن سعد الحرمني.

(٢) ثاني سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء

من ترجمة الطارئین منهم

عبد الرحمن^(١) بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أصبغ بن حسن^(٢) بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي

مالقي، يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شهر
بالسُهيلي.

حاله: كان مُقرئًا مجوّدًا، متحقّقًا بمعرفة التفسير، غوّاصًا على المعاني البديعة،
ظريف التّهديّ إلى المقاصد الغريبة، محدّثًا، واسع الرواية، ضابطًا لما يحدث به،
حافظًا متقدّمًا، ذاكرًا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرّزًا في الفهم، ذكيًا،
أديبًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدًا، نحويًا، عارفًا، بارعًا، يَقْظًا، يَغْلِبُ عليه عِلْمُ العربية
والأدب. استدعي آخرًا إلى التدريس بمراكش، فانتقل إليها من مالقة، محلّ إقرائه،
ومتبّوًا إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلامذته^(٣) بالحرّمين على خال أبيه الخطيب أبي الحسن بن عباس،
وبالسّنع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن غلاء، وأبي العباس بن
خلف بن رّضي، وروى عن أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قُثْلَة، وأبي
الحسن شريح، وابن عيسى، ويونس بن مُغيث، وأبي الحسن بن الطّراوة، وأكثر عنه
في علوم اللسان، وأبي عبد الله حفيد مكّي، وابن أخت غانم، وابن مُعَمَّر، وابن
نجاح، وأبي العباس بن يوسف بن يُنن الله، وأبوي القاسم ابن الأبرش، وابن
الرّمّاك، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دَحْمان، وأبوي مروان بن بُونَة، وأبي
عبد الله بن بَحر. وناظر في «المدوّنة» على ابن هشام. وأجاز له ولم يلقّه أبو العباس
عبّاد بن سرحان، وأبو القاسم بن وُزد.

(١) ترجمة عبد الرحمن الخثعمي في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) والتكملة (ج ٣ ص ٣٢) والمطرب
(ص ٢٣٠) والمغرب (ج ١ ص ٤٤٨) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩) وزاد المسافر (ص
٩٦) والديباج المذهب (ص ١٥٠) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٢٧١) والفلاكة والمفلوكون
(ص ١١٥) وبغية الرعاة (ص ٢٩٨) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ١٠٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص
٣١٦).

(٢) في وفيات الأعيان: «حسين».

(٣) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٢) وبغية الرعاة (ص ٢٩٩).

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه أبو إسحق الزوالى، وأبو إسحق الجاني، وأبو أمية بن غفيرة، وأبو بكر بن دحمان، وابن قنتال، والمحمدون ابن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جو يحمات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحقار وسهل بن مالك، وابن العقاص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السراج، وأبو سليمان بن حوط الله، والسماثي، وابن عياش الأندلسي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رُشيد، وابن ناجح، وابن جَمْهُور، وأبو عبد الله بن عياش الكاتب، وابن الجذع، وأبو علي الشلوبين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بَقِي، وأبو القاسم بن الطنلسان، وعبد الرحيم بن الفرس، وابن المَلْجُوم، وأبو الكرم جُودِي، وأبو محمد بن حوط الله، إلى جملة لا يحصرها الحد.

دخل غرناطة، وكان كثير التأمل والمدح لأبي الحسن بن أضْحَى، قاضيه ورئسها^(١)، وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرخ في الغرناطيين، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عَمَّن يثق به.

تواليفه: منها كتاب «الشريف»^(٢) والإعلام، بما أنبهم في القرآن من أسماء الأعلام. ومنها شرح آية الوصية، ومنها «الروض الآنف»^(٣) والمشرع الرّوا، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واختوى. وابتدأ إملأه في محرم سنة تسع وستين وخمسائة، وفرغ منه في جمادى منها. ومنها «جلية الثبيل»، في معارضة ما في السبيل. إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القطان، قال: أنشدني أبو علي الرندي، قال: أنشدني أبو القاسم الشهيلي لنفسه^(٤): [الطويل]

أسائلُ عن جيرانه مَنْ لَقِيَتْهُ وأعرضُ عن ذكره والحالُ تَنطَلِقُ

(١) هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضْحَى، من بيت عظيم بغرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٣٩ هـ. توفي سنة ٥٤٠ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

(٢) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩): «التعريف... من الأسماء الأعلام». وفي التكملة (ج ٣ ص ٣٣): «التعريف... القرآن العزيز من الأسماء الأعلام». وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «التعريف... من الأسماء والأعلام».

(٣) هكذا في التكملة، وفي وفيات الأعيان وبغية الوعاة والمغرب: «الأنف».

(٤) البيتان في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣١٧).

وما لي إلى جيرانه مِنْ صِباة ولكن قلبي^(١) عن صُبوح يوقق^(٢)
ونقلت من خطّ الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم
السُّهيلي، مذيلاً بيت أبي العافية في قطعة لزومية: [الطويل]

ولما رأيت الدهر تسطو خطوبه بكل جليل في الوري أو هداني^(٣)
ولم أر من جزز الود بظله ولا من له بالحداث يداني
فرغيت إلى من ملك^(٤) الدهر كفه ومن ليس ذو ملك له بمران
وأعرضت عن ذكر الوري متبرماً إلى الرب من قاص هناك ودان
وناديت سرّاً ليرحم عبّرتي وقلت: رجائي قادني وهداني
ولم أذعه حتى تطاول مفضيلاً عليّ بلإهام الدعاء وعان
وقلت: أَرْجِي عطفه متمثلاً ببیت لعبد صائل برّدان^(٥)
تغطيت من دهري بظل جناحه عسى أن ترى^(٦) دهري وليس يراني
قلت: وما ضره، غفر الله له، لو سلّمت أبياته من «برّدان»، ولكن أثبت صناعة
النحو إلّا أن تخرج أعناقها.

ومن شعره قوله: [المقارب]

تواضع إذا كنت تبغي العلا وكُنْ^(٧) راسياً عند صفو الغضب
فخفّض الفتى نفسه رفعة له واعتبر برُسوب الذهب

وشعره كثير، وكتابته كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

وقال ملفزاً في محمل الكتُب، وهو مما استحسن من مقاصده: [الخفيف]

حاملٌ للعلوم غير فقيه ليس يرجو أمراً ولا يتثقيه
يحمل العلم فاتحاً قدميه فإذا انضمتا^(٨) فلا علم فيه

(١) في النسخ: «نفسى».

(٢) في بغية الملتمس: «يرقق». وفي النسخ: «ترقق».

(٣) في الأصل: «وهدان» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «تملك»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) عجز هذا البيت منكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «فعمى ترى...» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وكنت»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٨) في الأصل: «التقتا» وكذا ينكسر الوزن. وكلاهما بمعنى.

ومن ذلك قوله في المجينات^(١): [الكامل]

شَفَّ الفؤادَ نواعِمَ أبكارٍ بَرَدَتْ فؤادَ الصَّبِّ وَهَيَّ جِرَارُ
أَذكى من المِسْكِ الفتيق^(٢) لناشِقٍ والدُّ من صَهْبَاءٍ حين تُدارُ
وكان^(٣) من صافي اللُّجين بطونها وكأئما ألوانُهُنَّ نُضارُ
صَفَّتِ البواطنُ والظواهرُ كلها^(٤) لكنْ حَكَّتْ ألوانُها الأزهارُ
عجبا^(٥) لها وهي النعيم تصوغها نارُ، وأين من التَّعيم النارُ؟

ومن شعره وثبت في الصُّلة: [المتقارب]

إذا قلتَ يوماً: سلام عليك ففيها شِفَاءٌ وفيها سَقام
شِفَا إذ قلْتُها مُقْبِلاً وإن قلْتُها مُذْبِراً فالجِمام
فاعْجَب لحال اختلافيهما وهذا سلامٌ وهذا سلامٌ

مولده: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة^(٦).

وفاته: وتوفي في مراكش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين وخمسمائة^(٧)، ودفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج مراكش، وكان قد عمي سبعة عشر^(٨) عاماً من عمره.

عبد الرحمن بن هانيء اللخمي

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقند من قرى إقليم غرناطة.

(١) الأبيات في المطرب (ص ٢٣٧). والمجينات: نوع من القطائف يضاف إليه الجين ويقلى بالزيت.

(٢) في الأصل: «العتيق لنا نَشَقًا والدُّ من صَبَا...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المطرب.

(٣) في المطرب: «فكانما صافي اللجين قلوبها».

(٤) في المطرب: «يثلها». (٥) في المطرب: «عجب».

(٦) في التكملة (ج ٣ ص ٣٣): ولد سنة ٥٠٩، وقيل: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة. وفي وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٢٠): «ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة». ومثله جاء في المطرب (ص ٢٣).

(٧) في بغية الملتبس: توفي سنة ٥٨٣ هـ.

(٨) في الأصل: «عشرة» وهو خطأ نحوي. وفي بغية الرعاة (ص ٢٩٩): «وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة».

حاله: كان فقيهاً فاضلاً، وتجوّل في بلاد المشرق. قال: أنشدني إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاء ليس يُشبهه بلاء عداوة غير ذي حَسَبٍ ودين
يُنيلك منه عِزًّا لم يَصُنْه وَيَزْتَعُ منك في عِزِّ مَصُونٍ

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن القصير^(٢).

حاله: كان^(٣) فقيهاً [مشاوراً، رفيع القدر جليلاً]^(٤)، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة، نقاداً لها، صاحب رواية وإدراية، تقلّب ببلاد الأندلس، وأخذ الناس عنه بمزنية وغيرها. ورحل إلى مدينة فاس، وإفريقية، وأخذ بها، ووُلّي القضاء بتقرش^(٥) من بلاد الجريد.

مشيخته: روى^(٦) عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد، وعن عمّه أبي مروان، وعن أبوي الحسن بن دُرّي، وابن الباذش، وأبي الوليد بن رُشد، وأبي إسحق بن رشيق الطليطلي، نزيل وادي آش، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن وهب^(٧)، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأبي الحسن يونس بن مغيث، وأبي القاسم بن وزد، وأبي بكر بن مسعود الخشني، وأبي القاسم بن بقي، وأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، وغيرهم.

تأليفه^(٨): له تواليف وخطب ورسائل ومقامات، وجمّع مناقب مَنْ أذكره من أهل عصره، واختصر كتاب الجمل^(٩) لابن خاقان الأصبهاني، وغير ذلك، وألّف برنامجاً يضم رواياته.

مَنْ روى عنه: روى عنه ابن الملجوم^(١٠)، واستوفى خبّره.

- (١) ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الأزدي في التكملة (ج ٣ ص ٣٠) والديباج المذهب (ص ١٥٢) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٤) وجذوة الاقتباس (ج ٢ ص ٣٩٤ رقم ٣٩٨).
- (٢) في جذوة الاقتباس: «ابن النصير».
- (٣) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٤) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من أزهار الرياض.
- (٥) في الأزهار: «وُلّي قضاء تَقْيُوس، ببلاد الجريد».
- (٦) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٧) في المصدرين: «موهب».
- (٨) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٩) في أزهار الرياض: «الجبل».
- (١٠) في أزهار الرياض: «أبو القاسم بن الملجوم».

وفاته: رَكِبَ^(١) البحر قاصداً الحج، فتوفي شهيداً في البحر؛ قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صبح يوم الأحد، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة^(٢).

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفضال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريق في العدالة، ذكي، نبيل، مُختَصِر الجِزْم، شعلة من شعل الإدراك، مليح المحاور، عظيم الكفاية، طالب مُتَقِن. قرأ على مشيخة بلده، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبي سعيد ابن لب، واستظهر من حفظه كُتُباً كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، وارتسم في العُدول، وتعاطى لهذا العهد الأدب، فبرز في فنه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه ونثره، قوله يخاطب الكتاب، ويُسحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعل نسيَمَ الريح يَسْري عَلَيَّه	فأهدي صحيح الود طي سقيم
لتحملها عني وأزكى تحية	لقيت ^(٣) كهف مابيع وزقيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى	وشوق إليهم مُقْعِد ومقيم

يا كُتَّاب المحل السامي، والإمام المُتَسامي، وواكف الأدب البسامي، أناشدكم بانتظامي، في محبتكم وارتسامي، وأقسم بحقكم عليّ وحبذا إقسامي، ألا ما أمددتم بأذهانكم الشاقبة، وأسعدتم بأفكاركم الثيرة الواقعة، على إخراج هذا المُسمّى، وشرح ما أبهمه المُعَمّى، فلعمري لقد أحرقت مزاجي، وفرقت امتزاجي، وأظلم به وإهاجي، وغطى على مرآة ابتهاجي، فأعينوني بقوة ما استطعتم، وأقبطوني من مددكم ما قطعتم، وآتوني بذلك كله إعانة وسداً وإلاّ فيها هو بين يديكم ففكّوا غلقه، واسرّدوا خلقه، واجمعوا مُضْغَه المتباينة وعلقه، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته، مُتَصِفاً بصفاته المذكورة ولذاته، قائلاً بتسليهِ أسلوباً، مُصحفاً كان أو مقلوباً. وإن تأبى عليكم وتمنع، وأدركه الحياء فستُر وتقع، وضرب على أذان الشهداء، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء، فانبعثوا أحدكم إلى

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠).

(٢) في التكملة: «فاستشهد بمرسى تونس في آخر سنة ١٥٧٦».

(٣) في الأصل: «لقيته كهف» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

المدينة، ليسأل عنه خديته: [المتقارب]

أحاجي ذوي العلم والحلم ممن
عن اسم هو الموت مهما دنا
لذيذ وليس بذى طعيم
وأطيب ما يجتنبه الفتى
مضجعه عشر الثلث في
وإن شئت قل: مَطْعَمُ ذمّه الر
وقد جاء في الذّكر إخراج
وتصحيف ضد له آخر
وتصحيف مَقْلُوبه ربه
فهاكم معانيه قد بدت

تري شغلة الفهم من زنديه
وإن بات يُبْكَى على فقديه
ويؤمر بالغسل من بعده
لدى ربة الحسن أو عبده
حساب المصحف من خذه
رسول وحض على بُغده
لقوم نبي على عهده
يُبارك للتحل في شهنده
تردد من قبل في رده
كنار الكريم على نخده

وكتب للولد، أسعده الله، يتوسل إليه، ويروم قضاء حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تصدق
عند ربّ الوزارتين أطال الـ
عله أن يجيرني من زمان
واستطالت عليّ بالنّهب جوراً
لم تدع لي بضاعة غير مُزجا
وإذا ما وقى لي الكيل يوما
فشفى بي غليله لا شفى بي
من لهذا الزمان مُذ نال مني
غير أن يشفع الوزير ويذعو^(١)
دُمّت يا ابن الوزير في عزك السا

في المقام العليّ لي بالوسيلة
له أيامه حسائاً جميلة
مسنّي الضر من خطاه الثقيلة
من يديه الخفيفة المُستطيلة
ونزّر أهون به من قليلة
خشفاً ما يُكيّله سوء كيّله
دون أبنائه الجميع غليلة
ليس لي بالزمان والله جيلة
عبده أو خديمه أو خليلة
مي ودامت به الليالي كفيلة

سيدي الذي بعزة جاهه أصول، ويتوسلي بعنائه أبلغ المأمول والسؤل، وأروم
لما أنا أحوم عليه الوصول، ببركة المشفوع إليه والرسول، المرغوب من مجدك
السامي الصريح، والمؤمل من ذلك الوجه السني الصبيح، أن تقوم بين يدي نجوى
الشفاعة، هذه الرقاعة، وتعين بذاتك الفاضلة النقاة، من لسانك مضقاعة، حتى

(١) في الأصل: «ويذعو».

يَنجَلِي حَالِي عَنْ بَلَجٍ، وَأَتَنَسُّمُ مِنْ مَهَبَّاتِ الْقَبُولِ طِيبِ الْأَرْجِ، وَتَتَطَّلَعُ مُسْتَبْشِرَاتِ
فَرْحَتِي مِنْ ثَنِيَّاتِ الْفَرْجِ، فَإِنَّ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى، وَمَلَاذَ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ وَفَخْلَهَا
الْأَجْلَى، فَسَّحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِيدَانِ هَذَا الْوُجُودِ بَوُجُودَهُ، وَأَضْفَى عَلَى هَذَا الْقَطَرِ
مَلَابِسَ السُّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّدِيدِ وَسُعُودِهِ، وَبَلَغَهُ فِي جَمِيعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ وَمَقْصُودِهِ، قَلَمًا
تَضْمِيحٍ عِنْدَهُ شِفَاعَةُ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ، أَوْ يَخِيبُ لَدَيْهِ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعٍ كَبِدِهِ،
وَبِحَقِّكَ إِلَّا مَا أَمَرْتَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ، بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزُّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةِ،
وَقُلْ لَهَا قَبْلَ الْحُلُولِ بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، وَالْمَوْئِلِ الرَّحِيمِ، بِعَظِيمِ التَّوْقِيرِ
وَالْتَّبَجِيلِ، وَاعْلَمِي يَا أَيْتَهَا السَّائِلِ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمُؤْمَلُ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا
الْجِيلِ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ فِي تَبْلِيغِ رَاجِيهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعْجِيلِ، وَخَاتَمَةِ كَلَامِ
الْبَلَاغَةِ وَتَمَامِ الْفَصَاحَةِ الْمُؤَقَّفِ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّسْجِيلِ، وَغُرَّةِ صَفْحِ دِينِ الْإِسْلَامِ
الْمُؤَيَّدَةِ بِالتَّحْجِيلِ. وَهَذَا هُوَ مَذْبَرُ فَلَكَ الْخِلَافَةُ الْعَالِيَةُ بِإِيَالَتِهِ، وَحَافِظُ بَذَرِ سَمَائِهَا
السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ، فَقَرِّي بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا، وَلَقَدْ قَضَيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِذَلِكَ دَيْنًا، وَإِذَا
قِيلَ مَا وَسِيلَةُ مُؤْمَلِّكَ، وَحَاجَةُ مُتَوَسِّلِكَ، فَوْسِيلَتُهُ تَشْيِيعُهُ فِي أَهْلِ ذَلِكَ الْمَعْنَى،
وَحَاجَتُهُ يَتَكَفَّلُ بِهَا مَجْدُكُمْ الصَّمِيمِ وَيُغْنَى، وَلَيْسَتْ تَكُونُ بِحُزْمَةٍ جَاهِكُمْ مِنَ الْعَرَضِ
الْأَدْنَى، وَتَمَنُّ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ هُنَالِكَ مَا تَمَنَّى، وَتَوَلَّى تَكْلِيفَ مَرْسَلِي بِحَسَبِ مَا
وَسَّعَكُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَغْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ. ثُمَّ أَثْنُ الْعِنَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانِ، وَأَعِيدِي السَّلَامَ،
ثُمَّ عَوْدِي بِسَلَامٍ.

وخطب قاضي الحضرة، وقد أنكر عليه لباس ثوب أضفر:

أَبْقَى اللَّهُ الْمَثَابَةَ الْعَلِيَّةَ وَمَثَلَهَا أَعْلَى، وَقَدْخَهَا فِي الْمَغْلُوتَاتِ الْمُعْلَى، مَا لَهَا أَمَرَتْ
لَا زَالَتْ بِرُكَائِهَا تَنْثَالُ، وَلَا مَرٍّ مَا يَجِبُ الْإِمْتِثَالُ، بِتَغْيِيرِ ثَوْبِي الْفَاقِعِ اللَّوْنِ، وَإِحَالَتِهِ عَنْ
مُعْتَادِهِ فِي الْكَوْنِ، وَإِلْحَاقِهِ بِالْأَسْوَدِ الْجُونِ أَضْبَعُهُ جِدَادًا وَأَيَّامَ سَيِّدِي أَيَّامِ سُورٍ، وَبَنُو
الزَّمَانِ بِعَذْلِهِ ضَا حَكُّ وَمَسْرُورٍ، مَا هَكَذَا شِيَمَةُ الْبُرُورِ، بَلْ لَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَزْهَوْا لَهُ
كَالْمِيلَادِ، وَنَتَزَّيَّا فِي أَيَّامِهِ بِزَيِّ الْأَعْيَادِ، وَنَرْقُلَ مِنَ الْمَشْرُوعِ فِي مُخْبِرِ وَمَوْزُوسٍ،
وَنَتَجَلَّى فِي حُلْلِ الْعَرُوسِ، حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنُ سَيِّدِي بِكَيْبِيَّةِ دِفَاعِهِ، وَقِيَمَةِ نَوَافِلِهِ وَإِشْفَاعِهِ،
فَفِي عِلْمِ سَيِّدِي الَّذِي بِهِ الْإِهْتِدَاءُ، وَبِفَضْلِهِ الْإِقْتِدَاءُ، تَفْضِيلُ الْأَضْفَرِ الْفَاقِعِ، حَيْثَمَا
وَقَعَ مِنَ الْمَوَاقِعِ، فَهُوَ مَهْمَا خَضَرَ نَزْهَةَ الْحَاضِرِينَ، وَكَفَاهُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ.
وَلَقَدْ اغْتَمَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهِ تَطَرُّزُ الْمُخْبِرَاتِ وَالْأَعْلَامِ، وَإِنَّهُ لَزَيُّ الظُّرْفَاءِ،
وَشَارَةُ أَهْلِ الرُّفَاءِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي دَامَ لَهُ الْبَقَاءُ، وَسَاعَدَهُ الْارْتِقَاءُ، يُنْهِيَ أَهْلَ
التَّبْرِيْزِ، عَنْ مِقَارِبَةِ لَوْنِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ، خِيفَةَ أَنْ تَمِيلَ لَهُ مِنْهُمْ ضَرِبِيَّةٌ، فَيَزْنُوا بِرَبِيَّةٍ،
فَنَنْهَمُ إِذَا وَنَعْمَى عَيْنِ، وَسَمْعًا وَطَاعَةً لِهَذَا الْأَمْرِ الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ، أَتَبَعُكَ لَا زَيْدًا وَعَمْرًا،

ولا أعصى لك أمراً، ثم لا ألبس بعدها إلا طمراً، وأنجرد لطاعتك تجريداً، وأسلك إليك فقيراً ومزیداً، ولا أنعرض للسخط بليس شفيف أستنشق هباً، وألبس عباً، وأبرأ من لباس زي ينشئ عتاباً، يلقي على لسان مثل هذا كتاباً، وأتوب منه متاباً، ولولا أني الليلة صفر اليدين، ومعتقل الذنن، لباترت به من حانوت صباغ رأس خابية، وقاع مظلمة جابية، فأصيره حالكا، ولا ألبسه حتى أستفتي فيه مالكا، ولعلي أجد فأرضي سيدي بالتزيي بشارته، والعمل بمقتضى إشارته، والله تعالى يبقيه للحسنات يئبه عليها، ويومي بعمله وحظه إليها، والسلام.

وخاطبني وقد قديم في شهادة الموارث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامت لنا غايثك القُضوى بلا قوت
طلبتُ إحيائي بكم فانتهى من قبله حالي إلى الموت
وحقُّ ذاك^(١) الجاء جاء العُلا لا ميتٌ إلا أن أتى رقتي^(٢)

مولاي الذي أنادى من جُور الزمان بذيّام جلاله، وأتعوذ من نقص شهادة الموارث بتمام كماله، شهادةً يأبأها المُعسر والحي، ويؤد أن لا يوافيه أجله عليها الحي، مناقضة لما العبد بسبيله، غير مُريح قُطْميرها من قليله، فإن ظهر لمولاي إعفاء عبده، فمن عنده، والله تعالى يُمتّع الجميع بدوام سَعده، والسلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته ومجده، ورحمة الله وبركاته. من عبد إنعامكم ابن الفضال لطف الله به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا شيئاً ولا ما^(٣) وفوني بعض أقواب
فكيف حالي لما أن شكَّوْتُهُمْ رجعت أطلب قوتي عند أمواني^(٤)

والسلام يعود على جناب مولاي، ورحمة الله وبركاته.

وخاطب أحد أصحابه، وقد استخفى لأمر قُرف به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه، وفيه إشارة لغلط وقع في الإعراب: [البسيط]

يا شُغلة من ذكاء أزلت شررا إلى قريب من الأرجاء بعد قص
وشبهة حملت دعوى السّفاح على فخل يلبق به مضمونها وخص

(١) في الأصل: «ذلك»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «وقت» بدون ياء.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أموات» بدون ياء.

رحماك بي فلقد جَرَّغْتَنِي غَضْصًا أثار تعريضُها المكتوم من غَصْصٍ
بَلَيْتَنِي بِنُكَاةٍ^(١) القَرْح في كبدي كمثّل مرتجف المجدوم بالبرَصِ

أيها الأخ الذي رَقَى ومسح، ثم قَصَح، وغشَّ ونَصَح، ومَزَق ثم نَصَح، وتلاهب بأطراف الكلام المشقَّق فما أَفْصَح، ما لِسَحَاتِكَ ذات الجيد المنصوص، توهم سِمَةَ الوُدِّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النُصوص، وتؤنس على العموم، وتوحش على الخصوص، لا دَرَّ دُرُّه من باب بَرِّ ضاع مفتاحه، وتأنيس حرِّ سبق بالسجن استفتاحه، ومن الذي أنهى إلى أخي خبر ثقافي، ووثيقة تحبيسي وإيقافي، وقد أبى ذلك سَعْدُ قَرْعُهُ باسِق، وعَزَّ عِقْدُهُ متناسق. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَايِقٌ يَنْبَأُ^(٢)﴾، بل المَثْوَى والحمد لله جَنَاتٌ وغُرَف، والمُنْتَهَى مجد وشرف، فإن كان وليي مكترثًا فيحق له السُرور، أو شامِتًا فلي الظِّل وله الخُرور. أنا لا أَرُفُّ والحمد لله بها من هنا، ولما أدين بها من عَزِي ومُناه، ولا تمرُّ لي ببال فلست بذِي سيف ولست بنكال نفسي أَرْقُ شِيمَةً، وأكرم مَشِيمَةً، وعيني أغرَّرَ دِيمَةً، لو كان يُسَال لسان عن إنسان، أو مُجاولته بملعبه جَوَان، أوقفني إخوان لا بمأزق عُدوان، لارتسمتُ منه بديوان، لا يُغني في حربِ عَوَان. عين هذا الشكل والحمد لله فراره، وعنوان هذا الحدِّ غراره. وأما كوني من جملة الصُّفَرَة، وممن أجهز سيدي الفقار على ذي الفقرة، فأقسم لو ضُرب القَتِيل ببعض البَقَرَة، لتعين مقدار تلك القَفَرَة. اللهم لو كنتُ مثل سيدي ممن تتضاءل النخلة السُّحوق لقامتة، ويعترف عوجٌ لديه بقماءته ودَمَامَتِهِ، مُقبل الظُّعن كالبُدور في سحاب الخُدور، وخليفة السَّيد الذي بلغت سراويله تنذوة العدو الأيْد، لَطَلْتُ بباع مديد، وساعدني الخَلْقُ بساعد شديد، وأنا لي جسم شحت، يحف به بخت، وحَسْبُ مثلي أن يعلم في ميدان هوى تُسَلُّ فيه سيوف اللِّحَاط، على ذوي الحِفاظ، وتشرع سيوف القُدود، إلى شِكَاة الصُّدود، وتسطو أولو الجُفون السُّود بالأسود، فكيف أخشى تَبَعَةً تَزِلُّ عن صفاتي، وتنافي صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قَنَا ألفاتي. والله يشكر سيدي على اهتِياله، ويحلَّ كريم سِباله، على ما ظهر لأجلي من شَعَف باله، إذ رَفَعَ ما يُنصب، وغير ما لو غيَّره الحجاج لكان مع الهيبة يُحصب، ونكَّت بأن تَقَقَّت بالحظ سوقي، وظهر لأجله فُسوقي، ويا حَبْدًا هو من شَفيع رَفيع ووسيلة لا يخالفها الرُّغِي، ولا

(١) أصل القول: «بُنُكَاة»، وكذا ينكسر الوزن، فاقترضى حذف الهمزة، والنُّكَاة: من نَكَا القَرْحَة إذا قَشَرَهَا قبل أن تَبْرَأَ.

(٢) سورة الحُجُرَات ٤٩، الآية ٦.

يخيب لها السعي. والله ذُرُّ القائل: [الكامل]

الله بالإنسان في تعليمه بوساطة القلم الكريم عناية
فالخطُ خطٌ والكتابة لم تزل في الدهر عن معنى الكمال كناية

وما أقرب، يا سيدي، هذه الدعوى لشهامتك، وكبر هاتيك: [الكامل]

لو كنت حاضرهم بخندق بلج ولحمل ما قد أبرموه فصال
لخصّصت بالدعوى التي عُمُوا بها ولقيل: فصلّ جلاء الفصال
وتركت فرعون بن موسى عبرة تتقدّمه بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها، ولم تشهد يوم خليمتها. وأما اعتذارك عما يقلُّ من تفقد الكثر، ومُنتطح العنز، فورع في سيدي أتم من أن يُتهم بغيبة، ولسانه أعف من أن يُنسب إلى ريبة، لما اتّصل به من فضل ضريبة، ومقاصد في الخير غريبة، إنما يستخفُّ سيدي أفرط التهم، رمي العوامل بالتهم، فيجري أصحُّ مَجْرى أختها، ويلبسها ثياب تَحْتها، بحيث لا إثم يترتب، ولا هو ممن تُغيب^(١)، وعلى الرجال فجائته عذبة الجنا، ومقاصده مُستطرفة لفضح أو كنى. أبقاه الله رب نفاضة وجردة، ولا أخلى مبرّذه القاطع من برادة، وعوده الخير عادة، ولا أغدّمه بركة وسعادة، بفضل الله. والسلام عليه من وليّه المستزيد من ورش وُلّيه، لا بل من قلائد خليه، محمد بن فركون القرشي، ورحمة الله وبركاته.

فراجع المترجم بما نصه، وقد اتهم أن ذلك من إملائي: [البسيط]

يا مُلبس النضح ثوب الغشُّ مُتّهما يلوي النصيحة عنه غير مُتّكص
وجاهلاً باتخاذ الهزل مأذبة أشد ما يتوقى محمل الرخص
نصخته فقصاني فانقلبت إلى حال يعص بها من جملة العُصص
بالأمس أنكرت آيات القصاص له واليوم يُسمع فيه سورة القصص

ممن استعرت يا بابلي هذا السحر، ولم تسكن بناصية السحر، ولا أعملت إلى بابل هاروت اميطاء ظهر، ومن أين جئت بقلائد ذلك التُحر؟ أمِن البحر، أو مما وراء النهر؟ ما لمثل هذه الأزيحية الفاتقة، استشفنا مهبك ولا قبل هذه البارقة الفاتقة، استكثرتنا غيِّك، يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك. أأضغات أحلام ما تُريه الأقلام، أم في لحظة تُلد الأيام فرائد الأعلام؟ لقد عَهدت برُبّك مُحسن دُعابة، ما قرّعت شعابه، أو

(١) في الأصل: «تغيب» وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

مُصِيبًا فِي صُبابَةٍ، مَا قَرَعْتُ بَابَهُ، وَلَا اسْتَرَجَعْتُ قَبْلَ أَنْ أَغْبُرَ غُبابَهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مِنْ بَنَاتِ بَرَاعَتِكَ، لَا بَرَاعَتِكَ، وَمُعْتَرِسُ تِلْكَ الزُّهْرِ، الطَّالِعَةِ كَالْكَوَاكِبِ الزُّهْرِ، مُخْتَلَسٌ يَدِ اسْتَطَاعَتِكَ، لَا زَرَاعَتِكَ، وَإِلَّا فَنَطْرَحُ مَصَانِدَ التَّعْلِيمِ وَالْإِنْشَاءِ، وَنَنْتَظِرُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ نَتَوَسَّلُ فِي مَقَامِ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ، أَنْ نَنْقُلَ مِنْ غَائِلَةِ الْحَسَدِ إِلَى الْإِنْصَافِ، وَحَسْبِي أَنْ أَطْلَعْتُ بِالْحَدِيقَةِ الْأَنْبِيَةِ، وَوَقَفْتُ مِنْ مُثْلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى حَقِيقَةٍ، فَالْفَيْتُ بِهَا بَيَانًا، قَدْ وَضَحَ تَبْيَانًا أَوْ أَطْلَقَ عَنَانًا، وَمَحَاسِنُ وَجَدْتُ إِحْسَانًا، فَتَمَثَّلْتُ إِنْسَانًا، سَرَحَ لِسَانًا، وَأَجْهَدُ بَنَانًا، إِلَّا أَنْ صَادِحَ أَيْكُتْهَا يَتَمَلَّمُ فِي قَيْظٍ، وَيَكَادُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ، فِيْفِيضُ وَيَغِيضُ، وَيَهِيضُ وَيَنْهَضُ ثُمَّ يَهِيضُ، وَيَأْخُذُ فِي طَوِيلٍ وَعَرِيضٍ، بِتَشْيِيبٍ وَتَغْرِيبِضٍ، وَيَتَنَاهَضُ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ مَهِيضٍ، وَفَاتِنِ كَمَاثِمِهَا تَسْأَلُ عَنِ الصَّادِحِ، وَيَتَلَقَّفُ عَصَا اسْتَعْجَالِهِ مَا يُفَكِّهُ الْمَادِحِ، وَيَحْرِقُ بِنَارِهِ زَنْدَ الْقَادِحِ، وَيَتَعَاطَى مِنْ نَفْسِهِ بِالْإِعْجَابِ، وَيَكَادُ يَنَادِي مَنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٍ. إِيَّاهُ بِغَيْرِ تَمْوِيهِ رَجَعَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ، إِلَى مَا عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ، لَا دُرُّ دُرِّهَا مِنْ نَصِيحَةٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَوَصِيَّةٍ مُوَدَّةٍ صَرِيحَةٍ، تَعَلَّقْتُ بِغَيْرِ ذِي قَرِيحَةٍ، فَهِيَ اسْتَعْجَلَتْنِي بِدَاهِيَةِ كَاتِبٍ، وَاسْتَطَالَةَ ظَالِمٍ عَاتِبٍ، قَدْ سَلَّ مُزْهَفُهُ، وَاسْتَنْجَدَ مُتْرَفُهُ، وَجَهَّزَهَا نَحْوَ كَيْبَتِهِ تُسْفِرُ عَنْ تَحْجِيلٍ، بِغَيْرِ تَنْجِيلٍ، وَسَحَابَةٍ سَيَجُلُ تَرْمِي بِسَيَجِيلٍ، مَا كَانَ إِلَّا أَنْ اسْتَقَلَّتْ، وَرَمَتْني بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ، وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، فَحَسْبِي اللَّهُ تَغْلَبَ عَلَى فَهْمِي، وَرُمِيتُ بِسَهْمِي، وَقُتِلْتُ بِسِلَاحِي، وَأُسْكِرْتُ بِرَاحِي، بُرْتُتُ بُرْتُتَ، مِمَّا بِهِ دُهَيْتُ، أَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ لَمْ تَذَنْ بِهَا مَنِي مَنَالًا وَعِزًّا، فَكَيْفَ بِهَا تَنْسِبُ إِلَيَّ بَعْدَكَ وَتُعْزِي؟ نَفْسِي الَّتِي هِيَ أَرْقُ وَأَجْدَرُ بِالْمَعَالِي وَأَحَقُّ، وَشَكْلِي أَخْفُ عَلَى الْقُلُوبِ وَأَدْقُ، وَشِمَائِلِي أَمْلِكُ فَلَا تُشَرِّقُ، وَلِسَانِي هُوَ الَّذِي يُسَالُ فَلَا يُقَلُّ، وَقُدْرِي يُعْزُّ وَيُجَلُّ، عَمَّا فَخَزَتْ أَنْتَ بِهِ مِنْ مَلْعَبٍ مَائِدَةٍ، وَمَجَالِ رِقَابٍ مُتْمَائِدَةٍ، فَحَاشَى سَيِّدِي أَنْ يَقَعَ مِنْهُ بِذَلِكَ مَفْخَرٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَلْهُو وَيَسْخَرُ، وَمَوْجُ بَحْرِهِ بِالطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ تَزْخَرُ، وَعَيْنُ شَكْلِي هِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَيْنُ الظَّرْفِ، الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَالظَّرْفِ. وَأَمَّا تَعْرِيبُ سَيِّدِي بِصِغَرِ الْقَامَةِ، وَتَكْبِيرِهِ لِغَيْرِ إِقَامَةٍ، فَمُطَرَّدُ قَوْلٍ، وَمُدَامَةُ عَوَلٍ، وَفَرِيضَةٌ نَشَأَ فِيهَا عَوَلٌ، إِذْ لَا مِبَالَةَ تَجَسَّمُ كَائِنًا مَا كَانَ، أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ، وَإِنَّمَا الْجَسَدُ لِلرُّوحِ مَكَانٌ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَيْهِ فَقْدُ يَرُوحِ، وَقَدْ قَالَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، وَالْمَرْءُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، لَا بِمُسْتَظْهِرِ عِيَانِهِ، وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ: [الكامل]

والرُّوح ما وَفَّتْ لَهُ أَغْرَاضُهُ
والروح سابغة به قَضْفَاضُهُ

لَمْ يَرْضَنِي أَنِّي بِجِسْمٍ هَائِلٍ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ جِسْمِي نَاحِلٍ

ولما وَقَعَ سيدي بمكتوبي على المرفوع والمنصوب، وظَفِرَتْ يده بالمغضوب،
 والباحث المغضوب، لم يُقلها زَلَّةُ عالم، وإنِّي وقد وجدتها مُثَيَّةُ حالم، فعَدَّدَ وأعاد،
 وشَدَّدَ وأشاد. هَلَّا عَقِلَ ما قال، وعلم أن المَقِيلَ سيكون مقال، وزَلَّةُ العالم لا تُقال،
 وأن الحرب سجال، وقبضة غيره هو المُتَلَاعِبُ في الحبال؟ وبالجُملة فلك الفضل يا
 سيدي ما اعتني بمعناك، وارتفع بين مغاني الكرام مَغْنَاكَ، فمدة ركوبك الحُمُران لا
 تُجَارَى، ولا يشقُّ أحد لك عُبارا. أَبْقَاكَ الله تحفظ عُرَى هذا الوداد، ويشمل الجميع
 بركة ذلك الثَّاد، والسلام عليك من ابن الفضَّال، ورحمة الله وبركاته.

وَجَعَلَا إِلَيَّ التَّحْكِيمَ، وفَوْضَا لنظري التَّفْضِيلَ فكَتَبْتُ: [البسيط]

بَارِكْ عَلَيْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَصَصٍ
 واذكُرْ لَهَا^(١) مَا أَتَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ
 حَيْثُ اغْتَدَى السُّحْرُ يَلْهُو بِالْعَقُولِ وَقَدْ
 أَحَالَ بَيْنَ حُؤُولِ^(٢) كَيْدِهِ وَعَصِي^(٣)
 عَقَائِلِ الْعَقْلِ وَالسَّحَرِ الْحَلَالِ قُوتِ
 مِنْ كَافِلِ الصُّونِ بَعْدَ الْكُونِ جَحْرُ وَصِي^(٤)
 وَأَقْبَلَتْ تَتَهَادَى كَالْبُؤْدُورِ إِذَا
 بَسِيخِرِ مَنْ فَلَكَ التُّذُورُ فِي حِصَصِ
 مِنْ لِبِيدُورِ وَرِبَّاتِ السَّخْدُورِ بِهَا
 الْمِثْلُ غَيْرِ مَطْبِيعِ وَالْمُثِيلُ^(٥) عَصِي^(٦)
 مَا قُرْصَةُ الْبَذْرِ وَالشُّنْسِ الْمَنِيرَةُ أَنْ
 قَيْسَتْ بِمَنْ قَاسَهَا^(٧) مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْصِ
 تَاللهَ مَا حُكْمُهَا يَوْمًا بِمُنْتَقَضِ
 كَلًّا وَلَا بَذْرُهَا يَوْمًا بِمُنْتَقَضِ
 إِنْ قَالَ حُكْمِي فِيهَا بِالسُّوَادِ فَقَدْ
 أَمِثْتُ مَا يَخْذَرُ الْقَاضِي مِنْ الْغُصَصِ

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٢) في الأصل: «حال» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «وعص» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «وص» بدون ياء. (٥) في الأصل: «والمثال» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «عص» بدون ياء. (٧) في الأصل: «سوى» وكذا ينكسر الوزن.

أو كنت أَرْخَضْتُ في التَّرجيح مجتهدًا

لَمْ يَقْبَلِ الْوَزْعَ الْفُثْيَا مع الرُّخْص

يا مُذْلِجَ لَيْلِ التَّرجيح، قِفْ فَقَدْ خَفِيتِ الْكَوَاكِبَ، ويا قَاضِي طَرْفِ التَّحْسِينِ والتَّقْبِيحِ، تَسَامَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَاقِبَ، ويا مُسْتَوَكِفَ خَيْرِ الْوَقِيعَةِ مِنْ وَرَاءِ اقْتِمَامِ الْيَقِيعَةِ تَصَالَحَتِ الْمَوَاكِبَ. خَضَخَصَ الْحَقُّ فَارْتَفَعَ اللَّجْجَا، وَتَعَارَضَتِ الْأَدَلَّةُ فَسَقَطَ الْاِخْتِجَاجُ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَسَكَنَ الْعَجَاجُ، وَطَابَ نَخْلُ الْأَقْلَامِ بِأَزْهَارِ الْأَحْلَامِ فَطَابَ الْمُجَاجُ، وَقُلْ لِفِرْعَوْنَ الْبَيَانِ وَإِنْ تَأَلَّهْ، وَبِلَدِ الْعُقُولِ وَبِلَهْ، وَوَلَّى بِالْفِرْعَوْرِ وَدَلَّهْ. أَوْسَعَ الْكُنَائِنُ ثَنَلًا، وَدَوْنَكَ أَيْدَا شَثَلًا، وَشَخَرَا حَثَلًا، لَا خَطْمًا وَلَا أَثَلًا. إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانِ إِلَى قَوْلِهِ: وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثَلَى وَإِنْ أَثَرَتْ أَدَبُ الْحَلِيمِ، مَعَ قِصَّةِ الْكَلِيمِ، فَقُلْ لِمُجْمِلِ جِيَادِ التَّعَالِيمِ، وَوَاضِعِ جُغْرَافِيَا الْأَقَالِيمِ، أَنْدَلُسًا مَا عَلِمْتَ بِلَدِ الْأَجْمِ، لَا سُودَ الْعَجَمِ، وَمَدَاحِضَ السُّقُوطِ، عَلَى شَوْكِ قَتَادِ الْقُوطِ، وَلَمْ يَذَرْ إِنْ مَحَلَّ ذَاتِ الْعَجَائِبِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تُضْرِبُ إِلَيْهَا أَبَابُ التُّجَابِ فِي غَيْرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا الْوَطْنِ بِشَهَادَةِ الْقَلْبِ الْحَوَّلِ، إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ دَارِسٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْوَلٍ. فَهَنَالِكَ يَتَكَلَّمُ الْحَقُّ فَيُفْصَحُ وَيُعْجَمُ، وَيَرِدُ الْمَدَدُ عَلَى الْنَفُوسِ الْجَرِيئَةِ مِنْ مَطَالِعِ الْأَضْوَاءِ فَيُحَدِّثُ وَيُلْهِمُ، وَيَجُودُ خَازِنُ الْأُمْدَادِ، عَلَى الْمُتَوَسِّلِ بِوَسِيلَةِ الْاِسْتِعْدَادِ، فَيَقْطَعُ وَيُسْهِمُ. وَأَمَّا إِقْلِيمُنَا الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ، بَعْدَ أَنْ تَكَافَأَتِ الْمَنَازِلُ وَالْمَلَامِيسُ، وَتَنَاصَفَ اللَّيْلُ الدَّامِسُ وَالْيَوْمُ الشَّامِسُ، بِاعْتِدَالِ رَبِيعِي، وَمَجْرَى طَبِيعِي، وَذِكْوَى بَلِيدِ، وَمَعَاشِ وَتَوَلِيدِ، وَطَرِيفِ فِي الْبَدَاوَةِ وَتَلِيدِ، لَيْسَ بِهِ يَرْبَاهُ وَلَا هَرَمُ، يَخْدُمُ بِهَا دَرْبٌ مُحْتَرَمٌ، وَيَشْبُ لِقَرِيَّاتِهِ حُرْمٌ، فَيَفِيدُ رُوحَانِيًّا يَتَصَرَّفُ، وَرُثِينًا يَتَعَرَّضُ وَيَتَعَرَّفُ، كُلَّمَا اسْتَنْزَلَ صَابَ، وَأَعْمَلَ الْاِنتِصَابَ، وَجَلَبَ الْمَارَبَ وَأَذْهَبَ الْأَوْصَابَ، وَعَلِمَ الْجَوَابَ، وَفَهَمَ الصَّوَابَ. وَلَوْ فَرَضْنَا هَذِهِ الْمَدَارِكَ ذَوَاتِ أَمْثَالِ، أَوْ مَسْبُوقَةِ بَمَثَالِ، لَتَلَقَيْنَا مَنَشُورَ الْقَضَاءِ بِأَمْثَالِ، لِكَيْتَا نَخَافَ أَنْ نَمِيلَ بَعْضُ الْمِيلِ، فَتَنْجِنِي بِذَلِكَ أَبْخَسَ الْجَرِيِّ وَإِرْضَاءَ الذُّمِيلِ، وَنَجْزُ تَنَازُعِ الْفَهْرِيِّ مَعَ الصُّمِيلِ. فَمَنْ خَيْرٌ مِيزُ، وَمَنْ حَكَمٌ أَرْزِي بِهِ وَتُهَكِّمُ، وَمَا سَلَّ سَيُوفُ الْخَوَارِجِ، فِي الزَّمَنِ الدَّارِجِ، إِلَّا التَّحْكِيمُ، حَتَّى جَهَلَ الْحَكِيمُ، وَخَلَعَ الْخِطَامَ وَنَزَعَ الشُّكِيمَ، وَأَضْرَّ بِالْخَلْقِ نَافِعُ، وَذَهَبَ الْطِفْلُ لَجْرَاهُ وَالْيَافِعُ، وَذَمَّ الدَّمَامُ وَرَدَّ الشَّافِعُ، وَقَطَّرَ سَيْفُ قَطْرِي، بِكُلِّ نَجِيعِ طَرِي، وَزَارَ الشَّيْبُ الْأَسَدَ الْهَيَّصُورَ، وَصَلَّتِ الْغَزَالَةُ بِمَسْجِدِ الثَّقَفِيِّ وَهُوَ مَحْصُورٌ، وَانْتَهَبَتِ الْمَقَاصِيرُ وَالْقُصُورَ، إِلَّا أَنْ مُسْتَأْهِلَ الْوُظُفَةِ الشَّرْعِيَّةِ عِنْدَ الْضَرُورَةِ يُجْبَرُ، وَالْمُسْتَنْدَبُ لِلْبَرِّ مُحْيِي عِنْدَ اللَّهِ وَيُجْبَرُ، وَاجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْأَوْضَحُ وَالْأَشْهَرُ، فِيهَا بِهِ يُسْتَظْهِرُ. وَأَنَا فَإِنْ حَكَمْتُ عَلَى التَّعْجِيلِ،

فغير مُشْهِدٍ على نفسي بالتَّسْجِيلِ، إنما هو تَلْفِيقٌ يَرْضَى وَتَطْفِيلٌ، يُغْتَبَ عليه من تصدُّعِ الحقِّ ويمضى، إلَّا أن يُغْضَى، ورأيتُ فيها المراضاة والاستِصلاحَ، وإلَّا فالسَّلاحَ والرُّكَّابَ الطَّلَّاحَ، والصلحَ خيرَ، وما استُدْفِعَ بمثلِ التَّسامحِ ضيرَ. ومن وقفَ عليه، واعتَبِرَ ما لديه، فليعلم أَنِّي صَدَعْتُ وَقَطَعْتُ، والحقُّ أَطْعَمْتُ، وإن أريدُ إلَّا الإصلاحَ ما استطَعْتُ، والسلامَ.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد

ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي^(١)

من ذرية^(٢) عثمان أخي كُزَيْبِ المذكور في نُبْهَاءِ ثَوَارِ الأندلس. وينتسب^(٣) سَلَفُهُمْ إلى وائل بن حُجْرٍ، وحاله عند القُدُومِ على رسول الله ﷺ، معروف^(٤).

أوليتُه: قد ذُكِرَ بعضُ منها. وانتقل^(٥) سلفه من مدينة إشبيلية عن نُبَاهَةِ وَتَعَيْنِ وشهرة^(٦) عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، واستقرَّ^(٧) بتونس منهم ثالث^(٨) المحمدين؛ محمد بن الحسن، وتناسلوا على سِراوة^(٩) وحِشْمَةِ ورسومِ حسنة، وتَصَرَّفَ جَدُّ المترجم به لملوكها^(١٠) في القيادة.

حاله: هذا^(١١) الرجل الفاضل حسن الخلق، جَمَّ الفضائل باهر الخُصْل، رفيع القَدْر، ظاهر الحياءِ، أصيل المجد، وقُور المجلس، خاصِّي الرِّزْيِ، عالي الهمة، عَزُوفٌ عن الضَّيْمِ، صَغْبُ المَقَادَةِ، قُورِي الجَأْشِ، طامَحٌ لِقُنن^(١٢) الرئاسة، خاطِبٌ للحِظِّ، متقدِّمٌ في فنون عَقْلِيَّةٍ وَثَقْلِيَّةٍ، متعدِّدُ المزايا، سديدُ البحث، كثيرُ الحفظ، صحيحُ التَّصَوُّرِ، بارِعُ الخطِّ، مُعَرِّى بالتَّجَلُّةِ، جَوَادُ الكَفِّ^(١٣)، حسن العشرة، مُبْدُول

(١) ترجمة ابن خلدون في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ وما بعدها)، وجاء فيه أنه «عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن... والقضاء اللامع (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام (ج ٣ ص ٣٣٠).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦). (٣) في النفح: «ويُتَّسَب».

(٤) في النفح: «معروفة». (٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦).

(٦) كلمة «وشهرة» غير واردة في النفح. (٧) في النفح: «فاستقر».

(٨) في النفح: «ثاني». (٩) في النفح: «على حشمة وسراوة».

(١٠) كلمة «الملوكها» غير واردة في النفح.

(١١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ - ٣٠٧).

(١٢) القُنن: جمع قَنَّة وهي أعلى الجبل. لسان العرب (قنن).

(١٣) كلمة «الكف» غير واردة في النفح.

المشاركة، مقيم لرسوم التَّعِين، عاكف على رَغِي خِلال الأصالة، مَفْخَرَة^(١) من مفاخر التَّخوم المَغْرِبِيَّة.

مشيخته: قرأ^(٢) القرآن ببلده على المَكْتَب ابن برال، والعربية على المُقْرَى الزواوي^(٣)، وابن العربي، وتأذَّب بأبيه، وأخذ عن المحدث أبي عبد الله بن جابر الوادي آشي. وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام، وروى عن الحافظ عبد الله^(٤) السُّطِّي، والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرَمِي، ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الأَبْلِي، وانتفع به.

توجَّهه إلى المغرب: انصرف^(٥) عن^(٦) إفريقية منشئه، بعد أن تعلَّق بالخدمة السلطانية على الحُدَاثَة وإقامته لرسم العَلَامَة بحكم الاستِنَابَة عام ثلاثة وخمسين وسبع مائة. وعُرف فضله، وخطَّبه السلطان مُنْفَق سوق العلم والأدب أبو عِنان فارس بن علي بن عثمان، واستَقْدَمه^(٧)، واستَخْصَره بمجلس المذاكرة، فعَرَف حَقَّه، وأُوجِب فضله، واستعمله في^(٨) الكتابة أوائل عام ستة وخمسين، ثم عَظُم عليه حَمْلُ الخاصَّة من طَلَبَة الحَضْرَة لبعده عن حسن التَّائِي، وشُقُوفه بِثُقُوب الفهم، وجودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عَظِيمًا ما جُبِل عليه عندئذ^(٩) من إغفال التَّحْفُظ، ممَّا يريب لديه، فأصابته شِدَّة تخلَّصه منها أجله؛ كانت مُغْرَبَة في جفاء ذلك الملك، وهَناء جواره، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله، [واستأثر به الاعتقال باقي أيام دولته على سَنَنِ الأشراف من الصُّبْر]^(١٠) وعدم الخُشُوع، وإهمال التَّوَسُّل، وإبادة المَكْسُوب في سبيل التُّفَقَة، والإرضاخ على زمن المحنة، وجار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السَّعِيد ولده، فأغْتَبَه قِيم الملك لحينه، وأعادته إلى رسمه. ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم، وكان له به الاتصال، قبل تسوُّغ المحنة، بما أكد حُظُوتَه، فقلَّده ديوان الإنشاء مُطْلَق الجرايات، محرِّر السَّهَام، نَبِيه الرُّتْبَة، إلى آخر أيامه. ولَمَّا أَلَقَت الدولة مَقَادِها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله، مُدَبِّر الأمر، وله إليه قَبْل ذلك^(١١) وسيلة، وفي خَلِيه شركة، وعنده حقٌّ، رابَه تقصيرُه عَمَّا ارتَمَى إليه أَمَلُه، فسَاء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المَرِينِي.

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧).

(٤) في النفع: «أبي عبد الله».

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٧) كلمة «واستقدمه» غير واردة في النفع.

(٩) في النفع: «عندئذ».

(١١) قوله: «قبل ذلك» غير وارد في النفع.

(١) في النفع: «مفخرة».

(٣) في النفع: «الزواوي وغيره».

(٦) في النفع: «من».

(٨) في النفع: «على».

(١٠) ما بين قوسين غير وارد في النفع.

دخوله غرناطة: ورد^(١) على الأندلس في أوائل^(٢) شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة، واهتز له السلطان، وأزكب خاصته لتلقّيه، وأكرم وفادته، وخلع عليه، وأجلّسه بمجلسه الخاص^(٣)، ولم يدخر عنه براً ومؤاكلةً ومطايبةً وفكاهةً.

وخطبني لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن، فأجبتة عنها بقولي^(٤): [الطويل]

حَلَلْتُ حُلُولَ الْعَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِّ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالرُّخْبِ وَالسَّهْلِ
يَمِينًا بَمَنْ تَغْنُو الْوَجُوهُ لَوَجْهِهِ مِنْ الشَّيْخِ وَالطِّفْلِ الْمُهْدِإِ^(٥) وَالْكَهْلِ
لَقَدْ نَشَأْتُ عِنْدِي لِقْفَاكَ غِبْطَةً تُنْسِي اغْتَبَاطِي بِالشَّيْبَةِ وَالْأَهْلِ^(٦)

أقسمت^(٧) بمن حَجَّتْ قريشُ لبيتِه، وقبر صُرفت أزمَةُ الأحياءِ لميته، [وبور صُربت الأمثال بمشكاته^(٨) وزيته، لو خيّرْتُ أيها الحبيب]^(٩) الذي زيارته الأمانة السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المُطيفة، بين رَجْعِ الشَّبَابِ يَفْطُرُ ماءً، ويرفُ نماءً، ويُغازل عُيون الكواكب، فضلاً عن الكواعب، إشارةً وإيماءً، بحيث لا الوُخْطُ^(١٠) يَلُمُ بِسِيَّاحِ لِمَتِهِ، أو يَفْدَحُ ذُبَالَةً^(١١) في ظُلُمَتِهِ، أو يقوم حواريه في ملته^(١٢)، من الأحابش وأُمته، وزمائه رَوْحِ وراح، ومَعْدَى في التَّعِيمِ ومَراح، وقصِفَ صُراح^(١٣)، [ورُفَى^(١٤) وجراح،]^(١٥) وانتخاب^(١٦)، وصدور ما بها إلّا انشراح، ومَسَرَّات تردفها أفراح. وبين قُدمك خَلِيعَ الرُّسَنِ، مُمْتَعًا والحمد

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨). (٢) في النفح: «أول ربيع الأول عام...».

(٣) كلمة «الخاص» غير واردة في النفح.

(٤) الرسالة، بما فيها الأبيات، في التعريف بابن خلدون (ص ٨٢) وريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٥) في ريحانة الكتاب: «المُعْصَب».

(٦) جاء في الريحانة بعد هذا البيت البيت التالي:

وَرَدِّي لَا يُحْتَاجُ فِيهِ لَشَاهِدٍ وَتَقْرِيرِي الْمَعْلُومُ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ

(٧) في الريحانة: «يَمِينًا بَرَبٌ حَجَّتْ...». (٨) البمشكاة هنا: المصباح.

(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصادر.

(١٠) الوُخْطُ: الشَّيْبُ. لسان العرب (وخط). (١١) الذُّبَالَةُ: الفتيلة. لسان العرب (ذبل).

(١٢) في الريحانة: «لمته».

(١٣) في الأصل: «ورفى»، والتصويب من النفح والتعريف.

(١٤) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(١٥) في الأصل: «وانتخاب»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.

الله^(١) باليقظة والوسن، مُحَكِّمًا في نُسك الجُنيد أو فَتْك الحَسَن، مَمْتَعًا بِظَرْف المعارف، مَالًا أَكْفُ الصَّيارف، مَاحِيًا بِأَنْوار البراهين شُبَه الزُّخارف - لما اخترت الشُّباب وإن شاقني^(٢) زَمْنُهُ، وَأَعْيَانِي ثَمْنُهُ، وَأَجَزْتُ سَحَاب^(٣) دَمْعِي دِمْنُهُ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَقَى^(٤) جَنُونَ اغْتِرَابِي، وَمَلَكَنِي أَزْمَةَ آرَابِي، وَغَبَطَنِي بِمَائِي وَتَرَابِي، [وَمَأْلَفَ أَتْرَابِي]،^(٥) وَقَدْ أَغْصَنِي بِلَذِيذِ شَرَابِي، وَوَقَّعَ عَلَى سَطُورِهِ الْمَعْتَبِرَةَ إِضْرَابِي، وَعَجَّلْتُ هَذِهِ مُغَبَّطَةً بِمَنَاخِ الْمَطِيَّةِ^(٦)، وَمُنْتَهَى الطَّيَّةِ، وَمُلْتَقَى الشُّعُودِ^(٧) غَيْرِ الْبَطِيَّةِ، وَتَهْنِئِ الْأَمَالَ الْوَثِيرَةَ الْوُطِيَّةَ، فَمَا شِئْتَ مِنْ نَفُوسٍ عَاطِشَةٍ إِلَى رَبِّكَ، مَتَجَمِّلَةً بِزَيْكَ، عَاقِلَةً خُطَى مَهْرِيكَ، وَمَوْلَى مَكَارِمِهِ نَشِيدَةً أَمْثَالِكَ، وَمِطَاقًا^(٨) مِثَالِكَ، وَسَيَّضِدْقَ الْخَبِيرِ مَا هُنَالِكَ، وَبَسِيعَ^(٩) فَضْلِ مَجْدِكَ فِي^(١٠) التَّخْلُفِ عَنِ الْإِضْحَارِ^(١١)، لَا بَلَّ لِلِقَاءٍ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، وَالسَّلَامُ.

ولما^(١٢) اسْتَقَرُّ بِالْحَضْرَةِ، جَزَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَكَاتِبَاتٍ أَقْطَعُهَا الظَّرْفُ جَانِبَهُ، وَأَوْضَحَ الْأَدَبَ فِيهَا^(١٣) مَذَاهِبَهُ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتَهُ بِهِ، وَقَدْ تَسَرَّى جَارِيَةً رُومِيَّةً اسْمُهَا هِنْدٌ صَبِيحَةً الْإِبْتِئَاءِ بِهَا: [السَّريِعُ]

أَوْصِيكَ بِالشَّيْخِ أَبِي بَكْرَةَ لَا تَأْمُنْ فِي حَالَةٍ مَكْرَةٍ
وَاجْتَنِبِ الشُّكَّ إِذَا جِئْتُهُ جِئَبَكَ الرَّحْمَنُ مَا تَكْرَهُ

سَيِّدِي، لَا زَلْتَ تَتَّصِفُ بِالْوَالِجِ، بَيْنَ الْخِلَاحِلِ وَالْدِّمَالِجِ^(١٤)، وَتَرْكُضُ فَوْقَهَا رُكُضَ الْهَمَالِجِ^(١٥) أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَتْ الْحَالُ، وَهَلْ خُطَّتْ بِالْقَاعِ مِنْ خَيْرِ الْبِقَاعِ الرَّحَالُ، وَأُخْكِمَ بِمِرْزُودِ^(١٦) الْمُرَاوِدَةِ الْاِكْتِحَالِ، وَارْتَفَعَ بِالسُّقْيَا الْإِمْحَالُ، وَصَحَّ

(١) قوله: «والحمد لله» ساقط في الريحانة. (٢) في النسخ: «راقني».

(٣) في النسخ: «سحاب».

(٤) في الريحانة: «وقى».

(٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(٦) في الريحانة: «الطَّيَّة».

(٧) في الأصل: «للشُّعُودِ» والتصويب من المصادر.

(٨) في الريحانة: «ومُطَاق».

(٩) في الريحانة: «وُسُمِعْنِي».

(١٠) في الريحانة: «عن».

(١١) الإصحار: الخروج إلى الصحراء. محيط المحيط (صحرا).

(١٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٥).

(١٣) كلمة «فيها» غير واردة في النسخ.

(١٤) الخلاخل: جمع خلخال وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها. والدمالج: جمع دملج وهي حلية تلبسها المرأة في ساعدها. وأراد هنا: بين الأيدي والأرجل. لسان العرب (خلخل) و(دملج).

(١٥) الهمالج: جمع هملاج وهو الدابة الحسنة السير والسريعة. لسان العرب (هملاج).

(١٦) الميرزود: الجبل يكتحل به. محيط المحيط (رود).

الانتحال، وَحَصَّصَ الحقُّ وذَهَبَ المُحال، وقد طُولِعت بكلِّ بُشْرَى وبِشْر، ورُفَّتْ هُنْدُ منك إلى بِشْر، فَللهُ من عَشِيَّةٍ تَمْتَعَتْ من الربيع بِفُرْشٍ مَوْشِيَّةٍ، وابتذلت^(١) منها أي وساد وَحْشِيَّة، وقد أَقْبَلَ ظبي الكِناس، من الدِّيماس، ومطوق الحَمَام، من الحَمَام، وقد حَسُنَت الوجَةُ الجميلُ النَّظْرِيَّة^(٢)، وأزِيلت عن الفرع الأثيث الإِبْرِيَّة^(٣)، وضُقِلت الخدودُ فِيهَا^(٤) كأنها الأَمْرِيَّة^(٥)، وسلَّطَ الدَّلْكُ على الجلود، وأغْرِيَتِ الثَّوْرَةُ بالشَّعر المولود، وعادت الأعضاء يزلق عنها اللَّمس، ولا تنالها البَنَانُ الخمس، والسُّحْنَةُ يجول في صفحتها الفِضِيَّةُ ماءُ النعيم، والمسواك يلبِّي من ثَبِيَّةِ التَّنْعيم والقلب يرمي من الكفِّ الرِّقِيم^(٦) بالمقعد المُقِيم، وينظر إلى نجوم الوُشُوم، فيقول: إني سقيم. وقد تَفْتَحَ وَرَدُ الحَقَر، وحكم لزنجي الطَّفِيرَةِ بالطَّفَر، واتَّصف أمير الحُسْنِ بالصُّدود المَغْتَفَر، ورُشَّ بماء الطَّيْب، ثم أَعْلَقَ بباله دُخانُ العُود الرُّطِيب. وأقْبَلَتِ الغادة، يهديها اليُمن وتزفُّها السَّعادة، فهي تمشي على استحياءٍ وقد ذاع طيب الرِّيا، وراق حُسْنُ المُحيَّا، حتى إذا نُزِعَ الحُفُّ، وقُبِلَتِ الأكْفُ، وصَحِبَ^(٧) المزممار وتجاوب اللَّف، وذاع الأَرَج، وارتفع الحَرَج، وتجوَّز اللَّوَا والمنعرج، ونزل على بِشْر بزيارة هند الفَرَج، اهتَزَّتِ الأرضُ ورَبَّتْ، وغوصيت الطَّباع البشرية فأَبَتْ. والله دَرُّ القائل^(٨): [المقارب]

ومَرَّتْ فقالت^(٩): متى نلتقي؟ فهِشَّ اشتياقًا إليها الخبيثُ

وكاد يُمَزَّقُ مِرْزِبَالَهُ فقلت: إليك يُساقُ الحديثُ^(١٠)

فلَمَّا انسدل جَنُحُ الظلام، وانتصفت من غريم العِشاءِ الأخيرة فريضة الإسلام^(١١)، وخاطت خيوط المنام، عُيون الأنام، تَأْتِي دُنُوَ الجلسة، ومُسارِقَةُ الجِلْسَةِ، ثم عَضَّةُ النهْد، وقُبْلَةُ الفم والخذ، وإرسال اليد من التَّجْدِ إلى الوَهْد،

(١) في النفع: «وأبدلت منها أي آساد وحشية».

(٢) في الأصل: «النظرية». ونظريَّةُ الوجْه: تحسينه وتزيينه. لسان العرب (طرا).

(٣) الفرع: الشَّعر. الأثيث: الكثير، والمراد هنا شعر الرأس. الإبرية: قشر الرأس يسقط عند المشط. محيط المحيط (فرع) و(أث) و(برى).

(٤) كلمة «فهي» غير واردة في النفع. (٥) الأمرية: المرايا، جمع مرآة.

(٦) الرقيم: المزين. لسان العرب (رقم).

(٧) في الأصل: «وصحب» والتصويب من النفع.

(٨) البيتان ليشار بن برد، وهما في ديوانه (ص ٢٨٩).

(٩) في الديوان: «فقلت».

(١٠) أخذ عجز البيت من المثل: «إليك يُساقُ الحديثُ». مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٨).

(١١) في النفع: «السلام».

وكانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يُغبط ويُزغب، ثم الإمالة لما يُشوش ويُشغب، ثم إعمال المسير، إلى السُرير^(١): [الطويل]

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقُّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ قَدْ لُتْ صَغْبَةً أَيْ إِذْلال

هذا^(٢) بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حلّ^(٣) التكة، ونزع الشكة، وتهينة الأرض العزاز^(٤) عمل السكة، ثم كان الوحي والاستعجال، وخمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف، وتشاطر الطبع الغفيف، وتواتر التقبيل، وكان الأخذ الوبيل، وامتاز الأتوك من الثبيل، ومنها جائر وعلى الله قَضُ السبيل، فإيا لها من نَعَم مُتداركة، ونفوس في سبيل القِعة مُتهالكة، ونَفَسٌ يَقْطَعُ حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المصانعة، وطال الثراوغ والثراور، وشكى التجاور^(٥)، وهنالك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتُخَسَّرُ أو تُزْبَحُ الأموال، فمن غصا تنقلب ثعباناً مُبِيناً، وثُؤنية^(٦) تصير تَبِيناً، وبطل لم يَهْلُهُ^(٧) المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قُرْتِهِ^(٨) الحائل، فتعدى فتكة السُلَيْك إلى فتكة البَرّاض، وتقلد مذهب الأزارقة^(٩) من الخوارج في الاعتراض، ثم شقّ الصفّ، وقد خضب الكفّ، بعد أن كاد يصيب البري^(١٠) بَطْعَتِهِ، ويؤء بِمَقْتِ الله وَلَعْنَتِهِ^(١١): [الطويل]

طَعَنْتَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ طَعْنَةً ثَائِرَ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشِعَاعُ أَضَاءَهَا

وهناك هدا القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوّقع فاستراح البال، وتَشَوَّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمُبال، وكثر السؤال عن البال، بما بال، وجعل الجريح يقول: وقد نظر إلى دَمِهِ، يسيل على قدمه: [البيسيط]

إِنِّي لَهُ عَنْ دَمِي الْمَسْفُوك مُعْتَذِرٌ أَقُولُ: حَمَلْتُهُ فِي سَفْكَه تَعَبًا

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه (ص ٣٢).

(٢) في النسخ: «وهذا». (٣) كلمة «حلّ» ساقطة في النسخ.

(٤) في الأصل: «الغرار» والتصويب من النسخ، والأرض العزاز: الأرض الصلبة. لسان العرب (عزز).

(٥) في النسخ: «التحاور».

(٦) التونة: السمكة. لسان العرب (نون). وفي النص كنايات تنطوي على الغمز والسخرية.

(٧) في النسخ: «يهمله». (٨) في النسخ: «قرنه».

(٩) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج منسوبة إلى نافع بن الأزرق. الملل والنحل (ج ١ ص ١١٨).

(١٠) في النسخ: «البوسى بطعته».

(١١) البيت لقيس بن الخطيم، وهو في ديوانه (ص ٧).

ومن^(١) سنان عاد عَنانًا، وشجاع صار هِدانًا^(٢) جبانًا، كلما شَابَتْهُ شائبة رَبة، أدخل يده في جيبه، فأنجحرت الحية، وماتت الغريزة الحية، وهناك يَزِيغ البصر، ويُخَذَّلُ المُتَّصِر، وَيَسْلَم الأسر، وَيَغْلِب الحضر، وَيَجِفُّ اللَّباب^(٣)، ويظهر العاب^(٤)، ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، وَيَشْتَدُّ الكرب والأرق، وينشأ في محل الأمن الفَرَق، وَيُدْرِكُ فرعونَ العَرَق، وَيَقْوَى اللُّجَاج ويعظم الخَرَق. فلا تزيد الحال إلا شِدَّة، ولا تعرف تلك الجارحة^(٥) المؤمنة إلا رِدة: [الطويل]

إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فأكثُرُ^(٦) ما يجني عليه اجتهاذه
فكم مُغَرَّى بطول اللَّبث، وهو من الخَبث، يؤمل الكثرة، ليزيل المعرَّة،
ويستتصر الخيال، ويعمل باليد الاحتيال: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتٍ فاصبر على الجمل الثقيل أو مُتٍ
ومُغتدر بمرض أصابه، جَرَّعه أوصابه^(٧)، ووجع طَرَفه، جَلَبَ أَرَقه، وخطيب
أزَيَّجَ عليه أحيانًا، فقال: سيُخَدِّثُ الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا وبعد عِيٍّ بيانًا، اللهم إنا نعوذُ
بك من فضائح الفروج إذا استَغَلَّقَتْ أفعالها، ولم تُسَمَّ^(٨) بالتَّجِيعِ أغفاله^(٩)، ومن
مَعَرَّات الأقدار^(١٠)، والنكول عن الأبيكار، ومن الثُّزول عن البطون والسُّرر، والجوارح
الحسنة الغُرر، قَبْلَ ثَقْبِ الدُّرر، ولا تجعلنا ممن يستحي من البُكر بالغداة، وتُغْلَمُ منه
كلال الأداة، وهو مجال فُضِّحَتْ فيه رجال، وفراشٌ شُكِيَتْ فيه أوجال، وأُغْمِلَتْ
رويةً وارتجال. فمن قائل: [السريع]

أزَقُّهُ طورًا على إضْبَعي ورأسه مضطرب^(١١) أسْفَله
كالحنش المقتول يُلقَى على عودٍ لكى يُطْرَحَ في مَزْبَلَةٍ

(١) معطوفة على قوله فيما سبق: «فمن عصا تنقلب ثعباناً...».

(٢) كلمة «هداناً» غير واردة في النسخ. (٣) في النسخ: «اللعب».

(٤) العاب: العيب. محيط المحيط (عيب). (٥) في النسخ: «الجائحة».

(٦) في النسخ: «أقول».

(٧) الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٨) في النسخ: «ولم تُسم». (٩) في الأصل: «أغفاله» والتصويب من النسخ.

(١٠) في الأصل: «الأقدار» بالبدال المهملة، والتصويب من النسخ.

(١١) في الأصل: «مضطربة» وهكذا يتكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

أو قائل^(١): [السريع]

غَدِنْتُ مِنْ أَيْرِي قُوى جِسِّهِ يا حَسْرَةَ الْمَمَرِّ عَلَى نَفْسِهِ
تَراه قَد مالَ عَلَى أَضْلِهِ كَحائِطٍ خَرَّ عَلَى أَشْهِ

وقائل: [الطويل]

أَيْخَسِدُنِي إِبْلِيسُ دَائِينَ أَصْبَحَا بَرَجَلِي وَرَأْسِي دُمْلًا وَزُكَمَا؟
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً أَيْرٍ لَا يَرِيدُ^(٢) قِيَامَا^(٣)

وقائل: [الطويل]

أَقُولُ لَأَيْرِي وَهُوَ يَرْقُبُ فَتَكَّةَ بِهِ: خَبِتَ مِنْ أَيْرٍ وَعَالَتْكَ^(٤) دَاهِيَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْرِ بَخْتُ تَعَذَّرْتُ عَلَيْهِ وَجْوهُ النِيكِ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ

وقائل: [الطويل]

تَعَقَّفَ^(٦) فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كَأَنَّهُ رِشَاءٌ إِلَى جَنْبِ الرَكِيَّةِ مُلْتَفٌ
كَفَرِخِ ابْنِ ذِي يَوْمِينَ يَرْقُعُ رَأْسَهُ إِلَى أَبْوِيهِ ثُمَّ يُذَرِّكُهُ الضَّغْفُ

وقائل: [الطويل]

تَكَرَّشَ أَيْرِي بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَسَا وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَوَاهِ فَأَقْلَسَا
وَصَارَ جَوَابِي لَلْمَهَا أَنْ مَرَزَنْ بِي «مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةٌ تَبَعْتُ الْأَسَى»

وقائل: [الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ حَيَّيْتُهُ فَاسْتَحَفَّ بِي وَلَمْ يَخْطُرِ الْهَجْرَانُ مِنْهُ^(٧) عَلَى الْبَالِي^(٨)
وَقَابِلْنِي بِالْعَوْرِ وَالتَّجْدِ^(٩) بَعْدَمَا حَطَطْتُ بِهِ رَحْلِي^(١٠) وَجَرَّدْتُ سِرْبَالِي
وَمَا أَرْتَجِي مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةَ^(١١) عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشَفِ الْبَالِي

(١) في النفع: «وقائل».

(٢) في النفع: «لا يطيق».

(٣) بعد هذا البيت جاء في النفع البيت التالي:

إِذَا نَهَضْتُ لِلنِيكِ أَزْيَابَ مَعْشَرٍ

(٤) في الأصل: «وعالَتْكَ» والتصويب من النفع.

(٥) بياض في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٦) في الأصل: «تعقَّف» والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «يومًا».

(٨) في الأصل: «بال» والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «وقابلني بالهزم والنجة» والتصويب من النفع.

(١٠) في الأصل: «رجلي» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «دكَّة»، وهما بمعنى واحد.

عَلَّلَ^(١) لا تزال تُبْكِى، وعلل على الدهر تُشْكِى، وأحاديث تُقْصُ وتُخْكِى، فإن كنت أعزك الله من الثُّمَطِ الأول، ولم تُقَل: [الطويل]

وهل عند رسمِ دارسٍ مِنْ مُعَوِّل^(٢)

فقد جَنَيْتَ الثَّمَرَ، واستَطَبْتَ السَّمَرَ، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، واخْرُجْ على قومك في ثياب الزينة^(٣)، واستبشِرْ بالوفود، وعَرَفَ المَسْمَعُ عازفة^(٤) الجود، وتبجح بصلابة العود، وإنجاز الوعود، واجنِ رمان اليهود، من أغصان القُدود، واقطف ببنان اللُّثَمِ أقاح الثُّغور ووزد الخُدود، وإن كانت الأخرى، فأخفِ الكمد، وارضُضْ الشمد، وانتظر الأمد، وأكذب التوسم، واستعمل التَّبَسُّم، واستكثِمِ النُّسوة، وأفضِ فيهن الرِّشوة، وتقلد المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك^(٥) بدم كذب، واستنجد الرحمن، واستعين على أمورك^(٦) بالكتمان: [الكامل]

لا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أو عاذِرٍ حالِيكَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ^(٧)

فَلِرِخْمَةِ المتفجِّعين حرارةٌ في القلبِ مثل شِماتَةِ الأعداءِ

وانتَشِقْ الأَرَجَ، وارْتَقِبِ الفَرَجَ، فكم غمام طَبَّقَ وما هَمَى^(٨)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرِهْتَ اللَّهُ رَمْيَ﴾^(٩)، واملِكْ بعدها عِنانَ نفسِكَ حتى تُمَكِّنَكَ الفرصة، وتَرْفَعِ إِلَيْكَ القِصَّةَ، ولا تَشْتَرِهِ^(١٠) إلى عمل لا تَفِيءُ منه بتمام، وخُذْ عن إمام، والله درُ عَزُوة بن حزام^(١١): [الكامل]

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رَمَوْا مُهْرِي بأشَقَرِ مُزِيدٍ
وعلمتُ أني إن أَقَاتِلْ دَوْلَهُمْ أَقْتُلْ ولم يَضُرُّ عِدْوِي مشهدي
ففررتُ منهم والأجِبَةُ فيهم طمعا لهم بعقابِ يومِ مُفْسِدِ

(١) في النفع: «هموم».

(٢) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

وإن شفتاني عِبرةٌ إن سَفَحْتُهَا

ديوان امرئ القيس (ص ٩).

(٣) يشير إلى زهوه فيشبهه بقارون.

(٥) في النفع: «قميصه».

(٧) في النفع: «في الضراء والسرء».

(٩) سورة الأنفال ٨، الآية ١٧.

(١١) في النفع: «دُرُّ الحارث بن هشام».

(٤) في الأصل: «عارفة» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «أمرك».

(٨) في النفع: «غمام طما».

(١٠) في النفع: «ولا تسرع».

واللبانات تَلين وتَجَمَّح، والمآرب تَدنو وتَنَزَّح، وتَخرون ثم تَسْمَح^(١)، وكم من شجاع خَام^(٢)، ويقظ نَام، ودليل أخطأ الطريق، وأضلَّ الفريق، والله عز وجل يجعلها خلة موصولة، وشَمَلًا أكتافه بالخير مَشْمُولَة، وبنية أركانها لركاب^(٣) اليُمن مأمولة، حتى يكثر^(٤) خَدَم سيدي وجواريه، وأسرته وسراريه، وتَضَفُّو عليه نعمة^(٥) باريه، ما طُورِد قَيْص، واقتَحِم عَيْص^(٦)، وأذرك مَرَام عويص^(٧)، وأعطي زاهد وحرم حريص، والسلام.

تواليفه: شرح^(٨) القصيدة المسماة بالبُرْدَة^(٩) شرحاً بديعاً، دلَّ فيه على انفساح دَزعِه، وتفنُّن إدراكه، وغزارة حفظه. ولخص كثيراً من كُتُب ابن رشد. وعلّق للسلطان أيام نظره في العلوم^(١٠) العقلية تقييداً مفيداً في المنطق، ولخص مُحَصِّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب^(١١) الرازي. وبذلك^(١٢) داعبته أول لُقبة لَقَبْتُهُ^(١٣) [بعض منازل الأشراف، في سبيل المبرة بمدينة فاس،^(١٤) فقلت له: لي عليك مُطالبة، فإنك لخصت «مُحَصِّلي». وألَّف كتاباً في الحساب. وشرع في هذه الأيام في شرح الرِّجَز الصادر عني في أصول الفقه، بشيء لا غاية وراءه^(١٥) في الكمال. وأما نشره وسلطانياته، مُزسَلها ومُسجَعها^(١٦)، فَخُلِّج بلاغة، ورياض فنون، ومعاود إبداع، يُفرغ عنها يراعه الجريء، شبيهة البَدَآت بالخواتم، في نداوة الحروف، وقُزب العهد بجزية المِداد، ونفوذ أمر القريحة، واسترسال الطبع. وأما نظمه، فنهض لهذا العهد قُدماً في ميدان الشعر، وأغري^(١٧) نقدَه باعتبار أساليبه؛ فاثال عليه جَوْه، وهان عليه صَغْبُه، فأتى منه بكل غريبة. من^(١٨) ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة

(١) تسمح: هنا بمعنى تلين. (٢) خَام: جبن. محيط المحيط (خيم).

(٣) في النفح: «لركائب». (٤) في النفح: «تكثر».

(٥) في النفح: «نعم».

(٦) العيص: الشجر الكثير الملتف. لسان العرب (عيص).

(٧) العويص: الصعب. لسان العرب (عوص).

(٨) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٥ - ٣١٦).

(٩) في النفح: «شرح البردة...». (١٠) في النفح: «في العقلية».

(١١) في النفح: «فخر الدين الرازي». (١٢) في النفح: «وبه».

(١٣) في النفح: «أول لُقبة». (١٤) ما بين قوسين ساقط في النفح.

(١٥) في النفح: «فوقه». (١٦) في النفح: «وسلطانياته السجعية».

(١٧) في النفح: «الشعر، ونقده...». (١٨) في النفح: «غريبة. خاطب السلطان...».

بقصيدة طويلة^(١): [الكامل]

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي
وَأَبَيَنَ يَوْمَ الْبَيِّنِ مَوْقِفَ^(٢) سَاعَةِ
لِلَّهِ عَهْدُ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا
عَرَبْتَ رَكَائِبُهُمْ وَدَمَعِي سَافَحَ
يَا نَاقِعًا بِالْعَثَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ
يَسْتَعِذُّ الصَّبُّ الْمَلَامَ وَإِنِّي
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى
أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعًا
عَبَثْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى وَتَرَدَّدْتُ
تَبْلَى مَعَاهِدَهَا وَإِنْ عَهودَهَا
وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضْتُ لِمَتَّيِمٍ
إِيَّاهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
لَمْ أَتَسَّهَا وَالدهْرُ يَشْنِي صَرْفَهُ
وَالدَّارُ مُوَيْقَعَةٌ مُحَاسِنُهَا بِمَا
يَا سَائِقَ الْأَطْعَامِ تَغْتَسِفُ الْفَلَاحُ
مُتَهَافِتًا عَنْ رَحْلِ كُلِّ مُذَلِّلٍ
تَتَجَاذِبُ الثُّفَحَاتُ فَضْلَ رَدَائِهِ

وَأَطْلَنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَتَجِيبِي
لِدَوَاعٍ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ كَثِيبِ
قَلْبِي زَهِيْنٌ صَبَابَةٌ وَوَجِيبِ^(٣)
فَشَرِقْتُ بَغْدَهُمْ بِمَاءٍ غُرُوبِي^(٤)
رَحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي
مَاءُ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيبِ^(٥)
لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنَزِلٍ وَخَبِيبِ
لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسَ رَبِيبِ
فِي عِطْفِهَا لِلدَّهْرِ آيُ خُطُوبِ
لَيَجِدُهَا وَضْفِي وَخُسْنُ نُسَيْبِي
هَزَّتْهُ ذِكْرَاهَا إِلَى الثُّشْبِيبِ
أَلْوَى^(٦) بِذَيْنِ فُؤَادِي الْمَنْهُوبِ
وَيَغْضُ طَرْقِي حَاسِدٍ وَرَقِيبِ
لَيْسَتْ مِنْ الْأَيَّامِ كُلِّ قَشِيبِ^(٧)
وَتَوَاصَلُ الْإِسَادَ^(٨) بِالتَّأْوِيبِ^(٩)
نَشْوَانٌ مِنْ أَيْنِ وَمَسٌّ لُغُوبِ
فِي مُلْتَقَاهَا مِنْ صَبَا وَجُثُوبِ

(١) في النفع: «طويلة أولها» والقصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٠ - ٧٢) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣١٦ - ٣١٧).

(٢) في النفع: «وقفة».

(٣) الظاعنون: الراحلون. الوجيب: خفقان القلب واضطرابه. لسان العرب (ظعن) و(وجب).

(٤) الغروب: جمع غرب وهو عرق في العين يسيل منه الدمع. لسان العرب (غرب).

(٥) الشريب: الماء دون العذب. محيط المحيط (شرب).

(٦) ألوى: أنكر؛ يقال: ألوى بحقه إذا جحده إياه. محيط المحيط (لوى).

(٧) القشيب: الجديد. لسان العرب (قشب).

(٨) في الأصل: «الأساد»، والتصويب من النفع. والإساد: سير الليل كله بغير تعريس. لسان العرب (سَاد).

(٩) التأويب: سير النهار كله إلى الليل. لسان العرب (أوب).

إن هام من ظلم الصُّبابة صَحْبُهُ
 في كلِّ شَغَبٍ مُنِيَّةٌ من دونها
 هَلَّا عَطَفَتْ صدرهمُ إلى التي
 فتَوْمٌ مِنْ أَكْنافٍ يَفْرِبُ مَأْمَنُهَا
 حيثُ النُّبُوَّةُ أَيْهَا مَجْلُوءَةٌ
 سِرٌّ غَرِيبٌ لَمْ تُحَجِّبْهُ ^(٢) الثُّرَى
 يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ الكَرَامِ ضِرَاعَةٌ
 عَاقَتْ ذُنُوبِي عَنْ جَنَابِكَ وَالْمَنَى
 لَا كَالْأَلَى ^(٥) صَرَفُوا الْعِزَائِمَ لِلثُّقَى
 لَمْ يُخْلِصُوا اللَّهَ حَتَّى فَرَّقُوا
 مَبِّ لِي شَفَاعَتِكَ الَّتِي أَرْجُو بِهَا
 إِنَّ النِّجَاةَ وَإِنْ أُتِيحَتْ لِمَرِيءٍ
 إِنِّي دَعَوْتُكَ وَائْتَقَا بِإِجَابَتِي
 قَصُرْتُ فِي مَدْحِي فَإِنْ يَكُ طَيْبًا
 مَاذَا عَسَى يَنْبَغِي الْمَطِيلُ وَقَدْ خَوَى
 يَا هَلْ تُبَلِّغُنِي اللَّيَالِي زُورَةً
 أَمْحُو خَطِيئَاتِي بِإِخْلَاصِي بِهَا
 فِي فَتْيَةٍ هَجَرُوا الْمَنَى وَتَعَوَّدُوا
 يَطْوِي صَحَائِفَ لَيْلِهِمْ فَوْقَ الْفَلَاحِ

تَهَلَّوْا بِمَمُورِدِ دَمْعِهِ الْمَسْكُوبِ ^(١)
 فَجَزَّ الْأَمَانِي أَوْ لِقَاءَ شُعُوبِ
 فِيهَا لُبَانَةٌ أَعْيُنٍ وَقُلُوبِ
 يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَقْرِيبِ
 تَتَلَوْا مِنَ الْآثَارِ كُلِّ غَرِيبِ
 مَا كَانَ سِرُّ اللَّهِ بِالْمَحْجُوبِ
 تَقْضِي مَنَى ^(٣) نَفْسِي وَتُذْهِبُ حُوبِي ^(٤)
 فِيهَا تُعَلِّلَنِي بِكُلِّ كَذُوبِ
 فَاسْتَأْثَرُوا مِنْهَا بِخَيْرِ نَصِيبِ
 فِي اللَّهِ بَيْنَ مُضَاجِعٍ وَجُثُوبِ
 صَفْحًا جَمِيلًا عَنْ قَبِيحِ ذُنُوبِي
 فَبَقِضْ لِي جَاهُكَ لَيْسَ بِالتَّنْسِيبِ
 يَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَخَيْرَ مُجِيبِ
 فَبِمَا لَذِكْرِكَ مِنْ أَرْبِيعِ الطُّيْبِ
 فِي مَدْحِكَ الْقِرَاءُ كُلُّ مَطِيبِ
 تُذْنِي إِلَيَّ الْفُؤُزَ بِالْمَرْغُوبِ؟
 وَأَحْطُ أَوْزَارِي وَإِضْرَ ذُنُوبِي ^(٦)
 لِنِضَاءِ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَنَجِيبِ ^(٧)
 مَا شِئْتُ مِنْ خَبِيبٍ وَمِنْ تَقْرِيبِ ^(٨)

(١) بعد هذا البيت جاء في نفع الطيب البيت التالي:

أو تعترض مشراهمُ سُذُفُ الدُّجَى صدعوا الدُّجَى بفغرامه المشبوبِ

(٢) في النفع: «يُحَجِّبُهُ».

(٣) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) الحُوب: الذنب والإثم. محيط المحيط (حوب).

(٥) في الأصل: «كَالْأَلَى» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) الأوزار: جمع وَزْر وهو الذُّبب. الإضر: ثقل الذنب. لسان العرب (وزر) و(أضر).

(٧) أنضى ناقته: حملها على السير حتى أهزلها. النجبية: الناقة الحنة السير بسرعة. لسان العرب

(نضا) و(نجب).

(٨) الخبب والتقريب: ضربان من السير السريع. لسان العرب (خبب) و(قرب).

إِنْ رَأَيْتَ الْحَادِيَ بِذَكَرِكَ رَدَّدُوا
أَوْ غَرَّدَ الرُّكْبُ الْخَلِي بِطَيِّبَةٍ
وَرِثُوا اغْتِسَافَ الْيَدِ عَنْ آبَائِهِمْ
الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ وَهِيَ عَوَائِسُ
وَالْوَاهِبُونَ الْمُقْرَبَاتِ هَوَاتِنَا
وَالْمَانِعُونَ الْجَارَ حَتَّى عِزُّهُمْ
تُخْشَى بَوَادِرُهُمْ وَيُزْجَى جَلْمُهُمْ
ومنها بعد كثير (٣):

سائل به طامي الثُّباب وقد سرى
تهديه شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعِزَائِمِ
حتى انجلت ظُلُمُ الضَّلَالِ بِسَعِيهِ
يا ابنَ الأُلى شادوا الخلافةَ بالتقى
جمعوا بحفظِ الدينِ آيَ مناقِبِ
للهِ مَجْدُكَ طَارِقًا أَوْ تَالِدًا
كم رهبةٍ أو رغبةٍ لك والعُلا
لا زِلْتَ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ
تُحْيِي الْمَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان (٥)، وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة (٦): [الكامل]

قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي
وَنَبَذَتْ سُلْوَانِي عَلَى ثِقَةٍ
وَلَرُبُّ وَصَلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ
وَهَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةُ الْوَجْدِ
بِالْقُرْبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ
فَاعْتَضْتُ مِنْهُ مَوْلَمَ الصَّدِّ
إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي

(١) السبيب: شعر ذنب الفرس أو عُزْفُهُ. محيط المحيط (سبب).

(٢) الْمُقْرَبَات: الخيل. خَوَارِ الْعَيْنَان: لَيْنُ الْعُطْف. لسان العرب (قرب) و(خور).

(٣) في النسخ: «ومنها». (٤) في التعريف بابن خلدون: «ترجيه ربح».

(٥) في النسخ: «السودان إليه، وفيها الزرافة».

(٦) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٤ - ٧٥) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٩ - ٣٢١).

يَلْحَى الْعَدُولُ فَمَا أَعْتَفُهُ وَأَعَارِضُ التُّفَحَاتِ أَشْأَلُهَا
وَأَقُولُ: ضَلُّ فَابْتَغِي رُشْدِي يَهْدِي الْغَرَامَ إِلَى مَسَالِكِهَا
بَزْدَ الْجَوَى فَتَزِيدُ فِي الْوَقْدِ يَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ^(١) مُغْتَسِقًا
لِتَعَلِّي بِضَعِيفٍ مَا تُهْدِي أَرِحِ الرُّكَّابَ فِي الصُّبَا نَبَأُ
طَيِّ الْفَلَاحِ لِطَيِّئَةِ الْوَجْدِ وَسَلِ الرُّبُوعَ بِرَامَةٍ خَبْرًا
يُغْنِي عَنِ الْمُسْتَشْتَةِ الْجُرْدِ^(٢) مَا لِي ثَلَامٌ عَلَى الْهَوَى خُلْقِي
عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدٍ لِأَبْنَيْتُ إِلَّا الرُّشْدَ مَذْ وَضَحْتُ
وَهِيَ الَّتِي تَأْبَى سَوَى الْحَمْدِ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ^(٣) فِي هَدَى وَتَقَى
بِالْمُسْتَعِينِ مَعَالِمُ الرُّشْدِ نَجَلُ السُّرَاةِ الْغُرْمَاءُ تُهْمُ
وَبِنَاءٍ عَزَّ شَامِخِ الطُّودِ كَسَبُ الْعَلَا بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه^(٤):

لِلَّهِ مَتْنِي إِذْ تَأَوَّزْنِي ذِكْرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ قَزْدٍ
شَهْمٌ يَقْلُ بِوَاتِرَا^(٥) قُضْبَا وَجَمُوعُ أَقْيَالٍ أُولِي أَيْدٍ^(٦)
أَوَزَيْتُ زَنْدَ الْعَزَمِ فِي طَلْبِي وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي
وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمِئٍ مَنَاهِلَهُ فَرَوَيْتُ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ رِفْدٍ^(٧)
هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلِفَتْ آمَالُهُ بِمَطَالِبِ الْمَسْجِدِ
لَوْ لَمْ أَعْلُ بِوَزْدٍ كَوَثَرِهَا مَا قَلْتُ: هَذَا جَنَّةُ الْخُلْدِ
مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمِي وَدُونَهُمْ قَذَفُ الثَّوَى وَتَثَوَفَةٌ^(٨) الْبُغْدِ
أَنْيَ أَنْفَتْ عَلَى رَجَائِهِمْ وَمَلَكْتُ عِزَّ جَمِيعِهِمْ وَخَدِي

(١) في التعريف بآبن خلدون: «الأضعان».

(٢) الْمُسْتَشْتَةُ: الفرس الذي يُقْبَلُ وَيُذْبَرُ فِي رَكَضِهِ. الْجُرْدُ: جمع أجرد وهو القصير الشعر. لسان العرب (سنن) و(جرذ).

(٣) في الأصل: «الخلقة» والتصويب من المصدرين.

(٤) اكتفى في النفع بالقول: «ومنها».

(٥) في الأصل: «بواتر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) الأيد: القوة. لسان العرب (أيد).

(٧) الرِّفْدُ: العطاء. لسان العرب (رفد).

(٨) التثوفة: الأرض البعيدة الواسعة التي لا ماء فيها. لسان العرب (تنف).

ومنها:

ورقيمة الأعطافِ حالية
وخشيّة الأنسابِ ما أنست
تمو بجيدٍ بالغِ صُعداً
طالت رؤوس الشامخاتِ به
قطعت إليك ثنائفاً وصلت
تُخدي^(٥) على استصعابها دُللاً
بسعودك اللائي ضمنّ لنا
جاءتك في وفدٍ الأحابش لا
وأفوك أنضاء تُقلّبهم
كالطيف يستقري مضاجعه
يُثنون بالحننى التي سبقت
ويرون لحظك من وفادتهم
يا مُستعميًّا جلّ في شرفٍ
جازاك ربك عن خليفته
وتقيت للدنيا وساكنها

مَوْشِيَّةٌ بوشائج^(١) البُرْدِ
في مُحشٍ البيداءِ بالقود^(٢)
شَرَفَ الصُّرُوحِ بغير ما جَهد
ولربما قَصُرَتْ عن الوَهْدِ
آسَادهَا^(٣) بالنَّصِّ والوَخْدِ^(٤)
وتَبَيَّتْ طَوْعَ القِنِّ والقِدِّ^(٦)
طَوَلَ الحَيَاةَ بعيشة رَغْدِ
يَرْجُونَ غيرَكَ مُكْرِمَ الوفدِ
أَيْدِي السُّرَى بالغُورِ والتَّجْدِ
أو كالحُسامِ يُسَلُّ من غَمْدِ
من غير إنكارٍ ولا جَحْدِ
فخراً على الأتراكِ والهندِ
عن رُتَبَةِ المنصورِ والمَهْدِي
خَيْرَ الجَزَاءِ فَنِعَمَ ما يُسْدِي^(٧)
فِي عَزَّةٍ أَبَدًا وَفِي سَفْدِ

وقال يخاطب^(٨) صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم^(٩): [الكامل]

يا سيّد الفضلاءِ دعوة مُشْفِي
ما لي وللإقصاءِ بَعْدَ تَعَلِّيةٍ
نادى لشكوى البَثِّ خَيْرَ سَمِيعِ
بالقربِ كنتُ لها أَجَلٌ شَفِيعِ

(١) في الأصل: «بوشائج» والتصويب من النفع.

(٢) هكذا في التعريف بابن خلدون. وفي النفع: «بالقود».

(٣) في النفع: «آسأدها».

(٤) النص والوَخْد: ضربان من السير السريع. لسان العرب (نقص) و(خدد).

(٥) في الأصل: «تخدي»، والتصويب من النفع.

(٦) خَدَى الفرس والبعير يخدي: يسرع. الدُّلَل: جمع ذلول وهي التي رِيضَتْ حتى سهل قيادها.

(٧) والقِنِّ والقِدِّ: أراد بهما ما تربط به من حبل ونحوه. لسان العرب (خدى) و(ذلل) و(قنن) و(قدد).

(٨) في النفع: «ما تُسْدِي».

(٩) في النفع: «وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدير ملك المغرب».

(٩) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢).

وأرى الليالي رَنَقَتْ لي صافيا
ولقد خَلَصْتُ إليك بالقُرْبِ التي
ووثقتُ منك بأيّ وَغْدٍ صادقٍ
وسما بنفسي للخليفة طاعةً
حتى اثتَحاني الكاشِحون بسعيهم
رغمتُ نفوسهم^(٢) بَنُجَجٍ وسائلي
وَبَعَوْا بما نَقِمُوا عليّ خلائقي
لا تُطِيعَهُمْ ببَذَلٍ في التي
أنى أضامُ وفي يدي القَلَمُ الذي
وليّ الخصائص ليس تأبى رُتَبَةً
قَسَمًا بمجدك وهو خيرُ اليَةِ^(٣)
إني لَتَضَطَّحِبُ الهمومُ بمضجعي
عطفًا عليّ بوخدتني عن معشري
أغدو إذا باكَرْتُهُمْ مُتَجَلِّدًا
حيرانُ أوجسُ عند نفسي خيفةً
أطوي على الزُقَرَاتِ قَلْبًا إِدُهُ^(٤)
ولقد أقولُ لَصَرْفٍ دَهْرٍ رابني
مَهْلًا عليك فليس حَظُّكَ ضائري
إني ظَفِرْتُ بعصمةٍ من أوحِدٍ

منها فأصبح في الأجاج شروعي^(١)
ليس الزمانُ لِشَمْلِها بِصُدُوعٍ
إني المصونُ وأنتَ غيرُ مُضِيعٍ
دون الأنام هَواك قبلَ نُزُوعٍ
فَصَدَدَتْهُمْ عني وكنتَ مَنيعي
وَتَقَطَّعْتَ أنفاسَهُمْ بِصَنِيعي
حسدًا فرأوني بكلِّ شنيعٍ
قد صُنَّتْها عنهم بفضلي قُنُوعِي
ما كان طَيعُهُ لهم بِمُطِيعٍ
حَسْبِي بعلمك^(٥) ذاك من تفريعي
أَعْتَدُها لفُؤادِي المَصْدُوعِ
فتحولُ ما بيني وبين هُجُوعِي
نَفَثَ الإِبَاءَ صُدُودَهُم في رُوعِي
وأزوخُ أَغْثُرُ في فضولِ دموعِي
فَتُسِيرُ في الأوهام كلَّ مَرُوعِ
حَمَلُ الهمومِ تُجُولُ بين ضلوعي
بحوادثٍ جَاءَتْ على تنويعٍ
فلقد لَيْسَتْ له أَجْرٌ درُوعِ^(٦)
بَذَّ الجميعَ بفضله المجموعِ

وأُشدُّ السلطانَ أميرَ المسلمين أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة وستين وسبعمائة^(٧): [البسيط]

حَيَّ المعاهدَ كانتَ قَبْلُ تُخَيِّبِنِي
إِنَّ الألى نَزَحَتْ داري ودارُهُمِ
بواكِفِ الدمعِ يُزويها وَيُظْمِئِنِي
تَحْمَلُوا القَلْبَ في آثارِهِمِ دُونِي

(١) رَنَقَتْ: كَدَّرَتْ. الأجاج: الملح الأجاج وهو الشديد الملوحة. لسان العرب (رتق) و(أجج).

(٢) في النسخ: «أنوفهم».

(٣) في النسخ: «بعلمي».

(٤) الآلية: القسم. لسان العرب (ألا).

(٥) في النسخ: «أدُهُ».

(٦) أَجْرٌ درُوع: أكثرها وقاية. لسان العرب (جن).

(٧) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٨٥ - ٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٤ - ٣٢٦).

وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم
أمثل الرنح من شوقي وأثمة
وينهب الرنح مني كل لؤلؤة
سقت جفوني مغاني الرنح بعدهم
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل
أحبائنا، هل لعهد الوصل مذكر
ما لي وللطيف لا يغتاد زائره
يا أهل نجد، وما نجد وساكنها
أعندكم أنسي ما مر ذكركم
أضبو إلى البرق من أنحاء أرضكم
يا نازحا والمثني ثذنيه من خلدي
أسلى هواك فوادي عن سواك وما
تري الليالي أنسك أذكاري يا

ومنها في ذكر التفريط:

أبعد مر الثلاثين التي ذهبت
أضعت فيها نفيسا ما وزدت به
واحسرتا^(٤) من أمان^(٥) كلها خدع

ومنها في وصف المشور^(٦) المبتنى^(٧) لهذا العهد:

يا مصنعا شيدت منه السعود جمى
صرح يحار لديه الطرف مفتتا

(١) في التعريف بابن خلدون: «قلبي».

(٢) العين: جمع عينا وهي الواسعة العينين. لسان العرب (عين).

(٣) يضيبي: يجعلني أصبو. لسان العرب (صبا).

(٤) في النفع: «واحسرتي».

(٥) في الأصل: «أمانتي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) المشور: المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.

(٧) في النفع: «المبني». (٨) في النفع: «وتكوين».

فيهم وأسأل رنحا لا يناجيني
وكيف والفكر يذنيه ويقصيني
ما زال جفني^(١) عليها غير مأمون
فالدمع وقف على أطلاله الجون
لو أن قلبي إلى السلوان يدعوني
منكم وهل نسمة منكم تحييني؟
وللنسييم عيلا لا يداويني
حسنا سوى جثة الفردوس والعين^(٢)
إلا انشيت كأن الراح تشيني
شوقا، ولولاكم ما كان يضيبي^(٣)
حتى لأحسبه قربا يناجيني
سواك يوما بحال عنك يسليني
من لم يكن ذكره الأيام تنسيني

أولي الشباب بإحساني وتخصيني
إلا سراب غرور ليس يرويني
تريش غيي ومُر الدهر يبريني

لا يطرُق الدهر مبناه يتوهين
فما يروك من شكل وتلوين^(٨)

بُعْدًا لِمَيَّوَانٍ كَسَرَى إِنَّ مِشْوَرَكَ السُّـ
وَدَغَ دَمَشَقَ وَمَغْنَاهَا فَقَضْرُكَ ذَا
سَامِي لَاعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الْأَوَارِسِ
«أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ»
ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله^(١):

مَنْ مَبْلُغَ عَنِّي الصَّخْبِ الْأَلَى جَهِلُوا
أَنِي أَوْنَيْتُ مِنَ الْعَلْيَا إِلَى حَرَمٍ
وَلَانِي ظَاعِنٌ لَمْ أَلَقْ بَعْدَهُمْ
لَا كَالْتِي أَخْفَرْتُ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ
سَفَيَا وَرَغِيَا لِأَيَامِي الَّتِي ظَفِرْتُ
أَزْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّا لَا يَمَاطِلُنِي
وَهَاكَ مِنْهَا قَوَافٍ طَيِّهَا جِحْمُ
تَلُوحُ إِنْ جُلَيْتُ دُرًّا، وَإِنْ ثُلَيْتُ
عَانَيْتُ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ
يَمَانِعُ الْفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ
لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدُهَا
بَقِيَتْ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا
وُدِّي وَضَاعَ حِمَامِهِ إِذْ أَضَاعُونِي
كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرَى تُحْيِيَنِي
دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصَمًا يُشَاكِيَنِي
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهُونِ
يَدَايِ مِنْهَا بِحِظٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ
وَعَدَا وَأَرْجُو كَرِيمًا لَا يُعْثِيَنِي^(٢)
مِثْلُ الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيَاحِينَ
تُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ
لَوْلَا سُعُودُكَ مَا كَانَتْ ثَوَاتِيَنِي^(٣)
مِنْ كُلِّ^(٤) حُزْنٍ بَطِيٍّ الصَّدْرِ مَكُونِ
فَرَضْتُ مِنْهَا بِتَحْيِيرٍ وَتَزْيِينِ^(٥)
وَدَامَ مُلْكُكَ فِي نَصْرِ وَتَمَكِينِ

وهو^(٦) الآن قد بدا له في التحول طوع أمل ثابت له في الأمير أبي عبد الله ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، لما عاد إليه مُلْكُ بجاية، وطار إليه بجناح شراع تقيًا ظله، وصلك من لدنه رآه مستقرًا عنده، يُدْعَمُ ذلك بدعوى تقصير خفي أحس به، وجعله علةً مُثْقَلَةً، وتجنُّ سار منه في مذهبه وذلك في...^(٦) من عام ثمانية وستين وسبعمائة. ولما بلغ بجاية صدق رأيه، ونجحت مُحْيَلَتُهُ، فاشتمل عليه أميرها، وولاه

(١) في النسخ: «انصرافه بسببه».

(٢) لا يعثيني: لا يتعبني. لسان العرب (عنى). وجاء في النسخ بعد هذا البيت كلمة «ومنها» وأورد الأبيات التالية.

(٣) ثواتيني: توافقتني، تسعفتني.

(٤) كلمة «كل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

(٥) الشوارد: جمع شاردة، وأصلها الدابة التي تنفر من ركبها وتصعب عليه فلا يزال يروضها ويذلها حتى يسلس له قيادها، والمراد هنا القوافي التي يصعب على الشعراء الإتيان بها. والتحجير هنا: التحسين. لسان العرب (شرد) و(حبر).

(٦) يياض في الأصل.

الحجاجة بها. ولم يَنْشِب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، وتملك البلدة بعد مَهْلَكه، وأجرى المترجم به على رَسْمه بما طرق إليه الظُّة بمدخلته في الواقع. ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس، وانصرف عنه، واستوطن بِسْكَرة، متحوّلاً إلى جوار رئيسها أبي العباس بن مَزْنَى، متعلّلاً بِرَفْده إلى هذا العهد.

وخاطبته برسالة في هذه الأيام، تنظر في اسم المؤلّف في آخر الديوان.

مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها الله، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة^(١).

عبد الرحمن بن الحاج بن القميبي الإلبيري

حاله: كان شاعراً مجيذاً، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة، قاضي غرناطة، ومن نصره من الفقهاء، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً، وطيف به على الأسواق بغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحق الإلبيري الزاهد، وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور، الأبيات الشهيرة: [البسيط]

السُّوطُ أبلغ من قولٍ ومن قيل ومن نباحٍ سفيهٍ بالأباطيل
من الدّار كَحَرِّ النار أبراه يَغْثِلُ التقاضي أي تَغْثِيلُ

عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَن بن أحمد بن تفلّيت الفازازي^(٢)

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظاً، نظّاراً، ذكياً، ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية، مُتَبَذِّلاً في هيئته ولباسه، قلماً يرى راكباً في حَضْرٍ إلّا لضرورة، فاضلاً، سَنِيّاً، شديد الإنكار والإنحاء على أهل البدع، مُبَالِغاً في التحذير منهم، عامر الإناء، يطلب العلم شَغْفاً به وانطباعاً إليه وحباً فيه وحرصاً عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النظم والنثر، وفُور مَادَّة، وموالة استعمال، لا يكاد يُقَيِّد، ولا يصرفه عنه إلّا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له

(١) كذا جاء في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢٦). وفي الضوء اللامع للسخاوي (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام للزركلي (ج ٣ ص ٣٣٠) أن وفاته سنة ٨٠٨ هـ.

(٢) ترجمة عبد الرحمن الفازازي في التكملة (ج ٣ ص ٤٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٣) وبيغية الرعاة (ص ٣٠٤) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) و(ج ١٠ ص ٣٤٠) واختصار القدح المعلى (ص ٢٠٣) وجاء فيه أنه «الفزازي».

مَلَكَ. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة وتمكُّن البراعة. وكان مثلبًا بالكتابة عن الولاة والأمراء، ملتزمًا بذلك، كارتها له، حريصًا على الانقطاع عنه، واختصَّ بالسيد أبي إسحق بن المنصور، وبأخيه أبي العلاء، وبملازمتها استحقَّ الذِّكر فيمن دخل غرناطة، إذ عُدَّ ممن دخلها من الأمراء.

مشيخته: روى عن أبيه أبي سعيد، وأبي الحسن جابر بن أحمد، وابن عتيق بن مون، وأبي الحسن بن الصائغ، وأبي زيد السَّهيلي^(١)، وأبي عبد الله التَّجيبى، وأبي عبد الله بن الفُخَّار، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي المعالي محمود الخراساني، وأبي الوليد بن يزيد بن بَقِي^(٢) وغيرهم. وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وأبو بكر بن سيِّد الناس، وابن مهدي، وأبو جعفر بن علي بن غالب، وأبو العباس بن علي بن مروان، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمران، وأبو يحيى بن سليمان بن حَوْطِ الله، وأبو محمد بن قاسم الحرار، وأبو الحسن الرُّعيني، وأبو علي الماقري.

توالياً ومنظوماته: له المَعْشَرَاتُ الزَّهْدِيَّةُ التي ترجمها بقوله: «المعشرات الزهدية، والمذكرات الحقيقية الجديّة، ناطقة بالسنة الوجليلين المُشْفِقِينَ، شائقة إلى مناهج السالكين المُسْتَبْقِينَ، نظمها متبرِّكًا بعبادتهم، مقيمًا بأغراضهم وإشاراتهم، قابضًا عنان الدَّعْوَى عن مُدَانَاتِهِمْ ومُجَارَاتِهِمْ، مهتديًا إهداء السُّنَنِ الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مُخَلِّدًا دون أفقهم العالي إلى حضيضه، جامعًا لحسن أقواله وقبح أفعاله بين الشَّيْءِ ونقيضيه عبد الرحمن». وله «المَعْشَرَاتُ الْخَبِيَّةُ، وترجمتها التَّفْصِحات الْقَلْبِيَّةُ، واللَّفْصَحات الشُّرُوقِيَّةُ، منظومة على السنة الداهيين وَجَدًا، الدَّائِبِينَ كَمَدًا وَجَهْدًا، الذين غَرَبُوا وبقيت أنوارهم، واختجبوا وظهروا آثارهم، ونطقوا وصمَّتْ أخبارهم، ووقفوا العبودية حقها، ومَحَضُوا المحبة مُسْتَحَقَّهَا، نَظْمٌ من نَسَجَ على منوالهم، ولم يشاركهم إلَّا في أقوالهم فلان». والقصائد، في مدح النبي ﷺ، التي كل قصيدة منها عشرون بيتًا، وترجمتها الوسائل الْمُتَقَبِّلَةُ، والآثار المسلمة الْمُقْبِلَةُ، مُودَعَةٌ في العشرية النبوية، والحقائق اللَّفْظِيَّة والمعنوية، نَظْمٌ من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدّها لما يستقبله من مُذْهِشِ الأهوال، وفَرَّعَ خاطره لها على توالي القواطع وتتابع الأشغال، ورجال بركة خاتم الرِّسالة، وغاية السُّودد والجلالة، فحَوَّ ما

(١) في بغية الوعاة: «أبي القاسم السهيلي».

(٢) في التكملة: «عن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي».

لَسَلَفِهِ مِنْ خَطَا فِي الْفَعْلِ، وَزَلَلٍ فِي الْمَقَالِ، وَاللهُ سَبْحَانَهُ وَلِيَّ الْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ، وَالْمَثَانِ بِتَسْوِيقِ هَذِهِ الْمِثَّةِ الْمَطْلُوبَةِ، فَذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِهِ، وَمَغْفُودِ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَمَغْفُورَتِهِ.

شعره: وشعره كثير جداً، ونثره مشهور وموجود. فمن شعره في غرض الشكر
 لله عز وجل، على غَيْثِ جَاءَ بَعْدَ قَنَظٍ: [الكامل]

نَعَمْ الْإِلَهِ بِشُكْرِهِ تَتَقَيَّدُ فَاللهُ يُشْكِرُ فِي التَّوَالِ وَيُخَمِّدُ
 مُدَّتْ إِلَيْهِ أَكْفُنَا مُحْتَاجَةً فَأَنَالَهَا مِنْ جُودِهِ مَا نَغْهَدُ
 وَأَغَائِنَا بِغَمَائِمٍ وَكَافَةٍ بِالْبِشْرِ تَشْرُقُ وَالْبِشَائِرُ تَزْعُدُ
 حَمَلْتُ إِلَى ظَمَأِ الْبَسِيطَةِ رِيَّةً فَلَهَا عَلَيْهِ مِثَّةٌ لَا تُجْحَدُ
 فَالْجَوُّ بِرَاقٍ وَالشُّعَاعُ مُفَضِّضُ وَالْمَاءُ فَيَاضُ الْأَثِيرِ مُعَسَّجِدُ
 وَالْأَرْضُ فِي حَلْيِ الْأَتِيِّ كَانَمَا نُطْفُفُ الْغَمَامِ وَلَوْلَوْ^(١) وَزَبَرْجَدُ
 وَالرَّوْضُ مَطْلُولُ الْخَمَائِلِ بِاسْمِ وَالْقَضْبُ لَيْئَةُ الْحَمَائِلِ مُيِّدُ
 تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي حَرَكَاتِهَا إِلِشْكْرِهَا أَمْ سُكْرِهَا تَتَاوَدُ؟
 فَيَقُولُ أَرْيَابُ الْبِطَالَةِ تَنْقِنِي وَيَقُولُ أَرْيَابُ الْحَقِيقَةِ تَسْجُدُ
 وَإِذَا اهْتَدَيْتِ إِلَى الصَّوَابِ فَإِنَّهَا فِي شُكْرِ خَالِقِهَا تَقُومُ وَتَقْعُدُ
 هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يُتَّقَضِي هَذَا هُوَ الْجُودُ الَّذِي لَا يُنْفَدُ
 احْضِرْ فَوَادِكَ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِهِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ قَدَرَ مَا تَتَقَلَّدُ
 وَانْقُضْ يَدَيْكَ مِنَ الْعِبَادِ فَكُلُّهُمْ عَجَزَ الْحَلِّ وَأَنْتِ جَهْلًا تَغْفِدُ
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى سِوَاهِ فَإِنَّمَا إِلَهِ لِمَذِي بِخَاطِرِكَ الْمَجَالِ الْأَبْعَدُ
 نَعَمْ الْإِلَهِ كَمَا تَشَاهِدُ حُجَّةً وَالْغَائِبَاتِ أَجَلُ مَا يُشْهَدُ
 فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِهِ الَّتِي لَا يُفْتَرَى فِيهَا وَلَا يُشْرَدُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالِدِيلِ مُبْلَغُ مِنْ أَيْ وَجْهِ يَسْتَرْيبُ الْمَلْحَدُ
 مَنْ ذَا الَّذِي يَرْتَابُ أَنَّ إِلَهَهُ أَحَدٌ وَالْبَيْئَةُ الْجَمَادِ تُوَحَّدُ
 كُلُّهُ يُصْرِّحُ حَالَهُ وَمَقَالَهُ أَنَّ لَيْسَ إِلَّا اللهُ رَبُّهُ يُغْبَدُ

ومن شعره أيضًا قوله: [الكامل]

عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ الْحَقِيقَةَ جَانِبًا وَغَدَا لَأَرْيَابِ الصَّوَابِ مُجَانِبًا

(١) في الأصل: «لَوْلَوْ»، وكذا ينكسر الوزن.

وابتاع بالحق المصطحح حاضرا
من بعد ما قد صار أنفذ أسهما
لا تمخذ عنك سوابق من سابق
قلربما اشتد الخيال وعاقه
ولكنم إمام قد أضرب بفهمه
فانحرف بأفلاطون وأرسطا
ودع الفلاسفة الذميم جميعهم
يا طالب البرهان في أوضاعهم
أعرضت عن شط الثجاة ملججا
وصفا الدليل فما نفقت بصفوه
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا
أغيشه أعباء الشريعة شدة
والله أسأل^(٣) عظمة وكفاية

ومن شعره: [الطويل]

إليك مددث الكف في كل شدة
وانت ملاذ والأنام بمفزل
فحقق رجائي فيك يا رب واكفني
ومن أين أخشى من عدو إساءة
وكم كزية تجنيتني من غمارها
فلا قوة عندي ولا لي حيلة
فيا منجى المضطر عند دعائه
رجاؤك رأس المال عندي وربحه

ومنك وجذث اللطف في كل نائب
وهل مستحيل في الرجا^(٤) كرايب؟
شمت^(٥) عدو أو إساءة صاحب
وبشرتك ضاف من جميع الجوانب؟
وكانت شجا بين الحشا والثرائب
سوى حسن ظني بالجميل المواهب
أعثنى فقد سدت علي مذهب^(٦)
ورؤده^(٧) في المخلوق أننى المواهب

(١) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «الحبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «أسأل» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «شمتة» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «مذهب» بدون ياء. (٧) في الأصل: «ورؤده» وكذا ينكسر الوزن.

إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم فتأملهم بعض الظنون الكواذب
 فيا محسنا فيما مضى أنت قادر على اللطف في حالي وحسن العواقب
 وإني لأرجو منك ما أنت أهله وإن كنت خطأ في كثير المعاييب
 فصل على المختار من آل هاشم إمام الورى عند اشتداد النوايب
 وقال في مدعي قراءة الخط دون نظر: [الطويل]

وأذو مياس العواطف أصبحت محاسنه في الناس كالنوع في الجنس
 يُدير على القرطاس أنمل كفه فيدرك أخفى الخط في أيسر اللبس
 فقال فريقت: سخر بابل عنده وقال فريقت: ليس هذا من الإنس
 فقلت لهم لم تفهموا سر دزكه على أنه للعقل أجلى من الشمس
 ستكفه حب القلوب فأصبحت مداركها أجفان أنمله الخمس

وفاته: استقدمه المأمون^(١) على حال وخشة، كانت بينه وبينه، فورد ورود
 الرضا على مراكز في شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة. وتوفي في ذي قعدة
 بعده^(٢)، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرنائهما، رحم الله جميعهم.

انتهى السفر التاسع بحمد الله

ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المنجب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين.

حاله: لحق به بالعدوة، فأتصل بخدمته، وأغراه بالاندلس، إذ ألقى إليه أمورها
 على صورتها، حتى كان ما قرغ الله، عز وجل، من استيلائه على ممالكها، وخلعه
 لرؤسائها. وكان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مقدورا عليه في رزقه، يتحرف
 بالتسخ، ولم يكن حسن الخط، ولا معرب اللفظ، إلى أن تسير للكتابة في باب

(١) هو أبو العلاء إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحد، وقد حكم
 المغرب والاندلس من سنة ٦٢٤ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص
 ٢٧٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥): «وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ هـ. وجاء في بغية الوعاة (ص
 ٣٠٤) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) أنه ولد بعد الخمسين وخمسمائة.

الذيوان بالمرية، ورأى خلال ذلك، في نومه، شخصاً يوقظه، ويقول له: قُمْ يا صاحب رُنع الدنيا، وقصّ رؤياه على صاحب له بمثواه، فبشّره، فطلب من ذلك الحين السمو بنفسه، فأجاز البحر، وتعلّق بحاشية الحرة العليّا زينب^(١)، فاستكثبت، فلما توفيت الحرة، أقرّه أمير المسلمين كاتباً، فنال ما شاء مما ترّمي إليه الهمم جأها ومالاً وشهرة. وكان رجلاً خفيفاً، سكوناً، عاقلاً، مُجدي الجاه، حسن الوساطة، شهير المكانة.

وفاته: توفي فجأة بمدينة سبتة، في عام سبعة وثمانين وأربعمائة. وتقلّد الكتابة بعده أبو بكر بن القصيرة. ذكره ابن الصيرفي.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري^(٢)

وتكرر مالك في نسبه.

أوليته: قالوا: من ولد عُقبة بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لَوْشَة، غرناطي، يكنى أبا محمد.

حاله: كان^(٣) أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سُنن عظماء الملوك، وأخلاق السادة الكرام^(٤). لم ير بعده مثله في رجال^(٥) الأندلس، ذاكراً للفقّه والحديث، بارعاً في الأدب^(٦)، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً، خلو الكتابة والشعر، هشاً مع وقار، ليّناً على مضاء، عالي الهمّة، كثير الخدم والأهل^(٧).

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحَمَام، بجوفيّ الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه^(٨) أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة. وشرع في الزيادة في سقف

(١) هي زينب النفزاوية التي كانت مضرب المثل في الجمال؛ تزوجت أبا بكر بن عمر، ابن عم يوسف بن تاشفين المرابطي، في سنة ٤٦٠ هـ، ثم طلقها فتزوجها يوسف بن تاشفين فأنجبت له ولده الفضل، وكانت أحب ما لديه امرأة غالبية عليه. البيان المغرب (ج ٤ ص ١٨، ٣٠).

(٢) ترجمة عبد الرحمن بن محمد المعافري في التكملة (ج ٣ ص ١٨) وقلاند العقيان (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣).

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٥). (٤) كلمة «الكرام» ساقطة في النفح.

(٥) في الأصل: «حال» والتصويب من النفح. (٦) في النفح: «الأدب».

(٧) في الأصل: «الخادم والأمل» والتصويب من النفح.

(٨) في الأصل: «بناء».

الجامع من صَحْنِه سنة ست عشرة، وعَوْضَ أَرْجُلِ قَيْسِيَه أَعْمَدَة الرخام، وجَلَبَ الرُّؤُوسَ والموائد من قرطبة، وفرش صحنه بِكَذَّانِ الصُّخْرَةِ^(١). ومن مكارمه أَنه لَمَّا وَلَّى مُسْتَخْلَصَ غَرْنَاطَة وإشبيلية، وَجَّهه أميره علي بن يوسف بن تاشفين إلى طَرْطُوشَة برسم بنائها، وإصلاح خللها، فَلَمَّا استوفى الغاية فيها قَلَّده، واستصحب جملة من ماله لمؤنَّته المختصَّة به، فلما احتلَّها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُفَ حاله وقلَّ تصرفه من ذوي البيوتات، فاستعملهم أمانة في كل وجه جميل، ووشع أرزاقهم، حتى كَمَلَ له ما أراد من عمله. ومن عَجَزَ أن يستعمله وصله من ماله. وصَدَرَ عنها وقد آنَشَ خلقًا كثيرًا.

شعره: من قوله في مجلس أطربه سماعه، وبَسَطَه احتشاد الأنس فيه واجتماعه^(٢): [الخفيف]

لا تَلْمَنِي إِذَا طَرِئْتُ لَشَجَرٍ^(٣) يَبْعَثُ الْأَنْسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
ليس شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا إِنَّمَا الْحَقُّ^(٤) أَنْ تُشَقُّ الْقُلُوبُ

وقال، وقد قَطَفَ غلام من غلمانِه نَوَّارَة، ومدَّ بها يده إلى أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(٥)، فقال أبو نصر^(٦): [الطويل]

وَبَذَرَ بَدَا وَالطَّرْفَ مَطْلَعُ حُسْنِهِ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النُّورِ كَوَكَبُ
يَرُوحُ لَتَعْذِيبِ النُّفُوسِ وَيَتَغَدَّى وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَعْرُبُ

فقال أبو محمد بن مالك^(٧): [الطويل]

وَيَخْسَدُ^(٨) مِنْهُ الْقُضْنُ أَيُّ مَهْفَهْفٍ يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ وَيَذْهَبُ

(١) في النفع: «الصخر». والكذَّان: حجارة رخوة.

(٢) البيتان في قلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) و(ج ٤ ص ٢٠٤).

(٣) في القلائد: «لشدو». (٤) في النفع: (ج ٢ ص ٢٠٥): «الشان».

(٥) هو أبو نصر الفتح بن خاقان، صاحب «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس».

(٦) البيتان في نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٤). وورد البيت الأول في نفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥)

منسوبا إلى ابن مالك. وورد البيت الثاني في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥)

منسوبا إلى محمد بن مالك.

(٧) البيت في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٤).

(٨) في القلائد: «ويحسن».

نشره: قال أبو نصر^(١): كتبت إليه موذعاً، فكتب^(٢) إليّ مُستدعياً، وأخبرني رسوله^(٣) أنه لما قرأ الكتاب وضعه، وما سوى ولا فكر ولا روى:

يا سيدي، جرت الأيام^(٤) بجمع افتراقك، وكان الله جارك في انطلاقتك^(٥)، فقَيْرِكَ رُوعَ بالظعن، وأوقد للوداع جاحم^(٦) الشجن، فأنت^(٧) من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقر^(٨) على وطن، كأنك والله يختار لك ما تأنيه وما تدعه، مؤكل بفضاء الأرض تذرعه^(٩)، فحسب من نوى بعثرتك الاستمتاع، أن يعدك^(١٠) من العواري السريعة الازترجاع^(١١)، فلا يأسف على قلة الثوا^(١٢)، ويُشدد: [الطويل]

وفارقت حتى ما أبالي من النوى

وفاته: اعتل^(١٣) بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة، فزادت علته بها، وتوفي، رحمه الله، بها في غرة شعبان سنة ثمان^(١٤) عشرة وخمسمائة، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة، وحضر جنازته الخاصة والعامة.

من رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله، فقال: [الكامل]

إن كنت تشفق من نزوح نواه فهناك مقبرة وذا مئواه
قسّم زمانك عبرة أو عبرة وأجل تشوقه على ذكره

- (١) قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥).
(٢) في القلائد: «فجاوبني جواباً مستدعياً». (٣) في القلائد: «رسولي».
(٤) في القلائد: «الأقدار».
(٥) هذا من قول البحري وهو بحلب، قاله لأبي جعفر بن سهل المروزي ولم يودعه: [مخلع البسيط]

الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك أو عراقك
ديوان البحري (ج ٢ ص ١٢).

- (٦) في الأصل: «جامح» والتصويب من المصدرين.
(٧) في المصدرين: «فإنك».
(٨) في القلائد: «لا تستقر».
(٩) قوله: «مؤكل بفضاء الأرض تذرعه» عجز بيت لابن زريق البغدادي، وصدره هو: [البسيط] كأنما هو في حل ومرتحل
(١٠) في القلائد: «يعتدك».
(١١) في القلائد: «الاسترجاع».
(١٢) الثوا: أصل القول: الثواء، بالهمز. والثواء: الإقامة.
(١٣) قارن بنفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥). (١٤) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

وأغِدْهُ ما امتدَّت حياتك غائِبًا
أو نائِمًا غَلَبَتْ عليه رَقْدَةٌ
أو كوكبًا سَرَتْ الرُّكَّاب بنوره
فمتى تَبْعُد والنفوس تَزُورُه
يا واحدًا عَدَل الجميع وأصلحت
طالت أذاثُك بالحياءِ كرامةً
لشهادة التوحيد بين لسانه
وبوجهه^(١) سيما أغرَّ مُحَجِّلٍ
وكانما هو في الحياة سَكينة
وكانَّه لَحَظَّ العُفاة توجُّعًا
أَبْدَى رِضى الرحمن عنك ثناؤهم
يا ذا الذي شَغَفَ القلوب به
ما ذاك إِلَّا أَنه قَسَرَ زَكَا
فاليوم أَوْدَى كُلَّ مَنْ أَحَبَّته
ماذا يُؤْمَل في دمشق مُشْهَدٌ
يعتاد قبرك للبكاء أَيْسًا بما
يا ثُرْبَةً حلَّ الوزير ضريحها
وسرى إليك ومنك ذكْرٌ ساطع

أو عاتِبًا إن لم تَزُرْ رُزْناه
لُمُسْهَد لم تَغْتَمِض عيناه
فمضى وبلغنا المحلَّ سَناه
ومتى تَغِيب والقلوب تراه
دُنْيا الجميع ودينهم دُنْياه
والله يَكْرُم عَبْدَه بِأَذاه
وجنائه نور يُسرى مَسْراه
مَهْما بدا لم تَلْتَبِسْ سِيماه
لولا اهْتِزَازٌ في التُّدى يَغْشاه
فتلازَمَتْ فوق الفؤاد يداه
إِنَّ الثُّنَاءَ علامة لِرِضاہ
وذا لا تَزَرْتَجِيه وذاك لا تَخْشاه
وسِعَ الجميع بظِلِّه وَحْناہ
وَنَعى إلى النفس مَنْ يَنْقاه
قد كُنْتَ ناظِرَه وَكُنْتَ تراه؟
قد كان أَضْحَكُه الذي أَبْكاہ
سَقَاكَ بل صَلَّى عليك الله
كالمسك عاطرة به الأَفْواه

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشيتي^(٢)

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة^(٣)، ونشأ بلوثة، وهو محسوب من
الغرناطين.

حاله: كان شيخًا يبدو على مخيلته الثبل والدَّهَاء، مع قُصُور أدواته. يَتَّحِل
النَّظْم والنثر في أراجيز يتوصَّل بها إلى غرضه من التصرُّف في العمل.

(١) في الأصل: «وبوجهه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) ترجمة الينشيتي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٣) باغة: بالإسبانية Priego، وهي مدينة بالأندلس من كورة البيرة، في قبلي قرطبة، ولماها خاصة
عجيبة. معجم البلدان (ج ١ ص ٣٢٦) والروض المعطار (ص ٧٨).

وجرى ذكره «في التاج المحلى» وغيره بما نصه^(١): قارض^(٢) هاج، مُدَاهِن مُدَاج، أَخْبَثُ من نظر من طَرَفٍ خَفِيٍّ، وأَعْدَرُ من تلبس بشعار وفي، إلى مَكِيدَة مَبْثُوتَة الحبائل، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبائل، من شيوخ طريقة العمل، الْمُتَقَلِّبين من أحوالها بين الصُّخو والثمل، المتعللين برسومها حين اختلط المَرْعِي والهَمَل^(٣). وهو ناظمٌ أَرْجَاز، ومستعملٌ حَقِيقَة ومجاز. نظم مُخْتَصِر السَّيْرَة، في الألفاظ اليسيرة، ونظم رَجَزًا في الزُّجَر والقال، نَبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن نظمه ما خاطبني به مستدعيًا إلى إعدار ولده^(٤): [البسيط]

أريدُ مِنْ سيدي الأعلى تَكْلُفَه على^(٥) الوصول إلى داري صباحَ غَدِ
يزيدني شرفًا منه ويُبَصِّرُ لي صناعةً القاطعِ الحِجَامِ في ولدي
فأجبتُه: [البسيط]

يا سيدي الأوحَدَ الأسمى ومُعْتَمِدِي وذا الوسيلةِ من أهلٍ ومن بَلَدِ^(٦)
دَعَوْتُ في يومِ الاثنينِ الصُّحَابَ ضُحَى وفيه ما ليس في بَيْتِ^(٧) ولا أَحَدِ
يَوْمُ السَّلامِ على المَوْلَى وخدمته فاضْفَحْ وإنْ عَثَرَتْ رِجْلِي فَخُذْ بيدي
والْعُدْرُ أَوْضَحْ من نارٍ على عَلمٍ فَعَدُّ إنْ غِبْتُ عن لَوْمٍ وعن فَنَدِ^(٨)
بقيت في ظلِّ عيشٍ لا نفاذَ له مُصَاحِبًا غير محصورٍ إلى أَمَدِ
ومنه أيضًا: [الكامل]

قل لابن سيّد والديه: لقد عَلَا وتجاوز المقدار فيما يَفْخَرُ
ما ساد والده فيُحْمَدُ أمرُهُ إلّا صغير العُنْزِ حتّى يَكْبُرُ
وصدرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى، ممّا عَذَّبَ به المجنى، منها قوله^(٩): [الكامل]

إنّ الولاية رفعةٌ لكنها أبدا إذا حَقَّقَتْهَا تَتَنَقَّلُ^(١٠)

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (٢) في النفع: «مادح». (٣) في المصدر نفسه: «بالهمل». والمرعي الذي له راع يحفظه. والهمل: الذي ترك مهملاً لا راعي له. لسان العرب (رعى) و(همل). (٤) البيتان وجوابهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦). (٥) في النفع: «إلى». (٦) في النفع: «من أهلي ومن بلدي». (٧) في المصدر نفسه: «سبت». (٨) الفَنَدُ، بالفتح: تخطئة الرأي. لسان العرب (فند). (٩) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (١٠) في الأصل: «تتنقل»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلها لا تُغزل

وقال: [الطويل]

هنيئاً أبا إسحق دُمْتَ موقفاً سعيذاً قريز العين بالعرس والعرس
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي تملكها في الحسن أسنى من الشمس
وقالوا: عجيب نور بذرين ظاهر فقلت: نعم إن ألف الجنس للجنس

وكتب إلي: [الطويل]

إذا ضاق دزعي بالزمان شكوته لمولاي من آل الخطيب فينفرج
هو العدة العظمى هو السيد الذي بأوصافه الحسنى المكارم تبتهج
وزير علا ذاتاً وقدرًا ومنصباً فمن دونه أغلا الكواكب يندرج
وفي بابيه نلت الأمانى وقادني دليل رشادي حيث رافقني الفرخ
فلا زال في سعاد وعز ونعمة تُصان به الأموال والأهل والمهج

وفاته: توفي في الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة.

وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن،
وأولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم^(١)

أوليته: أبوه المنشوب إليه فتح الأندلس، ومحلّه من الدين والشهرة وعظم
الصيت معروف.

حاله: كان عبد الأعلى أميراً على سُنن أبيه في الفضل والدين، وهو الذي باشر
فتح غرناطة ومالقة، واستحق الذكر لذلك. قال الرازي^(٢): وكان موسى بن نصير قد
أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رثيه من الرجال إلى البيرة وتدمير؛ لفتحها، ومضى إلى
البيرة ففتحها، وضّم بها إلى غرناطة اليهود مستظهِراً بهم على النصر، ثم مضى إلى
كورة رثيه، ففتحها.

(١) راجع أخبار عبد الأعلى بن موسى بن نصير في نفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَخْيُو

يكنى أبا محمد، أوليته معروفة.

وَقَسَدَ ما بين أبيه وبين جدّه، أمير المسلمين، بما أوجب انْتِيادَهُ إلى سكنى مدينة سِجْلَمَاسَة، مُعَزَّزَةً له الْقَابُ السلطان بها، مُدَوِّخًا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كَالسَّذِّ الكبير الشهير، وقُصور الملك. فلَمَّا نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن، وأمضى قِتْلَتَه بالفِصاد، نشأ ولده، وهم عِدَّةٌ بِيابِ عَمَّهم، يَسَعُّهم رِفْدُهُ، ويقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابْنَه السلطان أبو عِنان، عندما تَصَيَّرَ الأمر إليه، فاستقرُّوا بغرناطة تحت برٍّ وجراية، قَلِيًّا بمكانهم من جلاهم ومن بعده، لإشارة عيون الترشيع إليهم، مغازلة من كُتِبَ، وقعودهم بحيث تَغُثُّ فيهم المظنَّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.

حاله: هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصيانة ودَمَتِ الخُلُقُ وحسن الإدارة، يَأْلَفُ أهل الفضل، خاطِبٌ للرُتْبَةِ بكل جهد وحيلة، وسُدُّ عنه باب الأطماع. حُدِّرَ من كان له الأمر بالأندلس من لَدُنْ وصوله؛ كي لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرْفِ وجوه أهله إلى غزو عدو المِلَّة، ومُخَوِّلي القِبلة، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة، وربما يَمِيت عنهم الحركات والهموم، فثَقَّفُوا من فيها عليهم، إلى أن تَبَرَّأ ساحتهم ويظن به السكون. فلَمَّا دالت الدولة، وكانت للأخابث الكُرَّة، واستقرَّت بيد الرئيس الغادر الكُرَّة، وكان ما تقدَّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، وليّ مُلْكُ الأندلس، المُزْعَج عنها بعلَّة البَغْي، ذهب الدَّائِلُ الآخرق إلى المقارضة، فعندما استقرَّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تِلْمَسَان بعد مفاوضة، فكان ذلك في أخريات ذي قعدة، وقد قُضِيَ الأمر في السلطان أبي سالم، وانحلت العُقْدَةُ، واثتَكَّتِ المريرة، وولَّى الناس الرجل المَعْتَو، وقد إلى تِلْمَسَان من لم يَرْضَ محلّه من الإدالة، ولا قويت نفسه على العِوض، ولا صابَرَت غَضُّ المخافة، وحرك ذلك من عزمه، وقد أنجده السلطان مُسْتَدْعِيه بما في طَوْقه. ولما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، ومُغْمِلِ التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حُدِّرَ من لحق به من أضداده، فصمَّم على الحصار، واشتراب بالقبيل المَرِينِي، وأكثَّف الحجاب دونهم بما يحرك أنفَتهم، فثَقَّرُوا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعمائة، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجَّهت إليه

وجوهم أنفأقا، واثالوا عليه اضطرازا، ونازل البلد الجديد، دار الملك من مدينة فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. واضطربت المحلات بظاهره، وخرج إليه أهل المدينة القُذمي، فأخذ بيعتهم، وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطباتها.

ومن ذلك ما خطب به من مدينة سَلا، وأنا يومئذ بها: [الخفيف]

يا إمام الهدى، وأي إمام أوضح الحق بَغْدَ إخفاءِ رَسْمِه
أنت عبدُ الحليم جِلْمُكَ نَرْجُو فالمُسْمَى له نصيبٌ من اسمِه

وسلك مَسْلَكًا حسنًا في الناس، وقَسَحَ الآمال، وأجمل اللقاء، وتَحَمَّل الجفاء، واستقرَّ الخاصة بجميل التَّائِي وأخذِ العفو، والتَّظَاهر بإقامة رسوم الدِّيانة، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومُدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الرُّوم والجند الرُّحل، واستكثر من آلات الظهور وعُدَد التَّهويل، فكانت بين الفريقين حربٌ مرَّة تولى كبرها النَّاشِبة، فأرسلت على القوم خواصب النَّبل، غارت لها الخَيْلُ، واقشعرت الوجوه، وتقهرت المواكب. وعندها برَز السلطان المغتوهِ، مصاحبةً له نُسمة الإقدام، وتهوُّر الشجاعة عند مفارقة الخلال الصُّحيَّة، وتوالت الشدات، وتكاثرت الطائفة المحصورة، فتمرَّست بأختها، ووقعت الهزيمة ضُخوة اليوم المذكور على قَبيل بني مرين ومن لَفَّ لَفَّهُم، فصَرَفوا الوجوه إلى مدينة تازي، واستقرَّ بها سلطانهم، ودخلت مِكناسة في أمرهم، وضاق دُرْع فاس للملِّك بهم، إلى أن وصل الأمير المُستدعى، طِيَّة الصبر، وأجدى دَفْع الدِّين، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام. وكان اللقاء بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مُطْعَم الإمهال ومُعَوَّد الصُّنع. وبين جيش بني مرين، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، فرحل القوم من مِكناسة، وفرَّ عنهم الكثير من الأولياء، وأخلَّوا العَرْصَةَ، واستقروا أخيرًا ببلد أبيهم سِجْلَماسة، فكانت بين القوم مُهادنة. وعلى أثرها تَعَصَّب للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة، وقد برز إليهم في شأن استخلاص الجباية، فرجعوا به إلى سِجْلَماسة. وخرج لمدافعتهم الأمير عبد الحليم، بمن معه من أشياخ قَبيله والعرب أولى مظاهره، فكانت بينهم حرب أجَلَّت عن هزيمة الأمير عبد الحليم، واستلَّحِم للسَّيف جملة من المشاهير، كالشيخ الخاطب في حَبْلِه، خِذْن التُّكر وقادح رَنْد الفِتنة، الدَّائِن بالحَمْل على الدول على التفصيل والجملة، المُعْتَمَد بالمغرب بالرأي والمشورة، يحيى بن رَحْو بن مَسْطَى وغيره. وأذن عبد الحليم بعدها للخَلْع، وخرج عن الأمر لأخيه، وأبقى عليه، وتحرَّج من

قتله، وتُعرف لهذا الوقت صَرْفُهُ عنه إلى الأرض الحجازية على صحراء القِبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته وبني عمه في...^(١).
جلاهم السلطان أبو عنان عندما تصير له الأمر، فاستقرؤا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشده.

وفاته: وتوفي...^(١) وستين وسبع مائة.

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَخْيُو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلاً وقوراً، سكوناً، نحيفاً، آية الله في جمود الكف، وإيثار المَسك، قليل المُداخلة للناس، مشتغلاً بما يُغنيه من خُويصة نفسه، موصوفاً ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرك معه وابن أخ لهما، فتولّى كثيراً من أمره، ولقي الهزل دونه. ولما استقرؤا بسجلماسة، كان ما تقرّر من توثبه على أمره، والعمل على خَلعه، مُعْتذراً، زعموا إليه، موفياً حقّه، موجِّباً تَجَلُّته إلى حين انصرافه، ووصل الأندلس خطابه يُعرف بذلك بما نصّه في المَدْرَجَة.

ولم يَثْشِب أن أحسّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره^(٢)، عامر بن محمد الهيثاني، وعرض نفسه عليه، فاستدعاه، وبَدَل له أماناً. ولما تحصّل عنده، قبض عليه وثقّفه، وشدّ عليه يده، وحَصَلَ على طلبه دهيّة من التوعّد بمكانه، واتخاذ اليد عند السلطان بكفّ عاديته إلى هذا التاريخ.

ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طارؤون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجه إلى المغرب، وجرت عليه الهزيمة من بني زِيَّان.

(١) يياض بالأصول.

(٢) نسبة إلى هسكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية، الضاربة في بلاد السوس جنوب شرقي مراكش، وغربي بسجلماسة.

حاله: كان صبيًا ظاهر السكون والأدب، في سنِّ المراهقة، لم يَنْشِب أن نازله جيشُ عدوّه. ومالاه أهل البلد، وأخذ مَنْ معه لأنفسهم وله الأمان، فنزل عنها ولحق بالأندلس. قال في كتاب «طُرْفَة العصر»: وفي ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة، اتّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن معه، بساحل شلوبانية^(١)، مُقْلَتَيْن من دَهَق الشُّدَّة، بما كان من منازل جيش بني زِيَّان مدينة الجزائر، وقيام أهلها بدعوتهم، لما سمّوه من المطاولة، ونَهَكهم من الفِتنة، وامتنع الأمير وَمَنْ معه بِقَصَبَتِهَا، وأخذوا لأنفسهم عهدًا، فنزلوا وركبوا البحر، فرافقتهم السُّلَامة، وشملهم سِثْر العِصْمة. ولحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثَقِيلِي الجَلِيَّة، وما يناسب ذلك من بَزَّة، وعَجَّل من خدامه بمن يقوم ببرّه، وأصحبه إلى منزل كرامته. ولرابع يوم من وصوله كان قُدومه، وبرز له السلطان برورًا فخْمًا، ونزل له، قارصًا إياه أَحْسَن القَرَض؛ بما أسلفه من يَد، وأشداه من طُول. وأقام ضيفًا في جواره، إلى أن اسْتَدْعَاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رِضَى منه، ولم يَنْشِب أن هلك مُغْتَالًا في جُمْلَةٍ أزداهم الترشيح.

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني^(٢)

يكنى أبا ملك^(٣). وبيئته في الموحّدين الملوك بتونس. وأبوه سلطان إفريقية، المُتَرْقِي إليها من رُتْبة الشَّيَاخَة الموحّدية.

حاله: كان رجلًا طَوَالًا نحيفًا، فاضلًا حَسِيْبًا، مقيمًا للرُّسُوم الحَسْبِيَّة، حسن العشرة، معتدل الطَّرِيقَة. نشأ بالبلاد المشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، وتقلّد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرَّ عنها ولحق بالمغرب، وجاز إلى الأندلس، وقدم على سلطانها، فرحّب به، وقابله بالبرِّ، ونوّه محله، وأطلق جراته، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدُوَّة، ووقعت بيني وبينه صُحْبَة، أنشدته عند وداعه^(٤): [المقارب]

أبا ملك، أَنْتَ نَجَلُ الملوكِ غِيُوْثُ النُّدى وليُوْثُ النِّزالِ
ومِثْلُكَ يَزْتَاخُ لِلْمَكْرُمَاتِ وما لَكَ بين الوري من مثالي

(١) شَلُوبَانِيَّة أو شَلُوبِيْنِيَّة: بالإسبانية: Salobrena، وهي قرية على ضفة البحر، بينها وبين المنكب عشرة أميال، يوجد فيها الموز وقصب السكر. الروض المعطار (ص ٣٤٣).

(٢) أخبار عبد الواحد بن زكريا في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١).

(٣) في المصدرين السابقين: «أبا ملك».

(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦ - ١٩٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢).

عزیزُ بأنفسنا أن نرى رِکابک مُؤذنةً بارتحال
وقد خَبَرْتُ منك خُلُقًا كريمًا أنافَ على درجات الکمال
وفاژتُ لَدِیک بِسِباعِ أنسٍ كما زار في الثوم^(١) طَيْفُ الخيالِ
فلولا^(٢) تَعَلُّلنا أننا نَزُورُک فوقِ بِساطِ الجلالِ
ونبلُغُ فیک الذی نَسْتَهی^(٣) وذاك على الله سَهْلٌ^(٤) المَنالِ
لما فَتَرْتُ أنفسَ مِن أَسى ولا بِرِحتِ أدمعُ في ائهِمالِ
تَلَقُّتْکَ حیثُ اِخْتَلَّت السُّعودُ وكان لک الله في^(٥) کلِّ حالِ

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مخي

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله: كان شجاعًا عفيفًا تقيًا، وقورًا جليدًا، معروف الحق، بعيد الصيت. نازع الأمر قومَه بالمغرب، وانتزى بمدينة تازي، على السلطان أبي الربيع، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق دُرُعه، فعبر فيمن معه إلى تلمسان. ولما هَلَكَ أبو الربيع، وولي السلطان أبو سعيد، قَدِمَ للكُتُبِ في شأنه إلى سلطان الأندلس، وقد تعرّف عزمه على اللحاق، ولم ينشِب أن لحق بالمرية من تلمسان، فتَقَفَ بها؛ قَضاءَ لِحَقٍّ من خاطب في شأنه. ثم بدا للسلطان في أمره، فأوْعَزَ لِرُقْبائه في العُقْلة عنه، وفرَّ فلحق ببلاد النصرى^(٦) فأقام بها، إلى أن كانت الوقعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية العَطْشا على يد طالب المُلْك أمير المسلمين أبي الوليد، وأُمير يومئذ شيخ الغزاة حَمُو بن عبد الحق، وترجّح الرأي في إطلاقه وصَرْفَه، إعلانًا للتهديد، فنجحت الحيلة، وعُزِل عن الخُطّة، واستدعي عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، وقُدِّمَ شيخًا على الغزاة. ولما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر، واستوسق له، وكان ممن شمله أمانه، فأقرّه مرؤوسًا بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة. ثم لِحِقَ بأَميرِه المخلوع

(١) في المصدرين: «في الليل».

(٢) في المصدرين: «نبتني».

(٣) في الأصل: «وذاك على السَهْل...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٤) في الأصل: «على» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) المراد ببلاد النصرى: أي بلاد النصرى.

نُصر، المستقرّ مَوادَعًا بوادي آش، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية، الواقعة الشنيعة بقزمونة، وأقام لديه مُدَّة. ثم لحق بأرض النُصري، وأجاز البحر إلى سبته، مظاهراً لأمرها أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العزفي، وقد كشف القناع في مُناذرة طاعة السلطان، ملك المغرب، وكان أمّلك لما بيده، وأُتيح له ظفّر عظيم على الجيش المُضَيّق على سبته، فبيّته وهزمه. وتخلّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش في بيت من الخشب رهينة، فصُرف عليه، فما شئت من ذِياع شهرة، وبُعد صيت، وكَرَم أخذوثة. ثم بدا له في التّحول إلى تلمسان، فانتقل إليها، وأقام في إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره.

وفاته: توفي يوم دخول مدينة تلمسان عتوة، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة، قُتل على باب منزله، يُدافع عن نفسه، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غناء، وكُور واستلّحم، وحزّ رأسه. وكان أسوة أميرها في المخيا والممات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله وقُتل بِمَقْتله. وكان أيضًا علماً من أعلام الحروب، ومثلاً في الأبطال، وليثاً من لُيُوث الثّزال.

عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه^(١)

حالهما: قال ابن مسعدة: أبو محمد وأبو مروان تولّيا حُطّة الوزارة في الدولة الحَبُوسية^(٢)، ثم تولّيا القيادة بشغور الأندلس، وقهرا ما جاورهما من العدوّ، وغلّياه، وسَقْيَاه كأس المنايا، وجرّعاه. ولم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين علّمين، إلى أن استشهدا، رحمهما الله.

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله: قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعراً، نحويّاً، لغويّاً، كاتباً متوقّداً الذهن، عنده معرفة بالطّب، ثم اغتزل الناس، وانقبّض، وقصد سُكنى البشارات^(٣)؛ لينفرد بها، ويُخفي نفسه؛ فراّاً من الخدمة، فتهدّى له المراد.

(١) راجع أخبارهما في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٩).

(٢) نسبة إلى حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، وقد حكم غرناطة في عصر ملوك الطوائف من سنة ٤١٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ. انظر أخباره مفصلة في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٥ - ١١٧).

(٣) البشارات أو البُشَرَات Alpujarras، هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلبر، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٢٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

شعره: وكان شاعراً جيداً القريحة سريع الخاطر، ومن شعره: [السريع]
يا صاح، لا تعرض لزوجة
كلّ البلا من أجلها يغتري
الفقر والذلّ وطول الأسى
لست بما أذكره مُغتري
ما في فم المرأة شيء سوى
اشتري لي واشتر لي واشتر

القضاة الفضلاء وأولاً الأضليون

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب
ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد
ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي^(١)

أوليته: من ولد زيد بن محارب بن عطية، نزل جدّه عطية بن خفاف بقرية
قسلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيراً ممن له خطر، وفيه فضل.

حاله: كان^(٢) عبد الحق فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه،
والنحو والأدب واللغة، مُقيّداً حسن التقييد، له نظم ونثر، ولّي القضاء بمدينة المرّة
في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الذكاء والذكاء، والتّهمم
بالعلم، سريّ الهمة في اقتناء الكتب. توخّى الحق، وعدّل في الحكم، وأعزّ
المُخطّة.

مشيخته: روى^(٣) عن الحافظ أبيه، وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي
عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع، وأبي المطرّف الشعبي، وأبي الحسين بن
البيان، وأبي القاسم بن الحصار المُرقي، وغيرهم.

توالياه: ألف كتابه المسمى بـ «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع، وطار
بحسن نيّته كل مطار. وألف برنامجاً ضمنه مزيّاته، وأسماء شيوخه، وجرز
وأجاد.

(١) يكنى عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي أبا محمد، وترجمته في الصلة (ص ٥٦٣) وفلان
العقيان (ص ٢٠٧) وبغية الملتبس (ص ٣٨٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦) وبغية الوعاة
(ص ٢٩٥) ومعجم أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٦٥) والحلة السيرة (ج ١ ص ٦)
والمنرب (ج ٢ ص ١١٧) ورايات المبرزين (ص ١٤٧) وفلان العقيان (ص ٢٠٧) والديباج
المذهب (ص ١٧٤) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

شعره: قال الملاحى: ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه، قوله^(١):

[البسيط]

وليلة جُبْتُ فيها الجَزَعُ^(٢) مُرْتَدِيَا
بالسيف أنْحَبُ أذِيالاً مِنْ الظُّلَمِ
والتُّجْمُ حَيْرَانُ فِي بَحْرِ الدُّجَا غَرِقُ
والبَذْرُ^(٣) فِي طَيْلَسَانِ اللَّيْلِ كَالْعَلَمِ
كأنما الليلُ رَنَجِي بِكامله
جَزَعُ فَيْثَغَبٍ^(٤) أَحْيَاءُ لَهُ بَدَمِ

وقال يَنْدُب عهد شبابه^(٥): [البسيط]

سَقِيَا لِعَهْدِ شَبَابٍ ظَلْتُ أَمْرَحُ فِي
رَيْعَانِهِ وَلِيَالِي الْعَيْشِ أَشْحَارُ
أَيَّامُ رَوْضِ الصُّبَا لَمْ تَذُرْ أَغْصُنُهُ
وَرَوْثُ الْعُمَرِ غَضُّ وَالْهَوَى جَارُ^(٦)
والتُّفْسُ تُرْكِيضُ فِي تَضْمِينِ ثُرْتَهَا
طَرَقَا لَهُ فِي زَمَانِ الْهُوَ إِحْضَارُ^(٧)
عَهْدًا كَرِيمًا لِبَسْنَا مِنْهُ^(٨) أَرْذِيَّةُ
كَانَتْ عُيُونُنَا وَمَحَتْ^(٩) فَهِيَ آثَارُ

(١) الأبيات في قلاند العقيان (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) ورايات المبرزين (ص ١٤٧ - ١٤٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٤).

(٢) في الأصل: «جيت فيها الجذع»، وقد فضلنا ما جاء في المصادر الثلاثة.

(٣) في القلاند: «والبرق فوق رداء الليل...». وفي الرايات والنفح: «والبرق» بدل «والبدر».

(٤) في الأصل: «فيثغب» بعين معجمة، والتصويب من المصادر الثلاثة: «وشعب: يجري ويسيل. لسان العرب (ثعب).

(٥) الأبيات في قلاند العقيان (ص ٢٠٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٦) في الأصل: «حمار» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٧) في القلاند: «في رهان اللهور». وفي النفح: «... في تضمير شيرتها...». والشرة: الجدة والنشاط.

(٨) في المصدرين: «... لبسنا منه أردية كانت عيائنا...».

(٩) في الأصل: «ومحيت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

مَضَى وَأَبْقَى بِقَلْبِي مِنْهُ نَارَ أَسَى
 كُونِي سَلَامًا وَبَرْدًا^(١) فِيهِ يَا نَار
 أَبْغَدَ أَنْ نَعِمْتَ نَفْسِي وَأَصْبَحَ فِي
 لَيْلِ الشَّبَابِ لِضُبْحِ الشَّيْبِ إِسْفَار^(٢)
 وَنَارَ عَتْنِي اللَّيَالِي وَأَنْتِ كَسْرًا^(٣)
 عَنْ ضَيْغَمٍ مَا لَهُ نَابٌ وَأَظْفَار
 إِلَّا^(٤) سَلَاخَ خِلَالٍ أَخْلَصْتَ فَلَهَا
 فِي مَلْهَلِ الْمَجْدِ إِيرَادٌ وَإِصْدَار
 أَصْبُو إِلَى رَوْضِ عَيْشٍ رَوْضُهُ خَضِيلٌ^(٥)
 أَوْ يَنْتَنِي بِي عَنِ اللَّقَاءِ^(٦) إِقْصَار
 إِذَا قَطَطْتُ^(٧) كَفِّي مِنْ شَبَابِ قَلَمٍ
 آثَارُهُ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ أَزْهَار

مَنْ رَوَى عَنْهُ: رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حُبَيْشٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ بْنُ مَضَاءَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُنْعَمِ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ حَكَمٍ، وَغَيْرِهِمْ.

مولده: ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وفاته: توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لُورْقَة^(٨). قَصْدُ مَرْسِيَةٍ^(٩) يَتَوَلَّى قَضَاءَهَا، قَصْدٌ عَنْهَا، وَضُرْفٌ مِنْهَا إِلَى لُورْقَة، اعْتِدَاءٌ عَلَيْهِ.

(١) في الأصل: «أو بردًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) في الأصل: «أسفار» بفتح الهمزة، والتصويب من المصدرين.

(٣) رواية صدر البيت في المصدرين هي:

وقارعتني الليالي فانثنت كسرا

(٤) في الأصل: «إلا» والتصويب من المصدرين.

(٥) رواية صدر البيت في القلائد هي:

أصبو إلى خفض عيش دَوْحُهُ خَضِيلٌ

(٦) في الأصل: «اللقيا» وهكذا ينكسر الوزن. وفي القلائد والنسخ: «اللقيا».

(٧) في الأصل: «إذا تَطَطَّطْتُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الصلة (ص ٥٦٤) توفي في سنة ٥٤٢ هـ، دون أن يحدد ابن بشكوال المدينة التي توفي بها. وفي بغية المتنميس (ص ٣٨٩): توفي بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦): توفي سنة ٥٤٢ هـ بحصن لورقة. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٥): توفي بأورقة في ٢٥ رمضان سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٦ هـ.

(٩) في القلائد والنسخ: «قصد ميورقة».

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الفرس، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظًا جليلاً، فقيهاً، عارفاً بالنحو واللغة، كاتباً بارعاً، شاعراً مطبوعاً، شهير الذكر، عالي الصيت. ولَّى القضاء بمدينة شقر، ثم بمدينة وادي آش، ثم بجيان، ثم بغرناطة، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التي كان من مضمّن ظهيره بها قول المنصور^(٢) له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون: ﴿اَنْتَلْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)، وجعل إليه النظر في الجسبة، والشرطة، وغير ذلك، فكان إليه النظر في الدماء فما دونها، ولم يكن يُقطع أمرٌ دونه ببلده وما يرجع إليه.

وقال ابن عبد الملك: كان^(٤) من بيت عِلم وجلالة، مُستَبَحراً في فنون المعارف على تفاريقها، متحقّقاً بها، نافذاً فيها، ذكي القلب، حافظاً للفقهاء. استظهر أوان طلبه الكتابين^(٥): المَدَوْنَة، وكتاب سيبويه وغيرهما، وعُني به أبوه وجده عناية تامة. وقال أبو الربيع بن سالم^(٦): سمعت أبا بكر بن الجَدِّ، وحَسْبُكَ به^(٧) شاهدًا، يقول غير ما^(٨) مرة: ما أَعْلَمُ بالأندلس أحنَفَ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس، بعد أبي عبد الله بن رَزْقُون.

مشيخته: روى^(٩) عن أبيه الحافظ أبي عبد الله، وعن جده أبي القاسم، سمع عليهما وقرأ، وعن أبي بكر بن التَّيْس، وأبي الحسن بن هُذَيْل، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، وأبي عامر محمد بن أحمد

(١) ترجمة عبد المنعم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ١٢٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٢) وبنية الرعاة (ص ٣١٥) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والديباج المذهب (ص ٢١٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣٧٦) ورايات المبرزين (ص ١٤٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨).

(٢) هو الخليفة الموحيدي يعقوب بن يوسف، الذي حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠).

(٣) سورة الأعراف ٧، الآية ١٤٢. (٤) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠).

(٥) في الأصل: «للكتابين» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢).

(٧) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) كلمة «ما» ساقطة في الذيل والتكملة. (٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨ - ٥٩).

السُّلبي، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن، ابني زيادة الله. هذه جملة مَنْ لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه، وأجاز له من غير لقاء، وبعضهم باللقاء من غير قراءة؛ ابنُ ورد، وابنُ بَقِي، وأبو عبد الله بن سليمان التونسي، وأبو جعفر بن قبال، وأبو الحسن بن الباذش، ويونس بن مغيث، وابنُ مُعَمَّر، وشريح، وابن الوحيدي، وأبو عبد الله بن صاف، والرُّشاطي، والجفيري، وابنُ وضاح، وابن موهب، وأبو مروان الباجي، وأبو العباس بن خلف بن عيشون، وأبو بكر بن طاهر، وجعفر بن مَكِّي، وابن العربي، ومساعد بن أحمد بن مساعد، وعبد الحق بن عطية، وأبو مروان بن قُزَّمان، وابن أبي الخصال، وعياض بن موسى، والمَازَري، وغيرهم.

توالياً: ألف عدة تواليف، منها «كتاب الأحكام»^(١)، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين عاماً، فاستوفى ووفى، واختصر الأحكام السلطانية، وكتاب النسب لأبي عبيد بن سلام، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين، وكتاب المُخْتَسَب لابن جُنِّي. وألف كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة، وكتاباً في صناعة الجدَل، وردَّ على ابن غَزِيَّة في رسالته في تفضيل العجم على العرب. وكتب بخطه من كتب العربية واللغة والأدب والطب وغير ذلك.

مَنْ روى عنه: حدَّث^(٢) عنه الحافظ أبو محمد القرطبي، وأبو علي الرُّندي، وابنا حَوْطِ الله، وأبو الربيع بن سالم، والجُم الغفير.

شعره: [الطويل]

أبى ما بقلبي اليوم أن يتكثما	وحسبك بالدمع السُفوح مُتَزَجما
وأعجب به من أخرس بات مُفصِّحا	يُبَيِّنُ للواشينَ ما كان مُبْنهما
فكم عبرة في نهر شَقَرٍ بَعَثُها	سباقاً فأمسى النهرُ مُخْتَضِباً دما
يُرْجَعُ ترجيع الأنين اضطراؤه	كشكوى الجريح للجريح تألما
كَمَلَنَ بصحبي فوقه ^(٣) الدُّمْعُ نائراً	شقائق عُثمانٍ على مَثَنِ أَرْقما
ولله ليلٌ قد لَبَسَتْ ظلامه	رداء ^(٤) بأنوار النجوم مُنَمَّمما

(١) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١) أن «أحكام القرآن» من أجل مصنفاته.

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩ - ٦٠).

(٣) في الأصل: «في قوفة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «رداء»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

أنواح فيه الوزق فوق غصونها
وما لي إلا الفرقدين^(١) مُصاحب
أبيت شتيت الشمل والشمل فيهما
فيا قاصدا تذيير، عرج مصافحا
وأغليم بأبواب السلام صبابتي
وإن طفت في تلك الأجارع لا تُضغ
وما ضرها لو جاذبت ظبية الثقا
فيثني قضيبا أثمر البدر مائسا
وما كنت إلا البدر وافى غمامة
وما ذاك من هجر ولكن لشفوة
فيا ليتني أضبحت في الشجر لفظة
ولله ما أذكى نسيمك نفحة
ولله ما أشقى لواءك^(٢) للجوى
وما الراح بالماء القراح مشوية
فما لي وللأيام قد كان شملنا
ولما^(٣) جئت الطيب من شهد وصلها
وقد دقت طعم البين حتى كأنني
فمن لفواذ شطره حازه الهوى
ويا ليت أن الدار حان مزاها
ولو صغ قرب الدار لي لجعلته
فقد طال ما ناديت سيرا وجهرة

فكم أوري منهن قد باب مُعجما
ويا بُغد حالي في الصبابة منهما
جميع كما أبصرت عقدا منظمما
نسايلك^(٢) رسما بالعقيق ومغلما
كما كان عزف المسك بالمسك علما
بحق هواها إن^(٣) ثلثم مسلما
فضول رداء قد تغشته مغلما
بحقف مسيل لقه السيل مظلما
فما لاح حتى غاب فيها مغيما
أبت أن يكون الوصل منها متمما
تردوني مهما أرذت نفهما
أنت أعزت الروض^(٤) طيبا تنسما؟
كأنك قد أصبحت عيسى ابن مريما
بأطيب من ذكراك إن خامرت فما
جميعا فأضحى في يديها مقسما
جئت من التبيد للوصل علقما
لألقة من أهواء ما دقت مطعما
وشطر لإحراز الثواب مسلما
فلو صغ قرب الدار أذرت مغمما
إلى مرتقى السلوان والصبر سلما
عسى وطن يدنو بهم ولعلما؟

(١) في الأصل: «للفردين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «نسالك» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «إن لم ثلثم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «لم».

(٤) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «للك» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «وما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن شعره: [الطويل]

سلامٌ على مَنْ شَفَّنِي بَعْدُ داره
ومن هو في عَيْنِي الذُّمُّ من الكَرَى
سلامٌ عليه كَلِّمَا دُرُّ شَارِقُ
لَعَمْرُكَ ما أَخْشَى غَدَاةً وداعنا
وسال على الحَدِيثِ دَمْعٌ كأنه
وعانقْتُ منه غُضْنَ بِإِنْ مُتَّعَمًا
وأصْبَحْتُ في أَرْضٍ وقلبي بغيرها
نأى وَجْهَهُ مَنْ أهْوَى فأظلم أَفْقُهُ
سَلِّ الْبَرْقَ عن شَوْقي يُخَبِّرُكَ بالذي
وهل هو إِلَّا نارٌ وَجَدِي وكَلِّمَا

ومن شعره أيضًا رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

إفْرَأْ على شِنْجِلٍ^(٢) سلامًا
مِنْ مُغْرَمِ القلبِ ليس يَنْسَى
إذا رَأَى مَنَظَرًا سِوَاهُ
وإنْ أتَى مَشْرَبًا حَمِيدًا
وَقِفْ بِتَنْجِدٍ وَقُوفَ صَبٍّ
وَأَنْدُبِ أَرَاكًا بِشُغْبِ رَضْوَى
وَأَذْكَرْ شَبَابًا مَضَى سَرِيعًا
هَيْهَاتَ وَلَى وَجَاءَ شَنِيبُ
ما يُضْلِحُ الشَّيْبَ غيرَ تَقْوَى
فِي كلِّ يَوْمٍ لَهُ ارْتِحَالُ
ما الْعُمُرُ إِلَّا لَدَيْهِ دَيْنُ

أَطْيَبَ مِنْ عَزْفِهِ نَسِيمًا
مَنْظَرُهُ الرَّاغِقُ الْوَسِيمًا
عَافَ الْجَنَى مِنْهُ وَالشُّمِيمًا
كَانَ وَإِنْ رَاقَهُ دَمِيمًا
يَسْتَذْكَرُ الْخِذْنَ وَالْحَمِيمًا
قَدْ رَجَعْتَ بَعْدَنَا مَشِيمًا
أَصْبَحْتَ مِنْ بَعْدِهِ سَقِيمًا
وَكَيْفَ لِلْقَلْبِ أَنْ يَهِيمًا؟
تَخْجُبُ عَنْ وَجْهِهِ الْجَحِيمًا
أَعْجَبَ بِهِ ظَاعِنًا مَقِيمًا
قَدْ آنَ أَنْ يَقْضِيَ الْغَرِيمًا

(١) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) شنجل وشنجيل وشنيل: بالإسبانية Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يمر ببلوشة وإستجة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٩).

فَعُدَّ إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوح وَازْجُ إِلَهَا بِنَا رَحِيمَا
 قَدْ سَبَقَ الْوَعْدَ مِنْهُ حَتَّى أَطْمَعَ ذَا الشَّقْوَةِ النَّعِيمَا
 مولده: في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(١). وشهد دفنه بباب البيرة الجُم الغفير، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه. وأمر أن يُكتب على قبره: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَنْ يُسَلِّمُ وَرَحْمَتُهُ مَا رُزِّنِي تَتَرَحَّمُ
 أَتَخَسَّبُنِي وَخَدِي ثَقُلْتُ إِلَى هُنَا؟ سَتَلْحَقَ بِي عَمَّا قَرِيبٍ فَتَعْلَمُ
 أَلَا قُلْ^(٢) لِمَنْ يُنْسِي لَدُنْيَاهُ مُؤَثِّرَا وَيُهْجِلُ آخِرَاهُ سَتَشْفَى وَتَنْدَمُ
 فَلَا تَفْرَحَنَّ إِلَّا بِتَقْدِيمِ طَاعَةٍ فَذَاكَ الَّذِي يُنْجِي غَدَا وَيُسَلِّمُ

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى
 ابن باسيو بن تاذرزت التَّنَمَالِي الْيَدْرَازَتِينِي ثُمَّ الْوَاعْدِينِي

أصله من تَيْمَمَلْ^(٣)، من نظر مَرَائِشَ، وانتقل جُذُه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية. ونشأ عبد الملك ببجاية، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين. وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة.

حاله: من تعريف شيخنا أبي البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين. وكان مع ذلك، رجلاً كريم النفس، صادق اللُّهجة، سليم الصدر، مُنْصَفًا في المذاكرة. قُلْتُ: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده إفريقية. وثبت اسمه في «عائد الصلة» بما نصَّه: الشيخ الأستاذ القاضي، يكنى أبا محمد. كان، رحمه الله، من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصليين، صحيح

(١) كذا جاء في التكملة (ص ١٢٨) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٣). وفي بغية الوعاة (ص ٣١٥) والديباج المذهب (ص ٢١٨): توفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٢) في الأصول: «فيا» بدل: «ألا قُلْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تَيْمَمَلْ أو تَيْمَمَلْ، بيم مفتوحة واللام الأولى مشددة مفتوحة: جبال بالمغرب، كان بها سرير ملك بني عبد المؤمن. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصالة. بث في الأندلس علم أصول الفقه، وانتفع به. وتصرف في القضاء في جهات.

مشيخته: منقولاً من خط ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن عنوان، والشيخ أبي الطاهر بن سرور، والإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي، والشيخ أبي الشمل جماعة الحلبي، والشيخ أبي الحجاج بن قسوم وغيرهم. ومن خط المحدث أبي بكر بن الزيات: يحمل عن أبي الطاهر بن سرور، وعن أبي إسحق بن عبد الرفيغ.

توالياه: من توالياه: «المعاني المبتكرة الفكرية، في ترتيب المعالم الفقهية»، «الإيجاز، في دلالة المجاز»، «نصرة الحق، ورد الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية، والكُراس الموسوم»^(١) به المباحث البديعة، في مقتضى الأمر من الشريعة.

مولده: ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة.

وفاته: وتوفي قاضياً بشالش يوم الجمعة، وهو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة. ودفن ببجاية باب البيرة بمقربة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي. وكانت جنازته مشهورة.

ومن المقرئين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة
ابن العباس بن مِرْدَاس السلمي^(٢)

أصله من قرية قورت، وقيل: حصن واط من خارج غرناطة، وبها نشأ وقرأ.

حاله: قال ابن عبد البر: كان جماعاً للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيهاً، نحوياً، عروضياً، شاعراً، نساباً، إخبارياً. وكان أكثر من يختلف إليه الملوك

(١) في الأصل: «المرسوم».

(٢) يكنى عبد الملك بن حبيب أبا مروان، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٥٩). وفيه: «جاهمة» بدل «جلهمة»، وجذوة المقتبس (ص ٢٨٢) والمغرب (ج ٢ ص ٩٦) وبغية الرعاة (ص ٣١٢) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧) ومطمح الأنفس (ص ٢٣٣) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١١٠) والديباج المنهوب (ص ١٥٤) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤) مادة إلبيرة ونفع الطيب (ج ١ ص ٥٢) و(ج ٢ ص ٢٢٦).

وأبناؤهم. قال ابن مخلوف: كان يأتي إلى معالي الأمور. وقال غيره: رأيته يخرج من الجامع، وخلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب. وقد رتب الدول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يُقرأ عليه فيها شيء إلا تواليه وموطأ مالك. وكان يلبس الحز والسعيد. قال ابن نمير: وإنما كان يفعله إجلالاً للعلم، وتوقيراً له. وكان يلبس إلى جسمه ثوب شعر، وكان صواماً قواماً. وقال المغامي^(١): لو رأيته ما كان على باب ابن حبيب، لأزدريته غيره. وزعم الزبيدي أنه نُعي إلى سُخُنون^(٢) فاسترجع، وقال: مات عالم الأندلس. قال ابن الفَرَضِي: جمع^(٣) إلى إمامته في الفقه التبحيح في الأدب، والتفنن في ضروب العلوم، وكان فقيهاً مُقْتِياً. قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقي: كان له أرض وزيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، حَبَس جميع ذلك على مسجد قرطبة. وله بيرة مسجد ينسب إليه. وكان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين والخميس إلى مسجده ببيرة، فيقرأ عليه، وينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صُغْصعة بن سلام، والغازي^(٤) بن قيس، وزباد بن عبد الرحمن. ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رحلته من قريته بفحص غرناطة^(٥)، وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، ومطرّف بن عبد الله، وأصْبَغ بن الفَرَج، وابنه موسى، وجماعة سواهم. وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهوراً. وعاد إلى البيرة، إلى أن رَحَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن الحكم إلى قرطبة، في رمضان سنة ثمان^(٦) عشرة ومائتين.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: سَمِعَ مِنْهُ ابْنَاهُ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وسعيد بن نمر، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شُعَيْب، ومحمد بن قُطَيْس. وروى عنه من

(١) هو إبراهيم بن المنذر المغامي كما في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤).

(٢) سُخُنون: هو لقب القاضي عبد السلام بن سعيد بن حبيب الشوفي، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ. ترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٧) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٣) والديباج المذهب (ص ١٦٠) وقضاة قرطبة (ص ١٣٠) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٩٤) وكتاب الوفيات (ص ١٧٤).

(٣) قول ابن الفرضي لم يرد حرفياً في كتابه (تاريخ علماء الأندلس ص ٤٦٢) كما هنا.

(٤) في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤): «والغار بن قيس».

(٥) فحص غرناطة: هو مرج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيع وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada، يقع غربي غرناطة، ويمتد غرباً حتى مدينة لوشه. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

(٦) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

عظماء القرطبيين، مطرف بن عيسى، ويقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، والمقامي في جماعة.

توالياه: قال أبو الفضل عياض بن موسى، في كتابه في أصحاب مالك^(١): قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كُتِبَ التي ألفت؟ قال: ألف كتاب وخمسون كتابًا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، وكتب أجواد قریش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابًا، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب، وكتب الباه والنساء ثمانية، وغير ذلك. ومن كتب سماعاته في الحديث والفقه، وتوالياه في الطب، وتفسير القرآن، سئون كتابًا. وكتاب المغازي، والتاسخ والمنسوخ، ورغائب القرآن، وكتاب الرهون والجذثان، خمسة وتسعون كتابًا. وكتاب مقام رسول الله ﷺ، اثنان وعشرون كتابًا، وكتاب في النسب، وفي النجوم، وكتاب الجامع، وهي كتب فيها مناسك النبي، وكتاب الرغائب، وكتاب الوزع في المال، وكتاب الربا، وكتاب الحكم والعذل بالجوارح. ومن المشهورات الكتاب المسمى بالواضحة. ومن توالياه كتاب إعراب القرآن، وكتاب الجسبة في الأمراض، وكتاب الفرائض، وكتاب السخاء واضطناع المعروف، وكتاب كراهية الغناء.

شعره: أنشد ابن الفرضي مما كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين^(٢): [الطويل]

أحب بلاد الغرب والغرب موطني	ألا كل غربي إلي حبيب
فيا جسدًا أضناه شوق كائه	إذا انقضيت عنه الثياب قضيب
ويا كيدًا عادت زمانًا كأنما	يلدغها بالكاويات طبيب
بليت وأبلاني اغترابي ونأيه	وطول مقامي بالحجاز أجوب
وأهلي بأقصى مغرب الشمس دارهم	ومن دونهم بخر أجش مهيب
وهول كربه ليله كنهاره	وسير حثيث للركاب دؤوب
فما الداء إلا أن تكون بغربة	وحسبك داء أن يقال غريب
فيا ليت شعري هل أبيت ليلة	بأنف نهر الثلج حين يصوب
وحولي أصحابي وبنتي وأمها	ومغسر أهلي والرووف مجيب

(١) هو كتاب «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك».

(٢) الأبيات غير رائدة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.

وكتب إلى الأمير عبد الرحمن في ليلة عاشوراء^(١): [البسيط]

لا تَنْسَ لا يُنْسِكَ الرَّحْمَنُ عاشورا^(٢) وأذْكُرُهُ لا زِلْتُ في الأحياء^(٣) مَذْكُورا
قال الرسول^(٤)، صلاةُ الله تَشْمَلُهُ، قَوْلًا وَجَدْنَا عليه الحَقُّ والثُورا
مَنْ باتَ في لَيْلِ عاشوراءَ ذا سَعَةٍ يَكُنْ بِعَيْنِهِ في الحَوْلِ مَخْبُورا
فَارْغَبْ، قَدْ يَثُوكَ، فيما فيه رَغَبُنَا^(٥) خَيْرُ الْوَرَى كُلُّهُمْ حَيًّا وَمَقْبُورا

وفاته: توفي في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين ومائتين^(٦). قال ابن خَلَف: كان يقول في دعائه: إن كنت يا ربُّ راضياً عني، فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمانٍ وثلاثين، فقبضه الله في أحب الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية وثلاثين، وهو ابن أربع وستين سنة^(٧)، وصلى عليه ولده محمد، ودفن بمقبرة أم سلمة ببلي محراب مسجد الضيافة من قرطبة. قالوا: والخبر متصل، إنه وُجد جسده وكَفَنَهُ وافرین لم يتغيّرًا بعد وفاته، بتسع وأربعين سنة، وقُطعت من كفته قطعة رُفعت إلى الأمير عبد الله، وذلك عندما دُفن محمد بن وضاح إلى جنبه، رحمهم الله. ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره، فقال: [الطويل]

لئن أَخَذْتُ مِنَّا المَنایا مُهَذَّبًا وقد قُلَّ فيها من يُقالُ الْمُهَذَّبُ
لقد طاب فيه الموتُ والموتُ غِبْطَةً لمن هو مَغْمُومُ الفؤادِ مُعَذَّبُ
ولأحمد بن ساهي فيه: [البسيط]

ماذا تَضْمَنَ قَبْرُ أَنْتَ ساكُنُهُ من الثُّقى والثُّدى يا خيرَ مَفْقُودِ
عجبتُ للأرضِ في أنْ غَيَّيْتُكَ وقد ملأَتْها جِكمًا في البيضِ والسُّودِ

قلت: فلو لم يكن من المفاخر الغرناطية إلا هذا الحبر لكفى.

(١) الأبيات الأول والثالث والرابع في البيان المغرب (ج ٢ ص ١١١)، والبيتان الأول والثاني فقط في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٦)، كتبها إلى أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، المعروف بعبد الرحمن الثاني.

(٢) في الأصل: «عاشوراء» والتصويب من المصدرين.

(٣) في البيان المغرب: «في الأخيار». وفي النفح: «في التاريخ».

(٤) في النفح: «النبى». (٥) في البيان المغرب: «رَغَبْنَا».

(٦) في جذوة المقتبس (ص ٢٨٣) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧): توفي بقرطبة في شهر رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٢٣٩ هـ.

(٧) في مطمح الأنفس (ص ٢٣٥): توفي في رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٥): توفي سنة ٢٣٨ هـ. بعلّة الخصى عن أربع وستين سنة.

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي،
الشهير بالباهلي^(١)

حاله: كان، رحمه الله، بعيد المدى، منقطع القرين في الدين المتين والصلاح، وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحسن الخلق، إلى وسامة الصورة، وملاحة الشئبة، وطيب القراءة، مولى النعمة على الطلبة من أهل بلده، أستاذًا حافلًا، متفتنًا، مضطلعًا، إمامًا في القراءات، حائزًا خضل السباق إتقانًا، وأداءً، ومعرفة، ورواية، وتحقيقًا، ماهرًا في صناعة النحو، فقيهاً، أصوليًا، حسن التعليم، مستمر القراءة، فسيح التخليق، نافعا، متحبيبا، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله، كثير الخضوع والخشوع، قريب الدفعة. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير، وكان من مفاخره، وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، وعلى المقرئ الضرير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف الشهلي، والزاوية أبي الحجاج ابن أبي ربحانة المرزبلي. وكتب له بالإجازة العامة الزاوية أبو الوليد العطار، والإمام أبو عبد الله بن سمعون الطائي. وسمع على الراوية أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري. وقرأ على القاضي أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحجري، الشهير بالسكوت المالقي، وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ، رحمه الله.

توابعه: شرح التيسير في القراءات. وله تواليف غيره في القرآن والفقه.

شعره: حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المُنْتَشَافري، قال: رأيت في الثوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكّر الناس ويعظهم، فعقِلْتُ من قوله: أتَحْسِبُونَنِي غَنِيًّا فَقِيرًا، أنا فقير، أنا.

(١) ورد ذكر عبد الواحد بن محمد الباهلي في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦١) و(ج ١٠ ص ٢٦١)، وتقدم ذكره في الجزء الثاني من الإحاطة.

فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله، وقال: يا بني، حقاً ما رأيت. ثم رفع إلى ثاني يوم تَرفيفه رُقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظنّ قوم من أهل الدنيا	بأنّ لهم قوّة أو غنا
لقد غلبوا جمّع ^(١) ما لهم	فتاهوا عقولاً، عمّوا ^(٢) أغينا
فلا تخسّبوني أرى رأيهم	فلأني ضعيف فقير أنا
وليس افتقاري وفقري معاً	إلى الخلق ما ^(٣) عند خلقي غني
ولكن إلى خالقي وخذه	وفي ذاك عزّ ونيل المُنَى
فمن ذلّ للحق يزقي العلا	ومن ذلّ للخلق يلق العنا

وفاته: ببلده مالقة، رضي الله عنه، ونفّع به، في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعمئة. وكان الحفل في جنازته عظيماً، وحفّ الناس بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة وأقرأ بها.

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي^(٤)
صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان^(٥) هذا الرجل في حال الدعة التي استضحبها، وقبل أن تَبْعته أيدي الفضول، بعفاف وطهارة، إلى خَصْل خطّ، نشط البنّان، جَلِد على العمل. ونظمه وسَط، ونشره جَمْهوري عامي، مُبِين عن الأغراض. ووُلِّي ببلده الخطابة والقضاء...^(٦) في الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فَجَاجَأَتْ^(٧) به الكتابة السلطانية

(١) في الأصل: «لقد غلبوا ويجمع بجمع...»، وكذا يتكرر الوزن.

(٢) في الأصل: «وعمّوا»، وكذا يتكرر الوزن. (٣) في الأصل: «فما»، وكذا يتكرر الوزن.

(٤) ترجمة عبد الحق بن محمد بن عطية في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٩). وترجم له المقرئ في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧) وعده من تلاميذ لسان الدين ابن الخطيب ولكن تحت عنوان: «القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) بياض في الأصول. وفي النفح: «وولّي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السن».

(٧) جاجأت به الكتابة: دَعَتْه.

باختياري، مُسْتَظْهَرَةٌ مِنْهُ بِبَطْل كَفَايَةٍ، وَبِإِذِلْ جِئِلْ كَلْفَةٍ، فَاَنْتَقِلْ^(١) رَيْسًا فِي غَرَضِ
إِعَانَتِي وَانْتِشَالِي مِنَ الْكَلْفَةِ^(٢)، عَلَى الضَّغْفِ وَالْمَامِ الْمَرَضِ، وَالتَّرْفُوعِ عَنِ الْإِبْتِدَالِ،
وَالْأَنْفَةِ مِنَ الْإِسْتِخْدَامِ، فَرَفَعَ الْكَلَّ، وَلَطَفَ مِنَ الدَّوْلَةِ مَحَلَّهُ. ثُمَّ لَمَّا حَالَ الْأَمْرُ،
وَحُتِمَ التَّمَحْيِصُ، وَتُسَوِّرَتِ الْقَلْعَةُ، وَانْتَشَرَ النُّظْمُ، وَاسْتَأْثَرَ بِهِ الْإِضْطِغْنَاعُ، كَشَفَتْ
الْخَيْبَةَ مِنْهُ عَنْ سَوْءَةٍ لَا تُؤَارَى، وَعَوَزَةٍ لَا يُزْتَابُ فِي أَشْنُوْعَتِهَا وَلَا يَتَمَارَى، فَسَبَحَانَ
مَنْ عَلَّمَ النَّفْسَ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، إِذْ لَصِقَ بِالذَّائِلِ^(٣) الْفَاسِقُ، فَكَانَ آلَةُ انتِقَامِهِ،
وَجَارِحَةُ صَيْدِهِ، وَأَخْبُولَةُ كَيْدِهِ، فَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَهَتَكَ الْأَشْتَارَ، وَمَزَّقَ الْأَسْبَابَ، وَبَدَّلَ
الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَهُوَ يَزُقُّهُ فِي أُذُنِهِ، فَيَوْمُ^(٤) النَّصِيحَةِ، وَيَنْحَلُّهُ^(٥) لِقَبِّ الْهَدَايَةِ،
وَيَبْلُغُ فِي شِدْ أَرْزِهِ إِلَى الْغَايَةِ: «عُنْوَانُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ، يَجْرِي فِي جَمِيلِ^(٦)
دَعْوَتِهِ»، طَوَالًا، أَخْرَقَ، يُسِيءُ السَّمْعَ، وَيَنْسَى^(٧) الْإِجَابَةَ، بِدَوْنِهَا، قُحَا، جَهْوَرِيًّا،
ذَاهِلًا عَنْ عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، طَرَفًا فِي سُوءِ الْعَهْدِ، وَقَلَّةِ الْوَفَاءِ، مَرْدُودًا فِي
الْحَافِرَةِ^(٨)، مُنْسَلَخًا مِنْ آيَةِ السَّعَادَةِ، تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْجَهْلِ^(٩) يَدُهُ، وَيَقِيمُ عَلَيْهِ الْحُجْجَ
شَرُّهُ، وَتَبَوُّهُ^(١٠) هَفَوَاتِ النَّدَمِ جَهَالَتِهِ. ثُمَّ أَسْلَمَ الْمَحْرُومَ مُضْطَنَعَهُ، أَحْوَجَ مَا كَانَ
إِلَيْهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَلَحِيقَتُهُ بَعْدَهُ مُطَالِبَةٌ مَالِيَّةٌ، لَقِيَ لِأَجْلِهَا ضَغْطًا. وَهُوَ الْآنَ بِحَالِ
خِزْيٍ، وَاحْتِقَابِ تَبِعَاتٍ، خَلَصْنَا اللَّهُ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أُولَيْتِهِ وَشَبُوحِهِ: وَيَسْطُ كَثِيرٌ مِنْ مُجْمَلِ حَالِهِ حَسْبَمَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ.

قَالَ يَخَاطِبُنِي بِمَا نَصَّهُ^(١١): [الْبَسِيطُ]

يَا سَيِّدَا، فَاَقْ فِي مَجْدٍ وَفِي شَرَفٍ
وَفَاتَ سَبْقًا بِفَضْلِ الذَّاتِ وَالسَّلَفِ
وَفَاضِلًا عَنْ سَبِيلِ الدَّمِّ مُنْخَرِفًا
وَعَنْ سَبِيلِ الْمَعَالِي غَيْرُ مُنْخَرِفٍ

(١) فِي النَّفْحِ: «فَاسْتَقِلَّ».

(٢) فِي النَّفْحِ: «مَنْ هَفَوَ الْكَلْفَةَ عَلَى جِلِّ الضَّعْفِ...».

(٣) فِي النَّفْحِ: «بِالدَّاهِي». وَالدَّاهِي: الْفَاسِقُ، وَالْمُرَادُ بِهِ سُلْطَانُ بَنِي نَصْرٍ، الَّذِي هَرَبَ مِنْهُ لِسَانُ
الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ إِلَى الْمَغْرِبِ.

(٤) فِي النَّفْحِ: «زُقُومُ النَّصِيحَةِ». وَالزُّقُومُ: شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ، مِنْهَا طَعَامُ أَهْلِ النَّارِ.

(٥) فِي النَّفْحِ: «وَيَسْتَحِلُّهُ».

(٦) فِي النَّفْحِ: «سَبِيلٌ».

(٧) فِي النَّفْحِ: «فَبِئْسَ».

(٨) فِي النَّفْحِ: «الْحَافِرَةُ» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ.

(٩) فِي الْأَصْلِ: «بِالْحَمْلِ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١٠) فِي النَّفْحِ: «وَتَبَوُّهُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١١) الْقَصِيدَةُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ١٠ ص ١٣٨ - ١٣٩).

وَتُخَفِّةَ الزَّمَنِ الْآتِي بِهِ^(١) فَلَقَدْ
 أَزْبَى^(٢) بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّخَفِ
 وَمَغْدِنًا لِلنَّفِيسِ الدُّرُّ فَهُوَ لِمَا
 حَوَاهِ مِنْهُ لَدَى التُّشْبِيهِ كَالصُّدْفِ
 وَيَخْرُ عِلْمٌ^(٣) جَمِيعُ النَّاسِ مُغْتَرَفٌ
 مِنْهُ، وَتَيْلُ الْمَعَالِي حِطٌّ مُغْتَرَفٌ^(٤)
 وَسَابِقًا بَدْءُ أَهْلِ الْعَصْرِ قَاطِبَةٌ
 فَالْكُلُّ فِي ذَاكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ
 مَنْ ذَا يُخَالَفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمٍ
 أَوْ يَجْهَدُ الشَّمْسَ نَوْرًا وَهُوَ غَيْرُ خَفِيٍّ؟
 مَا أَنْتَ إِلَّا وَجِيدُ الْعَصْرِ فِي شَيْمٍ
 وَفِي ذِكَايَ وَفِي عِلْمٍ وَفِي ظَرْفٍ
 اللَّهُ مِنْ مُنْتَمٍ لِلْمَجْدِ مُنْتَسِبٍ
 بِالْفَضْلِ مُتَّسِمٌ، بِالْعِلْمِ مُتَّصِفٍ
 اللَّهُ مِنْ حَسَبٍ عَزِيزٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 قَدْ شَادَهُ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ لِلْخَلَفِ
 إِلَيْهِ أَيَا مَنْ بِهِ تَبَايَ^(٥) الْوِزَارَةُ إِذْ
 كُنْتَ الْأَحَقُّ بِهَا فِي الذَّاتِ وَالشَّرَفِ
 يَا صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي جُمِعَتْ
 فِيهِ الْمَعَالِي بِبَعْضٍ^(٦) الْبَعْضِ لَمْ أَصِفْ
 يَا مَنْ يُقْصَرُ وَضْفِي فِي عُلاهِ وَلَوْ
 أَنْسَى مَدِيحَ حَبِيبٍ^(٧) فِي أَبِي ذُلْفٍ

(١) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٢) في النفع: «ربا».

(٣) في الأصل: «ويحرر بعلم...» وكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «خَيْرٌ مُؤْتَلَفٍ».

(٥) تَبَايَ: تفتخر.

(٦) في النفع: «تَبْعُضٌ».

(٧) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

شَرَّفْتَنِي عِنْدَمَا اسْتَدْعَيْتَ مِنْ قِبَلِي^(١)
 نَظْمًا تَدُونُهُ فِي أَبْدَعِ الصُّحُفِ
 وَرَبِّمَا رَاقٍ تُعْزِرُ فِي مَبَاسِمِهِ^(٢)
 حَتَّى إِذَا نَالَهُ إِمَامُ مُرْتَشَفِ
 أَجَلٍ قَدْزَكَ أَنْ تَرْضَى لِمُنْتَجِعِ
 بِسَوْءِ كَيْلَتِهِ حَظًّا مَعَ الْحَشَفِ
 هَذَا، وَلَوْ أَنَّنِي فِيمَا أَتَيْتُ بِهِ
 نَافَحْتُ فِي الطَّيِّبِ زَهَرَ الرُّوضَةِ الْأَثْفِ^(٣)
 لَكُنْتُ أَقْضِي إِلَى التَّقْصِيرِ مِنْ خَجَلِ
 أَخْلَيْتُ^(٤) بِالْبَعْضِ مِمَّا تَسْتَحِقُّ أَفِي
 فَحَسْبِيَ الْعَجْزُ عَمَّا قَدْ أَشْرَتْ بِهِ
 وَالْعَجْزُ^(٥) حَثْمًا قُصَارَى كُلِّ مُعْتَرِفِ
 لَكِنْ أَجَبْتُ إِلَى الْمَطْلُوبِ مُمْتَثِلًا
 وَإِنْ غَدَوْتُ بِمَرْمَى^(٦) الْقَوْمِ كَالْهَدَفِ
 فَانْظُرْ إِلَيْهَا بَعِينَ الصَّفْحِ عَنْ زَلَلِ
 وَاجْعَلْ تَصَفُّحَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْكُلْفِ
 بِقِيَّتِ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُؤُهُ
 تَسْمُو مِنَ الْعِزِّ بِاسْمٍ غَيْرِ مُنْصَرَفِ

جنتك^(٧)، أعزك الله، ببضاعة مزجاة، وأغلقت رجائي من قبلك بأمنية مرتجاة،
 وما مثلك يعامل بسقط المتاع، ولا يرضى له بالحشف مع بخس المد والصاع. لكن
 فضلك يغضي عن التقصير ويسمح، ويتجاوز عن الخطأ ويصفح، وأنت في كل حال
 إلى الأدنى من الله أجح. ولولا أن إشارتك واجبة الامتثال، والمُسارعة إليها مقدمة
 على سائر الأعمال، لما أتيت بها تمشي على استحياء، ولا عرضت نفسي أن أقف

(١) في النفع: «نظمي».

(٢) في النفع: «تبسمه».

(٣) الروضة الأثف: التي لم يسبق أحد إلى زعيمها.

(٤) في النفع: «إذ لث».

(٥) في النفع: «فالعجز».

(٦) في الأصل: «يمرقي» والتصويب من النفع.

(٧) اكتفى في النفع بقوله: «ثم ذكر نثرًا، وأن مولده بوادي آش...».

مَوْقِفِ حِشْمَةٍ وَحِيَاءٍ، فَمَا مَثَلِي فِيمَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ، أَوْ أَقَدَّمَهُ مِنْ هَذَا الْهَذَرِ بَيْنَ يَدَيْكَ، إِلَّا مَثَلُ مَنْ أَهْدَى الْخَرَزَ لِحَالِيبِ الدَّرِّ، أَوْ عَارِضَ الْوُشْلِ مَوْجَ الْبَحْرِ، أَوْ كَاثَرَ بِالْحَصَى عَدَدَ الْأَنْجُمِ الزُّهَرِ، عَلَى أَنِّي لَوْ نَظَّمْتُ الشُّعْرَى شِعْرًا، وَجِئْتُكَ بِالسُّحْرِ الْحَلَالِ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَنَافَخْتُكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرُّوضَةِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي تَغْبَى أَزَاهِرَهَا نَثْرًا، لَمَا وَصَفْتُكَ بِبَعْضِ الْبَعْضِ مِنْ نَفَائِسِ حُلَاكِ، وَلَا وَقَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ نَشْرِ مَآثِرِ عِلَّاكِ. فَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي تِلْكَ الْمَآثِرِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالذَّاتِ الْمَوْسُومَةِ بِاسْمِ التَّعْرِيفِ وَالْعِلْمِيَّةِ، أَوْ أُعْبِرَ عَنْهُ فِي وَصْفِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالْمَفَاخِرِ الْحَسَبِيَّةِ. إِنْ وَصَفْتُ مَا لَكَ مِنْ شَرَفِ الذَّاتِ، مِلْتُ إِلَى الْإِخْتِصَارِ وَقُلْتُ: آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنْ ذَهَبْتُ إِلَى ذِكْرِ مَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ الْآيَاتِ، بَلَغْتُ فِي مَدَى الْقَفْرِ وَالْحَسَبِ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ، وَإِنْ حَلَيْتُكَ بِبَعْضِ الْحُلَى وَالصُّفَاتِ، سَلَبْتُ مَحَاسِنَ الرُّوضِ الْأَرِيحِ الثَّقَفَاتِ. فَكَمْ لَكَ مِنَ التُّصَانِيفِ الرَّائِقَةِ، وَالبَدَائِعِ الْفَائِقَةِ، وَالأَدَابِ الْبَارِعَةِ، وَالمَحَاسِنِ الْجَامِعَةِ. فَمَا شَتَّ مِنْ حَدَائِقِ ذَاتِ بَهْجَةٍ كَأَنَّمَا جَادَتْهَا مَسْحَبُ نَيْسَانَ، وَجَنَاتِ ثَمَرَاتِهَا صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ، تُزْرِي بِبَدَائِعِ بَدِيعِ الزَّمَانِ، وَتُخْجِلُ الرُّوضِ كَمَا يُخْجِلُ الرُّودُ ابْتِسَامَ الْأَقْحَوَانِ. نَظْمٌ كَمَا انْتَشَرَ الدَّرُّ، وَنَثْرٌ تَتَمَتَّى الْجَوَازُ أَنْ تَتَقَلَّدَهُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهَرِ، وَمَعَانٍ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ، تَهْبُّ عَلَى صَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ. فَاهْلًا بِكَ يَا رَوْضَةَ الْأَدَابِ، وَرَبُّ الْبَلَاغَةِ الَّتِي شَمَسَ آيَاتُهَا لَا تَتَوَارَى بِالْحِجَابِ، فَمَا أَنْتِ إِلَّا حَسَنَةُ الزَّمَانِ، وَمَالِكُ أَرْمَةِ الْبَيَانِ، وَسَبَاقُ غَايَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ. وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فِي أَوْصَافِكَ، وَمَا فِي تَحْلِيكِ بِالْفَضَائِلِ وَأَتِّصَافِكَ. لَكِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي لَوْ مَدَدْتُ فِي ذَلِكَ بَاعَ الْإِطْنَابِ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا تَقْصِيرٌ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ وَإِمْسَاكِ، وَالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ. إِلَيْهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى، وَالْفَاضِلُ الَّذِي لَهُ فِي قِدَاحِ الْفَخْرِ الْقِيْدُخُ الْمُعْلَى، فَإِنَّكَ أَمَرْتَ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ لِتَعْرِيفِ بِنَفْسِي وَمَوْلَدِي، وَذَكَرَ أَشْيَاخِي الَّذِينَ بَأَنْوَارِهِمْ أَفْتَنَدِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ تَهْمٌ مِنْكَ بِشَانِي، وَجَزِيٌّ عَلَى مُعْتَادِ الْفَضْلِ الَّذِي يَقْصُرُ عَنْهُ لِسَانِي، وَفَضْلُ جَمِيلٍ لَا أَزَالُ أَجْرِي فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِلءَ عِنَانِي. وَإِلَّا فَمَنْ أَنَا فِي النَّاسِ حَتَّى أَنْسَبَ، أَوْ مَنْ يَذْهَبُ إِلَّا أَنْتَ هَذَا الْمَذْهَبُ؟

أما التعريف بنفسي، فأبدأ فيه باسم أبي: هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي. وجدي عطية هو الداخل إلى الأندلس عام الفتح، نزل بالبيرة، وبها تفرع من تفرع من عقبه، إلى أن انتقلوا إلى غرناطة، فتأثّل بها حالهم، واستمرّ بها

استيطانهم، إلى حدود المائة السابعة، فتسبب في الانتقال من بقي منهم، وهو جدّي الأقرب الأنساب، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادي آش، ولكل أجل كتاب، وذلك أنه استقضى بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله^(١)، أول ملوك هذه الدولة النصرية، نصر الله خلفها، ورحم سلفها، فاتخذ فيها صهرًا ونسبًا، وكان ذلك لاستيطانه بها سببًا، واستمرّ مقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة فكان إلى أشرف الحالات مُرتحل، وقضى في إيباه من الحج أمله. واستمرت به الاستيطان، وتعذرت بعوده إلى غرناطة بعدما ثبت فيها الأوطان. على أنه لم يَقدّم من الله السّرّ الجميل، ولا حظّ من عنايته بإيصال النعمة كَفيل، فإنه سبحانه حَفِظَ مَنْ سَلَفَ فيمن خَلَفَ، وجعلهم في حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهة الحال وأنصف، وقَيّض لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف، وبذلك حَفِظَ الله بيتهم، وشَمَلَ باتصال النعمة حيّهم وميتهم. فالحمد لله، بجميع محابده، على جميل عوائده. وتخلّف بوادي آش أبي وأعمامي، تغمّدهم الله وإياي برحمته، وجمع شملنا في جَنّته.

وأما التعريف بهم، فأنت أبقاك الله، بمن سَلَفَ قديمًا منهم أعلم، وسبيلك في معرفتهم أجدى وأقوم، بما وهبكم الله من عوارف المعارف، وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطّارف. وأما مَنْ لم يقع به تعريف، ممن بَعْدَهم، فمن أَقْتَضَى رَسْمُهم في الطريقة العلمية، ولم يتجاوز جدّهم، وهو جدّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادي. كان، رحمه الله، ممن جرى على سُنن آبائه، وقام بالعلم أحسن قيام ونهض بأغبائه. ألّف كتابًا في «الرقائق»، ففات في شأوه سبق السابق، وتصدّر ببلده للفتيا، وانتفع به الناس، وكان شيخهم المُقَدَّم. ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة، رحمه الله. وأما مَنْ بيني وبينه من الآباء، كجدّي الأقرب وأبيه ومن خَلَفَ من بنيه، فما منهم من بلغ رُتبة السابق، ولا قَصُر أيضًا عن درجة اللاحق، وإنما أخذ في الطلب بتصيب، ورمى فيه بسهم مُصيب.

وأما مولدي^(٢)، فبوادي آش، في أواخر عام تسعة وسبعمائة. وفي عام ثلاثة وعشرين، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُرسوني وغيره ممن يأتي ذكره. ثم كتبت بعد ستة أعوام على مَنْ وليها من القضاة، أولي العدالة والسّير المرتضاة،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدوية (ص ٤٢).

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩).

ولم يطل العهد حتى تقدّمت في جامعها الأعظم خطيباً وإماماً، وارتسمت في هذه الخُطّة التي ما زالت على مَنْ أحسن تماماً، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين. ثم وُلّيت القضاء بها، وبما يرجع إليها من النُظر، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين، واستمرّت الولاية إلى حين انتقالني للحضرة، آخر رجب من عام ستة وخمسين، أسأل الله الإقالة والصفح عما اقترفت من خطيئ أو زلل، أو ارتكبت من عَمْد وسَهْو، في قول أو عمل، بمَنّهُ.

وأما أشياخي، فلإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيجاطي، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزي. وبمالقة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن منظور. وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العيش، وسيدي القاضي أبي البركات ابن الحاج، والأستاذ أبي عثمان بن ليون، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم. على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه، وعرضتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب، أكبرها كتاب المقامات للحريري، وأما مَنْ لقيته من المشايخ واستفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، وبمالقة القاضي أبو عبد الله بن بكر، والقاضي أبو عبد الله بن عيّاش، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين. ومن لقيته لقاءً بترك، سيدي أبو جعفر بن الزيات ببلش. وبمالقة الخطيب أبو عبد الله الساحلي، والصوفي أبو الطاهر بن صفوان، والمُقرئ أبو القاسم بن درهم. وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب، والخطيب ابن فرحون. ولقيت أيضاً القاضي أبا جعفر بن فزكون القرشي، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ. وممن رأيته بوادي آش، وأنا إذ ذاك في المكتب، وأخذت بحظّ من التبرّك به، سيدي أبو عبد الله الطنجالي نفع الله به. والحمد لله ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: ومن خطّه نقلت^(١): [الطويل]

متى يَنجَلِي صُبْحَ بَنِيْلِ المَارِبِ؟	ألا أَيُّهَا اللَّيْلُ البطيء الكواكب
فمن طالع منها على إثر غارب ^(٢)	وحتى متى أزعى النجوم مُراقبا
وذنبِي يُقْصِصُنِي بِأَقْصَى المَغَارِبِ	أُحَدِّثُ نَفْسِي أَن أَرَى الرُّكْبَ سائرا

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩ - ١٤١).

(٢) أخذه من قول ابن خفاجة: [الطويل]

وحتى متى أزعى الكواكب ساهراً
فمن طالع، أخرى الليالي، وغارب
ديوان ابن خفاجة (ص ٤٣).

وَلَا قُفْتُ فِي^(١) حَقِّ الْحَبِيبِ بِوَاجِبٍ
وَكَمْ عَلَّلْتَنِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ
مَعَاهِدُ أَنْسَ مِنْ وَصَالِ الْكَوَاعِبِ
وَلَا ذِكْرُ خَلٍّ خَلٍّ^(٢) فِيهَا وَصَاحِبِ
مِنَ الْوَجْدِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مِزَاجِي
فِيَا لَيْتَنِي يَمُنْتُ صَدَرَ الرِّكَائِبِ
سُرَايَ مُجِدِّدًا بَيْنَ تِلْكَ السَّبَابِيبِ^(٣)
وَجُبْتُ الْفَلَاحَ مَا بَيْنَ مَاشٍ وَرَاكِبِ
فَلَلَهُ مَا أَشْهَاهُ يَوْمًا لَشَارِبِ!
أَرْجِي وَمَنْ يَرْجُوهُ لَيْسَ بِخَائِبِ
بِأَخْمَدَ حَازَ الْحَمْدَ^(٤) مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَعْظَمُ لَاجٍ^(٥) فِي الثَّنَاءِ وَعَاقِبِ
وَأَعْلَى لَهُ قَدْرًا رَفِيعَ الْجَوَانِبِ
يَزَاحُمُ آفَاقَ الشُّهُىِّ بِالْمَنَاكِبِ^(٦)
وَخَيْرُ الْوَرَى الْهَادِي الْكَرِيمُ الْمُنَاسِبِ
وَذُو الْحَسَبِ الْعَدْلُ^(٧) الرِّفِيعُ الْمُنَاصِبِ
يَنْتَالُ بِهِ مَرْغُوبُهُ كُلُّ رَاغِبِ
لِكَالْبَذْرِ فِيهِمْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاكِبِ
سِرَاجٌ مَنِيرٌ بَدُّ نَوْرِ الْكَوَاكِبِ

فَلَا قُفْتُ مِنْ نَيْلِ الْأَمَانِي بِطَانِلِ
وَكَمْ حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ أَنْ أَبْلُغَ الْمُنَى
وَمَا قَصَّرْتُ بِي عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ
وَلَا حُبِّ أَوْطَانٍ نَبَتْ بِي رُبُوعُهَا
وَلَكِنْ ذَنْوِبٌ أَثْقَلْتَنِي فِيهَا أَنَا
إِلَيْكَ، رَسُولَ اللَّهِ، شَوْقِي مُجِدِّدًا^(٨)
وَأَعْمَلْتُ^(٩) فِي تِلْكَ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
وَقَضَيْتُ مِنْ لَثَمِ الْبَقِيعِ لُبَانَتِي
وَرَوَيْتُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ^(١٠) غُلَّتِي
حَبِيبِي شَفِيعِي مُنْتَهَى غَايَتِي الَّتِي
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْحَاشِرُ الَّذِي
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ خَصَّهُ^(١١) اللَّهُ بِاسْمِهِ
رَسُولٌ كَرِيمٌ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَشَرَّفَهُ أَضْلًا وَقَرْعًا وَمَخْتِدًا
سِرَاجُ الْهُدَى ذُو الْجَاهِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُوَ الْأَمْدُ الْأَقْصَى هُوَ الْمَلْجَأُ الَّذِي
إِمَامُ الثُّبَيَّانِ الْكَرَامِ، وَإِنَّهُ
بَشِيرٌ^(١٢) نَذِيرٌ مُفْضِلٌ مُتَطَوِّلٌ

(١) في الأصل: «من» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «فكم».

(٣) كلمة «خل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٤) في الأصل: «مجدد» والتصويب من النفع. (٥) في النفع: «فأعملت».

(٦) السباسب: جمع سبب وهو الأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٧) في النفع: «بززم».

(٨) في النفع: «خصنا».

(٩) في النفع: «وأعظم بماح». والمأحي والعاقب: من أسماء رسول الله ﷺ وكذلك «الحاشر» في البيت السابق.

(١٠) في النفع: «السما بالكواكب».

(١١) في النفع: «اليد».

(١٢) في النفع: «شريف».

شريف مُنِيفٌ باهرُ الفضلِ كاملٌ
عظيمُ المزايا ما له مِنْ تماثل^(١)
مَلَأَ منيعٌ ملجأَ عاصمٍ لمن
حليم^(٢) جميلُ الخلقِ والخلقِ ما له
وناميك من فرع نَمَثُهُ أصولُهُ
أولي الحسب العِدُّ الرفيع جنابُهُ
له معجزاتٌ ما لها من مُعارض
تَحْدَى^(٣) بهنُّ الخلقِ شَرْقًا ومغربًا
فدُونُكها كالأنجم الزُهر^(٤) عِدَّة
فإحصاؤها^(٥) مهما تَتَبَّغَتْ مُغَوَّرٌ
لقد شَرَّفَ الله الوجودَ بِمُرْسَلِ
وَشَرَّفَ شَهْرًا فيه مولدُهُ الذي
فَشَهْرُ ربيعٍ في الشهورِ مقدَّم
فلله منه ليلةٌ قد تَلَأَلَتْ
لِيَهْنِ أميرَ المسلمين بها المُنَى
على حين أخياها بذكر حبيبِهِ
وَأَلْفَ شَمْلًا لِلْمُحِبِّينَ فِيهِمْ
فسوف يُجَازَى عن كريم صَنِيعِهِ
وسوف يُرَبِّهِ الله في لَهْم^(٦) دينِهِ
فيحامي جَمَى الإسلامِ عَمَّنْ يَرُومُهُ

نفيسُ المعالي والخلقِ والمناقب
كريمُ السَّجَايا ما له من مُناسِب
يلوذ به من بين آتٍ وذهابٍ
نظيرٌ، ووصفُ الله حُجَّةَ غالب
إلى خيرٍ مجدٍ من لؤيِّ بن غالب
بدور الدِّياجي أو بدور^(٧) الركائب
وآياتُ صدقٍ ما لها من مُغالب
وما ذاك عَمَّنْ حاد عنها بغائب^(٨)
ونور سَنًا لا يَخْتَفِي^(٩) لِلْمُرَاقِب
وهل بعد نورِ الشمسِ نورٌ ليطالب؟
له في مقام الرُّسُلِ أعلى المراتب
جلا نوره الأسنَى دِياجي الغِيَاهِب
فلا غَرَوَ أَنَّ الفَخْرَ^(١٠) ضَرْبُهُ لازِب^(١١)
بنور شهابٍ نَيْر^(١٢) الألقِ ثاقِب^(١٣)
وَأَنَّ نال من مولاہ أَسْنَى الرُّغَائِب
وذكر الكرام الطاهرين الأطايِب
فسار على تَهْجٍ من الرشد لاجِب^(١٤)
بتخليد سُلْطَانٍ وَحُسْنِ عَوَاقِب
غرائب ضُئِعَ فوق كلِّ الغرائب
بُسْمِ العوالي أو ببيض القواضِب^(١٥)

(١) في النفع: «مماثل».

(٢) في النفع: «أو صدور الكتاب».

(٣) في الأصل: «تهدى» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «الشَّهْب».

(٥) في الأصل: «تختفي» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «إحصاؤها».

(٧) في الأصل: «اللفخر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفع.

(٨) ضربة لازب: أي لازمة لا بُدَّ من حصولها. (٩) في النفع: «بين».

(١٠) في النفع: «شاهب».

(١١) في النفع: «نصر».

(١٢) القواضب: السيوف القاطعة، واحدها قاضب.

ويعتزُّ دينُ الله شرقًا ومغربًا
إلهي، ما لي بعد رحماك مَطْلَبُ
سوى زُورَةِ القَبْرِ الشريف وإنها^(١)
عليه سلامُ الله ما لآخ كوكبُ
وقال في غرض المدح والتَّهنئة بعرض الجيش، وتضمَّن ذلك وصف حاله في
انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]

ومُنْضِيًا في القِيافي الخَيْلَ والإِنْبِلَا
إِلَّا تَذَكُّرُ عَهْدٍ لِلْحَبِيبِ خَلَا
كي لِلْحَاطِظِ^(٢) التي عَاقَدْتَ والمُقْلَا
أَرْبَى بها الحُسْنُ عن ضَرْبِ المَهَامِثَا
صَبَا لِقْفَدِ حَبِيبٍ بَانَ قَدْ تُكْلَا
كُفًّا خَضِيبًا مُشِيرًا بِالَّذِي عَدَلَا
قَطَعَ المَهَامِثَا تَرْجُو أَنْ تَنَالَ عَلَا؟
قَطَعَتْهَا لَا تَمَلُّ الرُّيْثَ والعَجَلَا
وَتَبْتَغِي السُّؤْلَ فيما شَتَّ والأَمَلَا
بعزمٍ مَنْ شَدَّ عَزْمَ البَيْنِ وارتَحَلَا
ولم يَبِنْ فُخْرُهُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَا
.....^(٣)

وعهد أُنْسَ به قَلْبُ المُجِيبِ سَلَا
وَلَا تَلُمُ^(٤) به مَذْحَا وَلَا عَزَلَا
رَخَلَا وَلَا تَبْنِغَ عن أَرْجَائِهَا جَوَلَا
وَلَا سَلَا قَلْبُ مَنْ يَبْتَغِي بِهَا بَدَلَا

يا قاطعَ البِيدِ يَطْوِي السَّهْلَ والجَبَلَا
يَبْكِي بِأَفَاقٍ^(٥) أَرْضٍ لَا يُؤَانِسُهُ^(٦)
أَوْ ظَنِيَّةٌ أَذْكَرَتْ عَهْدَ التَّوَاصِلِ تَخُ
أَسْتَغْفِرُ الله في تلكَ اللَّحَاطِ فَقَدْ
أَوْ هَادِلٍ فَوْقَ غُصْنِ البَانِ تَخَسَّبِ
أَوْ لَامِعِ البرقِ إِذْ تَحْكِي إِنْارَتَهُ
ماذا عَسَى أَنْ تُقْضَى مِنْ زَمَانِكَ فِي
وَكَمْ مَعَالِمِ أَرْضٍ أَوْ مَجَاهِلِهَا
إِنْ كُنْتَ تَأْمُلُ عَزًّا لَا نَظِيرَ لَهُ
فَالْعَزُّ مَرْسَى بَعِيدٌ لَا يُنَالُ سِوَى
وَالدُّرُّ فِي صَدَفٍ قَلْتُ نَفَاسَتُهُ
فَارِيًّا بِنَفْسِكَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ
وَأَنَّ الدِّيَارَ الَّتِي مِنْهَا نَأَى وَطَنِي
وَعَدُّ عَنْ ذِكْرِ مَخْبُوبٍ شَغِفَتْ بِهِ
وَاقْصِدْ إِلَى الْحَضَرَةِ الْعَلِيَّا وَحُطَّ بِهَا
غَرْنَاطَةٌ لَا عَفَا رَسَمَ بِهَا أَبَدًا

(١) في النسخ: «وإنه».

(٢) في النسخ: «رافق».

(٣) في الأصل: «يؤنسه»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «اللحاط» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) بياض في الأصول.

(٦) في الأصل: «تَلُمُ» يسكون الميم، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في النسخ: «فأثت».

(٨) في الأصل: «في آفاق»، وكذا ينكسر الوزن.

فهي التي شرف الله الأنام بمن
خليفة الله مولانا وموئلنا
محمد بن أبي الحجاج أفضل من
من آل نضر أولى الملك الذي بهرت
هو الذي شرف الله البلاد ومن
أقام عدلاً ورفقاً في رعيته
فهو المٌجار به من لا مُجير له
إنّ المدائح طراً لا تفي أبداً
بالحزم والفهم والإقدام شيمته
إن قال أجمل في قولٍ وأبدعه
يولي الجميل ويُغطي عزُّ نائله
من سائلي عن بني نصر فما أحد
هُم الذين إذا ما استمنحوا مَنَحُوا
هُم الألى مهّدوا أَرْجاء أندلس
فإن تَسَلَّ عَشُهُم يوم الرّهان فلم
مَنْ ذا يُجاريهم في كل مَكْرَمَة
مولاي، يا خير مَنْ للنّضر قد رُفِعَتْ
لله عَيْنِي لَمَّا أَبْصَرْتُكَ وقد
وَأَنْتَ فِي قُبَّةٍ يَسْمُو بِهَا عُمْدُ
والجيش يَغْشَى عِيُونَ الخلقِ مَنْظَرُهُ
لا غَرْوَ أَنَّ شُعَاعَ الشّمسِ يشمل ما
وراية النّصر والتأييد خافقة
والخيلُ قد كَسِيَتْ أَنْوَابَ زِينَتِهَا
تَرى الحُماةَ عَلَيْهَا يوم عَرْضِهِمْ
فَمِنْ رُماةٍ قَسَى العُزْبُ عُدَّتُهَا

في مَقْعَدِ الْمُلْكِ مِنْ حَمْرَانِهَا نَزَلَا
وخير من أَمْنِ الأَرْجاءِ والسُّبُلَا
قَدْ قَامَ فِينَا بِحَقِّ اللَّهِ إِذْ عَدَلَا
عُلاهُ كَالشَّمْسِ لَمَّا حَلَّتِ الْحَمَلَا
فِيهَا بِدَوْلَتِهِ إِذْ فَاقَتْ الدُّوَلَا
وَكَانَ أَرْحَمَ مِنْ آوَى وَمِنْ كَفَلَا
لَمْ يَخْشَ إِخْنَ اللَّيَالِي فَادَّخَا جِلَلَا
بِبَعْضِ مَا قَدْ تَحَلَّلَا مِنْ نَفْسِي عُلَا
وَالْجُودِ مِمَّا عَلَى أَوْصَافِهِ اشْتَمَلَا
وَالْفِعْلُ أَجْمَلُ مِنْهُ كَلَمًا فَعَلَا
مَنْ قَدْ رَجَاهُ وَلَا اسْتَجْدَى وَلَا سَالَا
مِنْهُمْ بِأَبْلَغِ مِنْهُمْ كَلَمًا سَنَلَا
أَسْنَى الْعِطَاءِ^(١) وَأَبْدُوا بَعْدَهُ الْخَجَلَا
إِذْ حَكَمُوا فِي الْأَعَادِي الْبِيضِ وَالْأَمَلَا
يَعْدِلُ بِأَخْذِهِمْ فِي سَنَةِ بَطَلَا
أَيْشِيهِ الْبَحْرُ فِي تَمَثِيلِهِ الْوَشَلَا؟
رِايَاتُهُ وَلِوَاءُ الْفَخْرِ قَدْ حَمَلَا
أَعْدَدَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَيْلَ وَالْخَوَلَا
أَقَامَ مِثْلًا لِأَمْرِ^(٢) الدِّينِ فَاعْتَدَلَا
لَمَّا اكْتَسَى مِنْكَ نَوْرَ الْحَقِّ مَكْتَمَلَا
أَضْحَى عَلَيْهِ إِذَا مَا لَاحَ مُنْسَدَلَا
قَدْ أَسْبَلَ اللَّهُ مِنْهَا النَّضْرَ فَانْسَدَلَا
فَمِنْ بَرَاقِعِهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حُلَلَا
يَمْشُونَ مِنْ قَرْطِ رَهْوٍ مِشْيَةَ الْخَيْلَا
تَخْكِي الْأَهْلَةَ مِنْهُمَا نَوْرُهَا اكْتَمَلَا

(١) في الأصل: «العتاء»، وكذا ينكر الوزن.

(٢) في الأصل: «دامر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَمِنْ كُثْمَةٍ شِدَادِ الْبَاسِ شَأْنُهُمْ
يَسْعِدُكَ انْتِظَمَتْ تِلْكَ الْجِيُوشُ لَأَنْ
وَحَلَّدَ اللَّهُ مُلْكًا أَنْتَ نَاصِرُهُ
لَا زِلْتَ تَزْدَادُ بِي^(١) تُغْمَى مَضَاعِفُهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: [البسيط]

أَنْ يَعمَلُوا الْبَيْضَ وَالْخَطِيئَةَ الذُّبْلَا
أَسْهَمْتَ فِي تَنْظِمِهَا أَسْلَافَكَ الْأَوَّلَا
مَا عَاقَبْتَ بُكَرَ مِنْ دَهْرِنَا الْأَصْلَا
لَتَمَلَأَ الْأَرْضَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلَا

يَا عَاذِلِي فِي الْهَوَى، أَقْصِرْ عَنِ الْعَذَلِ
فَكَيْفَ أَضْغِي إِلَى عَذَلِ الْعَذُولِ وَقَدْ
تَمَلَّكَتُهُ كَمَا شَاءَتْ بِنَظَرَتِهَا
مُغْبِرَةٌ عَنِ نَفِيسِ الدُّرِّ فَاضِحَةٌ
مِنْ نَوْرِ غُرَّتِهَا شَمْسٌ تَرُوقُ سَنَى
يَا حَبِّدَا عَهْدَنَا وَالشُّمْلُ مُنْتَظَمٌ
أَيَّامَ أَغْيُنِ هَذَا الدَّهْرِ نَائِمَةٌ
وَحَبِّدَا أَرْبَعٌ قَدْ طَالَ مَا تَنْظَمْتُ
قَضَيْتُ مِنْهَا أَمَانِي النَّفْسِ فِي دَعَا
سَطَا الْغَمَامِ رُبَاهَا كُلُّ مُتَنَهِمٍ
وَجَادَهَا مِنْ سَمَاءِ الْجُودِ صَوْبَ حَيَا
خَلِيفَةِ اللَّهِ وَالْمَاجِي بِسِيرَتِهِ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحِجَاجِ أَفْضَلُ مِنْ
وَالْبَاعِثِ الْجَيْشِ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
مِنْ آلِ نَصْرٍ أَوْلِي الْفَخْرِ الَّذِينَ لَهُمْ
مِهْمَا أَرَذَتْ غَنَاءٌ فِي الْأُمُورِ بِهِ
لَنْ يَسْتَظِلَّ بِعَلِيَّاهُ أَخُو أَمَلٍ
وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مَنْ لَا مُجِيرَ لَهُ
يُثَمَّى إِلَى مَعِشَرِ شَادِ الْإِلَهِ لَهُمْ
بِمُلْكِهِمْ قَدْ تَحَلَّى الدَّهْرُ فَهُوَ بِهِ

وَعَنْ حَدِيثِي مَعَ الْمَحْبُوبِ لَا تَسْلُ
تَقْلُصُ الْقَلْبَ مِنْ صَائِدِ الْمُقْلِ؟
فَتَانَةُ الطَّرْفِ وَالْأَلْحَازِ تَنْهَدِلُ
بِقَدِّهَا الْغَضَّ الْمَيَّاسَ^(٢) فِي الْمَيْلِ
تَحْتَلُّ مِنْهَا مَحَلُّ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ
بِجَانِبِ الْغُورِ فِي أَيَّامِنَا الْأَوَّلِ
عَنَا وَأَحْدَاثُهُ مَنَا عَلَى وَجَلٍ
عِقْدَ التَّوَاصِلِ فِي عَيْشٍ بِهَا خَضِلُ
مِنْ الزَّمَانِ مُوَفَّى الْأَنْسِ وَالْجَذَلِ
وَكَمْ سَطَّطَهَا دَمُوعِي كُلُّ مُتَنَهِّيلٍ
بِالْعَارِضِ الْهَظْلِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَظْلِ
رَسْمُ الضَّلَالِ وَمُخَيِّبِ وَاضِحِ الشُّبْلِ
سَارَتْ أَحَادِيثُ عَلِيَّاهُ سُرَى الْمَثَلِ
حَتَّى تَغْصُرَ نَوَاحِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
مَزِيَّةٌ أُورِثَتْ مِنْ خَاتَمِ الرِّسْلِ
شَاهَدَتْ مِنْهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي رَجُلٍ
إِلَّا غَدَا تَحْتَ ظِلِّ مَنْهُ مُتَسَدِّلِ
إِلَّا كَفَاهُ انْتِيَابُ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
مُلْكًا عَلَى سَالِفِ الْأَغْصَارِ لَمْ يَزَلِ
وَاللَّهُ وَالِيَهُ لَا يَخْشَى مِنَ الْعَطَلِ

(١) فِي الْأَصْل: «بِهَا»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) فِي الْأَصْل: «الْمَيَّاس»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، لَذَا جَعَلْنَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ هَمْزَةً قَطْعًا.

هُمُ الْأَلَى نَصَرُوا أَرْجَاءَ أُنْدَلُسِ
هُمُ الْأَلَى مَهَّدُوا دِينَ الْهَدَى قَسَمْتُ
مَنْ أَمَّهُمْ صَادِي الْأَمَالِ نَالَ بِهِمْ
أَوْ أَمَّهُمْ ضَاحِيًا أَضْحَى يُجَرَّرُ مِنْ
إِنَّ الْفَضَائِلَ أَضَحَّتْ لِاسْمِهِ تَبَعًا
مولاي، خُذْهَا تَرَوْقَ السَّامِعِينَ لَهَا
لَكِنِّي بِاعْتِبَارِ عَظَمِ مَلِكِكَ لَمْ
فَإِنْ خَبِرْتُ كَذَاكَ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
لَا زِلْتُ فَخِرَ مَلُوكَ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ
وَدُمْتُ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرِهِ

بِالْمَشْرِفِيَّاتِ وَالْخَطِيئَةِ الدُّبُلِ
فِي الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُ الْعَلِيَا عَلَى الْبِلَلِ
جَوْدًا كَفِيْلًا لَهُ بِالْمَغْلِ وَالْتِهَلِ
فَضْلُ الثُّوَالِ ذِيُولِ الْوَشْيِ وَالْحُلَلِ
كَالْتَغْيِ وَالْعَطْفِ^(١) وَالتَّأَكِيدِ وَالبَدَلِ
بِمَا أَجَادَتْهُ مِنْ مَدَحٍ وَمِنْ غَزَلِ
أَجْدُ لَعَمْرِي فِي مَذْحِي وَلَمْ أُطِلْ
سَيَّانَ مُحْتَفِلِ أَوْ غَيْرِ مُحْتَفِلِ
تَسْمُوكِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَاءِ^(٢) عَلَى الدَّوْلِ
مُبْلَغًا كُلَّمَا تَبَغْيِي مِنَ الْأَمَلِ

ومن ذلك ما نظمته ليقش في بعض المباني التي أنشأها^(٣): [الطويل]

أَنَا مَصْنَعٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ الْمَصَانِعِ
فَرَسَمِي، إِذَا حَقَّقْتُهُ وَاعْتَبَرْتُهُ^(٤)
فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
كَمَا^(٥) جُمِعَتْ كُلُّ الْفَضَائِلِ فِي الَّذِي
وَزِيرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَخَشْبُهُ
وَذُو الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي فَعَلَهُ لِمَنْ
وَمُطْلِعُ آيَاتِ الْبَيَانِ لِمُبْصِرِ
وَأَنَسَانُ عَيْنِ الدَّهْرِ قَرَّتْ لَنَا بِهِ
هُوَ ابْنُ الْخَطِيبِ السَّيِّدِ الْمُتَمَتِّي إِلَى
لَقَدْ كُنْتُ لَوْلَا عَطْفُهُ مِنْ خَنَانِهِ^(٦)

فَمَا مَنَزَلُ يَزْهَى^(٧) بِمِثْلِ بَدَائِعِي
لِكُلِّ الْمَعَانِي، جَامِعُ أَيِّ جَامِعِ
لَدَيْ، فَيَا لِلَّهِ إِبْدَاعُ صَانِعِ^(٨)
بِسُكْنَائِي قَدْ وَاثَاهُ أَيْمَنُ طَالِعِ
مَزِيَّةُ فَخْرِ مَا لَهَا مِنْ مُدَافِعِ
يُؤْمَلُهُ مِثْلُ السَّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
كَشَمْسِ الضُّحَى خَلَّتْ بِأَسْنَى الْمَطَالِعِ
عِيُونَ وَطَابَتْ مِنْهُ ذِكْرَى الْمَسَامِعِ
كِرَامِ سَمَوَا مَا بَيْنَ كَهْلٍ وَبَافِعِ
أَعْدُ زَمَانًا فِي الرُّسُومِ الْبَلَاغِعِ

(١) كلمة «والعطف» ساقطة في الأصل. (٢) في الأصل: «العلياء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧١ - ٢٧٢) وفيها أن المباني أنشأها بغرناطة.

(٤) في الأصل: «زهى» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٥) في الأصل: «واعترته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الكتيبة: «صانعي».

(٧) في الأصل: «ظلّ كما...»، وكذا لا يستقيم الوزن، لذا حذفنا كلمة «ظلّ».

(٨) في الكتيبة: «جنابه».

قَصِيرَنِي مَغْنَى كَرِيمًا وَمَرَبَعًا^(١) لَشَمْلٍ بِأَنْسٍ مِنْ حَبِيبِي جَامِعٍ
فَهَا أَنَا ذُو^(٢) رَوْضٍ يَرُوقُ نَسِيمُهُ^(٣) كَمَا رَقَّ طَبْعًا مَا لَهُ مِنْ مُنَازِعٍ
وَقَدْ جَمَعْتُنَا نَسَبُ الطَّبْعِ عِنْدَمَا وَقَعْتُ لِمَرَّاهُ بِأَسْنَى الْمَوَاقِعِ
فَأَشْبَهَ إِزْهَارِي بِطَيْبِ ثَنَائِهِ وَقُضِلَ هَوَائِي^(٤) بِاعْتِدَالِ الطَّبَائِعِ
فَلَا زِلْتُ مَعْمُورًا بِهِ فِي مَسَرَّةٍ مُعْتَدًا لِأَفْرَاحٍ وَسَعِيدٍ مَطَالِعِ
وَلَا زَالَ مَنْ قَدْ حَلَّنِي أَوْ يَحْلُنِي مُوقَى الْأَمَانِي مِنْ جَمِيلِ الصَّنَائِعِ
وَدَامَ لِمَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ سَعْدُهُ قَبْلَ ثَوْرِهِ يَبْدُو^(٥) لَنَا كُلُّ سَاطِعِ

وفي التهئة بإللال من مرض : [البسيط]

الآن قد قامت الدنيا على قدمٍ لما استقلَّ رئيس السيف والقلم
والآن قد عادت الدنيا لبهجتها مَذْ أُنْسَتْ بُرْءُهُ مِنْ طَارِقِ الْأَلَمِ
والآن قد عمت البشرية براحتة فلم تزل للورى من أعظم النعم
لا سيما عند مثلي ممن اتضحت منه دلائل صدق غير متهم
فكيف لي وإيادي فضله ملكث رَقِي بِمَا أَجَزَلْتُ مِنْ وَاغِرِ الْقِسَمِ
وضيرتني في أهلي وفي وطني وبين أهل الشهى نازًا على علم
وأخسبت أمني الأقصى لغايته إِذْ صُرْتُ مِنْ جَاهِهِ الْمَأْمُولِ فِي حَزَمِ
ماذا^(٦) عسى أن أوفي من ثنائي أو أَنْهِيَ إِلَى مَجْدِهِ مِنْ فَاضِلِ الشِّيمِ
ولو ملكث زمام الفضل طوع يدي قُصِرْتُ فِي ضَمْنِ مَنْشُورٍ وَمُنْتَظَمِ
يُهْنِكَ بُشْرَى قَدْ اسْتَبَشَرْتُ مَذْ وَرَدْتُ بِهَا لِعَمْرِكَ وَهَوَ الْبُرِّ فِي الضِّيمِ
ومذ دَعَتْ هَذِهِ^(٧) البشرية بتهنئة فنحن أولى ومحض العهد والكرم
لا زلت للعزة القغساء ممتطيا مُسْتَضْجِبًا لِعِلَاءٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
ودُمْتَ بِذَرِّ سَنَى تَهْدِي إِنْارته فِي حَيْثُ يَغْضُلُ خَطْبٌ أَوْ يَحَارُ عَمِ
ولا عِدْنَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ عَافِيَةً

(١) في المصدر نفسه: «وَمَرَبَعًا».

(٢) كلمة «ذو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتية.

(٣) في الكتية: «جمالُهُ».

(٤) في الأصل: «هوائي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتية.

(٥) كلمة «يدو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتية.

(٦) في الأصل: «وماذا»، وكذا ينكسر الوزن. (٧) في الأصل: «هذه».

وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشعر والكتابة. وغير هذا للشعر فراره، فقل أن ينتهي الشعر في الضعة والاستبدال إلى ما دون هذا التمثط، فهو بعير^(١) ثانٍ، شعراً وشكلاً وبلداً، لطف الله به. وهو لهذا العهد، على ما تقدم من النكبة، واتصال السخط من الدولة، نغمداً الله وإياه بلطفه، ولا نكص عنا ظل عناية وسثره.

مولده: حسبما تقدم من بسط حاله مما قيده بخطه في عام تسعة وسبعمئة.

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله: فقيه أديب كاتب سري، موصوف بكرم نفس، وحسن خلق. لقي أشياء وأخذ عنهم.

شعره: [السريع]

يَزْفُلُ فِي السَّابِغِ مِنْ أُمِّيَّةٍ ^(٢)	يَا مُنْعِمًا مَا زَالَ مِنْ أُمِّهِ
فَرِيحَ صَرْفُ الدَّهْرِ مِنْ سَكْتَتِهِ ^(٣)	وَيَا حُسَامًا جَرْدَتُهُ الْعَلَا
شَوْقًا لِمَنْ خَلَفَ مِنْ إِخْوَتِهِ	عَبْدُكَ قَدْ سَاءَتْ هُنَا حَالُهُ
وَيَخْلَعُ السُّهْدَ ^(٤) عَلَى مُقْلَبَتِهِ	شَوْقًا يَبُثُّ الْجَمْرَ فِي قَلْبِهِ
وَأَنْسَيْنِ ^(٥) الْمُقْلَبُ مِنْ وَحْشَتِهِ	فَسَكُنِ الْمُؤْلَمَ مِنْ شَوْقِهِ
فِي عِلْمِكُمْ مِنْ مُقْتَضَى بُغْيَتِهِ	وَأَمِئْتُ عَلَيْهِ بِبُلُوغِ الْمُنَى
تَفْهَمُ مَا يُلْقِيهِ مِنْ نَفَقَتِهِ	وَمَا كُهَا نَفَقَةً ذِي خَجَلَةٍ
يَحْسَدُهُ الطَّيَّارُ فِي نَغْمَتِهِ	إِذَا شَدَا مَذَاحِكُمْ سَاجِدًا

وفاته: سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، عن سن عالية.

(١) يريد أنه شاعر كبير وهنا يشبهه بشاعر آخر يلقب بالبعير.
 (٢) في الأصل: «أُمِّيَّة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٣) في الأصل: «سُكُوتِهِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٤) في الأصل: «للسهد»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٥) في الأصل: «وانس»، وكذا لا يستقيم الوزن.

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي^(١)من أهل قلعة يَخْصِب^(٢) من عمل البيرة.

حاله ونسبه: هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، صاحب رسول الله ﷺ. وكان عيِّناً من أعيان الأندلس، مُشاراً إليه في البيت والرأي، والجزالة والفضل. عَلِقَتْ به الآمال، ورُفِعَتْ إليه الممادح، وحُطِّتْ لديه الرِّحال. وكان من أولي الجلالة والثَّباهة، والطَّلَب والكِتابة الحسنة، والخطُّ البارِع. واشتمل على حُظوة الأمير يحيى بن غانية اللمتوني، وكتب عنه. بلده قلعة بني سعيد، فتقفاها، وجعل بها أكبر بنيه عبد الرحمن ضابطاً لها وحارساً، فحَصَّنَهَا أبو مروان ومهداها بالعمارة، فكانت في الفتنة مثابة وأمثاً، وجزراً له ولبنيه، فانجَلَّتْ الناس إليها من كل مكان. ولما قَبِضَ ابن غانية على القُمت مَرِين وأصحابه النصاري عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن جِيَّان، وتحصَّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت في اسم الأمير يحيى، تُقَفِّههم بالقلعة بيد ثِقَّتِهِ المذكور وأمينه أبي مروان، فتحصلوا في مَغْقَلِ خَرِيْز، عند أمير وافر العقل، شديد الرأي. ومات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، واختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، وعاهد القُمت مَرِين ومن معه من الزعماء على عُهُود، أخذها عليهم وعلى سلطانهم، أن يكون تحت أَمْنٍ وحفظ طول مدَّته، فأجريت القلعة في الأمن والحماية، وكفَّ أَيْدِي التَّعْدِي مجرى ما لَمُلِكَ النُّصْرِي^(٣) من البلاد، فَسَمِلَ أهلها الأمن، واتسعت فيها العمارة، وتَنَكَّبَتْها التَّنَكُّبات، وتَحَاشَتْها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحدين. ووصل هو وابنه إلى السيد أبي سعيد بغرناطة، وحضر معه غَزْوَةُ المَرِيَّة، ثم دخل بجملته، فكمَّلَ له الأمن، وأَقَرَّ على القلعة، وأَمَرَ بِسُكْنَى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراكش صحبة السيد أبي سعيد، ولقي من البرِّ ولُطْفِ المكانة عادته، واستَكْتَبَ ابنه أحمد بن أبي مروان الخليفة في هذه الوجهة، وانتظم في جملة الكُتَّاب والأصحاب.

(١) ترجمة عبد الملك بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦١) ورايات المبرزين (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩١، ٩٧) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٥ ص ٧٩).

(٢) قلعة يَخْصِب: بالإسبانية Alcalá La Real، أي القلعة الملكية، وتعرف أيضاً بقلعة يعقوب أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٣) النصري هنا النصرائي، والمراد: أن تنعم قلعة بني سعيد بالأمن كما تنعم بلاد النصاري.

محتته: وعاد أبو مروان ويثوه إلى غرناطة صُحبة واليها السيد أبي سعيد، فبقي في جملة العسكر عند دخول ابن مَرْدَنِيْش وصِهره غرناطة، وقد اضطربت الفتنة، وقَسَد ما بين السيد وبين أبي جعفر بن أبي مروان منهم، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة^(١). ولما ظهرت دلائل التغيير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلى خدمة ابن مردنیش، ونهاهم والدهم أبو مروان، وأشار عليهم بمصاهرة الأمر، فلاحق عبد الرحمن بالقلعة، وفرّ أحمد لما انكشف الأمر، وعُثِر عليه بجهة مالقة، فقتل، وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد، فبقيا بغرناطة، ومن يُشار إليه من أهل بيتهما، واستُضْفِيَت أموالهما، واستخلصت^(٢) ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم وردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزح منهم عن الطاعة، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم. ولما هلك ابن مردنیش، ورّد من اتصل به صُحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رجب وسعة، وثاب جاه أبي مروان، واتصل عزّه، واتسعت حُظوته، إلى أن هلك بعد أن وُلِي بمراكش النُظر في العُدّة والأسلحة، والقيام على دار الصُّنعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين وخمسائة.

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست^(٣)

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل^(٤)، حَيِيّ، حسن الصورة، بادي الحشمة، فاضل البيت سَرِيه. كتب في ديوان الأعمال^(٥)، وترقى إلى الكُتُب^(٦) مع الجملة بالدار السلطانية، وسَفَر في بعض الأغراض الغُزبية، ولازم الشيخ أبا بكر^(٧) بن عتيق بن مُقَدِّم، من شيوخ الصُوفية بالحُضرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية^(٨).

(١) تقدم ذلك في ترجمة حفصة في الجزء الأول من الإحاطة.

(٢) أي صارت في المستخلص، أو ضمن أملاك الدولة.

(٣) ترجمة ابن يست في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣) وفيه: «بن برشيت»، وفي نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧، ٢٤٩) وفيه: «بن يست».

(٤) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٥) في النفح: «الأعمال فائقة، وترقى».

(٦) في النفح: «إلى الكتابة السلطانية».

(٧) في النفح: «أبا بكر عتيق...».

(٨) كلمة «الأدبية» غير واردة في النفح.

شعره: وشعره لا بأس به، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم^(١): [الكامل]

الْقَلْبُ يَعْشَقُ وَالْمَدَامُ تُنْطِقُ
بَرِيحَ الْخَفَاءِ فَكُلُّ غُضُوٍ مِنْطِقُ^(٢)

[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا]^(٣).

ومما خاطبني به^(٤): [البسيط]

أَطْلُتْ غَثَبَ زَمَانٍ فَلْ مِنْ أَمَلٍ^(٥)
وَسُفْمُتْهُ^(٦) الذَّمُّ فِي جِلٍّ وَمُزْتَحَلٍ
عَاتِبْتُهُ لِيْلِينَ لِلْعَثَبِ جَانِبَهُ
فَمَا تَرَجَعَ عَنْ مَظِلٍّ وَلَا بَحْلٍ^(٧)
فَعَذْتُ أَمْنَحَ الْعُثْبَى^(٨) لِيُثْفِقَ بِي^(٩)

فقال لي: إِنْ سَمِعِي عَنْكَ فِي شُغْلٍ
فَالْعَثَبُ عِنْدِي وَالْعُثْبَى^(١٠) فَلَسْتُ أَرَى
أُضْغِي لِمَدْحِكَ إِذْ لَمْ أَضْغِ لِلْعَذَلِ
فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: كُفِّي عَنْ مُعَاتَبَةٍ
لَا تَنْقُضِي وَجَوَابَ صِيغٍ مِنْ وَجَلٍ^(١١)
مَنْ يَغْتَلِقُ بِالدُّنَا^(١٢) بِابْنِ الْخَطِيبِ فَقَدْ
سَمَا عَنِ الذُّلِّ وَاسْتَوْلَى^(١٣) عَلَى الْجَدَلِ

(١) البيت مطلع قصيدة طويلة من ٥٨ بيتاً وردت في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٠ - ٢٥٢). وورد منها ٢٠ بيتاً في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) في الكتيبة الكامنة: «ينطق».

(٣) ما بين قوسين هو ليس لابن الخطيب، ويبدو أنه تعليق من ناسخ المخطوطة.

(٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٥) في الكتيبة: «مَلْ مِنْ أَمَلِي». وفي النفح: «من أَمَلِي».

(٦) في الكتيبة: «وشمته».

(٧) في الكتيبة: «من مطل ومن نجل».

(٨) العُثْبَى: الرضى. لسان العرب (عتب).

(٩) في النفح: «لي».

(١٠) في المصدرين: «كالعُثْبَى».

(١١) في المصدرين: «في الدُّنَا».

(١٢) في الأصل: «واستوى»، والتصويب من المصدرين.

فقلت^(١): من لي بتَقْرِيبي لخدمته
 فقد أَجابَ قَرِيبًا من جوابك لي
 قد اشتغلتُ عن الدُّنيا بآخرتي
 وكان ما كان في^(٢) أَيامي الأول
 وقد رَعَيْتُ وما أَهملتُ من مَنح
 فكيف يَختلط المرعي بالهَمَلِ؟
 ولستُ أَزجُعُ للدُّنيا ورُخرفها
 من^(٣) بعد شَيْبِ غدا في الرأْس مُشتعل
 أَنَسْتُ تُبَصِّرُ أَطْماري وَتُعِدِّي عن
 نَيْلِ الحَظوظِ وإعدادِ^(٤) إلى أَجل
 فقال^(٥): ذلك قولٌ صَحُّ مُجْمَلُهُ^(٦)
 لكنَّ من شأنه التَّفصيلُ للجَمَلِ
 ما أنت طالبُ^(٧) أمرٍ تَشْتَعِينُ به
 على المَظالمِ في حالِ^(٨) ومُتَتَبِلِ
 ولا تُجِلَّ حرامًا أو تُحَرِّمَ ما
 أَحَلَّ رُبُّكَ في قولٍ ولا عمل
 ولا تَبِغْ^(٩) أَجَلَ الدُّنيا بما جَلَّها
 كما الوَلَاةُ تبيعُ السِّمَّ بالوَشَلِ^(١٠)
 وأين عنك الرُّشا إن كنتَ^(١١) تطلبها
 هذا لعمري أَمْرٌ غَيْرُ مُنْفَعِلِ

(١) في النفع: «قالت فمن لي...».

(٢) في الكتيبة: «من أيامك». وفي النفع: «من أيامي».

(٣) كلمة «من» غير واردة في الأصل، وبذلك ينكسر الوزن، وقد أضفناها من المصدرين.

(٤) في النفع: «وإغذاذي إلى أَجلي». (٥) في المصدر نفسه: «فقلت».

(٦) في الكتيبة: «محملهُ» بالحاء المهملة. (٧) في النفع: «جالب».

(٨) في الكتيبة: «جاء».

(٩) في الأصل: «ولا تَبِغْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٠) الوَشَل: القليل من الماء. لسان العرب (وشل).

(١١) في النفع: «طَلَّتْ».

هل أنت تطلبُ إلا أن تعودَ إلى
كُتِبَ المقامِ الرُفيعِ القُدرِ في الدول؟
فما لأوحدِ أهلِ الكَوْنِ^(١) قاطبة
وأسمَحَ الخَلْقِ^(٢) من حافٍ ومُنشعل
لم يلتفت نحو ما تُبغيه من وطَرٍ
ولم يَسُدْ^(٣) الذي قد بانَ من خلل
إن لم تَقْعَ نظرةٌ منه عليك فما
يَضُبُّو لَدَيْكَ الَّذِي^(٤) أُمِلَتْ مِنْ أَمَلٍ
قدونك السَّيِّدُ الأعلى فمطلبكم^(٥)
قد يَيطُ منه بفضلٍ غير مُنفصل^(٦)
فقد خَبَرْتُ بني الدنيا بأجمعهم
من عالمٍ وحكيم عارفٍ وولي^(٧)
فما رأيتُ له في الناس من شَبِهٍ
قُلْ التُّظْيِرُ له عندي فلا تَسَلِ
فقد^(٨) قَصَدْتُكَ يا أسمى الورى نَسَبًا^(٩)
وليس لي عن جَمِي^(١٠) عَليَاك من جَوَلِ^(١١)
فما سواك لما أُمِلْتُ من أَمَلٍ
وليس لي عنك من زَيغٍ ولا مَيَلِ^(١٢)

(١) في الكتيبة: «الأرض». (٢) في الكتيبة: «الناس».

(٣) في الأصل: «يُسُدُّ»، والتصويب من المصدرين.

(٤) في الأصل: «الذي»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الكتيبة: «قطابه قُلْ التُّظْيِرُ له عندي فلا تَسَلِ».

(٦) في النسخ: «منفصل» بالصاد المهملة. (٧) في الأصل: «دول» والتصويب من النسخ.

(٨) في النسخ: «وقد». (٩) في النسخ: «همما».

(١٠) كلمة «جَمِي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النسخ ليستقيم المعنى والوزن معاً.

(١١) في الكتيبة: «... لي من علاك اليوم من وجل». والحوّل: التحوّل والانتقال. لسان العرب (حوّل).

(١٢) في الكتيبة: «وليس عندك من زيغ ولا مَلَل».

فانظر لحالي فقد رُقَّ الحسودُ لها
واخسِمَ زمانةٌ^(١) ما قد ساء من عِلل
قَدِمَ^(٢) لنا ولدينِ الله تَرْقُؤُهُ
ما أَغْقَبَتْ بُكَرُ الإصباحِ بالأُصلِ
لا زِلْتُ مُغْتَلِيًا عن كلِّ حادثة
كما عَلَتْ مِلَّةُ الإسلامِ في المَلَلِ

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله
ابن عبد الرحمن الغساني^(٣)

وادي أشي الأصل، يكنى أبا محمد.

حاله: كان^(٤) من جِلَّةِ الأدباء، وفحول الشعراء، وبَرَعةِ الكُتَّاب. كتب عن
الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي المشوفي الميُورُقي^(٥)، الثائر
على منصور^(٦) بني عبد المؤمن، ثم على مَنْ بعده من ذرَّيته إلى أيام الرُّشيد^(٧) منهم،
وانقطع^(٨) إليه وصَّحبه في حركاته، وكان آية في بُغْدِ الهمة، والذهابِ بنفسه،

(١) الزمانة: المرض الدائم. لسان العرب (زمن).

(٢) في الكتيبة: «ودم لها». وفي النفع: «ودم لنا».

(٣) ترجمة عبد البر الغساني في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) وفيه أنه توفي سنة ٦١٠ هـ أو نحوها،
والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) وفيه أنه توفي سنة ٦١١ هـ. ورايات المبرزين
(ص ١٦٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٢) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٤) و(ج ٥ ص ٤٧،
١٠٦).

(٤) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٥) أبو زكريا يحيى بن إسحاق المشوفي هو ابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة وغرب الأندلس
من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، قارم الموحدين في أول استيلائهم على الأندلس
فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.

(٦) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحد، حكم المغرب والأندلس من سنة
٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠) والحلل الموشية (ص
١٢١).

(٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحد، حكم
المغرب والأندلس من سنة ٦٣٠ هـ إلى سنة ٦٤٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص
٢٩٩) والحلل الموشية (ص ١٢٥).

(٨) في النفع: «وكان منقطعاً إليه، ومن صحبه...».

والعناء^(١)، ومواقف الحرب، فإنه دَهِم في المثل، أشبه امرءًا يعصُ برّه، فقد كان أليق الناس بصُخبة الميورقي، وأنسبهم إلى خدمته. مشيخته: روى عن أبي زيد بن السهيلي^(٢).

بعض أخباره في البأو والصُرامة: حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عن حدّثه من أشياخه، قال^(٣): وجّه الميورقي في عشيّة يوم من أيام حروبه إلى المأزق، وقد طال العراك، وكاد يكلّ الناس عن الحرب، إلى أن يياكروها من الغد، فنقّذ لما أمر به. ولما بلغ الصّدر اشتدّ على الناس، ودّعِر^(٤) أرباب الحفيظة، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحُملة، فانهزم عدوهم شرّ هزيمة، ولم يَعد أبو محمد إلّا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذي عمِلت هو شأني، وإذا أردت مَنْ يَصرف الناس عن الحرب ويذهب ربحهم، فانظر غيري.

وحَدّثني^(٥) كذلك أن وَلَدًا له صغيرًا تشاجر مع تَزِبٍ له من أولاد أميره أبي زكريا، فنال منه ولد الأمير، وقال: وما قَدَر أبيك؟ ولما بلغ ذلك أباه خرج مُغَضَّبًا لحينه، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده، فقال: حَفِظَكَ الله! لستُ أشكُ في أنّي خديم أبيك، ولكنني أحبُّ أن أعْرِفَكَ بمقداري^(٦) ومقداره، اعلم إنَّ أباك وَجَّهني رسولًا إلى الخليفة^(٧) ببغداد بكتاب عن نفسه، فلَمَّا بَلَغْتُ بغداد نَزَلْتُ^(٨) في دار اكْتَرَيْتُ لي بسبعة دراهم في الشهر، وأَجْرِي عليّ سبعة دراهم في اليوم، وطُوع بكتابي، وقيل: مَنِ الميورقي الذي وَجَّهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مَغْرِبِي نائر على أستاذه. وأَقَمْتُ شهرًا، ثم اسْتَدْعَيْتُ إلى الانصراف، ولَمَّا دخلت دار الخلافة وتكلّمتُ مع مَنْ بها من الفضلاء، أرباب^(٩) المعارف والآداب، اعتذروا لي، وقالوا للخليفة: هذا رجل جُهل مقداره، فأَعِذْتُ إلى محلّ اكْتَرَيْتُ^(١٠) لي بسبعين درهمًا، وأَجْرِي عليّ مِثْلُهَا في اليوم، ثم اسْتَدْعَيْتُ، فودعت الخليفة، واقتضيت ما تيسّر من جوابه^(١١)، وصدر لي شيء له حَظٌّ^(١٢) من صلته. وانصرفْتُ إلى أبيك.

(١) في النسخ: «والغناء في مواقف...».

(٢) في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) والمقتضب (ص ١٦٨) «روى عن أبي القاسم السهيلي».

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦). (٤) في النسخ: «وذمّر».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧). (٦) في النسخ: «بنفسي ومقداري ومقدار أبيك».

(٧) في النسخ: «إلى دار الخلافة». (٨) في النسخ: «أنزلت».

(٩) في النسخ: «وأرباب». (١٠) في الأصل: «اكتريت» والتصويب من النسخ.

(١١) في النسخ: «محوالجه». (١٢) في الأصل: «خطر» والتصويب من النسخ.

والمعاملة الأولى كانت على قدر أهلك عند مَنْ يعرف الأقدار، والثانية كانت على قدرى والمئة لله. وأخبار ابن فرسان كثيرة.

شعره: وقد تعمم الأمير^(١) بعمامة بيضاء، ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء، فقال^(٢): [الطويل]

فديتك بالنفس التي قد ملكتها بما أنت موليتها من الكرم الغض
توددت^(٣) للحسن الحقيقي بهجة فصار بها الكلبي في ذاك كالبعض^(٤)
ولمّا تلالا^(٥) نور غرتك التي تقسم في طول البلاد وفي العرض
تلقتها^(٦) خضراء أحسن ناظر ثبتت عنك إجلالاً وذاك من القرض
واندلت حمر^(٧) الملابس فوقها بمفرق تاج المجد والشرف المحض
وأصبحت^(٨) بذراً طالعا في عمامة على شفق دان إلى خضرة الأرض

ومن شعره، ولا خفاء ببرايعته^(٩): [الطويل]

ندى مخضلا ذاك الجناح المئتما وسقيا وإن لم تشك يا ساجعا^(١٠) ضما
أعدهن الحانا على سنع مغرب يطارح مرتاحا على القضب مغيما
وطر^(١١) غير مقصوص الجناح مرقها مسوغ أشات الحبوب متعما

وقال أيضا رحمه الله^(١٢): [الطويل]

كفى حزنا أن الرماح^(١٣) صقيلة وأن الشبا زهن الصدى بدمائه
وأن بياذيق^(١٤) الجوانب فزرتت ولم يغد ربح الدنس بيت بنائه

(١) الأمير هو ابن غانية، مخدوم عبد البر بن فرسان.

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٥). (٣) في النفع: «تَرَدَّدْتُ».

(٤) في الأصل: «البعض»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «تلالا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «تَلَقَّيْتُهَا». (٧) في النفع: «خمر».

(٨) في النفع: «فأصبحت».

(٩) الأبيات في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٠) في الأصل: «يأسا جعاضما» وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المقتضب: «فطر».

(١٢) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٣) في المقتضب: «الزجاج». (١٤) في المقتضب: «بياديق» بالذال المهملة.

عبد المنعم^(١) بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني

جلياني^(٢)، من أهل وادي آش، وتردّد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، وأبا الفضل.

حاله: تجوّل ببلاد المشرق سائحاً، وحجّ ونزل القاهرة، وكان أديباً، بارعاً حكيمًا، ناظمًا ناثراً.

تواليفه: وله مصنفات منها «جامع أنماط السائل، في العروض والخطب والرسائل»^(٣)، أكثر كلامه فيه نظمًا ونثرًا.

مشيخته ومن روى عنه: روى عنه أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، وأبو عبد الله بن يحيى المُرسي.

شعره: قال من شعره^(٤): [الطويل]

ألا إنما الدنيا بحارٌ تلاطمُت فما أَكْثَرَ العَرَقَى على الجَنَبَاتِ
وأَكْثَرَ مَنْ^(٥) لا قَيْتَ^(٦) يُغْرِقُ إلْقَهُ وَقُلْ فَتَى يُنْجِي^(٧) مِنَ العَمَرَاتِ
وفاته: سنة ثلاث وستمائة^(٨).

(١) في الأصل: «عبد العظيم» والتصويب من المصادر التي ترجمت له وهي: التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٤٣) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٥٧، مادة جليانة) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٦٣٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣١٣) و(ج ٣ ص ٣٥٧، ٣٧٨) و(ج ٦ ص ١٠٠) والغصون البانعة (ص ١٠٤).

(٢) نسبة إلى جليانة، وهي حصن بالأندلس من أعمال وادي آش، يقال لها جليانة الثفاح لجلالة ثفاحها وطيه وريحه، إذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك. معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٥٧).

(٣) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧): «جامع أنماط الوسائل، في القريض والخطب والرسائل».

(٤) البيتان قالهما في سنة ٥٦٨ هـ، وهما في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) و(ج ٦ ص ١٠٠).

(٥) في الذيل والتكملة: «ما».

(٦) في التكملة: «صاحبت».

(٧) في الأصل: «ينجو» والتصويب من المصادر.

(٨) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩): توفي سنة ٦٠٣ أو نحوها. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧): توفي سنة ٦٠٢ هـ. وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) مات سنة ٦٠٣ هـ، وفي المصدر نفسه (ج ٣ ص ٣٧٨): ولو بجليانة سابع المحرم سنة ٥٣١ هـ، ومات بدمشق سنة ٦٠٢ هـ.

فهرس المحتويات

١٦٣ محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي
٨ محمد المكوذي
١٠ المقرئون والعلماء - الأصليون منهم
 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن
١٠ جزي الكلبى
١٣ محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي
١٥ محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي الثون التغلبي
١٦ محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري
١٩ محمد بن محمد الثمري الضير
٢١ محمد بن عبد الولي الرعيني
٢٢ محمد بن علي بن أحمد الخولاني
٢٥ محمد بن علي بن محمد البلنسي
٢٥ محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقي
٢٧ محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري
٢٨ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الثفري
٤٣ ومن الطائرين عليها في هذا الحرف
٤٣ محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكي
٤٥ ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء
٤٥ محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٦ محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذججي
٤٧ محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٨ محمد بن أحمد الرقوطي المُرسي
٤٨ محمد بن إبراهيم بن المقرج الأوسي
٤٩ محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

٤٩	محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصاري
٥١	محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي
٥٢	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خَلَف بن يوسف بن خلف الأنصاري
٥٣	محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري
	محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن
٥٣	سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي
٥٥	محمد بن محمد بن محارب الضريحي
٥٦	محمد بن محمد بن بُب الكِنَانِي
٥٧	محمد بن محمد البدوي
٦٠	محمد بن عبد الله بن مَيْمُون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري
٦٢	محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري
٦٣	محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدُّ الفهري
٦٤	محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفَخَّار الجُدَامِي
٦٧	محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني
٦٨	محمد بن علي بن محمد العَبْدَرِي
٧٥	ومن القرباء في هذا الباب
٧٥	محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجِيسِي
٩٨	محمد بن عبد الرحمن بن سعد التَّمِيمِي التَّيْلِي الكُرْسُوطِي
١٠١	محمد بن عبد المنعم الصَّنْهَاجِي الحَمِيرِي
	محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن
١٠٢	حسن بن محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري
١٠٨	محمد بن علي بن هاني اللَّخْمِي السُّبْتِي
١١٨	محمد بن يحيى العَبْدَرِي
١١٩	المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاً الأصليون
١١٩	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَيْر
١٢١	محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني
١٢٢	محمد بن أحمد بن محمد الدُّوسِي
١٢٢	محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روييل الأنصاري
١٢٤	محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي رَمْتَيْن المُرِّي
١٢٤	محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي
١٢٦	محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي
١٢٧	محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخَوْلَانِي
١٢٩	محمد بن محمد بن علي بن سُودَة المُرِّي
١٣١	محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
١٣٢	محمد بن عبد الله بن أبي رَمْتَيْن

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن
 ١٣٢ إبراهيم بن محمد بن أبي رَمَينَ عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي
 محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَف بن قاسم بن محمد بن هاني
 ١٣٣ اللخمي القايسي
 محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني
 ١٣٤ محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُقَرَّج بن أحمد بن عبد الواحد بن حُرَيْث بن
 ١٣٥ جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي
 ١٣٦ محمد بن علي بن فرج القُرَيْلَياني
 ١٣٧ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكوني
 ١٣٨ محمد بن سُودَة بن إبراهيم بن سُودَة المُرِّي
 ١٣٩ محمد بن يزيد بن رَفَاعَة الأموي البيري
 ١٣٩ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس
 الأنصاري
 ١٤٠ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
 ١٤١ محمد بن أحمد بن المراكشي
 ١٤٢ محمد بن بكرون بن حزب الله
 ١٤٣ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي
 ١٤٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
 ١٤٥ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي
 ١٤٦ محمد بن محمد بن مَيْمُون الخزرجي
 ١٤٧ محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري
 ١٤٨ ومن الثَّرباء في هذا الاسم
 ١٥١ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التَّمساني الأنصاري
 ١٥١ محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قَطْرال الأنصاري
 ١٥٣ العمال في هذا الاسم وأولاً الأصليون
 ١٥٤ محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل
 ١٥٤ محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
 ١٥٧ محمد بن محمد بن حَسَن الغافقي
 ١٥٧ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن
 عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم التُّميري، المدعو بابن
 الحاج
 ١٥٨ محمد بن عبد الرحمن الكاتب
 ١٥٩ محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر
 ١٦١

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن	
محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي	١٦٣
ومن الطائرين في هذا الاسم من العمال	١٦٤
محمد بن أحمد بن المتأهل البصري	١٦٤
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي	١٦٦
محمد بن محمد بن شعبة الفسائي	١٧٠
محمد بن محمد بن العراقي	١٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون	
الأنصاري	١٧٢
محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل	١٧٣
محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي	١٧٣
الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء وأولاً الأصليون	١٧٤
محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري	١٧٤
محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٥
محمد بن حنون الحميري	١٧٥
محمد بن محمد البكري	١٧٥
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٦
ومن الطائرين عليها في هذا الاسم	١٧٧
محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن	
مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف	
السلمي	١٧٧
محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان	
القيسي	١٧٩
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري	١٨١
محمد بن أحمد بن قاسم الأمي	١٨٢
محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن	
عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي	١٨٦
محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلقي بن الحاج	١٨٧
محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد الثفري	١٩٠
محمد بن يوسف بن خلصون	١٩٤
ومن الثمراء في هذا الاسم	٢٠٢
محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي	٢٠٢
محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي	٢٠٣
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلقاوي	٢٠٥
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي	٢٠٦

٢٠٧	سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارية علينا أو قريب ..
٢٠٧	مَزْدَلِي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن تزقوت بن وَزْبَابطن بن منصور بن
٢٠٧	نصالة بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللثموني ..
٢٠٧	موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهشاني ..
٢٠٨	مَنْدِيل بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو الأمير أبو زِيَان ..
٢١٠	ومن الطارئين ..
٢١٠	المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن
٢١٠	عبد الرحمن بن معاوية ..
٢١١	مُنْذِر بن يحيى التَّجِيبي ..
٢١٦	موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يَغْمَراسين بن زِيَان ..
٢٢٠	مُبَارَك ومُظَفَّر الأميران مَوْلَا المنصور بن أبي عامر ..
٢٢٨	ومن ترجمة الأعيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها ..
٢٢٨	منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو ..
٢٢٩	مُقَاتِل بن عطية البَزْزَالِي ..
٢٣٠	ومن السُّفَر التاسع من ترجمة القضاة ..
٢٣٠	مُؤَمِّل بن رجاء بن عِكْرَمَة بن رجاء العُقَيْلي ..
٢٣١	ومن الطارئين والغرباء ..
٢٣١	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي ..
٢٣١	ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون ..
٢٣١	مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرَج بن أَرْزُق بن سعد بن
٢٣١	سالم بن الفرَج ..
٢٤٨	ومن طارئين المقرئين والعلماء ..
٢٤٨	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ..
٢٥١	مسلم بن سعيد التَّنْمَلِي ..
٢٥٢	ومن العمال الأثراء ..
٢٥٢	مُؤَمِّل، مولى باديس بن خَبُوس ..

حرف النون الملوك والأمراء

٢٥٤	نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن
٢٦١	عقيل الخزرجي الأنصاري ..
٢٦١	ومن الأعيان والوزراء ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهري ..
٢٦٢	ومن الكتاب والشعراء ..
٢٦٢	نزهون بنت القليعي ..

حرف الصاد من الأعيان والوزراء

- ٢٦٤ الصَّمِيل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذِي الجوشن الضَّبَائي الكَلبي
 ٢٦٦ ومن الكتاب والشعراء
 ٢٦٦ صَفْوَان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التَّجِيبِي
 ٢٧٥ صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف التَّغْزِي

حرف العين من ترجمة الملوك والأمراء

- ٢٨٧ عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التَّجِيبِي الرئيس أبو محمد بن إشْقِيلُولَة
 ٢٨٩ عبد الله بن بَلْقَيْن بن باديس بن حُبُوس بن مَأْكَسَن بن زيري بن مَنَاد الصُّنْهَاجِي
 ٢٩١ عبد الله بن علي بن محمد التَّجِيبِي، الرئيس أبو محمد بن إشْقِيلُولَة
 ٢٩٢ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرْفِي
 ٢٩٣ عبد الله بن الجَبَّير بن عثمان بن عيسى بن الجَبَّير اليحصبي
 ٢٩٤ عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السُّلْمَانِي
 ٢٩٨ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزْيِي
 ٣٠٥ ومن المقرئين والعلماء
 ٣٠٥ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكَوَّاب
 ٣٠٦ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سَلْمُون الكَنَانِي
 ٣٠٨ عبد الله بن سهل الغرناطي
 ٣٠٩ عبد الله بن أيوب الأنصاري
 ٣٠٩ عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري
 ٣١٣ عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سِمَاك العاملي
 ٣١٤ ومن ترجمة القضاة
 ٣١٤ عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن مُنْخَل بن زِيد الغافقي
 ٣١٥ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي
 عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن
 ٣١٥ زكريا الأنصاري
 ٣١٦ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمرَة الأزدي
 عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خَوَاط الله
 ٣١٧ الأنصاري الحارثي الأزدي
 ٣١٨ عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري
 ٣١٩ عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي
 ٣٢٠ عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حَمَاد الصُّنْهَاجِي
 ٣٢٠ ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء
 ٣٢٠ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي
 ٣٢٨ عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَر الجيجاري الصُّنْهَاجِي

٣٣١	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلمي
٣٣٣	عبد الله بن محمد بن سارة البكري
٣٣٥	عبد الله بن محمد الشراط
٣٣٧	عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التجاري
	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن
	عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن
٣٤٧	عمار بن ياسر
٣٤٩	ومن الصوفية والفقراء
٣٤٩	عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعي
٣٥١	عبد الله بن فارس بن زيان
٣٥٢	عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي
٣٥٣	ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء
	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد] بن عبد الرحمن بن الحكم بن
٣٥٣	هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله
	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن
٣٥٥	عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
	عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي
٣٥٦	العاصي بن أمية بن عبد شمس
٣٥٩	عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي
٣٦٠	عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي
٣٦٣	ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطائرين منهم
	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أضبح بن حسن بن سعدون بن
٣٦٣	رضوان بن فتوح الخثعمي
٣٦٦	عبد الرحمن بن هانيء اللخمي
٣٦٧	عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي
٣٦٨	عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري
	عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن
٣٧٧	محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي
٣٩٥	عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلبيري
٣٩٥	عبد الرحمن بن يَحْفَتَن بن أحمد بن تفلت الفاززي
٣٩٩	ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف
٣٩٩	عبد الرحمن بن أسباط
٤٠٠	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري
٤٠٣	عبد الرحمن بن عبد الملك النيشي
٤٠٥	وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن، وأولاد الأمراء

- ٤٠٥ عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم
- ٤٠٦ عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
- ٤٠٨ عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
- ٤٠٨ ومن الأفراد أيضًا في هذا الحرف وهم طارؤون
- ٤٠٨ عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
- ٤٠٩ عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني
- ٤١٠ ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا
- ٤١٠ عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مَخْيُو
- ٤١١ عبد الملك بن علي بن مُذيل الفزاري وعبد الله أخوه
- ٤١١ عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري
- ٤١٢ القضاة الفضلاء وأولا الأصليون
- عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن
تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن
أسلم بن مكتوم المحاربي
- ٤١٢ عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي
- ٤١٩ ومن غير الأصليين
- عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن ياسو بن تاذرُت الثنمالي
اليدرازيني ثم الواغديني
- ٤١٩ ومن المقرئين والعلماء
- ٤٢٠ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مِرْداس
السلمي
- ٤٢٠ ومن الطارئین عليها
- ٤٢٤ عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السُّداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي
- ٤٢٤ ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف
- ٤٢٥ عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن
عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي
- ٤٢٥ عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري
- ٤٣٩ عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي
- ٤٤٠ عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست
- ٤٤١ عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني
- ٤٤٥ عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني
- ٤٤٨